

عالم



# عاشقة الأسلاف

أبراهيم السعيد

# عِبَاقِرَةُ الْأَسْلَافِ

تأليف

إبراهيم أسعد محمد

مطبعة المعرفة

# المقدمة

تعددت النظريات حول نشأة الانسان الاول. فن رأى يقول إنه مخلوق إلهي، نشأ دفعة واحدة، إلى نظرية داروين في النشوء والارتقاء التي تدعى أن الانسان إنما نشأ كشأن سائر المخلوقات من الاميبيات وحيدة الخلية ثم تطور حتى اكتمل خلقه، إلى رأى ثالث يحاول أن يوفق بين الرأيين.

ولسنا هنا في مجال بحث النظريات المختلفة والمفاضلة بينهما، وإنما هنالك حقائق علمية أعيننا اثبتتها علماء الحفريات والسلالات.

أولها: أن الانسان العاقل أو كما يطلقون عليه Homo Sapiens قد سمته إلى الظهور أنواع أخرى من البشر لم يكونوا في استواء خلقه، ولا هم في اكتمال عقله. كالانسان بيكين، وهيدلبرج. والينادرثال، وما أطلقوا عليه جايكابثرويس وغيرها.

ثانيها: أن هذه الأنواع قد تعاصرت فعاشت مع بعضها آمدا من العمر، وربما كانت قد تزوجت فيما بينها، ولسكن البعض قد انقرض.

ثالثها: أنه كانت هنالك طفرات في الخلق لا ترتبط برابطة معينة ولا تتبع التطور الطبيعي. وقد ظهرت الطفرات ليس في الانسان لحسب، وإنما أيضاً في الحيوان، بل والنبات كذلك.

وأيا كانت كيفية ظهور الانسان على ما هو عليه اليوم، فماهم أنه قد ظهر في وقت وجدت فيه - أنواع أخرى من البشر، أنواع معادية، وأخرى صديقة. كان عليه أن يحارب الأولى، كما كان عليه أن يتقاتل الطبيعة بما حوت. كان جميعاً أضعف المخلوقات، أو يكاد، فليست له قوة أشباه الوحوش، ولا ضراوة الوحوش، ولم يكن له جناحان ليطير بهما، ولا كان أعدي العدائين، بل حتى

حراسه لم تكن قوية بدرجة كافية لحمايته ، فلا النظر ، ولا الشم ، كانا كما هما لدى أدنى الحيوانات .

كيف إذا قضى على بعض الحيوانات ، وانتصر على الوحوش ؟ كيف تسنى له أن يستغل النباتات لصالحه ، ويصنع الحيوان خدمته ؟ كيف أصبح سيد العالم ورائه من الوحوش المرولة الماجم ؟ هل لأن عقله يفوق الجميع ؟ أم لأن له خصائص جسدية أخرى كانت تساعد ؟ جهاز حرق مثلاً لا يكاد أن يتوافر لحيوان آخر يمكنه به أن يقلد أصوات الحيوانات ، ويمكنه به ، وهو الأهم ، أن يتوغل من درجاته الموسيقية لتسكون لغة يمكن التفاهم بها ؟ أو هل لأن له معدة تمكنه من هضم جميع أصناف المأكولات ، سواء كانت نباتية ، أو حيوانية ، بل وحتى المعدنية ؟ أم هل هو تفاعل كل هذه العناصر جميعاً . . . وغيرها .

كيف تسنى له أن يسيطر على العوامل الطبيعية ، وأهمها النار ؟ كيف روض الحيوانات ، السكاب والحصان ، والاشنام ، والماشية ؟ لا شك أن كل هذه العوامل قد ساعدته كثير في أوائل حياته ، ولكن لا شك أيضاً في أنه كان عند الإنسان بدور العبقرية ، لأن لم يكن لديهم جميعاً فعلى الأقل عند أفراد منهم ، وضربوا أسس الحياة الاجتماعية ، والأمن ، والاستقرار ، وبالتالي أسس الحضارة ، والمدنية التي تنعم بها الآن ، هؤلاء هم عباقرة الأسلاف ، الذين عاشوا حياة مليئة بالترقب والقرع ، في السكوف يطردون منها الذئاب والذئبة ، وفي الغابات يصارعون الطبيعة ، يقاتلون السباع ، والنز سبى الغاب ، والزواحف المعلقة ، بل وأهم الحيوانات وأخطرها . الإنسان . عاشوا هذه الحياة ولا سلاح لديهم سوى عقولهم ، وهراوات مقتطعة من أشجار ، أو أسلحة الخشخشة ، من الحجارة والمظالم ، ليخرجوا منتصرين .

أجل لا شك أن منهم من كان عبقرياً . وهذه قصة أسلاف هؤلاء العباقرة الأوائل ، حبه ، وآلامه ، ومغامراته ، وعاولاته في البقاء ، والعيش في أمن ، وهي محاولات خلقت لنا تراثاً عظيماً . هو الانحصار على الطبيعة ، وسائر التكتلات بها . الطريق نحو عالم أفضل . وقد التذمت في القصة بالحقائق . والنظريات العلمية



المسكنة من الآن ، واستعملت الخيال فقط في ملء بعض الثغرات التي لم يتوصل إليها العلم محاولاً أن يرسم صورة لحياة أحد العبادرة الأسلاف .

وهناك نظرية جديدة أريد أن أشير إليها بالذات وهي أن الغريزة الأم هي الغريزة المسكنية ، على العكس مما يقرره فرويد من أنها غريزة الجنس ، ويدعى أصحاب هذه النظرية أن غريزة حب المسكن هي أم الغرائز جميعاً . فالإنسان يدافع عن وطنه ، وعن مدينته ، وعن حبه ، وعن منزله . وكذلك سائر الحيوانات لها مناطق تجول فيها وتصيد ، وهي في هذه المنطقة أقوى ما تكون . والمسكن بدوره يدافع عن مستوطنيه ، فهو يعطيهم الأمان بالأماكن التي يستطيعون فيها الحرب ، أو الاختباء أو استغلاله في . . بعض الحيل .

متى يبدأ تاريخ القصة ؟ هو تاريخ بدء الإنسان الحقيقي كما نعرفه اليوم . متى كان ذلك ؟ لست أدري ، لعلة من مليون سنة خلت ، وربما من ربع هذه المدة . وقد يكون من مائة ألف فقط ، بل ولعلها لم تبدأ إلا من خمس وعشرين ألف سنة . أي من هذا التاريخ قد يكون صحيحاً أو على الأقل هذا ما يقوله العلماء . أو هذا ما هم فيه يختلفون .

والمسكن بدوره غير معروف . لعلة كان في جنوب أفريقيا ، أو في حائق أولدواي ، أو في شرق آسيا أو جنوبها ، وربما كان في مصر ، أو جنوب شبه الجزيرة العربية ، أو لعلة كان بين النهرين ، أو في منطقة غير ذلك ، كل ما يمكن تعوره في الواقع ، وربما بالغريب ، هو المناخ الذي كان يسود المنطقة . فليس من المدهون أن يكون أول خلق الإنسان وتطوره في جو بارد شديد البرودة ، إذ أن مثل هذا الجو يلزمه أشياء كثيرة لم يكن في قدرة الإنسان الأول الحصول عليها . الملابس مثلاً أو نوع الغذاء والسكن . فليزوم إذا أن يكون بدء حياة الإنسان في مكان لا يحتاج فيه إلى ملابس كثيرة ، فهو جو حار نسبياً . ولا يمكن أن يكون شديد الحرارة ، وإلا لسكان مدعاة للسكل وما كان في الامكان أن يرق الإنسان إلى ما هو عليه الآن ، ولا إلى أن ينتشر في بقاع الأرض .

ولا بد أيضاً أن يكون هنالك غذاء نباتي متوفر إلى درجة معينة . ذلك أن

الإنسان لم يكن لديه الوسائل الكافية في بدء حياته لكي يصيد الحوش  
أو السباع ، بل حتى الحيوانات الصغيرة كانت جميعا أسرع منه عدوا ، وما كان  
في مكنته ، إلا في القليل القادر ، أن يفاجئها في أوكارها ، ولا كان في مكنته أن  
يصيد الطيور ويسرق بيضها إلا مساء ، وحق هذه لا بد أنها كانت رحلة عفوقة  
بالمخاطر والصعاب . ولهذا كان لا بد أن يكون الذبقات غذاءه الرئيسي يلقى  
بثماره ، ويأكل جذوره .

وعلى هذا فإن المكان الذي كان يمكن أن يتواجد فيه الإنسان الأول لا بد  
أنه كان ذا جو معتدل ، غزير الأمطار ، وليس إلى الحد الذي يحول  
الأرض إلى مستنقعات ، وبرك تجرس خلالها القناصب ، والحوام والحشرات .  
ولعل أنسب مكان يمكن تصوره هو شرق ما هو معروف الآن بالبحر الأبيض  
المتوسط ، مصر أو فلسطين ، وأن كان كثير من العلماء يميلون إلى أن القشأ  
الأولى كانت في أواسط أفريقيا ، حائق الداوى .

# الفصل الأول

## الجرى والشاب

أخذ الشاب يجرى وكأن شياطين العالم أجمع تلاحقه ، راح يعدو على غير هدى وإلى غير مقصد . كان جريه مذعورا ، وامكنه عدو سهل حين تشارك فيه جميع أجراء الجسد في تعاون . . . وتواؤم لا لإجهاد فيه . كان الجرى هو وسيلة الأساسية للحياة . لقد جرى من قبضة أبيه المتوحش حينما أراد أن يختطف قطعة من اللحم النقي الذي ينمسه . وجرى من أخوته ، وأخوانه الكبار وهم يضربونه لغير سبب معروف . كانت ثغاب أحدهم ثورة عارمة فجأة فإذا به ينفض على الموجودين يضربهم ، ويركهم ، ويفرس أسفانه فيهم . ولم تكن هنالك وسيلة للصغير سوى الجرى من أمامه . كان يجرى من الحيوانات المتوحشة . وراءها أحيانا .

كان الجرى بالنسبة إليه مسألة حياة . ولم يشعر بهذا طوال حياته كما يشعر به الآن . كان كل ما يدور في خلده أن يتبعد عن تلك المنطقة ، أما إلى أين فلم يكن يذى بال . استمر يعدو بأقصى سرعته غير مبال بأفرع الشجر تخدش جسده ، ولا بصيحات القرود والتسايس حوله ، ولا برذاذ المطر الذي بدأ يتساقط . وحملته ساقاه الطويلتان إلى أعماق العابة المكشوفة ، ولكنه اتس فيها الدروب والمساك ، فقد اعتاد هذا في صراعه مع الحياة ، سبعة عشر ربيعا . ومضت ساعات ، والشاب منطلق في ذعر لا يكاد أن يوقف لحظات يانطق فيها أنفاسه ، تحاشي السبل الواسعة ، فهو يعلم بفريزته وخبرته أنها موطئ الوحوش .

كان كل ما يسيطر على عقله أن يضع بينه وبين موطنه الأول أكبر مسافة . أن يتبعد عن هذا الرعب الذي قضى على كل عائلته دفعة واحدة ، ولعله الآن ينعم بشجرة تصرة . والده ، وأمه ، وأخوته ، كلهم ذهبوا ، إلى غير رجعة .

وما كان في استطاعته أن يفعل شيئا . هبط الرعب عليهم فجأة ، وضربهم ضربة بلا رحمة ، ولا إبطاء . لم يسمعوا له صوتا وهو قادم ، ولا حتى مجرد تمكسر خشن . فقط رأوه أمامهم . كانت زججرة ، وصيحات دعر ، وحشرجات موت . ولم يقف الشاب ليرى بقية المأساة ، إنما أطلق لساقيه العنان . ظل يعدو في دعر بلا تفكير سوى في الفرار من هذا الرعب . لم يتوقف إلا للحظات ، بين الحين والحين ، ريثما يلتقط أنفاسه .

لقد عاش طوال حياته في الغابة ، والجبال وحسب أنه رأى كل أنواع الوحوش وأشياها . رأى بعض أفراد عائلته يموتون ميتة شنيعة بين أنياب هذا الحيوان أو ذاك . ولكنه كان قد ألف هذا النوع من الحياة ، أو الموت ، وأخذ على أنه جزء من معيشته اليومية . ولم يكن يرتعب من هذه الوحوش . كان يخشاها ، يدهسها ، وكان يخافها ، إلى حد ما . ولكنه لم يكن يرتعب منها . أما هذا المخلوق . هذا الشيء ، فهو نوع آخر . كانت الوحوش مهما بلغت في العبيطة تنبئ عن وجودها بشكل ، أو بآخر . طير يفرز عاو مسطد الليل ، خشن يتكسر ، بل أحيانا حينما يكون الحيوان ضحما إلى درجة كبيرة ، كانت أفرع الأشجار دائما تتكسر . أما هذا الشيء ، هذا الرعب ، فقد ظهر فجأة ، وبلا سابق مقدمات ، في سكوت وبلا جلبة .

كان هو أول من رآه ، أو على الأصح ، كان أول من رأى عينيه . كانتا عينين ضيقتين إلى درجة لم ير الشاب لهما مثيلا من قبل . فيهما وحشية ، وخبث ، ونهم . ولم يلتفت الشاب ليعرف باقي التفاصيل ، وإنما انزوى في الظلة ثم أطلق لساقيه العنان . شعر بفريزته أن هنا يمكن خطر دائم ، خطر لا مثيل له في الغابة ولا في الجبال ، ولا المستنقعات ، ولا الأعراس على ما حوت . خطر ان يتقلب عليه لاهو ولا عائلته مجتمعة . لقد سبق له أن وقف مع عائلته أمام أشد السباع ضراوة يقاومونه ، وسلاحهم هروات مقطعة من الأشجار ، بل أنهم قد قتلوا ذات مرة تمرا سيفي الشاب ، بمجرد الهروات ، والأشجار ، أما هذا الشيء فهو جديد عليهم



تماما . لقد شعر اللحظة الأولى أن هنا يكن خطر لن يتغلبوا عليه بالهروات ،  
لا ولا حتى بالأحجار .

لقد سمع أثناء هدوه صوت معركة بين وحشين هائلين أحدهما الخراف الضعيف ،  
والآخر حيوان ضخم لم يتمكن من معرفته ، ولكنه أحد الأفيال ، ولعل المعركة  
بين هذين الجبارين كانت تدور على بعد بضعة عشرات من الأمتار من مكانه ،  
ولسكنها كانت شيئا مألوفاً في حياته ، ولم يتوقف لحظة ليراهما .

برزت عليه الشمس وهو مازال يجرى . وفي مرات كثيرة سمع صوت  
الفردة الحبيب ، وهي تمرح بين الأشجار العالية ، ولكنه لم ينظر إلى أعلى  
ليداعبها على عمد . كان كل ما يشغل باله أن يتعمد أكبر مسافة من ذلك  
الرعب الذي رآه للحظات ، وكأت الساقان القويتان ، وترددت أنفاس الصدر  
العريض لا هشة . إن عليه أن يجد مكانا يأوى إليه قبل أن يجن عليه الليل مرة  
ثانية . عليه أن يستريح ليسترد أنفاسه الضائعة ، وقواه الخائرة ، وإلا فإنه سيكون  
فريسة يسيرة لأول حيوان يلاقيه .

وكأنما أرادت الطبيعة أن تحث على البحث عن مكان يأوى إليه ، فزداد تساقط  
الأمطار حتى أضفى سيلا منمرا . ورعدت السماء ، وأبرقت منيرة بما صفة  
هوجاء . ووقف الشاب لحظات يثقلت حوله من مكان يعطيه أمنا ، أو بعض  
أمن ، فالأمن السكامل لا وجود له في حياته : رأى شجرة عملاقة هائلة على بعد  
أمتار منه ، فأتجه إليها ، في بقاء وحذر . إن التجويف الذي في أسفل هذه  
الشجرة ، وإن كان يبدو من مدخله غير ضخم إلا أنه يصلح مأوى مؤقتا له .  
ولكنه أيضا يصلح مأوى لبعض الوحوش أو الواحش . وثقلت الشاب حوله  
من شيء يستطيع استمالة ، حتى عثر على غصن شجرة ضخم يصلح كهاوية فتناول  
واقرب من التجويف بحذر . راحت أنفه تتحسس الروائح . وخيل إليه أنه  
يشم رائحة أحد الوحوش . ربما كان ذئبا أو ضبعا .

تناول الشاب قطعة من حجر لقيها وألقاها بكل قوته إلى داخل الفجوة .  
وخيل إليه أنه سمع صوتا ، ولكن شيئا لم يحدث . مد العصى إلى داخل التجويف

المظلم ، وراح يتحسس به ، ويضرب هنا وهناك . لكن السكون في هذه المرة كان مطلقا . إذا فالمسكان خال . ربما كان في وقت من الأوقات مآري لأحد الوحوش ، ثم هجره لسبب أو لآخر . استجمع شجاعته ، ودخل متأنثرا الرأس ليجد نفسه في طلة نسيية ، لم يستطع معها أن يتبين شيئا . استمر كذلك لحوادث وهو يشعر أنه يغير نظر لا حول له ولا قوة ، فريسة سهلة لأي فاعل في التجويف . واعتادت عيناه الظلمة ، وبدأ يميز ما حوله قليلا . استطاع أن يميز التجويف . فإذا به يسمه واقفا ، كما أنه كان مقسما بدرجة تكفي لأن يتنام براحة .

وفجأة وقعت عيناه على عيون كثيرة تلعب في الظلام . وبمركه لا شعورية ارتد إلى الوراء مساندا ظهره إلى الداخل ، وقايسا على النقص في يديه ليستعمله كهرادة لكن أصحاب العيون لم تتحرك ، وإنما غيل إليه أن الخوف بدا فيها . مكث برهة ليتحقق من الذين اقتحم عليه مأواهم . أخيرا صدرت أصوات خافتة . ولأول مرة منذ ساعات تقهقر إرتياحا . فلم يكن القاطنون سوى جراء صغيرة .

لكن هذه الراحة التي يشعر بها لم تدم طويلا . كانت راحة مؤقتة بطبيعتها . إذ شعر أنه هرب من خطر حال كان يهدده ، إلى خطر محتمل مريع . نعم إن هذه الجراء لا خطر منها . بل أنها قد تصلح لهذا . ولكن أين أمها ؟ إنها لا يمكن أن تكون بعيدة ، وهي إذا عادت فلن يكون له مقر في هذا التجويف . سوف تقتله لا محالة . كان عليه أن يخرج إذا ، صريحا قبل أن تعود الأم .

نظر إلى العاصفة في الخارج وهي تشتد ، وجمال في مخاطره أن يمكث ليقاتل الذئبة دون هذا الموطن المريح . وكاد أن يستقر على هذا لولا أنه فكر في الأب . ماذا لو عاد الاثنان معا . قد يكون هنا لك أمل في قتال أحدهما . أما إذا كانا سويا فلا أمل له البتة . كلا . . لعله من الأوفى أن يترك التجويف لفاطمة ، ولا بأس من أن يأخذ ماله جروا يقتات به . فقد شعر بروع شديد . مد يده إل

أحد الجرد ، فترجع مدورا ، لكن الشاب يقف على عنقه ، وحينئذ متجها  
إلى مدخل التجويف .

وقد أن يطل برأسه إلى الخارج سمع صوت صدقة تدق على الشجرة ،  
وسكره ، كبير مضى يودى إلى الأرض من شاطئ في صوت زهيج عظيم .  
ثم الشاب إلى التجويف سرعا ، وأفلت من يده . الجرد الذي رأى وتدعى  
مضى إلى إحوته . ووقع الفرع الصعق أمام مدخل التجويف ليعلقه تماما .  
حينئذ لم يجر الفرع ولا يدفعه ، لكنه كان يحول زحزحة جيل .  
والسبب له عظمة ، قد صاب في حالته أنه قد قضى عليه مذبذب حرجا ، وعطشا  
وحس . وجوب ، وذهب من الفرع ثابته بحيث أن كانت ثمة فرجة يمكن أن  
يخرج منه . ويمكن كل ما استنداع اكتشفه هو فرجة لا تكاد أن تخرج منها  
الجرد . وهكذا قد أعرفت المدجوة بعد بحار ماهر لم يترك سوى هذه صعيد  
الجراء .

أرشد الشاب ياندا داخل التجويف ، وجلس على الأرض مستندا بظهره على  
جذع الشجرة . كان مرعبا ، يريد أن يستريح .

أدرك عيونه انعام ، لكنه سمع في الخارج عواء موحشا ، عواء اللابة  
التي سددت جراحها وعممت الجراء فرجة بدفء لأم ، وما دوت أنها إن  
تصبح لوصول . وسمع الشاب صوت غلاب لأم تدعى في الفرع محاولة كسرة  
أرتمته ، لكنه كان يعمل أنها لن تستطيع شيئا . لقد ذهب هي جراتها أن  
تتفرج أجوعا ، وهطشا ، كما سوف يموت هو . أورد ، أكلها ، فاقبته مدة هل  
فيه حياة . على أي ، فإن كل ما يريد الآن هو أن يضم . وسوف يرى ما يمكن  
عنه . سيقوم . إنه الآن على الأقل يستطيع أن ينام على وجهه ، فلي يستطيع  
حيث يحول ، كما أنه هو لا يستطيع الخروج . وثقلت جبهته وهو ما يزال  
يستمع إلى عواء اللابة النائمة ، وإلى صوت محليها وهي تدعى في الفرع بلا  
هزيمة

فتح الشاب عينه وأحس أنه قد إستعاد قوته وبشاطه ، وأحس بجرح شديد فاعلمت عينه لا يرادى إلى الجراء . لكن صوت الدابة في الخارج ارتفع عالياً يندوى كأنها قد أحست الالم بتمسكها فأرادت أن تحذره أن يمس جراحها بسوء . وعلمت عايتها في الشجرة بشدة ووحشية . وتوقفت عن التمسك في الجراء ، ولما جهت عيناه إلى خارج العجوة .

كانت العاصفة قد هدأت . وتوقف سقرط الأمطار . وبرز صباح اليوم التالي . ودخل بصبح من الضوء حلال الفرجة الصغيرة في أعلى مدخل التجويف . أراد أن يطل منها إلى الخارج ، ولكن هذه الحركة كادت أن تسببه جرحاً من وجهه . إذ ما كاد أن يصح عينيه في الفرجة الصغيرة حتى رأى الدابة تطير لانه . والشرر يتطاير من هيئته . وأطلق أمكان القويان على بعد لا يزيد على بوصتين من وجهه . رجع إلى الداخل مسرعاً ، وجلس إلى الأرض مرتكزاً على جذع الشجرة بمحاول التمسك في الخروج من هذا المأزق . وتماهى إلى سمعه صائح الفردة له يهـ ، غلظت من حجة البنية . وصارت أحداً الوعرش يتردد من مكان بعيد .

ولاحظ أن الجراء قد إطمأنت إليه بعد أن قضى معها ساعات لم يحاول أن يقتلها ، فمضت تلعب حوله . حاول أحدها أن يعتلى فرع الشجرة في مدخل العجوة لكنه أحمق في محاولاته . وجس جدران الدابة وهي ترى قرب وليدها . وتسمع صوته دون أن تستطيع أن تعمل شيئاً ، فارتفع صراخها كالثكنى . وإزداد إحساس الشاب بالجوع . فنظر إلى الجراء في نهم . أمسكها ، غير شاعره بما يجعل في ذمته . مضت تلعب حوله مطمئنة إليه . وتراحمت في رأسه الأيسر . كانت لديه ثلاث مشكلات : الجوع ، وفرع الشجرة ، والدابة التي لا تريد أن تترك مكانها . أما الجوع فلم يكن مشكلة حاله ، وإن كانت مشكلته هي المشكلة الرئيسية . إنه الآن يستطيع أن يحفر الأرض الطينية ليخرج منها بعض الديدان ، والجذور . وامتدت أصابعه القوية تحفر في الأرض ، وتخرج



منه بعض الديدان . وتصارعت الجراء الجائعة إذ رأت غذاء . وطر إليها  
 أشد في بعمة ، ثم خرجت من فم حشرة هي أقرب إلى الضحكة ، ومد يده  
 إلى جراء لتلتهم الديدان . كانت هذه صغيرة الإنسان ، من نفسه . ودأبت  
 الجراء حوله حتى اضطرت أن يبعدها ويضعها الواحدة ، ولو الأخرى بما يجده  
 من ديدان . واستمرت أصابعه تحفر في أرض الفجوة ، في أكثر من مكان حتى  
 تأكد تماما أنه لم يعد هنالك ديدان باقية . وتصايحت الجراء ، فما كانت تسكنها  
 صفة ديدان . وشعر هو بالجرع يشتد عليه ، فاستمر في الحفر بحث عن جذور  
 الشجرة ، أو شعيرات الرقيقة ، ويجذبها لمضغها حتى أن تعاطيه عصارتها بعض  
 الغذاء بسد به ريقه . وأشبع بعض جوعه ، فالتفت بالنسبة إليه وثقتا إحدى  
 مشكته به الثلاث . وابتدأ يفكر في مشكلاته الباقيتين . إنه إن يستطيع الخروج  
 حتى إن استطاع أن يحرك العرع ، طالما أن هذه الدببة واقفة في الخارج . كيف  
 يمكنه أن يبعدها ؟ لعلها لو حصلت على جرائمها ترك المكان . واسكنه عاد يفكر  
 في تدبيره . ماذا لو أعطاه الجراء خلال الفجوة ثم لم يستطيع الخروج . إن هذه  
 'جرء' تدفن غذاء يقيه على قيد الحياة أياما . وبدونها لن يستطيع أن يعيش . على  
 جذور الشجرة وشعيراتها فقط .

ودارت في رأسه الأفكار لعل الدببة تفتنع لو أحدث جرءا واحدا ،  
 أو حتى اثنين . ولم تسكن هذا لك طريقة ليخبر بها ما تفعله الدببة سوى  
 التجربة . واستقر رأيه على أن يقوم بالتجربة ، فقص على أحد الجراء ورفعته  
 إلى العرجة ثم دفعه إلى الخارج .

وتدفقه الدببة تلحسه بلسانها ، ثم أطبقت عليه بين فكيها ودهشت به .  
 وحزن الشباب من خلال العجوة فلم ير لها أثرا فتهد بإرتياح . وبدأ يفكر في  
 مشكلته الثالثة . حاول أن يدفع عرع الشجرة بعيدا عنه ، ولكنه لم يستطيع أن  
 يحركه قيد أملة . اتجه تفكيره إلى توصيه العرجة . واعتدت أصابعه القوية  
 تمزيق لحاء العرع الساقط ، جزءا جزءا . لكنه بعد مدة أيقن أن أصابعه

مفردها لـ تكفى . وثلاث حوله عن أية أداة يمكنه أن يستعملها في توسعه  
الفرجة ، فم يجد سوى بعض احاف الذى تنس به طريقة في اسحول . فبعض  
الشاب على العصب يديه . ولم يكن العصب رفيعا ، ولا رقيقة لدرجة تسمح  
باستخدامه ، بل كان على قبضة اليد ، وبعد عدة محاولات نحى العصب قاطعا .  
وفسك برهة ، ثم تناول ثاية وبدأ يحفر به في الأرض الطينية ، معتقدا أن الحور  
أبصر من محاولة تحت المربع . استمر الشاب يحفر في مدخل الفجوة فترة ثم  
فوجئ . بأن جذور الشجرة الصاعدة تمتد مباشرة تحت المدخل ، مكونة صدا  
لا يمكنه أن يحرقه . وغمره شعور شديد بحمية اللامل . وجلس على الأرض  
مرتكبا إلى جذع الشجرة يفكر في مصيره . أنه ان يستطيع توسعة الفرع  
من مكانه ، وان يستطيع الحفر تحته . كما ان يستطيع بهجرد يديه أن يقتلع منه  
ليوسع العجوة . ومعنى هذا أنه سوف يطل حبيبا داخل هذه الشجرة المألوفة .  
قام مرة ثاية ليطلع من الفجوة إلى الخارج ، ورأى الدببة واقفة أمامه تماما .  
لم يكن في نظرها هذه المرة تلك الشراسة التي رآها أول مرة ، وإنما كانت نظرة  
خيل إليه أن هذا استجداء وتوقع . وتردد الشاب برهة . هل يعاها جروها  
الك ؟ وهل كتمه . إن الجرو عن أى حال لن يشبع جوعه إلا ليوم . أول من  
يوم . ونحوه إلى داخل الفجوة ليلاطمح حروا آخر . وبقائه للذابة التي تناولته  
فرحة بين فسكيها ، وانطلقت به .

ومرغ الشاب لمشكلته الحالية . كيف يستطيع أن يوسع العجوة . مد  
أصابعه إلى فرع الشجرة يحاول أن يقتلع بعض خشبها . لكنه لم يقتلع سوى  
قطع صغيرة جدا . وجعل يحاطره أنه لو استمر على هذه الحال فسوف يحكث  
أياما قبل أن يوسع العرجة إلى درجة تسمح بمروج جسده . وسوف يموت  
خلال هذه المدة من الجوع والطعام . مضى يبحث عن الحجر الذى ألقاه قبل  
دخوله إلى الفجوة ، حتى هثر عليه . وأخذ يضرب به المربع . لكن الخشب  
المتكسر لم يكن بأكثر مما كان يقتلعه يديه العاريتين . لو أن هذا الحجر كان

مديها إذا لاقتع أكثر ، وانصرف ذهبه إلى الفصن فتناوله لم يكن الفصن مديها  
ولم يكن حين الشاب أنه على أى الأحوال أقوى من الحجر . وأقبل على نفثت  
قطع من الفرع الملقى . لقد تعلم أشياء كثيرة من وجوده في الهواء ، أولها أنه  
أن يسير بعد الآن إلا ومعه غصن مدب الطرف ، من يدرى ؟ فربما ، ذكر  
له الموقف نفسه . ولم يكن كان عليه ألا أن يخرج من المارق الذى هو فيه .  
بدأ ينفث أجرام صغيرة من الفرع مستعملا يديه أحيانا ، والحجر أحيانا ،  
والفصن أحيانا . وانصبت الحمرة شيئا ، فثبت . وأن لم يكن بدرجة كافية .  
وشعر بمحاوطة إلى برحه . إلى البحر . ولما . طاعت إلى الجروين الباقين .  
منهم سوف يكملونه ليومين . أو ثلاثة ، وهو لم يحتاج إلى أكثر من هذا الوقت  
لتنسج الفرعة بدرجة كافية لتسمح بخروجه . ومضى الجروان يلعبان بين  
قدميه . ويتصيحان به كأنه قد إصمأنا بعد هذا الوقت الذى قضياه معه إلى أنه  
لا يبقى معها مودا . وساور الشاب نوع من الشفقة عريب على حياته التى قضاهما  
في نزع مستمر على الفناء . كان القوى هو الذى يقى ، أما الضعيف فمسيره  
الموت المريع أذهب طمعا لم يكن هنالك مجال للرافة ، والتسريح وغيرهما  
من الاحتمالات الرقيقة . حتى القوى ، يذهب عداء للأقوى منه . وإذا صدف  
قوة قديمة . أو فقد حدره انصرفت ، ذهب إلى غير عودة . كلا لا مجال لنا  
يمثل في نفس الشاب . عليه أن يمثل أحد الجروين الآن ليتغذى جسده ، ولكي  
تذهب فيه قوة كافية تسمح له بالاستمرار في هذا العمل المصنى . وربما ، إذا  
أمكنه أو يخرج ، ربما ترك الخرو الآخر ، ولكن أحد الجروين يجب أن  
يموت الآن ،

مد يده إلى رقعة أحد الجروين وأبتدا يضغط عليها . وحامت منه لفتة إلى  
وجه الجرو ، وقد بدأ الساعه يندلى ، وعيناه تتجعتن . كان ضعيفا مستلبا  
لا حول له ولا قوة ، إلى درجة أنارت الشفقة مرة ثانية في نفس الشاب . وبدأ  
الخرو يخبط بقدميه في الهواء محاولا أن يقنص ، كما بدأت قراء تحور . وفجأة

سمع الشاب هواء الدببة في الجرح . يالحده الدببة العيبة أم تكتمف بحرومها السابقين ، من فمى عيبه . يعطيه جراحها جميعه ، وأن يموت جوعاً ؟ وترحت قبضته عن رقعة الجروح . لعله من الآف أن يسكر قليلاً ، ربما أمكنه أن ينتهى من توسعه الفجوة دون الحاجة إلى أكل هذه الجراح . وعلى أى الأحوال فلا زال هناك جروح أخرى إن احتاج الأمر ، وعيبه عندئذ أن يجابه الدببة ، إذا أمكنه الخروج .

من يده بالجروح إلى الفجوة ، والعمى إلى الدببة المنتظرة . كان جسده العارى يتصبب عرقاً ، بينما خارت ركبتاه من جراح ما اعتمل في نفسه من عواصف ، فجلس على الأرض ليريح جسمه المنهوك . بحثت أصابعه القوية في الأرض عن بعض شعيرات الجذور والديدان ، وأخذ يلتهم ما يجده . واقترب منه الجرب الهقى ، وأخذ يمدو جوعاً ، وعطشاً ، لسكن الشاب كان في شمر شاعل عنه بما يحاول لاستراحته وما يلتهمه . وأحس برغبة شديدة إلى ذلك السات الذى كان يأكله حينما كان مع عائلته . كان ذا طعم حريف شديد الملوحة . هو يعرفه إذا رآه ، لسكن أى له أن يجده الآن . مضى بمضغ الجذور تنهم ، ويأكل الديدان ، ثم انتقل إلى موضع آخر بحثاً عن غيرها . وانتقل معه الجرب يلاحقه ، وأبهده الشد المرة ثمر الأخرى . لسكن الجرب كان يمدود وهو يمدود متوسلاً ، حتى أعطاه بعض الديدان .

وظلم من مكانه بعد أن شعر ببعض فواء تعود إليه . وابتدأ يعمل جاهداً في توسعه الفجوة بأدواته اثلاث ، يديه ، والعص ، والحجر .

وكما قد تمرس في هذا العمل فكان تقدمه فيه هذه المرة أمرع كثيراً عن دى قب . كان يضرب الفرع بالحجر لتتفتت منه فطع يفتلها بيديه . كان يملك الخشن الجاف بالفرع بقوة لتفتر من الفرع قطع صغيرة تتطاير . وكان يستعمل طرف العص ليماعده في اقتلاع بعض العشب الذى لا يستطيع أن يفتلعه يده . واتسعت الفجوة أكثر وأكثر . حاول أن يخرج رأسه منها



لكنها كانت مائتات صغيرة بسببها . ان يحتاج الامر لان يأكل الجرو اليق  
فلتأت أمه لتلقطه إذا . ما بال هذه المينة قد تأخرت هذه المرة . لديها تسبته ،  
أو لعلها اكتفت بما أخذت من جراء . هل أي حزن لبست هذه عشكته . بعد  
قليل سوف يخرج من هذا الجحر إلى العالم الواسع ، وسوف يأكل اثمار البرية ،  
ويطعمهم لحم الحيوان ، وتدفقه الشمس . وملاته هذه الخواطر حماسة حتى يعمل  
في قوة متجددة ، ويجهد لا يعرف السكال .

لم يشعر بالوقت يمر وهو في محاولته حتى لاحظ أن الصرير قد حوت كثيرا ،  
وأن الظلام بدأ يهدق بالعماء . حاول أن يخرج رأسه من العرجة ، فامسكه ذلك  
ببسر . إذا فقد أفلح أخيرا ، يمكنه الآن أن يبتلع . كان شهوة لأول وهلة  
أن يخرج من حجرة إلى العالم الواسع ، إلى حيث يستطيع أن يتفهم غير هذا الغواص  
الوطب . وأن يجلس ، ويغام على غير هذه الارض المبللة . لكنه عاد يمسك .  
أين سوف يذهب بعد أن يخرج ؟ أين سيقتضي ليلته ؟ إنه : امس ، على الأقل  
الليلة . أما إذا خرج . وهو لا يعرف المظلمة . فسيكون اقعة سائفة لارل وحش  
حائل لكن الخرج كان قد أحله كل مأخذ . واستند به الظلمة . وعاف  
عنه أن يعود إلى أكل البندان ، وجذور الشجرة ، فعليه إذا على الأقل أن  
يخرج ليرى عن طعام . وشراب قريبين . ثم يعود ليقضي ليلته الثانية ،  
والأخيرة في أجوة الشجرة .

ومن العريب أنه لم يحظر في باله أن يلهم الجرو الذي . مع أن أمه لم تعد  
نضاب به ، ومن المقطوع به أنها كانت قد تسبته تماما . أطل برأسه من  
العرجة بحذر ، وراح ينصت ، ويدفع أمه في الهواء . كانت هناك أصوات  
لعابه الطبيعية فقط ، دأب يعوى على بعد ، ينقف عواءه دأب آخر . ويتنداه  
زئير وحش ، لكنها جميعاً كانت بعيدة إلى درجة أحس فيها أنه بمان .  
وعاد إلى العجوة . وتناول الحصن ليستعمله كهراوة إن اقتضى الامر ، ثم خرج  
حدرا متلصصا . وسمع صوت الجرو يصر وراه في العجوة كأنها ليذكره بنفسه

ليرجوه ألا يتركه وقد أصبح وحيداً ، وجمال بصره فيما حوله لينذكر المكان الذي يحتوي على شجرة . بعريضة الحيوان التي لا تخطئ ، سار في وسط الغابة بحاذرا أن يصدر صوتاً . راح يرفع نظره إلى الأشجار حوله باحثاً عن ثمار يأكلها . لاح له هي بعد أن الغابة تشتت كثافتها فأنبه صوبها ، وهناك وجد بعض أشجار على الأشجار . فامتدت يده في لفظة تقتطع منها ، وأحد يشتم ما استطاع بهم حتى أحس بأن معدته قد امتلأت ، وطأه يخف ، فأخذ ذكية منها بين يديه ، حاملاً عصته تحت إبطه ، وعاد قاهلاً إلى الصخرة .

وسذكر وهو في رحلة عودته الجرو ، ترى هل سوف يأكل من الثمار ؟ أنه يعرف أنه حيوان لحي لا يأكل النباتات ، لكن من أين له ، لأن أن يجد اللحم إن المسكين الصغير لابد أنه يمكن الآن من شدة الجوع والظمأ ، فما كانت بعض الديدان تتلا معدته يوماً وليلة ، لكن ما الحيلة ؟ وهجاء قوقع جامداً في مكانه وأصاح السمع . لقد طرقت أذنيه أصوات زجرجة آتية من الأحراش القريبة من يساره . ألقى بحمله على الأرض ، وقصص على العنصر بكنتا يديه ووقف متأملاً . وعاد الصوت مرة أخرى . في هذه المرة لم يكن لدى الشاب أي شك في أنه زجرجة ثمر سيق الباب ، وأنه يربص حلف تلك الأحراش . اتجه نحو أقرب شجرة إليه ، وتسلقها في حمة القروود ، وما استقر على غصن فيها حتى ألقى بصره نحو الأحراش . كان القمر بدرًا ، وانخلت أشمته أشجار الغابة فانقت ظلالاً ، وأصوات حاددة . أما في الأحراش فقد سقط الضوء متيراً ساطعاً .

شاهد الشاب الثمر سيمى الباب جائلاً يأكل جثثاً نور . كما شاهد أربعة ضباع تقف عن بعد تنتظر أن يفرغ الثمر من عذائه لتلتهم ما تبقى . كان الثمر ينظر إلى الصباع ، ويذمجر بين الفئدة والأخرى ، محسراً إياها إذا مدقع الجذع أحدهم . إن الإقتراب أكثر مما يجب . وسأل لعاب الشاب . ها هو اللحم ، لا يهضمه عنه سوى بضعة عشرات من الأمتار ، ومع هذا فكان يبهما ما بين السموات والأرض . لو كان ثمر يهرسه هذا لانتظر الشاب حتى فرغ من أكله ،

والنهم هو الباقي ، بل ولاحد كمية كبيرة لافطاره ، ولاكي يأكل الجرو ، ولعل  
الدماء العالقة بالدهم تروى ظمأ الجرو إلى حين . أما وهذه الضباع موجودة ،  
فلا مجال أمامه . صحيح أنها حيوانات جبانة ولسكنها أيضا جوهي ، ولي تقف  
سكتة أمام مجرد إنسان وتتركه يأخذ قوتها . كلا ، أنه لن يصارحها جميعا ،  
وعلى أي الاحوال فلا داعي لأن يجازف بحياته الآن خاصة وقد امتلأت  
معدته .

كاد الشاب أن يتراجع من الفرع ليهبط متعذرا طريقته إلى الفجوة . حينما  
تذكر الجرو . إن لم يجد هذا الجرو غدا . سريعا فسوف يموت جوعا . فليمت  
ذلك ، ما شأنه هو ؟ ولكن ألا يكون جيلا أن يتناول هذا بعض اللحم ، وأن  
يحرم هذه الضباع منه . أجل ، ولكن كيف ؟ استمر الشاب ينظر إلى النمر ،  
والضباع ، والعريسة وهو يفكر . كان المشهد واحدا لا يتغير . فالتفت إليهم  
من فريسته ما يشاء ، والضباع واقفة على بعد آمن تنظر إليه . ويدفع الجوع  
نفسه إلى الإقتراب قليلا ، فيرفع النمر رأسه ويومجج ، ليرتد المجتري . وتكرر  
ذات المشهد أكثر من مرة والشاب يراقب ويفكر . وطرا في بابه خاطر ،  
فحرك لبعده . كان الاستمرار على رأى بالنسبة له وتنفيذه واحدا ، فسكات  
فكرة والحركة عنوان ، إذ لم يكن في الحياة رجاء إذا ما طرأت الفكرة .  
وتردد في التنفيذ .

سحب من الفرع في هدوء . وهبط الشجرة . ومضى يبحث في الأرض  
حتى شرب من قطعة من خشب جافة لحملها ، ودار حول موقع النمر ، والضباع  
تجوز حويطة ، درا أن يحمل النسيم رائحته إلى الوحوش ، وعاذرا أن يحدث  
سرعيت ، حتى أصبح حجاب الضباع قماما . وهنا قبع ساكنا . انتظر فترة  
كبيرة حتى مدت على النمر علامات الشبع . كان يعلم أن عليه أن يختار لحظته بدقة  
تحت كبح يجب أن يترك النمر يأكل كما يشاء أو يكاد ، وذلك حتى لا يعود إلى  
سكنه ثانية . ولم يكن اختيار هذه اللحظة بالامر العسير ، ذلك أن الضباع  
قد ساعدته في المعرفة إذ ازداد إقترابا من النمر ، والعريسة ، وازدادت .

هرأتها، ورفع انحر رأسه، وعجزا إختيار الشاب هذه اللحظة ليصرح بأعلى صوته  
مقلدا صوت النمر، وقادحا في الوقت نفسه بغطاءه ليشطب على ظفر أحد الضباع  
بأقصى قوته. اندفع الضبع المرحوب تجاه النمر مدحورا، فقفز النمر تاركا  
قرينته، وتلقى الضبع بضربة واحدة من يده ألقت به مضرجا بدعااته.

لم تنتظر باقي الضباع لقى مصير أحبها، وإنما اندفعت في اتجاه العابة هاربة  
من وجه النمر الذي أهاجته منظر الدماء فقرر جريا وراءها. ولم ينتظر الشاب  
كثيرا ليحرق إلى مكان القريبة يقطع منه بيديه أكبر قطع يستطيع حياها. كان  
يعلم أن النمر قد شبع أو كاد، وأن احتمال عودته ليأكل عذائه لإحتيال ضعيف  
جدا، ولكنه لا يستطيع أن ينتظر ليتحقق منه. حتى إن لم يعد النمر وسوف  
تعود الضباع، وأيا كان فلا داعي للتأخر. اقتطع من اللحم أكبر كمية يستطيع  
حملها، ثم انسحب إلى الأحرش عائدا إلى الفجوة. كان يحاذي أحساسه  
ولا يشرع لفعله بهذه الأمنية، شعور غريب آخر شعور يشابه شعور الآب  
وهو عائد لأطفاله الجياع بوليمة شهية.

ألقى بحمله من حرجة قبل أن ينفى بالغصن من تحت إبطه ويدخل. ورأى  
البحر ويجرى نحو قطعه اللحم الضخم ليضع فيها مخالبه وأسنانه الصغيرة بهم.  
وبعد الشاب يده يتحسس فراء الجرو الناعم برقة ويدت عن الجرو زحمة  
عصيه حائمة، ولكنه ما لبث أن انهمك ثابتة في عذائه الذي طال عليه  
الانتظار. وتركه الشاب يأكل كعادته قبل أن يمد يده ليقطع لنفسه قطعه من  
اللحم يشبعها. وامتلات بطن الجرو، فتسرح عائدا إلى جوار ولده بعذته.  
وأغلق الإنسان عيونهما، وراحا في سبات عميق.

كان نور الصباح ساطعا حين يستيقظ الشاب ليجد أن الجرو قد ساقه.  
وبدأ ولينه الصباحية على قصبة اللحم. ولم يجد الشاب في نفسه ميلا نحو اللحم.  
فذكر الآثار التي ألقاها من يده، والتي يوجد منها الكثير على بعد يسير من  
الفجوة تناول المصنوع والمخرج، ولكنه عاد وتردد، ثم قبض على



قصة احمر ، وعكف بها طرف الغصن في دقة . لقد تذكر وعده انفسه أن يدبب طرف الغصن ، كما تذكر ، وهو يعمل ، الغاب السيفي الحاد للنمر ، وتمثله وهو يقطع في يسر ، وسهولة . لحم الثور . لو أن معه مثل هذا الباب إذا لا يصح كالنمر لا يهاب الضباع ، ولا حتى الاسود . بل لانه كان يصارع به أشد الوحوش ضراوة ، أو ربما ذلك الرعب الذي فلك بأبيه ، وامه ، وسائر عائلته . إنه سوف يدبب الغصن إلى أقصى درجة لا يفتقد معها صلاحته . سوف يجعله حادا كذاب النمر يقطع بسهولة في أجساد أعدائه . وفرغ الجرو من طعامه فراح بداعب الشاب ، ولكنه أبعد عنه في رفق . وعكف على عمه ، بصبر ، وإناه . وهاب النمر بداعب حياته .

انقصف النهار قبل أن يرضى الشاب عن عمله . وشعر بجوع شديد ، ثم دنا من يداه إلى قطعة من اللحم وأعمل فيها أسنانه . وسرى الجرو إليه يشاركه الطعام . وما فرغ الشاب من طعامه ، حتى أحس بحاجة إلى الماء . لا بد أن هنالك جدولاً قريباً من هذه الشجرة ، والا لما احتارته الذئبة محباً لصغارها . خرج من الفجوة حاملاً عصه المذنب في يده يودعه بباح الجرو . راح يتحسس رائحة الماء حتى اشتدت في أنفه فاجه إليه محذراً . وعي شدة عطشه لم يندفع نحو مصدر الماء ، وإنما توقف قليلاً حينما علم أنه لا يبتعد عنه أمتار . إذا كان به ظمأ ، ولربما كانت هنالك حيوانات أخرى بها مثل ما به . كان يعلم أنه ما عليه الا أن يفتحهم مسافة صغيلة من العاية الكثيفة ليرى مصدر الماء ، ولكن في هذه المسافة قد يقصده فيها الموت .

تلمص الشاب الخطي بينما راحت عيانه تجولان في كل اتجاه ، وتسمعت منه أصد الأصوات ، وتلفف أنفه أحف الروائح . ولم يكنف بكل هذا . لكنه حين بدت له أميائه من خلال الأحراس إحجار شجرة صخرة وراح يشق في حمة رماده . تنو فرعا يطل على الجـول ، ومكث مدة طويلة هرقه من حركته في حين أرسل بصره إلى جميع المنطقة حوله . رأى حيواناً

صغيرا يدلف في ممرعة بين الاحراش إلى الاعشاب الدامية على شاطئ الجول ، ولكنه لم ير شيئا يثير عذابه .

وفزع الشاب من فرع الشجرة إلى الأرض ، وتقدم بخطى بطيئة حذره نحو الجول غرقا في الاعشاب . وفجأة انزلت حول ساقه قيد من حديد . لقد انساه شدة الخوف من الوحوش أنه قد يوجد بين الاعشاب ما هو أشد خطرا منها : الثعبان . وعقد الشاب توازنه . ووقع على الأرض ، وسقط الغصن من يده . وصعدت عضلات الثعبان العولادية على ساقه كما بدأ في الالتفاف حول باقي الجسم وللحظات كاد فيها أن يفقد حياته ، طاش صوابه ، فأخذ يضرب يديه محاولا أن يتخلص من القيد العولادى الذى يزداد ضغطا على جسده ، يسكاد أن يصبره .

وشعر بأن أماسه سريعة لا تلي بحاجته إلى الهواء ، وأنه ان استمر قليلا على ذلك فسوف يموت احتماقا . وأدرك أن مقاومة الثعبان بيديه لن تجدى ، ففشان بين القرنين . فترك نفسه برهات أمير مقاومة ، وراح يلتفت حوله من الغصن الذى كان يده وسقط منه حينما فقد توازنه ورآه على مسافة يسيرة منه ومد يده إليه . ولكنه لم ينته . جمع شتات قواه العائرة وقاوم الثعبان زحاما متجها نحو الغصن . ولم يجد صعوبة كبيرة في هذا إذ كانت كل قوى الثعبان متجهة إلى هضم عظام فريسته . وقبضت يده على الغصن المدبب ، وعززه بكل قوته في جسد الثعبان . وصدر حفيف خفيف ، أقرب إلى صرخة ألم ، وعضب . وتراخى الطوق الحديدى الذى كاد أن يهشم العظام .

وتملك الشاب نوع من الجون ، فعاود ضرب الجسم الداعم للممس بالمصنمرات ، ومرات . وتنحى الثعبان عن فريسته ، ولكن الفريسة هاجمته في كل جزء من جسمه تمزقه . وحاول الثعبان أن يستعمل فكيه وأسنانه ، ورأسه . ولكن الغصن المدبب الحاد كان يقابله في كل مرة بتمزيق جديد . واثر الثعبان الهرب ، ولكنه لم ينله ، فقد قابله الغصن في كل اتجاه معه ، يتطلع جزءا

جديداً من جسده . ولم يكف الشاب عن الضرب حتى تأكد أن عريته قد فارق الحياة .

وأحسن أن معاصله نخور وأنه لن يستطيع الحراك ، ولسكنته كان يعلم كذلك أنه لا يمكنه البقاء في مكانه عرضة لأن يلتهمه أى حيوان . سحب فريسته نحو الشجرة ، واستلقى على الأرض مستند إلى جذعها . وبقي يلتقط أنفاسه اللاهثة ، ثم رحب بمادراً نحو الجدول حتى أصابه . وفي حماية الأعشاب ، طفق ينفث صمغاً في شدة حتى ارتوى . وعاد زاحفاً يبطئ إلى الشجرة حيث القفص فريسته وطرق جسمها بذراعه وراح يجرها نحو محبسه حاملاً غصنه المذبذب بيده الأخرى .

قلوب بالأمسية إلى داخل نسكف الشجرى ثم أتبعها واستمر به الجرو فرحاً ، وراح يقر حوله ويلق قدميه . ولاحت شبه إيقامة على وجه الشاب وهو يقدم الفريسة إلى الجرو ، ولسكنته جأها ، وصدرت منه أصوات همهمة أقرب إلى الأعين ، يتحلقها هراء وبهاج . وحار في تفهم ما يريد الجرو . كان يريد أن ينفرد بهمه ، ليمتلكه في حوادث اليومين الماضيين . فصرف النظر عنه وأطلق لأفكاره العنان .

رجعت ذاكرته إلى لوراء ، رأى عائلته الصغيرة تفرق ، وسمع الصوت الزجر الخافت السكريه المرعب رأى نفسه ينطلق متسللاً بين الأدغال ، وتذكر كيف اخترع هذا الغصن المذبذب ، أنه سلاح قوى ، أقوى حتى من الطراوة ، ومن الحجر ، كما أثبت ذلك في صراعه مع الثعالب ، ولو أنه رأى أن فيه بعض العيوب لو كان الثعالب أقصر قبلاً بما هو الآن لا يمكنه أن يستعمله بيسر أكبر ، ولما كان أكثر فاعلية بل لعله يستطيع أن يمزق به لحم الحبيب بدلاً من أن يقتطعها بيديه ، وأسأله . ولم يكف الجرو عن هوائه وبهاجه حتى أن يلفت إليه النظر ، ولكن الشاب كان مستغرقاً في أفكاره . وحاول الجرو أن يتمسح فيه ، ولسكنته نحاء عنه أكثر من مرة . ماذا يريد هذا الجرو وأمامه من الأكل الكثير ؟ .

وعاد إلى أفكاره . لو كان العصف أفسر ، هو عليه الآن لكان أجدى  
بعضاً . وما الذي يذمه من أن يكسره ؟ وهم فعلاً يتناولون العصف ، ولكنه ما  
يذمه . ما الذي يذمه ؟ ألا يجوز أن تكون هناك حاجة لمرارة في قتال مع  
أحد الوحوش ؟ ألا يكون من اللائق أن يقاتل بعيداً من الخفاف الحادة ؟  
إن الاحتمال كشيء في العادة هو الذي يذمه من أن يبحث عن غصن آخر أفسر  
من هذا ، ويقوم بتشذيب نهايته ، بل وجعله أكثر حدة من الذي معه واسفوح  
إلى هذا الفسك ، فمض عن نفسه موضوع العصف وانتقل إلى غيره .

إن هذه الهجرة مكان آمن نسبياً ، خاصة بعد أن سقط الفرع ليسد المدخل  
ولسكنها لا تصاح لتكون سكناً دائماً . قد تصاح لأيام ، أو حتى ربما لأسابيع  
ولسكنها لا يمكن أن تصبح للاقامة المستقرة . أن عليه في الأيام القادمة أن  
يكشف المنطقة التي حول الهجرة ، جزءاً فجزءاً حتى يعرف على كل شبر فيها  
وكل شجرة ، وكل حيوان ، لقد عرف بنبرته أن للحيوانات مناطق لا يحب  
أن تتركها إلا مكرهه . لها آجام ومرايض ، ولها عادات تسكد أن لا تخيد منها  
أجر عليه أن يكشف المنطقة ببطء ودقة ، ليعرف أين توجد منابع المياه ،  
وأين توجد الأشجار المثمرة ، وأين حليبا الدحل ، وأين الحيوانات الصغيرة ،  
بن وأين توجد مخاضها . عليه أن يتوسع في دائرة حركته يوماً إثر يوم ،  
يندرس كل شجرة ، وهل تصح ملاذا عند الخطر ، أو لا ؟ وهل يمكن  
للحيوانات أن تسمع عليه ؟ وهل يستطيع أن يختبئ بين أغصانها ، وفروعها  
بسرعة كافية ؟ وهل يمكنه عند الضرورة أن ينتقل منها إلى غيرها ؟ ومئات  
الاشياء الصغيرة الأخرى التي تشرف حياته على معرفته لها .

وصايفه بهاج الجرو وعوقه ترى ما الذي يبتغيه ؟ أمه ينادي أمه  
أو أخوته ، أو أمه يفتش أن يلاعبه . ومد الشاب يده إلى الفرد الناعم ،  
والرأس الصغير . لقد شعر بألفة غريبة تجاه الحيوان الصغير ، بل أنه لا يتصور  
وجوده في الهجرة معزداً بغيره ، وحتى لو حضرت أمه الآن تطالب به ،



فصوف يقاتلها دونه ، وخفت نباح الجرو وعراؤه قليلا تحت أصابع الشاب ، ولكنه لم ينقطع . ما الذى يبتغيه يا ترى ؟ ان أمامه أكلا يكفيه أياما ، بل لعله لم يأكل هكذا منذ طفولته أمه ، إذن ما الذى ينقصه ؟ كيف تنسى له أن يبدو هذا ؟ يا للجرو المسكين ، انه الظمأ الذى يحمله يموة ويعوى وينوح .

وحمله بين يديه وانجمه إلى مدخل الدجوة . وتوقف قبل أن يجرح به . كان الجرو ما يزال يموة . ومعنى هذا أنه سوف يكون أحسن دليل يقود إليه الحيوانات الهائمة بليل ، إنه يستطيع أن يكتم فم الجرو ، ولكن أى صوت يكفى للقضاء عليهما معا . كلا إنه لا يستطيع المجازفة . إذا فعليه أن يحمل المياه إلى الدجوة . كيف ؟ لقد اعتادت النساء فى عائلته على حمل المياه فى أوراق الشجر العريضة ، ومعنى هذا أن يضطر إلى استعمال كلتا يديه ، وبالتالي إلى ترك الحصن ، وهو السلاح الذى أشعره ببعض الأمان . لو أن معركته مع الشعيان كانت بنير هذا الحصن ، بل حتى جهازة لكان الآن فى عداد الأموات وما يدريه لعل الموت ينتظره بصورة أو بأخرى فى الظلام . لابد أن هنالك وسيلة أخرى لحمل المياه إن الجرو غير ورق الشجر . وسيلة يحتفظ فيها بالمياه مسافة قصيرة ، ولا يحتاج فيها لكلتا يديه .

وكأنما لاستجابة لدعاء ، حملت إليه الرياح أصوات الرعد ، والعاصفة تقترب . هذا هو معنى المنجى ماعليه إلا أن ينتظر أن يهطل المطر ، وهو ليس ببعيد ، إذا كان له أن يحكم من صوت الرعد وصوت البرق . وتناول الشاب الحصن وهرع يبحث عن أوراق الشجر العريضة . وتصادف المطر بشدة قبل أن يجدها ، ويعود إلى مدخل الكهف . ومد يده يرتقى الفرع على الأرض فليست بللا . ولدت عنه ضحكة هى أقرب إلى الحشرجة ، فما كان فى حياته مجال للضحك أو البكاء . لقد تلقى التجويف الذى أحدثته فى الفرع ، ماء المطر واختزنه . هذا هو الحل الذى كان يصكر فيه . ماعليه إلا أن يعمل طرف شمسنا المذهب فى فرع عريض نسبيا ليحدث تجويفا فيه يخزن الماء ، ويسهل حمله إلى أية مسافة شاء ، وكان خروجه

من كهفه الشجرى ، ومما مرته المسائية بحث عن أوراق الشجر العريضة ، وانه رصه  
للبرد ، والمطر ، كل هذا بلا فائدة . لقد أعطته الطبيعة الحل عند مدخس مأواه .  
لم يصع الوقت سدى ، دخل إلى العجوة وحمل الجرو المتألم بين يديه ،  
ورصه أمام النجوى وتركه ، ينهل من الماء ماشاء ، حتى إرتوى فأعاده  
إلى الداخل . ونام ارجس ، والنصن به الجرو يبعى اسفه .

كانت العاصفة قد إقتمت ، وبرعت الشمس ساطعة حينما إستيقظ الشاب  
والجرو . شعر بالنسيم البارد الرطب بلذع وجنتيه حينما ألقى بنظره من العرجة  
إلى الخارج . ومضى الجرو يمدح بين قدميه كأنهما تسلكه الفضول لتطاع إلى  
ما وراء السكف . وجلسا بأكلان بمض اللحم حتى شبعوا ، ثم هم الشاب  
بأخروج ، وجرى الجرو حمله وهو يمو . ويداعب قدميه . وحمل في باله أن  
الجرو يجب أن يخرج قليلا إلى الغابة ، ولكنه حشى إن هو أحذره أن يبتعد  
هنا . وأخيرا استقر رأيه ، وحمل الجرو ودلاه من العرجة ثم تركه ليستقل  
على الأرض ، وتداول فضنه المذيب ، وقببه إلى الخارج .

ألقى نظرة حوله بحثا عن الجرو فلم يجده وتلفت في كل اتجاه ولستكم به أثر على أثر .  
وأعانت الشاب عمامة من الحر . واتابه شعور بلوحدة ولوحشه ، لقد  
نادت الجرو طبيعة المذيب فذهب يلعب اللداه ، وترك رفيق السكف الشجرى .  
سار متقبضا نحو الاشجار يقطف ثمارها ، ولم يانفت إلى صباح الفردة وهي  
تلاعب بمصفا ، ولم يلتفت كذالك إلى تغريد الطيور ، ولا إلى ألوانها ، ولكنه  
وكر إهتمامه على جمع الثمار ، واصاحه السمع لأصوات الغابة المعادية .  
وعاد إلى العجوة فألقى فيها ما جمعه من ثمار ثم توجه إلى الجدول فانوى .  
ومضى يوسع من - رقعة تجواله يتعرف على الاشجار ومنابع المياه ،  
والوشرش ، والمخازن ، والأوكار . ولكنه في تجواله كانت عيئه دائما  
مجنوسا بخلال الغابة بحركة لاشعورية ، بحثا عن الجرو ، وتعتت أدماه  
أن تسمع صوت هوائه .

كانت الشمس أن تعيب حينما عاد الشاب إلى العجوة يحمل هذه المرة

قطعا متعددة الاشكال والاصحاج من أخشاب الشجر . التي يحمله من القرية ثم دلف الى الداخل . وأحسن بمجرد دخوله بوحشة مقبضة اذ تذكر الجرو . لو أنه كان موجودا لامتقبلة فرحا لاعبا مداعبا ، اما الآن فكأنه قد دخل الى سجن مظلم . ترى اين الجرو ؟ هل الحق بأمه واحوانه ؟ ام انه ذهب غذاء يسير الوحش من الوحوش ؟ ولم يدر بهذا الشاب مطلقا ان الجرو يمكن أن يمكث في العابة وحيدا لاكثر من مدة يسيرة يفقد بعدها حياته وجلس على الارض الرطبة وبدأ في عمله يشدب اطراف الاعضاء .

ولجأة أقر قلبه بين صلوعه إذ تناهى إلى سمعه أصوات اباح ، وهواء وهواء خارج الفجوة . وقفر من مكانه إلى المدخل وأطل منه ، وهناك ، أمام المدخل تماما ، وجد الجرو ينظر إليه ، ويهبط بديه ، ويقفز في الهواء فرحا . أسرع بالخروج ، وتناول الجرو بين يديه . ولو كان يعلم ما التقيل لقلبه وشعر براحة شديده وهو يصمم الجرو إلى صدره الذي . وبأدله الجرو الشعور فراح يعاق حده ووجهه ويديه ، واستنخب الطرب الشاب فضي يرقص في الهواء حاملا الجرو . وتناهت إلى سمعه أصوات بعض القردة تنصايح مودعة الشمس ، فاضتت من حنجرتهم أصوات ساخرة مقلدة .

أردع الجرو بمخان في أرض الفجوة ثم دلف وراءه ، وجرى الجرو نحو ما بقي من لحم يلغمه . يا المسكين لعنه طل اليوم بأكله دون غذاء ، لقد كان من حسن الحظ أنه أكل في الصباح وجبة دسمة كفته طوال يومه . وتلفت حوله يعمره شعور بالفرح ، لم تعد الفجوة سجننا مظلم ، وإنما أصبحت منزلا وماوى ، وتمدد الشاب على بعض الحشائش الجافة التي كان قد أتى بها من الخارج ، وجرى إليه الجرو وقد امتلا . ومرحت أفكاره فيها فقس ، وما يجب عليه أن يعمل في غده .

لقد جمع هندا لا بأس به من الثمار . كما لا تزال توجد قطعة اللحم . فنذاه والجرو موجود . وليس في حاجة إلى الخروج إلا لرى الظلما . وانتقل تفكيره .

إلى الأخشاب التي جمعها لقد اعتنى بأن يكون منها ما به التواء في باطنه حتى يسيل عليه تجويفه ، وسيكون وعاء يحتزن فيه الماء ، ولعله بذلك لا يكون عليه الخروج كل يوم ، فتقل احتمالات الخطر .

عليه أن يبدأ غذا في عمل التجويف اللازم في الجره الملتوى ، وعليه كذلك أن يصنع خشبا مدنا قصير لينعمده كسلاح ، بل وربما صنع عددا من كل ما سبق وعاد إلى ذاكرته تفليده لأصوات القرود كانت محاكاة تامة حتى أن بعض القرود قد سكت ليصوت وحتى محاكاته لرجلة امير كانت أيضا متقة جماعات الصبح يقفر فرعا ، إنه يستطيع أن يجعل من هذا تسلية إن شاء ، لعل له ميزة على الحيوانات الأخرى ، لعله يستطيع أن يحاكي أصواتها جميعا . كان يعلم أن لكل حيوان ، بل لكل طائر بحلا صوتيا معين لا يتعداه ، بل أن حياته في العادة قد علمته أن يفرق بين أصوات الحيوانات المختلفة ويعلم منها حالة الحيوان نفسه إن كان جائعا ، أو غاضبا أو خائفا ، أو مثالما أو غير ذلك . كان لكل من هذه مجال صوتي واحد لا يتغير . أما هو فإنه يستطيع أن يغير من صوته كي يمداه شيء إلا يمكن أن يستعمل هذه الميزة في شيء آخر سوى مجرد التسلية ؟ ألا يمكن أن يدرس الأصوات إلى حد تفليدها تقاييدا بحكما يتخذ الحيوانات ذاتها ؟ إن لها أصوات معينة حينها تهذر ، وحينها تنفخ ، وحينها مهاجم ، أو تجوع ، أو تقبض التزاح ؟ ألا يمكنه أن يلاحظ هذه الأصوات ليقولها فيستعيد بها ؟ أجل ولكن أية فائدة ترجى ؟ ماذا يمكن أن يفعل بهذه أصواتها كاه صوى التسلية ؟ سوف يرى ، أما الآن فالجميعه تقيلا ،

كدن الجرو وهو الذي أيقظه من النوم ، توان انقلبت حياته ، وبخير أن يعرف السبب وبمزية لا تحصى . الكهول بالخطر إمتدت يده إلى العن المديب في حين فتمد بظره إلى المرجح ليرى رأس الدببة وهي تعول الدخول ، ولولا أن العرع الملقى في المدحس به السجاج لسكات قد حذت فعلا ولو تمكنت من الدخول لكان

هناك قتال بينهما حتى يموت أحدهما ودفع المصن في حركة سريعة إلى وجه  
الدبة التي تراجعت بحفة بعيدا عن القريعة لتقف في الخارج ترسل  
عواء طويلا

بالدبة اللعينة ، هل فيه الآن أن يعطيها الجرو . كلا إنه سوف يقاها  
دوبه . لقد اعتاد على وجوده في الأيام الماضية حتى أنه لا يتصور أن يعيش  
بدونه . ولكن ما الذي أتى بالدبة ؟ لها قد انقطعت رائحة الجرو حينما خرج  
أو لم الجرو كان قد ذهب إليها حينما غاب طوال النهار . لو كانت الأسيرة  
تبقى هذا أن الجرو قد فضله على أمه . وأنه بعد أن مكث معها ، وأخوته  
هذه الفترة الطويلة هجرهم ليعود إليه ، ومؤدى هذا أيضا أنه لا ضرر من أن  
يجزئ الام تحمل الجرو إلى عمشها الجديد . فسوف يعود إليه ثانية . ولكن هل  
يجوز بهذا ؟ من يدع الدبة بأحد الجرو على مجرد أمل أن يعود إليه .

واستقر رأيه على حل وسط . سوف يعطى الجرو إلى الدبة ، وسوف يقبها  
من عمش الجديد ثم يلتزم فرصة يحظى بها أحده إلى مكان بعيد لا تستطيع الدبة  
التي تبه إليه ، وإذا احتاج الأمر فسوف يقاها دوبه .

وأملت بالجرو ودلاء من المرجة إلى الام المنتظرة . وجرى الجرو إلى  
أمه . من تلفته محبا ومضت تلحس فراءه وأطبق فكها الدبة القويين على رقبة  
تحمله إلى الوكر الجديد .

وهذا حدث ما لم يتوقعه الشاب ، ولا الدبة ، صدرت من الجرو عدة  
مخبرات . وحاول الإهلات من بين هكي أمه . واضطرت الام إلى إحكام  
عقبها على جسده ، ولكنه استمر في الرجعة ، ومحاولة للإهلات . وأخيرا ،  
بحق لا تصبط الدبة بأيامها الحساسة على جسده فتؤذيه تركته بهبط  
إلى الأرض .

واندفع الجرو إلى فرع الشجرة فرحاً مبصبا بدابه ، وبدبر أن يشعر  
لثب حرج من القريعة لانهقته . وصدر من الدبة صوت وحشي ، وتأهبت



المهجوم ، واسكن ، للمرة الثانية حدث ما لم تتوقعه . زمجر الجرو ، ووقف إلى جانب الشاب مكثرا من ألبابه . كان منظرا مضحكا الدئبة للصحة تنأهب للمهجوم ، والشاب العملاق يستعد لملاقاتها ، وقد وقف إلى جانبه جرو صغير لا يكاد أن يبين بين الاثنين ، ومع هذا فإنه يقبض وجوده بجزءه وتكشير من ألبابه لا تعدو أن تكون أسنانا صغيرة .

وتوقفت الدئبة لحظات ، ونظرت إلى ولدها وكأما لا تصدق عينيها ، ثم رفعت نظرها إلى الشاب ، وفي تأمل يكاد أن يكون حاريا ، استدارت واختفت في الغابة .

---

## الفصل الثاني

### الذئب والشاب

كانت عينا الشاب ترقبان قطيع نقر الوحش وهو يرمي في مدونه . كان يجلس فوق فرع الشجرة بلا حراك عاريا تماما سوى من جلد يلتف حول شعره المكشوف ، وآخري يلتف حول وسطه . وقد تدلى منه خنجر حشبي حاد الأطراف ، كان قد أمضى أياما وأسابيع عديدة وهو يشتقى من حر الحشب وأفرع الأغصان ، بلائنه أغراضه ويكفيها أشكال مختلفة . صنع عدة حرايب طويلة كتلك التي أخذته من الثمانيان ، وصنع أخرى قصيرة ليسهل على اليد استعمالها في الصراع ، واتخذ صناعاتها حتى أصبحت خناجر . وصنع عدة أوعية خشبية ليخزن فيها الماء . وهي أياما وهو يتدرب على إلقاء الحرايب حتى أتقن التصويب بها ، ولم يكن أن يذفها على أمتار لتصيب حيوانا يجرى ولا تفتته . ووجد أن حمل كثير من سلاحه قد يعوق حركته ، أو يقلل من سرعته ، فهداه تفكيره إلى أن يدلي بمضها حول بدنه . واستعمل في بادئ الأمر ألياف الأشجار . ضها حول وسطه ، ولكنها كانت لينة سريعة التناف فلم يكن يعرف كيف يمسح بها .

وعطد ذات مرة ثورا برياً . فقطع منه أجزاء ليخزنها بعد أكل كفايته . وبعد أيام حينما أراد أن يأكل ما بقى من اللحم تمن وجده أنه لا يستطيع أن يصنع الجلد بسهولة ، فأتاه خارج العجوة ، وتمرض الجلد بمياه الأمطار ثم إلى الشمس حتى يجف تماما . وشاهد ذات يوم الجرو يلعب بالجلد على عادة صيد الخيرومات يحاول تمزيقه بأضنايه ومحالبه . ولاحظ أن الجلد لم يكن يتأثر به قطعه أسنان الجرو على حدتها ، فتناولته منه واختبره . ومنذ هذه اللحظة استمر رأيه على أن يشغل منه حزاما يربطه حول وسطه ويدلى منه حبله .

وتعلم أن الجند الذي تحفه الشمس تزيد قوة احتماله كثيرا . فمكان كل اصطاد حيوانا سلاح عنه جلده ، وجفنه ، واحتفظ به ليستعمله حينما يحتاج إليه حق اجتماعه له كمية لا بأس بها من الجنود .

ودارت عينا الثوب في الأشجار الضخمة ، والاحراش مخيطة بالمطبع ، فلم يلحظ شيئا غير عادي . ولكنه لم يتعجل ، كان يعلم أن الحيونات الموقسة أمانه في من الاحتماء . وأنها دائما تأخذ وقتها في الهجوم .

وطال مكثه ، ولم يحدث شيء . وبدأ يتنقى من القطيع أقربها إليه ، وأبعدها عن أقرانه ، فريسة لهذاته . ولجأ ، كأنما بإشارة متفق عليها ، توقف القطيع كله عن الحركة والاكل ، ثم يدفع في دهر شديد بين الحشائش والأعشاب . تعجب من دعر القطيع ، فهو لم يلاحظ شيئا عن طول جبرته ، وعول بقاءه في مكانه . لم توجد حركة في الأعشاب ، ولا أى صوت أو متزاع ، كما أن أشجار الغابة كانت بعيدة سمعا عن موقع القطيع . وصلت أذنيه من بين أشجار الغابة زعجرة وحشية حادثة إلاها صوت دهر وحشى بهرح من لالم صرخة ما كادت أن ترفع حتى انقضت دون أن تستكمل . ثم ، لا شيء .

فقر قلب الشاب بين صلواته ، واندهر جسمه فرقا . لقد ذكرته هذه الزعجرة بأحدى شببة بها ، سمعها منذ أشهر طويلة . وتصور في مكانه على الشجرة ، وأنى نقله أن يعمل . لاستمر يمارد أذنيه صدى الزعجرة ، كما هارد صياحه المطر الذى رآه منذ شهور خلت ، إذا فقد انقل رعب ليجس هذه ، الحقيقة مبرحا لصيده . وإذا فلم يعد هناك أمان في البقاء فيها ، وعيه أن يرك شوة الشجرة ، على قدر ما جاهد في احتمائها عن عيون الوحوش ، وعلى قلبه ما حمل طوال هذه الشهور ليجس معها مكانا مريحا كلا ليس هناك مكان آمن في مسرح صيد هذه الرعب ، وكل مريكانه عمه هو العراز قد أن يقع فريسة سهلة .

وتعجب العرق منه عرف الخوف والحق هل انتهى عليه أن يبقى هاربا حتى يأتى الوقت الذى يعاينه فيه هذا الرعب ؟ هل قضى عليه أن ينقل من مكان إلى آخر بلا هوداء أو توقف ؟؟ وأدواته التى قضى وقتها طويلا في عملها ،

هل سيقربها في الفجوة ؟ الاواني الخشبية ، وأوعية المياه ، والخناجر ، والرماح ،  
و'احود' ، هل سيقربها جميعا مكتنبا بما يحبل معه الآن ؟ والدئب ترى أين هو  
الآن ؟ وهل سيصعبه في تجواله . إن الحيوانات لا تميل إلى ترك مناطقها إلا  
مضطرة مكرهه ، ولن يهم الدئب أنه قد أصحى عليه أن يهجر المنطقة ليلتعد  
عن الخطر الساقط الذي يهدده .

في بطن وحذر شديد ينهبط من الشجرة ، وتناول رماحه المنقاه إلى جباب  
جسعا . ونواف لحظات ينصت . راده أن الغابة جميعها لا يصدر منها أى صوت  
وإن السكون مطبق . ترى ما الذى حدث للطيور المفردة ؟ وأين هي ؟ والقردة  
الفرقة التي لا تصدر على الصوت خطاب ؟ هل جميعها خائفة من هذا الرعب ؟ إن  
الفرقة بصورة لا تنهاب ، بل إنها كثيرا ما تتحدى الرعب سبى الباب ، وكثيراً  
ما تسخر منه . ومن غيره من الوحوش ؟ هل تخاف هذا الرعب هي أيضاً ؟

وتردد قليلا ، ثم لاستقر رأيه على أن يجازف بالاتجاه إلى مسكنه . سار  
من خلال الأشجار ، ومتحسسا كل صوت ، بينما كانت عيناه تدوران في كل  
جهة . كانت حياته في الغابة قد علته الحدو الشديد ، وازداد حذره حينما أصبح  
وحيداً لا يمكنه الاعتماد سوى على حواسه . أما وهذا الرعب في المنطقة ، فقد  
كان أعصابه متوترة إلى أقصى مدى ، كما كانت جميع حواسه منتبهة . ولا حظ  
بعد فترة أن الطيور عادت إلى أمريدها . وأن القردة بدأت صجيجها . وصجيجها ،  
هزجت أصغابها ، وسار في ثقة أكبر نحو لجوته الحديدية . كان عليه أن يترك  
سكته . ولمكنه ان يتركها قبل أن يأخذ الدئب منه . أو على الأقل ، قبل أن  
يجرد . إصطحابه .

وه إلى أدبه عواء الذئاب الموحش متراميا من بعيد ، ونقعه عواء آخر  
تتأخر ، وآخر ، حتى تجاوزت الغابة أصدااء العواء . وتساءل الشاب عما إذا كان  
لنفس صاحبه من هذه المجموعة ، أم أنه يقبع خارج الفجوة في انتظاره . ووصل  
في لحظة ، وهاله ما رأى . كان الفرع الضخم الذى ظل في مكانه طوال هذه

الشمور يحى المدخل ، قد طرح بعيداً ، وكانت ، لأخشاب والأغصان الصغيرة التي جمعها الشاب لإحكام إقفاء الفتحة ممتدة في كل مكان . ووقف مهوياً ، أية قوة تلك التي أمكنها أن تعقل هذا الفرع من مكانه ثلثية بعيداً عن الفتحة ؟ لا يمكن أن يكون هذا من فص أحد الوحوش ، ودار في حiale ، حدث .

في وقت ما ، أثناء تقيمه من الفتحة ، حضر الرعب . ولعله قد نفذت إلى أفعه رائحة إنسان ، وحين أنه عثى داخل الكهف الشجري ، فازاح الفرع عن طريقه ، وبمثر ، لأغصان ، ولم يكن في استطاعته حتماً أن يدخل من الفتحة بطراً فصفاة صجعه ، ولعله حاول طريقة أو بأخرى أن يبحث عن قاطع الكهف الشجري ، ولما لم يجد أحداً ترك المنطقة بحثاً عن غذائه في مكان آخر . وقد صادفه الشاب فعلاً عند القطيع . ومعنى هذا أنه سوف يعود ثمانية أملاً أن يجد قاطع الكهف الشجري قد عاد إليه . بل لعله الآن على بعد خطوات يرقبه بهائين العيين الخبيثتين القاصيتين .

وأيقن الشاب أنه لن يستطيع المخاطرة بانتظار صديقه الذئب . وأن عليه أن يرحل الآن فوراً ، حتى دون أن يدخل إلى كهفه الخبيث ليجمع منه ما قد يكون قد بقي فيه من غذائه الخشبية التي كان يخزنها بها . كان عليه أن يواجهه الأخطار الجديدة به من كل صوب ، للبرق الشامية ، بغير صديق ، أو مأوى . كان عليه أن يواجه الغابة ليلاً ، وتمازاً ، دون أمن لحظة واحدة ، ودون عطاء من شمس بحرقة أو مطر غدير . كان عليه أن يواجه الطبيعة ، والحيوانات ، والوحوش مفرداً لا سلاح له سوى رعبه وحجره الخشبيين . كان عليه أن يترك المنطقة التي عاش فيها ، وعرفها وسقط كل شجرة بها ، وكل دغل ، وكل جدول ، بل كل حيوان . ولم يمتدحذره هم يستدير بخطى مضمومة متشاقلة بعيداً عن كهفه .

• • •

قبع "شباب إلى جوار النزال يقطع منه أطايبه بخصره الخشبي ، ومضى يأكل في نهم زائد إذ كانت قد مضت عليه أيام طويلة وهو لا يأكل سوى ما يلقاه في طريقة من ثمار ، أو بعض الرواحف ، والطيور وبعضها ، كان كل ما يشغل باله في الفترة



السالفة أن يستعد ذلك لرعب، وعن المنطقة الجديدة التي اتخذها مسرحا لحشيشته .  
لم يكن قد أخذ كتابته من النوم في أى يوم من أيام رحاله . كما لم يكن قد أخذ كتابته  
من الغذاء ، إذ لم يكن ينتظر طويلا ليصطاد حيوانا . وأثرت هذه الأيام في جسده  
إذ بدا أكثر نحولا . كما أثرت في تفكيره فكان أكثر حذرا ، وحينا قبض  
له أن يقتل الغزال ، رايله بعض حذره . وكاد هذا أن يكلفه حياته

كان رحمه ما يزال غائرا في جمجمة الغزال ، كما كان حنجره مغمدا في اللحم  
وهو ماض يقاتلهم كلها اقتطع لنفسه . ولم تذبذبه أذناه إلى تلك الحركة الخفيفة  
في الأحراش ، كما لم تصل إلى أذنه تلك الواحة التي ما كان يبعثها لولا إنفاقه  
في الأكل بكل جوارحه . لم ير الوحش وهو يرحل في بطنه ، وسكون حذره  
وقد سال لعابه العريستين اللتين رآهما .

استعد الوحش القعر حينما انقض عليه جسده أشعث ضخم كالأرما هبط  
من السماء ليبرز أنيابا في ظهره . وصرح الوحش من الألم ، واستدار ليواجه العدو  
الجديد . وفي أقل من برهة عادت إلى الشاب جميع حواسه ، يقظه تشبهه ،  
في سرعة عاطفة لاستدار ليواجه الخطار ، بينما انزعجت يده الخفيفة من جسم  
الغزال في الحركة نفسها .

رأى على بعد خطوات منه منظرا أروع ، وألمح صدره في الوقت نفسه .  
كان الذئب ، زميله القديم ، يتصارع صراع الموت مع نمر في ثلاثة أمثال حجمه .  
وأدرك الشاب أن مثل هذا الصراع غير المتكافئ ، لا يمكن أن يدوم طويلا ،  
كما أدرك أن حنجره الصغير لن يمدى فتيلة . كان يعلم أن الذئب ما كان ليهاجم  
عطافنا نمر لولم ير أنه سوف يقتل صديقه كان في إهتداعه في أى وقت  
أن يمدد يميده عنه لينجو بحياته . ولسكنه أثر الصراع غير المتكافئ لمعطى  
قرصة الحرب للشاب .

في سرعة عاطفة استمر رأيه على ما يجب عمله . مديده فأنزع الرمح من رأس  
الغزال ، واتجه إلى مكان الصراع ليستترك فيه . ولم يكن الذئب من الجنون بحيث  
يضع نفسه تحت رحمة أنياب النمر أو مخالبه ، فقد كان يعلم أن ضربة واحدة منه

كيفية بالهذه ، وإنما كان يستعمل حدة حركته ، وحضر حجمه نسبيا ، ليهاجم  
 غريمه حيثما لا يتوقع ، ثم يستعد قبل أن يتمكن النمر من النيل منه . ولم يكن الروحش  
 من ناحية أخرى يقين بالحركة ، لكن المماثلة ، وخطامة جسده النسيجية ،  
 وإصراف حواسه جميعا إلى المريستين اليسيرتين أمامه ، كل هذا أعطى الذئب  
 ميزة المبادأة لفترة .

اقرب الشاب ببطة وحذر شديدتين . كان يدرك أن به فرصة واحدة ،  
 إن ضاعته معه فسوف يلاقى هو والذئب - تنبها حتما ، كان عليه أن يصح هذا الرمح  
 بأقصى قوته في مقتل من عمر ، مائة همدون عجيب وهو يتقدم إلى الممركة .  
 كان النمر مشغولا بالذئب الذي استمر يهاجمه من وراح عديدة ، ليقطع منه قطعة ،  
 ثم يهرع بعيدا . وحاول النمر مرارا أن يضرب الذئب بقبضته إلا أن هذا كان دائما  
 يفلت منها ليدير حوله ، ويضرب ضربة أخرى قبل أن يستعيد غريمه  
 توازنه تماما .

تأهب الذئب لأن يلتقي ربحه بين عيني النمر تماما ، ولكن قبل أن يفعل ،  
 وقعت الواقعة . أخطأ الذئب التقدير ، وتلقاه النمر أثناء هجمته بضربة قوية  
 ألقت به بعيدا . وطار الذئب في الهواء كسكرة أتقن قذفها راميها ، واستقر على  
 الأرض على بعد أمتار ، جثة لا حراك بها . وجن جنون الشاب وزايله حذره ،  
 اندفع نحو الروحش وألقاه برمحه بكل قوته واستقر الرمح في صدر النمر .  
 وكانت الضربة من القوة بحيث دخل الرمح إلى أكثر من ثلثه . وصرخ الروحش  
 صرخة مدوية من الألم ، وقهر في الهواء بصعقة أمة ثم سقط على الأرض .

لكن الضربة لم تمكن قائما ، فقد أخطأ الشاب في عجلته التصويب .  
 اندفع النمر في جثون الألم نحوه فتدحى بجمعة بعيدا عن القبضة القاتلة ، ثم اضطل  
 متاهيا للقاء . واستدار النمر نحوه . كانت الدماء ترف منه بهراة ، كما كان  
 الرمح مازال بارزا من صدره . ومع هذا فلم يكن يبدو أن الجرح  
 قد استنزف قواه . .

هجم النمر للمرة الثانية ، لكن الشاب تحول عنه بخفة حتى مر ثم اعتلاه .  
 وارتفع الخنجر ، مشى ، وثلاثا ليبيط بقوة في كل مرة يمرق جسد النمر الحائج .

وقر انحرى الهواء ، فسقط الشاب من ظهر الوحش ليرطم ، بالأرض بشدة شلت  
قواه الحركات ، وألقت بالحجر بعيدا . وفي سرعة الهرق استدار الوحش ليصرخ  
صريته ، لكن الشاب تدرج على الأرض بسرعة واستمر القتال بين الإثنين  
حقائق خالفا الشاب ساعات .

وجاءت النهاية حينما أس كعب النمر كتم الشاب . ومع أنها كانت مجرد لمسة ،  
إلا أنها ألته بعيدا . وشعر بدوار شديد لم يستطع معه أن يستجمع قواه .  
وتحول النمر إلى ناحيته . حاول أن يتقن الهجمة وهو طريق الأرض ، لكن  
الجسد المصمم كان قد سقط عليه . وأيقن الشاب أن حياته قد أوشكت على النهاية ،  
فخر أطلق عليه الفكك الثلاثان ، أو لو أصابته ضربة واحدة من القمصة  
الحديدية ، أو لو مزقت جسده الخالب الحادة لانتهى أمره .

لكن النمر لم يفعل شيئا من هذا ، وإنما استقر الجسد الضخم فوق الشاب  
يسره في الأرض ويحكم أماسه . وبعد لحظات أدرك أن النمر لن يفعل شيئا  
آخر ، فقد كان جثة هامدة . وبدأ يتخلص من تحت الجسد الملقى عليه ، حتى  
استطاع أن يتخلص منه منه . وتدرج على الأرض . ثم إستقام واقفا والأرض  
تدور من حوله . ونظر إلى النمر الملقى هنيهة ، ثم عاد إلى حيث استقر جسد الدواب  
المهامد ، وقد نسي مشاجرة .

وكبح الشاب على ركبتيه يتحسس جسد حديقه . راعه أن الدماء كانت تنزف  
من جرح كثيف بأعلى الساق اليمنى ، وكان أول الأمر أن الدماء قد مات ، لكنه  
مرعان ما أدرك أنه يصدر منه أنين عافت ضعيف ، وأن الجسم كان يتخلخ .  
وحار فيما يعمل . كان عليه أن يحمل الذئب بعيدا عن هذه الأحرار التي لاشك أنها  
سوف تكون قريبا مسرحا للضباع ، وغيرها من الحيوانات . كان عليه أن يوفر  
المكان المناسب الذي يستطاع أن يقيه فيه بعيدا عن الوحوش ، كما كان عليه أن  
يوفر له غذاءه حتى يستعيد قواه . وتردد قليلا ، ثم إندفع يعمل بسرعة . ذهب  
إلى حيث كانت جثة النمر ملقاة على الأرض ، واستخلص الرمح منها بصعوبة  
ثم بحث عن حجرة حتى عثر عليه .

عن مريض من حيث يريه . . . ويراقب الامومة وحماها حمل الجسد  
المحرم ووقف بتمت حوله في حذر . كان يجب عليه ان يجد مأوى لهما  
سرعه فـ ان احد نحووش جاء الآن فسوف يسكونان عنده يسيرة .  
لندفع بحمله إلى داخل العاب بعيدا عن الاحراش . ودارت عيناه فلم تصادف سوى  
الاشجار المحيطة بالاحراش ، فاجه نحو أضلعها . كانت شجرة هائلة ذات  
جذع ضخم هائل ميلا يكاد أن يكون عموديا ، واعتدت فروعها الصاعدة لتتلاق  
مع ما حولها من اشجار .

وقف الشاب محملا اثمين تحت ظل الشجرة ينظر إليها وقد إرتفعت على  
وجهه علامات التفكير العميق . كان يعلم أن أول ما يجب أن يفعله هو أن يضع  
الذئب في مكان آمن ، بحيث لا تصل اليه الضياع . أو أى أنواع الحيوانات . هو  
يستطيع أن يجعله على بعض فروع الشجرة عاليا ، لكن بعض الحيوانات  
المفترسة تستطيع كذلك أن تعلق مثل هذه الشجرة ، كما أنه لن يأمن أن يترك  
الذئب بمفرده ولو للحظات ، خشية أن يسقط من حائل ، وتكون نهايته . وعاد  
تفكيره إلى الفجوة الشجرية التي كانت موحنا لهما لأشهر عديدة . لو أن هنالك  
مثل هذه الفجوة إذا لامكه أن يجمع بعض فروع الأشجار ويجعلها غداً أعنا  
لكن أين له . . الآن وهو على بعد أيام كثيرة منها ؟ نظر إلى الاتخام  
الشديد في جذع الشجرة وحطرت في باله أنه يكاد أن يكون لجوة ، لكن  
تقصه بعض الحماية .

استقر رأيه سرعاً ، فلم يكن أمامه حل آخر . وضع الذئب برفق على  
الأرض ، ومضى يبحث حوله عن أفرع ، واعصا قوية متكسرة ، وما كان أكثرها .  
وبدأت صفيرة الشاب تظهر ، فقد اختار من الأفرع والاعصان ما يصل من  
الأرض ليلا من انحناء الجذع . وأخذ يفرس الأفرع في الأرض إلى جانب  
بعضها . ليكون حائطا في الجواب المفترسة .

ومضى عليه النهار وهو دائم في عمله ، والسياج يتسكامل جزءا لجزءا . كان

عنة في بعض الأحيان أن يفتق ببر الأفرع ، أو يزيل بعض الأعصان ، أو يحرق في الأرض أكثر . كان العمل شاقاً لم يالعه . كما كان يجب أن يدهس في أسرع وقت تحت ظروف صعبة ، إذ كان عليه أن يدهس ، ويجمع الأفرع ، والأعصان على ألا يبعد كثيراً عن المنطة ، وعلى أن يراقب الحيوانات ، ويدهس روائعها . وبدأ هجوم الليل ، ولم يكن قد أتم من السياح أكثر من نصفه ، أو ربما زاد عليه قليلاً ، فخرج كالمهلوف يجمع ما يستطيع جمعه من الأفرع ، والأعصان ليعود سريعاً إلى حيث يرقد صديقه .

لم يتم الشاب في هذه الليلة ، وإنما استمر يدهس جهد لا يعرف الكلل . وساعدته قوته المرقية ، فلم يكن يترقب عن العمل إلا ليصت إلى أصوات العدة ، ويدهس الروائح . كان يعلم أن عليه أن يترك فرجه في السياح تكفي للدحول والخروج منها ، لكنه كان من اليسير عليه أن يخفيها عن الأعين المتطلة بأعصان يسهل رفعها . وعن أن تكون الفتحة واجهة للرياح ، حتى تأتيه الروائح من بعد ، وحتى لا يحمل الهواء رائحة الدنت إلى الوحوش . وأسر الصباح وقد أتم صنع السياح إلا جزءاً يسيراً جداً ، لا يكاد أن ينفذ منه الشاب إلا بهجومه . وهكذا تم إنشاء أول منزل في التاريخ .

• • •

نظر الشاب إلى الدئب المسجى . كان لا يزال في غيبوته ، لكن الدماء كانت قد توقفت نزيفها كما كان تنفسه منتظماً . ومرت يد الشاب على شعر الدئب في حنان بالغ . لم يكن بالفظة إليه حيوان مفقرس ، لكنه كان صديقاً ، رفيقاً ، صاحبه شهوراً لا أنيس له فيها سواه . لقد نام معه ، وقا تل معه ، وأكل وشرب معه ، وأخذ حياته مرات لا حصر لها ، كما أخذ هو حياته ، بل ولعله شاركه شهوره ، وأحاسيسه . كم من مرة شعر الشاب بالوحدة ، وبرغبته في لقاء أحد أبناء جنسه ، فالشعور بالإجماع غريزة في الإنسان . وكم من مرة زاعج حيله إلى الماضي حين كان مع عائلته قبل أن يهاجمهم ذلك الرعب . وكم من مرة شعر بخنين متزايد إليهم ، أو إلى أمثالهم ، حين شعر بالدئب يضع رأسه



عن فخذ، وكأنما يمر به عما ضاع، وكأنما كان يشعر بشعوره. كان يشاركه حتى لم يكن، وأحاسيه في ألعة غريبة، وتغام عجيب.

وم تدم فترة سكون الشاب واستسلامه طويلا. فقد كان يشعر بالجوع، والظما، والإرهاق كان يعلم كذلك بغريزته أن الدئب يحتاج إلى ماء يربط جسده المحموم. ويحتاج إلى غذاء يمد في جسده القوة، إن استطاع إلى ذلك سبيلا.

خرج من الفرجة الصيقة ليجمع بعض الأعش، وأوراق الشجر، ويضعها أمامها حتى غطاها تماما وحل ريمه، وحجره، ومضى يبحث عن غذاء وماء. ذهب إلى الأحراش حيث كانت جثث الغزال والنمر، لسكن الصباع، والعقبان كانت قد أنت عليهما تماما، ولم يبق منهما إلا بعض عظام، فكان عليه أن يبحث من جديد عن صيد، وماء.

على عادته، بدأ يتعرف على المنطقة التي قدر عليه أنه سيمضي فيها مرغما لمراعاة الدئب أياما. كان يعلم أن عليه أن يعود إلى صاحبه سريعا بالمياه، لكنه كان يعلم أيضا أن من الخير لهكيه أن يعود متأخرا حتى ألا يعود مطلقا. والنقط في تجواله بعض الأفرع التي قدر أنها سوف تنممه لتقوية السياج أو كآراء لحفظ المياه، لكنه لم يصادف حجرا واحدا يستطيع أن يستعمله في نحت الحشب. وكثر عليه حمله من الأحشاب فوضعا كومة واحدة إلى جانب شجرة ومضى في تجواله بحثا عن الغذاء.

صادفته بعض الحيوانات، لكنهها كانت وحوشا ضحلة لا يسهل قتلها، وما كان يماز لها إلا إذا اضطره الحال، أو إذا لم يجد مخرجا آخر. وعثر وهو جالس على فرع إحدى الأشجار على ركة تجمعت فيها مياه الأمطار، لكنه أيضا لاحظ ممر سيني التاب يقف منتظرا على قرب. ومضى النهار كله لم يمش فيه على صيد أو ماء. وكأنما قد تحالفت هذه الأقدار، لحق السماء كانت صافية لا أثر فيها للسحاب. كان عليه أن يعود في كل فترة ليطلب على الدئب،

فقد يكى بالثالى لىستطيع أن يوسع من منطقة تجواله ، مما زاد فى صأله فرصة الصيد ، والمشور على جدول مياه .

عاد إلى المأوى ومعه كل ما استطاع حمله من الأروع ، والأغصان - وشعر مأه قد حذل صديقه . لقد كان هو يستطيع أن يصير يوماً ، أو أياماً ، بغير طعام أو شراب سوى ما قد يقطعنه من ثمار ، فقد إعتاد على هذا فى حياته فى القاية ، أم اللاتب فى حالته الراهنة ، فلم يكن من اليسير عليه قضاء يوم ، أو بعض يوم ، بلا قطره ماء . دخل من المغوفاً ، وسمع صوت الدئب يشن أبننا خافنا صميفاً فإتجه إليه ، وأخذ يرت على جسده المحموم .

وكأنما قد اطعنا الدئب إلى اليد التى تربت عليه فى حسان فهدأ قليلاً . وصف ارتعاش جسده ، ثم راح فى سبات عميق .

نام الشاب على الطوى مرهقا تعباً وقد كاد حلقه أن ينفج . واستيقظ فى جوف الليل على صوت أبى الدئب . وعلى صوت آخر فهز له قلبه فرحاً ، رد كات السماء تمطر بلا هواده . حرج إلى المراة يتلقى الماء المذمم فى فمه ، ولما روى ظمأه بسط يديه يحتلان أ كبر كية من المياه ، ودلف إلى المأوى لبصع الماء على جسد رفيقه المحموم . وكرر العملية عدة مرات قبل أن يدرك أن أرضها بسيط ، وأن الدئب فى حاجة إلى الماء أكثرى نستطيع يداه حمله . ونظر حوله إلى أوراق الأشجار ، لسكنها كانت جميعاً صغيرة لا تمكفى لمن المياه . وفكر فى أن يحمل الدئب إلى الخارج لينلقى المطر ، لكنه خشى عليه من الحركة ، كما ألمته غريزته أن المياه الكثيرة أن تعيده ال وربما ضرته . وذهبت ذاكرته إلى الاوانى التى تركها فى الخبأ الاول . لو أنها كانت معه إذا لمكتمته حتى مؤونة التفكير .

بذكر البركة المائية بالمياه التى كان يقبع أمامها النمر منتظراً فريسته . وقفز إلى ذمته خاطر مضى بعده ، بسرعة ولهفه . دخل إلى المأوى ثم حرج حاملاً خنجره العشبى ، وبدأ يحفر فى الأرض ، بحرى عميراً طويلاً من المراة إلى المدخل . وجرت المياه فيه ، فاستمر فى الحفر حتى أدخل الحرى إلى المأوى ، ثم أخذ

يوسع من المجرى ليكون بركة صغيرة مملئة بالماء . ومضى يبذل فم الذئب ويضع فيه الماء ، قطرة قطرة ، ويتحسس رأسه بيديه الرطبتين الفرة والحرى . مضت فترة والثاب ذائب على فعله حتى شعر أن الذئب قد ارتوى أو كاد ، وأن حتى قد حقت حاجتها قليلا . ونام الذئب يوما عتيقا لأرغشة فيه ولا أنين . ونام الشاب على جفونه راضيا سعيدا .

أيقظه صوت الذئب ولم تمكد للشعس أن تبرغ . وانثنت إليه ، فراه يحاول هروا دون جدوى ، فقد كان حاقده من دم قد أمهت قواه . وبعد محاولتين أو ثلاث فشلت جميعا ، نظر الذئب بإبهام إلى صاحبه كأنما يشكوه ضعفه ، وحاجته إلى الطعام .

ولما كتم الإثنان أحدهما صوت حصى ملتصبيه تدور حول الماوى لهما تجد صدعا ، ومات إلى أحدهما أصوات أنفاس الوحش تتردد في ثقل . وقدر الشاب حريته الحشوية ، وحذرة ، وانتظر حتى كان الوحش في الناحية الأخرى ثم دلف من الفتحة في صمت وسكون دار حول جذع الشجرة دورة كدفة ليأتى من وراء الحيوان ، ونمت إليه رائحته قبل أن يراه ، فعلم أنه ضبع جدته رائحته الدماء التي نرفت من الذئب فظن أنه فريسة سهلة .

ارتفعت لهربة في يد الشاب لتنهبط بكل القوة الفتية ، وتغرس في عنق الضبع الأمامي في تحسس كمية اللوح إلى فريسته ، ولتعد من الداخية الأخرى . وصرخ الحيوان صرخة مروعة من الألم ، وقمر في الهواء فقرة عالية سقط بعدها على الأرض ، ومضى يبذل محاولات بائسة لتغصص من الحورية ولم يمهله الشاب أن يهجم عليه يقطع في جسمه بدمجزة طعنات زادت من سيل الدماء المندفقة منه . ومع أن الضبع حيوان جبان بطبيعته إلا أنه وقد وجد نفسه يقال في سبيل الحياة ، طارح من نفسه كل خوف ، ودفعه جنون الألم إلى الدفاع المستميت . حاول أكثر من مرة أن يصل إلى غريمه بهماله ، أو أيا به ، لكن الأخير كان أحف حركة ، وأوفر شاحا فلم يسع له الفرصه . كان الضبع يضرب ضربه حيث رأى غريمه ، لكن هذا كان في حفة متاهية ينقل إلى مكان آخر ، ويهوى بالخنجر على الجسد المتهالك .

وصد العناب بين الغريبيين ، وبدأ الضبع يحس أن قواه تنحور ، ومصل أن يطلق سيفه حلف ، عساه يتجوز بحياته . ولم يدعه العناب يغاث . فقد إنقابت للفرسة صاعدة . كان يحتاج هو وصاحبه إلى اللحوم سريعا ، وقد أرسلته الأقدار حتى باب مؤامرة أعلى الضبع وهوى الخنزير مرات ، ومرات . لكن الأخير وقد أصده لآلام كل شعور طرح الشاب من ظهره ، واغذف صوب الاحراش ليختفي من لاغشاب الطويلة . وأذهلت السقطة الشاب لثوان معدودة سرعان ما استعاد حسه بعدما فاطمى يجري حلف الضبع وهو واقف من أنه لن يبتعد كثيرا . وهناك وهو يحدو إلى أنه قد فقد حنجره . لكنه أيضا لم يترك في العودة فلبثت معه إلى تابع عدوه وراء فريسته .

ومضى حنسه فلم يكن الضبع يستطيع أن يتعمد ، وقد أثبتته الجراح ، وقتل من دمه الكثير ، علاوة على ما بذل من جهد في قتاله . وجده ماقى على الأرض بحود يأخر أنعاسه إلى جوان مأتق من عظام البحر سيفي للثاب . ثم بأن يقترب ليسى حياته . لكن الضبع زجر في وحشية أدرك الشاب معها أن في قوته بقية . تمت حواره ليجد بقايا عظام النر وقد لمع منها الثاب السيف . انتزع الشاب الثاب من تحت ثم ناوله ، وجثم إلى جوان الضبع لينهى السقية الباقية من الحياة . وأدهشته بسهولة التي اخترق بها الثاب جسد الحيوان ، وأدرك أن بين يديه خنجرا يفوق كل حنجره الحشسي ، فبقى يهلم به الجسد المسحب وقد غشيه سرور وحشى لم يعر منه إلا بعد أن لاحظ أن الحيوان لم تصدر منه خنجره منذ مدة .

توقت الشاب عن الطعن ، وراح ينظر إلى الثاب بين يديه وكأنما قد عثر على كنز . ولعله بالأسبة إليه كان أكثر من ذلك إذ هو القيصل بين الموت والحياة . وصمت برهة قبل أن يعود إلى نفسه ، فوضع حنجره الجديد بين جسده والحزام فحس لدى يحيط به وسطه . وانحنى على الأرض لحمل فريسته ، وألقاها فوق كتفه ، وصار بها نحو مأواه .

ألقى الشاب بحمله على الأرض أمام مدخل المأوى . ثم دلف منه ، وسحب حذو إلى الداخل ليضعها أمام رقيقه لمعت عينا الذهب ، وبذل جهدا جبارا

الحكي يهضر ، لكنه عاد وأتى برأسه على الأرض في يأس وألم . و تقدم الشاب سريعا من جهة الصبح ، ومضى يمزقا بحجره الجديد . وهدته غريزته أن يعطى أظفها لرفقة ، فابزع الكبد فأقمه ، وتركه يلثمه في نهم بينما لا تقطع لنفسه قطعة كبيرة من اللحم ومضوا كل . ولما فرغ من طعامه انفتحت إلى الدئب فرآه قد أغلق عينية وراح في سهبات عميق ، لا تزع حركته من رقعة الضيع ، ثم دفع ما بقى منه جانبا ، وأسلم نفسه للتفكير .

كان يعلم أن الدئب لن يستطيع حراكا ليوم ، أو اثنين على الأقل ، ثم هو أن يستطيع الدفاع عن نفسه لعدة أيام بعد هذا ، وربما بعده أسابيع . ولم يكن في استطاعته أن يبنى إلى جانبه دائما فمكان عليه أن يبحث عن الطعام والشراب . وإن يكن هذا المأوى المؤقت لحديثه في غيابه ، فلم يكن مصادفة موجودا حينما تحسس الصبح حول المأوى لسكات مسألة رفقة قبل يكتشف المدخل ، ويلتهم الدئب . أو لو أن حيوانا قويا فكبر في أن يضطبط بجسده على السياج الضعيف لأنهار في لحظات . كان عليه إذا سئما أن يجد مأوى آخر أقوى من هذا ، أو كان عليه أن يقوى ، هذا المأوى ، ويحفيه قدر استطاعته عن العيان ، وأن يحيطه برائحته الطبيعية تطمى على رائحة الدئب الجريح .

ترك رفقة ينعم بيوم هادئ ، ودلف من الفتحة إلى الخارج . وقناعت إلى سمعه أصوات القرودة ترح ، وتصخب فوق الأشجار فتطلع لإبها ورآها تنظر إليه معجبة . لم يذهب بعيدا للبحث عن أفرع الأشجار وأغصانها ، وأصغى بقية نهاره في جمعها ، وتحريضا إلى جانب السياج الذي يكون المأوى . استمر في عمله لا يعرف الكلال حتى أوشكت الشمس على المغيب ، فأبتدأ في عمله تفوية السياج ، يخرس الأفرع القوية في الأرض لتساعد ما سبق أن أقام ، ولتكون سياجا ثانيا حوله ، وأحاط كل هذا بالأغصان الرفيعة ، وأوراق الشجر لتحميه تماما عن العين ، وليبدو على قدر الاستطاعة منظرًا طبيعيا لمجموعة من الأفرع والأغصان ، وأوراق الشجر . وتذكر وهو يعمل ذلك البهات الخريف الذي

يكنى كنه مع عائلته ، كان شديد الحرارة في مذاقه ، كما أنه كانت له رائحة نفاذة حادة ، ولو أنه وجد من هذه الشجرة في المنطقة لسكانت بعض ثمارها كافيته تحبب رائحة الذئب .

خرج من عمله ، وقد أظلمت الدنيا تماما . وبدأت وحوش الليل في تحوالها في السعي في العانة ، فأنجبه إلى المصحة ، وتنفذ منها إلى الداخل ، ثم أعاد تغطيتها ، وضع في ظلام المأوى الدامس حتى تعتاد عيناه . أحس بفهم الذئب ، ثم رأسه ثم وضع على فمذه في استسكابة ، واطمئنان ، فامتدت يده في صمت تداعب القراء فسمع منها صير تفكيره عشرات الأميال إلى مرطبه الأول ، حينما انفتحت عيناه عن عائلته .

داخله شعور عجيب بالوحشة ، والوحدة ، وتناقت نفسه إلى رؤية أفراد جنسه . كان يعلم أنه جفيس نادر الوجود ، وأن عددهم قليل إلى درجة أنه لم ير في حياته غير أفراد عائلته ، وربما لم يكن يوجد سواهم في دنياء . ومعنى هذا أنه توحيد الباقي على قيد الحياة ، ولا أمل له في لقاء أي فرد آخر . لم يكن هناك مخرج من الانعزاع بينهم ، ولم يكن يدرى إذا تصادف أن التقي مع أي فرد منهم - سوف يكون موقعه . ربما قاله ، ومع هذا فقد كان يود أن يلتقي بهم ، ولو بشعر فإنه ليس الفريد من جنسه في عالمه .

لقد مضت عليه أحيانا أسابيع كان الذئب يترك فيها ليلاحي بأبناء جنسه يرحلون ، ويتزاوجون ، ويتقاتلون ، وكان يتمنى ، خاصة في هذه الأيام أن يكون له هو الآخر أفراد من نوعه يلجأ إليهم . وقد مضت عليه فترة كان يظن أنه نوع من القردة ، ربما نوع ضعيف غير متطور منها . لم يكن له خفتها فوق الشجر ، أو لغتها الجبيلة ، أو شعرها السمكت ، ولكنها كانت مع هذا أقرب أخباريات شيئا به . حاول أكثر من مرة أن يرتقى الأشجار إليها لسكنها كمثل تهاجم ، أو تهرب منه مذعورة . وبعد عدة محاولات يئس منها ، وانطوى على نفسه . وغالبه اللامس فقام كما هو جالس على الأرض ، ويده على رأس الذئب .



صوت لا يميز فيه في هذه السبب هي وتيرة مكاد أن تكون واحدة ،  
أصدا ، ثاب في صبح صحر لا دورت التي يتخجب . صفع وعاء لخل المياه  
لصاحبه و حتى لا يكون كبيراً وعميقاً حتى يحسن كية كبيرة من المياه .  
وصنع عدة حراف . كما صنع بعض حود الحيوأت ، وجهها وقطع منها عدة  
سيور جلدية راح يربط وسطه بها الواحد سو الآخر وهو خور ، صفع .

وحدث ذات مرة وهو يشهد بعض ربيع أن مكث مدة طويلة في عمله حتى  
زادت الحرارة من احتكاك الخشب الخاف ببعضه ، فبدأ الدخان ينهاعد .  
وقوقف الشاب عن عمله ، ومضى ينظر بدهول إلى الفرع عن الخافين ثم راح يحكمها  
في موضعها مرة أخرى بشدة أكثر ، وبغوة أكثر . ومضت مدة دور أن يحدث  
شيء ، ثم بصاعد الدخان ثانية . وقوقف الشاب عن العمل ، فتلاشى الدخان ،  
وكرر العملية أكثر من مرة ليحصل على النتيجة نفسها ، وأخيراً استمر في حكمها  
رغماً عن ظهور دخان ، ولجأة اشتعلت النار في أحدهما .

وذعر الشاب فأنق المرع المحترق وصرح الذئب ، وانكسر في ركن من  
المأوى ، وراح الإثنين ينظران بدهول إلى المرع . وهو يحترق حتى انطفأت  
النيران . وتهد الشاب بارتياح حينما انطفأت أخذره . إذ كان به الحرف  
الحيواني العريبي من النار . وتراحت عضلات الذئب إذ رأى النار تهدد ،  
وراح ينظر إلى صاحبه نظرة جديدة ، ليس فيها حسب ، وإطمئنان لحسب ،  
لكنها نظرة كان يشوبها الخوف أيضاً . فقد فهم الذئب أن صاحبه قد صفع  
ذلك الشيء الذي يهبط من السماء فيجول المدينة إلى أنون منسوب يأكل كل ما في  
طريقه من نبات ، أو حيوان . ولم يدر الإثنين أن الشاب قد وضع أساس الحضارة ،  
وأنه قد أحد إحدى الخطوات الأخيرة التي تعصدها الإنسان عن الحيوانية  
النار ، والقيمة .

• • •

تقدمت صحة الذئب كثيراً على مر الأيام ، فاستقام واقفاً على أقدامه ثم  
ابتدأ في الخروج مع صاحبه يرافقه في تجواله . وإن كان لا يزال يعرج بإحدى

جميع الاماميين . وحاول الشاب مرارا أن يصنع النار كما فعل ، لكنه أخفق في محاولات كثيرة إذ لم تكن الأخشاب التي انتقاها بالجفاف السكافي ، ولا استمر في عمله لمدة كافية . وقوات محاولاته حتى تعلم أي نوع من الأخشاب ينفع . وأصبحت النار لعينه التي لا يعمل من تكرارها ، وعلم أنه إن ألغاها في التراب أو قصب نفعي . وأنه يمكن أن ينقلها من بحشة إلى أخرى ، بل أنه يمكنه أن ينصب تنقل إلى عدة أخشاب في آن واحد دون أن تنقص شيئا . وإنما تكون شمع اشتعل لاواستعمل معها ، ومن أوراق الشجر الجافة لم يكن يعلم ماذا يستطيع أن يعمل بها ، كالم تكن لها بالنسبة له أي نفع سوى شعوره بأنه يمتلك تلك القوة التي تهبط من السماء .

ولاحظ أن القردة أصبحت تتعاشى جيرة مأواه ، بل وحتى الحيوانات الضخمة لم تعد تسلك هذا الطريق ، وإن تصادف مرور بعضها فإنه يهرب سريعا مجرد أن تنتهي إلى أفئه رائحة الدخان . واعتاد الذئب على رؤية صاحبه يلهو بجسم الجريدة ، يقل خوفه منها بعد أن اطمان إلى أنها لن تؤذيه ، وأن صاحبه يقتها حينما يريد ، ثم يبعث فيها الحياة ثانية . ثم أتى ذلك اليوم ، الذي علم فيه تشاب ، والذئب أن النار ليست مجرد لحو ، ولهب ، وإنما يمكن أن تكون أداة تدمير هائلة .

o o o

كانت السماء لم تطل منذ وقت طويل ، أياما لعلها أصابع . وبدأت أشجار السية متربة لالعلوها تلك الضخمة الضخمة المحببة . كان الجو خافيا حارا بدنيا كانت الشمس تستطلع ملتبة من لحظة ظمورها . وجفت عيون كثيرة ، بل وحتى الجداول لم يكن بها ماء ، وسارت الحيوانات لاهثة متفطمة الأنفاس ، وتوقرت أعصابها ، وازدادت شرارستها ، فمكأت الوحوش نهاجم . ونقلت مجرد أن قرعوى بالدماء ، وتترك اللحم تمشه الضباع . والعقبان .

وان صمت هميم على العابة . حتى الطيور بدت أمها كمت عن تغريدها ، ولعل الكثير منها قد هاجر إلى مناطق أخرى . كفت القردة الشرنارة عن

صاحبها ولعبها . كان جو الغابة كله توقع ورقب ، وكله انتظار لضربه لا يدري  
أحد من أين تأتي . كانت بعض الحيوانات تجري مذمورة في اتجاه معين لا تحديد  
منه ، ولم يكن يبدو في الظاهر وجود أي خطر أن يجها ، ومع هذا فقد  
كانت تستمر في العدو بلا هوادة .

وسمع الشاب الذئب إلى جوارحه يومه بمقا ، ويظهر إليه في ابتهاج ورجاء .  
ومع أنه على ذلك من حرج أو ظم ، إلا أنه دخله شعور منهم من القلق الذي  
لا يعرف له مبرراً

وجاء يوم استيقظ فيه الذئب مبكراً وحلقه يكاد أن يلتصق من العطش وقد مرعاه  
أكثر من يوم لم يلتصق فيه طعام الماء . كان عليه أن يعثر على الماء بأي طريق ،  
والا هلك ظمأ .

دلف خارجاً من المأوى ، فنبهه الذئب قوياً . أحس به يلتصق بساقه كأنما  
يأتمسك الظمأ نينة من خوف لا يدري كمته . وراح الذئب السكون المطاق على  
الغابة . حتى سمع الصياح ، لم يكن له أي أثر . وسطعت أشعة الشمس حارة  
ملتقبة بمجرد ظهورها . وسار أي اتجاه يأخذ بحثاً عن الماء فقد مضى عليهم  
يوماً ، وبعض يوم بلا فطره واحدة ، وازداد شعوره بأن حلقه قد جف ،  
ولاحظ أن الذئب يصدر أصوات متواليات وهو ينظر إليه كأنما يحاول أن ينقل  
إليه شيئاً . رآه يتجه إلى الأحراش وهو ما يزال ينظر إليه فتمعجب إذ كان يعلم  
أنه لا توجد مياه في هذه الماحية ، أو على الأقل إلى مسافة ليست بالقصيرة فقد  
سبق له أن ذهب بحثاً عن المياه ، ولم يجدها في هذا الاتجاه . ومع هذا فربما قد  
التقط الذئب الرائحة ، إذا أنه يعلم أن حاسة الشم لديه أقوى بكثير منه .

تناول الشاب رعيه وغنجه وتبع الذئب . ودهش ثانية إذ لاحظ أن الذئب  
يحاول ، على ما به من عرج ، أن يجري ، وأن جريه كان ظاهراً بلا هدف ،  
ولافائدة سوى مجرد استنزاف القوى : وأبطأ الشاب في سيره ، لكن الذئب  
لم يبطئ ، بل لسه قد زاد من سرعته ، ولم يتوقف إلا حينما شعر أن صاحبه

يتجه فطر إليه بظرفه كلها خضراء، لكنه لم يأت به إلا ناهي إلى سمعه أصوات وقع حوافر القطيع الغرلاي يعدو متجها إليهما . وظفر القطيع في أول الاحراش فليس الشاب بعيدا عن طريقه ، متحفيا بين الأعشاب الجافة الطويلة ، ودهش . ثم رأت القطيع لا يحاول تغيير اتجاهه ، مع أنه لما لاشك فيه أن الحيوانات قد رآه . وأدمل الشاب أن القطيع لم يتوقف لحظة واحدة ولا حتى ليألف بعض من غداها . إن قطع كل المسافة المقطوعة بالأعشاب في سرعة هائلة ، كأنها تحرك كل فهود العابة ، ونمورها .

سألت بمسحة خفيفة تداعب النباتات ، وأغصان الأشجار ، وأورقها . تحت من صاحبه فإذا به يقف بعيدا عنه ، ويظهر إليه وقد زاد ارتياحه ورضاه فاحه إليه . وما أن راه الذئب يسير حتى جرى أمامه .

جاء بدأت الأرض ترحل تحت أقدامها ، وفي هذه المرة ، علم أن قطيعا من ثيران ينسجه إلى ناحيتهما في سرعة خارقة ، وتنبه إلى الخطر المحدق بهما ، خاصة أن الذي لم يكن يستطيع أن يعدو يكامل قواه . نظر إلى الأشجار من الناحية الأخرى من الاحراش فوجدتها بعيدة بعدا آيقن معه أن الذئب لن يستطيع أن يسمع قبل أن يلاحقه القطيع ليرفه تحت حوافره . إزداد ارتجاج الأرض تحت قدميه فلم يتمكن من أهدق مساقفه للريح وراء صاحبه . لم تمض لحظات حتى كبرى جواره ، فالتفتة من الأرض ، واستمر في عوده . وظفر القطيع في أول الاحراش ، وعلا صوت الحوافر حتى صمت أدنا الشاب ، فالتفت وراءه ودمل إذا لاح أن كل ثيران العابة قد تجمعت في قطيع واحد ملا الاحراش من سمها . وأذهلته السرعة التي ينطلق بها ، وكان به مس .

صاعف الشاب من سرعته يريد أن يبلغ الأشجار ، لكن الحمل الذي كان يتقه كان يبطيء من حركته ، ويستزف قواه . بذل جهدا جوارا ليستمر في عده بالسرعة نفسها ، وإن كان قد بدأ يشعر بأن قواه تنحور ، وأن نفسه يتردد في عنف ، ورثية مسكدا أن تنفجرا ، داخل صدره . كان يعلم أن عظه في اتجاه ضئيل ، وأن المسافة بينه وبين الأشجار مازالت بعيدة في حين أن المسافة

بينه وبين القطيع تضاعف شيئاً فشيئاً ، ومع هذا فلم يخطر في باله لحظة أن يلقى الله الذي قد يكلفه حياته .

لاحظ وهو يمدو أن اللبنة التي كانت تقوى شيئاً فشيئاً وقد انقضت لجأته إلى رياح ، وأن سرعتها تزداد عما يشكل لجميع ، كما بدأت السحب تتجمع في السماء ، وتطوى وجه الشمس . لكنه كان لا يهتد عن معنى هذا الموت المحقق الذي يلاحقه . تقطعت أنفاسه ، بدأ يشعر أن كل هوائه يدخل إلى رئتيه خلال حلقه الخاف كأنه هو سوط من زار . شعر بالدم يتدفق إلى رأسه ، وبالدار يلاحقه ، وأن ركبتيه لا تمكنا أن تتحملاه . حينئذ إليه أن جسد الذئب الذي يحمله قد تصاعف وزنه عن ذي قبل ، وأن يديه قد بدأما تكلان ، وعظلاته تمزق . فسكر أكثر من مرة في أن يضع حبه على الأرض ، ويجلس إلى جواره ينتظر أن الموت المحنوم تحت حوافر الثيران الهاتجة المتدفعة بهم . لكن بمجرد التمعير في هذه البنية كانت يدهمه إلى عدو أسرع . توالى أنفاسه سريعة متقطعة ، وازداد شعوره بالظلمة حتى كان يمش

حينئذ إليه أن المسافة إلى الأشجار لا تقاوم أبداً . وبدأ قلبه يسرع في بهبائه مطالبا بمزيد من الهواء . وأحس بطير في أذنيه يعلو على صوت وقع أقدام القطيع الذي كان يلاحقه . ولجأة تطلعت أمامه ليرى أن الأشجار قد قربت منه إذ لم يدق بدهمه وبينها سوى مائة متر أو ثقل . والتفت وراءه . هاله أن يرى أنه لا يوصله من القطيع سوى مسافة لا تتجاوز ربع المسافة التي بينه وبين الأشجار : وملاء الدعر فضاعف من جمده في محاولة يائسة . اندفع يعلو لا تمكنا أن تلامس قدماء الأرض . وصل إلى حى أول شجرة في اللحظة نفسها تقريبا التي وصل إليها القطيع ، فاحتسأ وراءه وبين يديه صاحبه .

تم لك الشاب مستنداً إلى جذع الشجرة بينما مر القطيع حوله من كل ناحية وهو مازال يمدو في جنون . وتردت الأرض من وقع حوافر القطيع ، وتصاعدت واه ، وتجمع عن رئتيه الهواء ، وهو أشد ما يكون حاجة

إليه . جمع ما بقى له من قوة ، وتحامل على نفسه ، ورفع الذئب يديه أبضه على أعلى فرع استطاع ، ثم ارتقى الفرع ، واستمر ينقل لذئب وينقل إلى أعلى حتى استقر على بعد كاف لأن يستنشق الهواء ، تهالك على نفسه ، ومدد جسده على الفرع الصخم ، وراح في شبه غيبوبة ، يحاول أن يدخل الهواء من فم قد جف تماماً إلى رئتَيْه تنفجران .

قضت مدة طويلة قبل أن يقوى آخر القطيع من المارور تحت الشجرة ، واسترد الشاب أنفاسه ، ونظر إلى الذئب فرآه يقسح في جوف على الفرع حيث وضعه ، وراح ينظر إليه تلك النظرة المبهمة التي رآها في صيد ذلك الصباح ، وبين أيديهما ، لاحظت منه لفته إلى السماء فإذا بالسحب قد غطت وجهها تماماً ، كما راحت أرياح أهول بصوت مزعج ، وتدفع في قوة بين الأشجار . جاءت هرع الذي يجلس عليه الشاب يهتز على قوته . تطايرت في الهواء شتى أنواع أوراق الشجر ، والأعنان الصغيرة الجافة ، وبدأت الأفرع تتكسر . ولاشجر شئ ، وتنازل تحت وطأة الرياح .

ولجأة انقلبت الغابة رأساً على عقب ، وبدأت تذف من جوفها جميع أنواع الحيوانات والوحوش ، شاهد الشاب ، وهو على الشجرة ، شتى الأنواع تجري مرهوبة جنباً إلى جنب . رأى النمر السيفي الباب بعدد مذهور إلى جانب العلبي ، رأى آكل العشب يسابق آكل اللحوم ، والجميع لا يبغي سوى الفرار كما ما شياطين الأرض تتفهم أجدهن . . تعالى الدخان من العارة ، وتساعدت ألسنة النيران إلى هتان السماء ، ودفعت الرياح الميران أمامها تسابق الحيوانات ، وحملت طعاما متسبة من الأعنان ، والأفرع لتقطع الطريق أمام الوحوش العارة . ولتشعل نيران في أماكن متفرقة ما لبث أن نلتم لتسكون أو تبا مستقرا . لماهت إلى سمع الشاب انفجارات عالية تصم الأذان كانت الأشجار الصخمة تنعرج تحت وطأة الحرارة الشديدة ، وتطير شظاياها الملتصقة في أنحاء العربة لتزيد اشتعالا .

لماهت يحات المرح ، وزبحرات الغضب تملأ الغابة في حين انقشر الدخان بحن مالم تحرقه النار . ودخل الشاب وهو يرى الدرعة التي انقلبت بها الحرائق

من مكان الى آخر . وكان أول ما جال في خاطره أن يسقط من الشجرة حاملا رفيقه ليجرى من هذا الخطر الأكيد ، لكنه راجع رأيه بعد لحظات إذ رأى أنه إذا هبط من الشجرة فإن تكون أمامه أية فرصة للنجاة وهو يحمل الدئب ، فإن لم تدمر أقدام الحيوانات الفارة فسوف يعوتان محترق ، أو سوف يستنقان من الدخان الكثيف الذي بدأ فعلا يملأ الجو . رأى الدئب الى جانبه ينفض فرقا لا يستطيع حراكا على الفرع . فدبده يربت على ظهره محاولا ادخال بعض الطمأنينة إليه .

رأى القردة تعدو في لا حراش في دعر ثم تقفز الى الاشجار تسبب الريح ، اتصايح مرعوبة أمام الموت الرهيب . وكاد أن يفقد توازنه حينما اصطدم به قرد منهم لم يكن يرى ما أمامه من شدة دهره . ثبت بالمرع لميع نفسه أن يسقط من حال ، ثم اعتدل ، وأمسك بالذئب واستند الى جذع الشجرة ، ومضى يرقب أرواع القردة والفسايس من حوله . شاهد بعض القردة المسكينة وهي تقفز صارحة من الألم وقد علفت بها النار ، فراحت بدورها تنشرها حينما تلامس أوراقا جافة . أرغصنا بانسا . خيل اليه أنه قد مضى ساعات وهو في جلسته ، ومع هذا فإن سيل الحيوانات كان لا يزل يتدفق من العابة الملهبة . ازدادت كثافة الدخان بسرعة فائقة ، وبدأت تنشر سحب منه تعلو الاشجار ، وتغطي وجه السماء . وحملت الرياح الدخان الى رتيه ، ودمعت عيناه حتى لم يعد يرى جيدا . وانابه السعال في كل نفس يدس رتيه . لم يتصور أنه يستطيع أن يستمر دقائق على هذه الحالة .

ولجأ شاهد بعض الحيوانات تندفع من الغابة المقابلة واليران تشتعل فيها . كانت المسكينة تجري كالمنجونة من الألم . وتحتار في اتجاهها عارلة أن تتخلص من النار العالقة بها بينما ترددت هزعاها الموقلة تملو على أصوات الحيوانات . بسرعة مذهلة اشتعلت النيران في الاعشاب الجافة ، ومضت تلتهمها التهاما . واشتدت الرياح ، وحملت معها قطعاً منتهية من الاغصان ، والافرع لتساقط حول الشباب . واشتدت حرارة الجو حتى أصبحت لا تطاق وانتهى بهما الذعر ،



حاول الذئب أن يقذف بنفسه من أعلى الشجرة ، لكن الشاب كان مازال يده  
تمسكه بقبضة من حديد ، والحفظات كاد الشاب ذاته أن يلقى نفسه والذئب  
فيواجها أية ميتة ، وينتهي العذاب الذي يحيط به ، لكنه استعاد رباطة جأشه  
إذ كان يعلم أن الذئب لن يبيدهم شيئا ، وأن أملهما الوحيد في النجاة هو بالتسلق  
بأعصابه إلى أطول مدة ممكنة ، والسعد عن النيران ، أو الحيوانات الهائجة  
حاصطاعا ، فلما تسقط الأمطار لتطوى من الأنوار الأرضى .

لكن الأمطار لم تسقط ، ولو كان الشاب يعلم أنها لن تسقط إلا بعد فترة  
طويلة فربما كان قد فقد الأمل في النجاة . لكنه لم يكن يعلم ، وظل منشعبا  
بالأمل بالرغم من أن قطع الأعشاب الملتهبة تزايد تساقطها ، وأمسكت النيران  
ببعض الأشجار حوله لتحيط بهما إحاطة تامة . وازداد ارتفاع الحرارة حتى  
حيل إليهما أن جلدتهما يشتمل ، وازدادت كثافة الدخان حولهما فبدأ يتنفسان .  
وعاد الذئب محاولته في الإفلات من قبضة صاحبه بجثون ، ولولا حبه لصاحبه  
لاستعمل أظفاره ، وغالبه .

دارت عينها الشاب الدامعتان في لافان المحيط بهما محاولا أن يجد مخرجا لإذع  
أفهما أن يستطعما البقاء على الشجرة أكثر من هذا . ولحاسة ففر قلبه من الفرح .  
ورأى النيران قد التهمت كل الحشائش في منطقة الأعشاب تقريبا ، وأنها تكاد أن  
فصل إلى الشجرة التي يحتميان عليها . لاحظ أن تلك هي المنطقة الوحيدة الحالية  
من النيران ، وإن كان مازال يتصاعد منها دخان في أماكن متفرقة ، وما زالت  
الرياح تحمل إليها بعضها من أوراق الأغصان المحترقة فتساقط في أماكن كثيرة .

كان هذا هو المخرج إذاً ، ولكن كان عليه أولا أن يعترق مسافة قصيرة  
من النيران ، كما كان عليه أن يهبط من الشجرة في وسط الدخان الكثيف المتصاعد  
من احتراق الأعشاب الجافة . وفيما عدا هذا لم يكن هنالك مخرج . تردد  
برهات وهو يتأمل المسألة النيران تتصاعد إليهما ، ويستمع إلى صوت الوحش الأصفر  
يزجر وهو ينتهم كل ما يصدغه بشراسة . وتزايدت سحب الدخان كثافة وازداد  
قتض مضوبة . نظر إلى الذئب المستجى إلى جانبه وقد تدلى لسانه ، وأسلم نفسه  
لفترت . أوقف التعكير في النيران والدخان ، وتنافس عينيها الدامعتين ، وحلقه

أخاف ، ومد يديه إلى الدواب ياتقطه كأنه طفل رضيع ، وصمته إلى صدره ، يحمي  
شعره من النيران ، وبدأ يمشي على أعلى الشجرة إلى الاتون الملتب في الأعماق .

لم يكن من اليسير عليه أن يبط وهو يحمل الدث ، ومع هذا لم يحترق في  
بأله مرة أن يتحلى عنه تصاعدت درجة الحرارة ، وسافط الفرق من كل  
جهد في جسده ، والدأب ، ثم حقفته النار في التو ، وزدادت كثافة الدخان  
حتى أن الشاب ما كان يكاد أن يرى ، زلات قدمه أكثر من مرة ، لكنه لم يكن  
يرسخي قبضته من فرع الا حينا يتأكد من موطنه قدميه ، وأمتدت ألسنة النيران  
تفتح جسده ، واستحال التنفس تماما ، كما استعالت الرقيا فاصططت إلى اغلاق عينييه  
المتفتين ، احترق جده في أماكن متفرقة من جسده وشعر بقيض من الآلام ،  
ومع هذا فقد استمر في الميوط باصرار .

أحيرا لمست قدماء الأرض لم يتوقف لحظة ، وانما اندفع محترقا النيران  
صوب الاحراش المحترقة ، وشعر بسوام الألم في قدميه فتجه مباشرة إلى رأسه  
لكنه كان قد قدر هذا ، واستعد له نفسيا ، وأد كان الألم قد فاق كل تصور ،  
لم يتوقف الشاب من العدو نحو وسط الاغشاب بعيدا عن الغاية الملتبة ،  
والدخان الكثيف ، فقد كانت حاجته الأولى إلى الهواء النقي في توايد مستمر .  
وحملت حدة الدخان قليلا ، لكنه كان ما يزال لا يستطيع التنفس حتى يشبه حريقه  
وتعثرت قدماء المحترقتان أكثر من مرة ، وكاد أن يسقط هو وصاحبه على الأرض ،  
لكنه كان يتألك نفسه ، ويستمر في عدوه . أحيرا علم أنه لا بد له من  
التنفس وأنه ان يستطيع الاستمرار في عدوه بغير هواء ، فتوقف عن السير وقد  
بدأ يسلم أمره للموت ، فتح فيه ليلا رثية بالدخان هباء يفتق ، لكنه دهش  
إذ لاحظ أن الهواء النقي قليلا ما ظن ، ولم اضططع الدخان إلى السعال بشده ،  
ولكنه كان مختلطا بالهواء على كل حال ، عارده الأمل ، فتجامل على نفسه  
واندفع متوغلا بعيدا عن النيران غير عابء بالآلام التي يعانها في قدميه ،  
وجده المحترق ، ولا بنفسه المنقطع ، وصدره الذي يكاد أن ينفجر . ولاحظ

أه كلما ازداد توغلا كلما جمعت حدة الدخان حتى وصل إلى مكان كان الدخان  
عليه أقل ما يكون فتوقف عن العدو ، وراح يلتقط أبعسه اللاهثة المتلاحقة

لأول مرة لاحظ أن الذئب لا يتحرك بين يديه ، نظر إليه فإذا به يديه  
معلقتين ، وإذا باطرافه قد تراحت ، بينما راحت أفعاله تتوالى في تقطيع غير  
منتظم . كان قد عمى عليه مد مدة طويلة ، واستقرت بضعة أجراه في جسده ،  
فكان مع شدة ليتهجن ما مر به من أهوال . راح الشاب يقتنع بقايا  
الأشجار المحترقة من الأرض ، غير عابئ بيديه ، حتى أصبح مكانا لا أثر فيه  
لغيره وضع عليه جسد رفيعه . استمر يعمل في سرته حتى أبعد كل أثر  
لجسمه في رقعة مسيجة مسددا ، ثم تحاول على مسه وجلس على الأرض إلى  
جواره .

كان كل جسمه يتألم من الحروق التي ألمت به ، لكن أكثرها كان في  
صدره الذي احترقنا وتساقط جسمها ، فقد كان الألم الصادر منها يأتي في  
موجات متتالية متلاحقة تفتى كل منها عند اذيه ، ورأسه . لم يكن في  
مستطاعته أن يفعل شيئا يخفف به من حدته ، فندرجه حتى لا تلسان الأرض  
ومضى ين كلما ازداد عليه الألم .

فلقت حوله في حيرة كأنما لم يحدث عن أي شيء . يمكنه أن يخفف من حدة  
ألمه . لكنه لم ير سوى رماد الأعشاب ، وجثث بعض الحيوانات المحترقة .  
ولجأ للاحظ شيئا بحث فيه أملا جديدا . كانت الغاية الأولى قد احترقت  
تماما ، ولم يبق منها سوى هياكل بعض أشجار محترقة يتساعد الدخان من  
فمها متفرقة فيها ، وفقر السنة من الفار بين الغنية والفقيرة . كان منظر  
تحت موحشا أسود ، لا أثر فيها لغصن أو أوراق ، حتى الأفرع الكبيرة  
من الكثير من الأشجار قد جردت منها ، أو من معظمها . كانت تصل إلى اذيه ،  
عبر زحمة البيران ، صوت فرع يتكسر ، ويموى على الأرض ، لكن الذي  
يجع صدر الشاب هو ما لاحظته من أن الرياح كانت ما تزال تملئ شدة تدفع

البقية الساقية من الدخان أمامها ، وأنها تركت الجمر يسكاد أن يسكون صحوا ، والهواء نقيا .

تخبر الشاب في المسكن الذي بدأت فيه الطيران وأيقن . أنه ليس بعيدا وإلا ما كانت الطيران قد حصد أوارها في هذه العاية بشئ هذه السرعة إذ أن الدمار لم يكن قد ولم بعد . ودمش إذ تذكر أن كل هذه لاهوال قد حدثت في نهار أو بعض نهار ، بينما كان شعوره أنه قد مصت أزمنة طويلة منذ أن أخرجته أبات الذهب ، وتوسلاته من وكرها . نلتعت إلى الناحية الأخرى من العاية ، وشهد منظرا أن يدساء طول حياته . كانت العاية برمتها اتوما يقنى قندلع فيه الطيران ، وكانت السنة الذهب تتناول إلى ما فوق أعالي الأشجار في حين كانت سحب أدهان تتعالى سوداء قائمة إلى عنان السماء . وبالرغم من أن الرياح كانت تقوى في الاتجاه المصاد إلا أن صوت زجاجة النيران ، وهي تلتهم كل ما يصادف طريقها ، كان يصل واصحا إلى أذنيه تتخلله أصوات الأفرع ، والأشجار وهي تسقط في الآتون أثروح صحبة شراها الوحش الأصفر الذي لا تملى له معدة . ولجاء تزايد الآلام عليه حتى لم يعد يطيقه . شعر بالذنب تدور حوله ، وتراقصت أمام عينه ألوان دجاجة احتجمت بالأسود . ولم يعد يشعر بشئ .

أفاق من غيبوبته وقد دار اليرم دورة كاملة ، أو يكاد ، شعر في اللحظة الأولى من صحوته بحلقه يلتهم ، ويلسأه قد جف ، فتعلم في رقبته والنفت إلى صاحبه . كان الذهب قد أفاق ، ولعله كان أحسن حالا من الشاب إذ لم تسكن به حروق قد ذكر ، لكنه كان يلتهم من شدة الظما ، والجوع . كان يدور في مكانه حوفا من أن يتخطى المساحة التي جردها صاحبه من الأعشاب الملتمة . ولما رآه يستدل في جلسته ، قهر إليه فرحا وقد سبق للحظات ما به من آلام الظما ، والجوع ، وصدرت منه أصوات كلها حب ، وفرح بأن صاحبه لم يموت .

عادت الشباب الآلام في قدميه ، لكنها كانت أخف قليلا ، ولم يحاول أن يقيم إذ كان يشعر انه لو فعل لعادته الآلام فوراً بشدة . فلفت حوله ولاحظ أن العاية كانت ما تزال تحترق ، وإن تمكن الناس قد بعدت عن حافة الأحشاب ، إلى درجة كبيرة . رأى جثث الميراثات المحترقة متناثرة في كل مكان في الأحراش ، بعضها متعمم تماماً ، وبعضها الآخر مات محتقناً ، ولم تلبس البيران الاقبيلا . وعن شدة جوعه هو وصاحبه ، وعلمتها ، عافت نفسه أن يمد يده إلى أقرب الجثث إليه إذ كانت متفحمة تماماً . انظر على بعد إلى جثة غزال لم تتعمم ، بل ولم تدمسها النار إلا في أجزاء صغيرة ، وبدأ يربح أنرماد من الطريق إليها زاحوا على يديه ، وركبته . وتبعه الطيب متعجباً بما يفعل ، اسكن ثمنه في صاحبه كانت لاجدود لها . وأخيراً ، بعد لآلى ، وصل الاثنان إلى جثة الغزال ، انفضض عنها الذئب ينهش في اللحم بلا هوادة . في حين تناول الشاب الباب السيفى الذى كان ما يزال عاقفاً بالسير الجلدى حول وسطه ، وارتعشت يده وهو يمزق أحشاء الغزال وامتدت اليد لتقطع السكيد إلى فتلتين . القى باحدهما إلى الذئب ، ومضى ينتهم لأخرى . ولما فرغ من حركته أحل يدهى بعض الأجزاء .

أنتبهما الغذاء ، ورواهما سبيها . لكنه ما كان يعنى من الماء . راودت شباب الآلام في قدميه ، لكنه لاحظ أنها تركزت في مناطق أصيق من الأول . فمدت إليهما يتفحصهما . فرأى أن أجزاء كانت قد لامست الرماد فغطاها ، وأنها هى التى نحتت آلامها إلى حد بعيد . ولم يكن حركته ما هو أكثر من إرماد ، ونقايا الأحشاب المحترقة ، فد يده يأخذها ويعطى بها حروق قدميه وجسده . لم يفته الاثم لكنه حب إلى درجة مكنته من أن يقتوى بتسكيره إلى ناحية أخرى . كان وصاحبه في حاجة قصوى إلى الماء ، صحيح أنهما اذ طعما أحشاء الغزال قد يستطيعان الصبر يوماً آخر ، بل أن في مكنتهما الاستمرار على الأكل من الحيوانات الماتة لمدة لكن هذا لن يغنيهما عن الماء .

ثم أنه لاحظ أن بعض العقبان ، وقد بدأت التيران حول المنطقة تجمع ، كما انتهى أثر الدخان ، راحت تملأ في السماء . بل أن منها ما كان قد سقط فهدأ على بعض الجثث يهش فيها ، وحاق بعضها فوق رأسيهما مباشرة ودهش إذ رأى وهو ينظر إلى السماء أن أرياح دومت السحب بعيداً وانتابته غيبة أمل شديدة إذ ضاع آخر أمل له في المياه .

أما قدميه وعدم استطاعته السير يذير أن يمر من مصه لآلام لا يطيقه . ومع هذا فقد كان يعلم أن عليه أن ينقذ من مكانه بحثاً عن المياه سريعاً . لقد قطعت السماء الصافية فرقة بأن الماء في أديمه سرعان ، وهو في حاجة من ناحية أخرى إليه فيس أن يموت ، ورفيقه عطشا . لم تكن ثمة متدحرجة أمامه من الحركة بحثاً عن الماء . فسكر في أن يزحف على يديه ، وركبته كما فعل حينما توجه إلى جثة انغزال ، لكنه سرعان ما صرح هذا التوسكرو سائماً إذ أدرك أنه لن يتمكن الانتقال إلى أي مدى على هذا النحو . واتجه تمسك به إلى الرماد الناعم . أبقى أنه لو أمكنه وضع كمية تحت قدميه لأمكنه أن يستعمل السير ، ويظهر في باله ضاطر ابتداء في تنفيذه فوراً . ورافقه الذئب في تعجب وهو يقطع قطعتين كبيرتين من جلد الغزال . وزاد عجزه حينما شاهد رفيقه يجمع كميات كبيرة من الرماد في الجلد ثم يضع قدميه فيها ، الواحد فوق الأخرى ، ويلفهما أماماً حولهما . وما درى الاثنان أن هذه كانت الخطوة الأولى نحو صناعة الخذاء .

جمع الشاب شجاعته . ووقف على قدميه مترقماً أن يصرخ من شدة الآلام . لكنه لم يفعل . لقد آلمته قدماء ، لكن ليس إلى الدرجة التي كان يعتقد ، وبدأ في السير جاعداً قدر استطاعته أن يلمس الأرض بأصغر جزء من قدمه ، والا يحسها إلا بالمواضع الأقصأ . شعر في مبدأ الأمر بضيق لهذا الرباط الذي يلتف حول قدميه . والذي لم يألفه ، ولكنه أدرك أنه ليس أمامه سوى هذا إذا كان يريد السير .

رآه الذئب يسعى على بقايا عظام حيوان معهم أكلته العقبان لينتقى عظمة

تصلح تماماً كبراًوة وثقانة ، وعجب الذئب اذ رآه يتوكأ في صيره على العظمة  
 المصممة لسكن بالرغم من الحذاء وما يحويه من رماذ ، وبالرغم من العظمة الضخمة  
 التي كان الشاب يتوكأ عليها ، فإنه كان يشعر بالألم في كل جزء من جسمه .  
 كانت كل حركة تزيد من آلامه . لكنه كان يعلم أن عليه أن يتحرك إن كان  
 يريد الحياة . وزادت حروق النار المختلفة في أجزاء جسده من شعوره بالحرارة .  
 وزاد معها شعوره بالمغش . لأم يكن لديه أي خيار . كان عليه أن يتحرك .  
 أيا كانت الآلام . وانتهت إلى الذئب وبدأ السير المغش .

اتجه ، لا تفان إلى العاية . إلى الاشجار التي لم تحترق إلى حيث ذهب  
 الرياح . بحث عن المياه .



## الفصل الثالث

### تسكن الكهوف الاوائل

مضت بضعة أيام منذ ذهب الإنسان يبحث في الغابة عن المياه . وكان الحال قد تغير تماما . فالذئب قد استرد نشاطه ، وقوقه . حتى وجده العرجاء كان ماء قد زال أو كاد . أما الأشاب فقد ألأت به حتى شديدة أخذت جسده المهزوك ، وجعلته قميذا لا يكاد يستطيع الحراك . كانوا قد عثرا على جدول تجري مياهه صافية ، ولعلهم السحرة أنهما ما أن عثرا عليه بعد أن كاد الظمأ أن يفتك بهما ، حتى تساقطت الأمطار من السماء في سيل منجر .

ظلا بشران حتى ارتويا . ولم يذكر الشاب أنه ذاق الد من طعم المياه ل فـ ، ولا أنه شعر بالحساس أجهل من البرودة التي انسابت في حلقه ترطبه . انتاب الشاب نشاط مؤقت ، مالبت أن زال وحل محله هبوط كامل . وتصيب جسده عرقا . ونظر حواه قرأ أشجارا قريبة على حافة الجدول تماما ، فاستنى إحداها وارتقاها حتى وصل إلى فرع آمن ، بعيدا عن الارض ، وراح في سبات عميق .

لم يدرك من الوقت مضى عليه وهو يائم . لكنه شعر بضيق شديد حينها استيقظ . وأحس بالآلام في قدميه تزايد ، فدبده إلى جلد الغزال ينزعه منها . ونفأ له سببا بمجرد أن فعل هذا ولأمن التقسيم الرطب حروقه . لكنه كان يشعر أيضا بالحرارة لأكل في جسده وتغشى بصره . وسمع عواء الذئب في أسفل الشجرة ، فنظر إليه . وراه وقد جرحته عنزير صغير وصعها عند الجذع تماما . ووقف يرسل نداءه إلى صاحبه . حاول الشاب الهبوط ، ولكنه أرسل صرخة مروعة لحظة أن لمست قدمه فرع الشجرة تحته ، وكاد أن يسقط من حلق

لولا أنه ثبت بالفرع الأعلى . وعليه هذا الدرس أن يحدّر في وضع موطنه  
قصيه ، فبكت برهة وهو يابث حتى زال عنه بعض الألم ، ثم استمر في  
هبوطه البطيء .

أخيراً وصل إلى الأرض بعد لآلئ ، وجلس متهاكك مستنداً إلى جذع  
الشجرة . نظر إليه الذئب محاولاً أن يفهم لماذا لم يبدأ صاحبه في تناول  
لحماهم الشهي الذي أحضره له . وقد الشاب يده إلى الجذع يقتطع منها ، لكنه  
سدا من أن يأكل ما اقتطع ، رأى نومه يعاف اللحم ، فنأى عنه وأقواء . واشغل  
الذئب في إعمال عياليه ، وأسنانة ، فلم يلاحظ أن صاحبه قد استند إلى الشجرة وترك  
العداء لم يقربه . وتعمد الشاب على نفسه إلى أشجار فاكهة قريبة يمتطع ثمارها ،  
يشبع بها بعض الجرح الذي أحس به . ثم انحى على الجذع ينهل من الماء يروى  
به جسده المحموم . وتابته حين الذئب في شقاق وحيد . رأى صاحبه صميماً  
متفلاً في سيره ، فتوقف عن أكله برقه ، ويتحسس الروائح حشية أنقواب عدو .  
حس الشاب معه بعض الثمار ، وعاد إلى شجرته لمصله وبدأ يرتقيها بصهوبة  
حتر وصل إلى الفرع الذي حتره لسكناه ، فألقى بها ثمار جائنا ومهاكك وانما .

• • •

استمرت الحياة تسير على وتيرة واحدة لأيام عديدة ، لم تعمل فيها هيذ الذئب  
على مراقبة صاحبه . كم من مرة أنذره من عدو يقترب ، أو هاجم حيواناً  
يتخصص ، ليعطيه فرصة الاحتماء بأعلى الشجرة . وأخيراً زالت حدة لحم ، وبدأ  
الذئب يسترد صحته ونشاطه ببطء . التأمت الحروق في جسده ، وقصيه ، وراح  
يجرّك الذئب في اللثم لحم ما قد يصيده الأخير . وجاء يوم استيقظ فيه الشاب  
نوم ما يكون نشاطاً وقوة ، وقد زابته آخر آثار ذلك اليوم المشثوم . لكنه  
لم يكن مشثوماً على الإطلاق . فقد تعلم منه أن النار سلاح غيظ ، وأن اللحم  
يحترق النار بفير أن يفهم كان له طعم مستساغ . وتعلم أن جلد الحيوان قد  
يصع في وقاء القدم إذا ما أصيبت .

كان في مرصه قد أنتم صنع حربة بدلاً من التي فقدوها . أراد أن يصنع

أدوات أخرى ، لكنه رأى عدم فائدتها ، إذ لو اتفهما فل يجد المكان ، الذي يضعها فيه . وقاده هذا إلى التمسك إلى وجوب أن يكون له ، رفيقه ، مأوى يحميها . ويجب أن يبعثها فيه ليدفعها عنه ضد كل معتد . أيا كان وسط من الشجرة مخفية ليلته الذهب فروعها ، مديها إذ أحس بأن صاحبه قد عاد مسيرته الأولى .

أعمل الشاب فكره في الاتجاه الذي يجب أن يأخذه بحثا عن مأوى لم يستبعد الاتجاه إلى الغابة المخوفة ، واتحد بعزمه إتجاهها معا كما الذي عثر فيه عليهم الرعب . كما يريد أن يضع أكبر مسافة بينه وبين قلبك لوحوش الحبيشة التي يشع من هيبها حب الدماء ، وشهوة القتل . كان معنى هذا أن يأخذ طريق الجدول ، وإن كان يعلم أن الحيوانات حممها قرد الماء ، وأن هذا الطريق سوف يكون أكثر الطرق إردسا «لوحوش» . استقر رأيه على هذا قيدا في مسيرته . وما علم أنه بدأ أول هجرة متعمده يهرم بها لإنسان بحثا عن مأوى أمين بقية حياة الاستقرار .

سار الشاب ومع الذهب بمحاذاة الجدول . ومرت الأيام متبالية ، والآن ، دالان على التنفس . دتما في الاتجاه نفسه نحو الشمال . وبدأت المظلمة طر تتغير شيئا فشيئا بشكل لم يلحظه الشاب في مبدأ الأمر . بدأ المناخ يميل إلى البرودة . واعتاد الشاب أن يحتفظ بمخند بعض الحيوانات التي كانا يصيدانها جريا وراء الطعام . ولما شعر ببرودة الجرد ليلا . كان ينام عليها ، أو يلتحف بها . وبدأ الجريداد برودة حتى في الصباح . وأب الشاب صدره وغطه يحمص الجلود . كان يمتدحها في بعضها حتى لا تقع منه ، ولا تعوق حركته . وتغيرت طبيعة الأرض ببطء . وكثرت الحجارة الصغيرة حتى اضطرت إلى أن يفتق موطئ قدمه .

وجاء ذلك اليوم الذي بدأ فيه الشاب يعطى إلى حقيقة نفسه . وإلى أنه خلق بغاير ما عدها دائما . كان الوقت ليلا . وكان القمر قدرا يرسل ضوءه بين

أغصان الأشجار . وسار الشاب والدب بشية إقناص فريسة . شاهد غزالا ،  
ورثما فتيماهما . وأحس الغزال ، والزئيم بالمطاردة فأطبقا لسيقتهما العسا .  
اندفع الرقيقان وراءهم في سرعة خاطفة ، لكن الطريدتين كانتا أسرع منهما  
كثيرا فابتعدا عنهما حتى كادا أن يفقداه أثرهما . ووجداه شاهد الاثنان أشباحا  
تسقط من الأشجار لتقع على الطريدتين . وتوقف الشاب عن العدو ، ثم أرسل  
صوتنا جدما أعاد الذئب إلى جابه . وتخصص الاثنان السير في هذه وحده  
شديدين ، حتى بدأت تصل إلى أذانهما أصوات نمتات ، وهممة احتسا  
الاثنان خلف شجرة صخمة . وراحا يرقبان في هدوء وصمت .

نظر الشاب في تعجب وفصول ، رأى أشباحا بداية في البنية . لم يتبين  
أشكالها تماما حتى يعرف ما إذا كانت تشابه حلقه . صر في هذا الامر  
جمدة من الفردة . لكنه عاد فاستبعد هذه الظن اد لم يشاهد مطلقا فردة تبحم  
غزالا ، كما لم يرها تأكل اللحم . اشتد الفضول بالشاب ، فأشرف إلى الذئب  
أن يقف حيث هو . ثم صعد الشجرة في حفة حتى إنفق مكانا يمكنه منه أن يرى  
ولا يرى ، وراح يرقب . أبصر جماعة تجاوز العشرة عدا . كانوا جميعا من  
الذكور ، يمشون فيما بينهم قمتهم هي أقرب إلى أصوات الفردة ، وإن لم تدأبها  
صحا . ولاحظ الشاب أن القريبتين ماقاآن على الأرض ، وأنها قد قفلتا  
حربا بالهراوات . وانقسمت الجماعة إلى فئتين من بعض أعضائها الفريسة بينما  
امتشق المسافرون الهراوات ، وبدأوا في السير نحو الشرق في نظام متعمد  
بحيث يكون الأربعة حاملو الفريستين وسط الباقيين حاملو الهراوات . وتردد  
الشاب فيما يعمل . ان الاتجاه الذي أحذره يعاير تماما اتجاه الجدول الذي كان  
يسير بمحاذاة ، فهو يعير اتجاهه ويقتضي أثر الجماعة ؟ ، استند به الفضول اذ  
رأى أنهم كانوا شديدي الشبه بعائلته التي قضى فيها ذلك أعرب . وأخيرا  
استقر به الامر على اقتفاء أثرهم . وما عيه بعد أن يشجع فصوله سوى أن يعود  
أدراجه ليتابع سيره في الاتجاه الذي اختاره لنفسه .

هبط الشجرة بهدوء وألقى الذئب بنظرة : فداعب رأسه بيده ، ثم سار

لأنهم في أثر الجماعة . وحظر في بانه أن يظهر نفسه ، وأن يطالب بالانضمام  
 إلى جماعتهم . لكن محاوراته السابقة مع القردة ، وحياته في الغاية ، جعلته  
 شديد الحذر ففضل أن ينتظر قبل أن يتحدوا . ودام التعقب ساعات حتى  
 طلع ضوء النهار ، ومع هذا لم تتوقف الجماعة عن السير ، ويمكن الشباب من  
 أن يرى أشكالهم بوضوح ، وأن يميز تفاصيل وجوههم وأجسامهم .

لاحظ أن ذراعاتهم أطول من ذراعيه . كانوا في ذلك أقرب إلى القردة  
 فتدلى أذرعتهم إلى ما تحت الركبة . وكان سيرهم متثاقلا كما يمشون بكمال ،  
 لكنهم لم يستعملوا أيديهم في السير . وذكرته هيئة القردة  
 في انحدار الجسم إلى الخلف ، وضيق العيدين ، وكثافة الحواجب ، وسعة الفم  
 وخطم الأنف . مع هذا فقد كان الاختلاف واضحا في التفاصيل . كانت  
 الشعر يكسو الكثير من أجسامهم ، لكنه شعر من نوع مختلف ، كما لم يكن  
 يكسو كل الجسم . بل أن أجسامهم من كان حفيف الشعر يقارب الشباب في هذا .  
 ولم تكن وجوههم متشابهة كوجوه القردة وإنما كان النسيج في تفاصيل الوجه  
 أكثر . لم يكونوا متساوين في سعة الفم ، ولا صيق الجبهة . وربما تفاوتوا سعة  
 وحسبها . ولدت نظر الشباب على لأحسن أيديهم إذ كانت في هيئة تشبه إلى  
 حد كبير يديه . وكان استعمالهم للأجسام يقارب جدا استعماله . لكن حركته  
 كانت ثقيلة نتيجة لعضلة اليد نفسها . كانوا أقصر منه قاما ، وأقل استواء  
 وأكثر انحناء في المشية . لكنهم كانوا أقوى منية . وأحرص عند السكينة .  
 كما كان لون جلودهم أقرب إلى البياض من جلده (١) .

لكن الشاب كان يرى كل هذه العوارق دون أن يدرك مغزاها . بل لماها  
 كانت تذكره بقومه إذ لم يكونوا يحتنون كثيرا عن هؤلاء . كان يعلم أنه كان  
 هو الشاذ بينهم . أو على الأقل أنه كان يفايرهم في بعض الصفات الجسمانية .  
 لكنه ، وهو يعيش معهم كان قد اعتاد عليهم كما اعتادوا عليه . ولم يدرك أنه

كان طهره من الطبيعة في تلورها نحو السكال . حتى في أفعاله وتصرفاته ، كان قومه يرون فيه بعض الغرابة . كان مثلاً يفضل دائماً أن يستعمل أدوات بدلا من القوة المجردة ، وكان يصعب إشاراته . أما إذا ما أراد التعمام ، ببعض التنبؤات المتعمدة من بعضها في كل موقف ، على التقيض من قومه الذين كانوا لا يعرفون سوى الإشارات ، والصيحة ، وقليلا ما كانت تخرج بعض احتجرات من أفواههم في مناسبات غضب ، أو رعب ، أو استسلام ، أو أنات توجع من آلام .

استمرت الجماعة في السير يتبعهم الشرب والذئب . ولاحظ الشاب أن الأرض قد ميرت طبيعتها تماما عما كان يأله ، فكثير ظهور الاحجار ، وقلت الاشجار ، وتبدلت الثمار . بمرحت قدماء من السير على الحجارة والحصى . فلم تكونوا قد اعتادوا عليها ، وإنما كان سيره دائما على أرض الغابات الطبيعية الجميلة . وجاء وقت اضطر فيه أن يختبئ وراء الصخور ، بدلا من الاشجار ، نظرا لتساعده الأخيرة ساعدا يكشفه للعيان إذا ما اكتفى بالاحتباء خلفها . لاح أمامه على بعد تر من الصخور والرمال ، ولم يكن قد شاهد في حياته شيئا يشبه طار فسكره فيما يكون هذا . رأى الجماعة تتجه إليه بعمود تردد ، فأشار إلى الذئب ، التروعب والإنتظار حيث هو ، وغرس رعبه في الأرض إلى جانبه في حين استأوب أتبعه لهم . واستمر السير لأكثر من ساعة . ولاح أن المرتفع لم يقترب كثيرا عن ذي قبل . ودهش الشاب إذ كان يتصور أن التل قريب فيحتاج الوصول إليه كل هذا الزمن . وخيل إليه أن ارتفاعه يزداد كلما قرب منه حتى كاد أن يطاول السماء .

ولجأة دوى في الوادي صوت لم يشك الفتى أنه صيحة تحذير وإنذار . وسعت حوله ليرى مصدرها ، لسكته لم يعطه الفرصة للتحقق إذ رأى الجماعة كلها تتوقف عن المسير ثم تلتفت خلفها . ولحق بعض الرجال ، فخرجت منهم أصوات أجسه ، وصيحات غضب ، وتهديد . اعتقد الشاب أن الفرصة قد سمحت ليظهر أنه ليس عدوا ، وأنه يسالم من جنسهم يريد الانضمام إليهم ، فظهر نفسه كاملا ، ووقف منتصب القامة ، رافعا يديه إلى أعلى . لكن أربعة

رجال انفصلوا عن بقية الركب وانجسوا هدوا إلى ناحية . لم يكن هنالك شك في نواياهم العدوانية ، فقد ملأت صيحاتهم الجو بالتحدي والانتصار .

تردد الشاب لحظات فيما يفعل . حطر في باله أن يقف ليقا تلهم ، لكنه أيقن بأنهم سوف يقتلونه بهراواتهم الضخمة لا محالة . وتساءلت المسافة بينهم وبينه حتى أصبحت أقل من ثلاثين مترا . وشاة استدار إلى ناحية الغاية ، وأطلق لسانه العنان . عند اللحظة الأولى ظهرت ميزاتة الجسمانية ، فكان لرشاقة جسده ، وطول ساقيه أثر واضح في سرعة حركته وسهولتها . ولاحظ خصوصا أنه المسافة بينهم وبينه تزداد اتساعا على مر الدقائق فتوقفت اثنان منهم ، وانفصلوا بعض الحجارة وراحوا يتقدمونه بها . وتساقت الأحجار من حوله . بل وأصابه بعضها ، لكنها كانت أصا مات في أماكن لا أثر جدى لها . وبعد برفة وجيزة كانت الحجارة تتساقط حوله لا سكا أن قبله .

وترقب قادمها الحجارة حينا رايأ أنه لا فائدة مما يفعلان ، ثم استدارا قافلين نحو باقي الجماعة ، وتركا المطاردة الرجس الأخرين . وبالرغم من أنه كان من الواضح أن المسافة بين المطاردين ، وطريدتهما تزداد اتساعا وأنه لا أمل لهما ألبته في اللحاق به ، إلا أنهما استمرا في المطاردة بعزم وتصميم . وكاد الشاب أن يسمع الغاية إذ لم يبق بينه وبينها سوى بضعة عشرات من الأمتار فالتفت وراءه ليرى المسافة بينه وبين مطادريه فلاحظ أنهم قد أصبحا بعيدين تماما عنه ، وأنه أصبح أركاد . في مأمن من أن يلحقا به وندت منه تنيدة راحة ، لكنه في هذه اللحظة تضر في إحدى الأحجار فوق على الأرض . ووصل إلى سمعه صيحات طفر أطلقها المطاردان ، فمضى وقفا ليستمر في عدوه . لكنه أوشك أن يقع ثاية إذ شعر بالهم حاد في كاحله الأيمن ، فراح يصرخ مبرولا نحو الغاية وهو يكاد يصرخ ألما في كل خطوة يخطوها .

لاحظ المطاردان الحالة التي عليها غريمهما فصاعما من سرعتهما ، وقد أيقنا أنه سوف يكون غيمة سملة . بدأت المسافة تقضاء بسرعة حتى أصبحت لا تعدو بضعة خطوات ، تمكن الشاب كان قد دخل المابة فعلا فواجه غريمه مستندا بظهره إلى جذع شجرة ضخمة ، وأخرج من مطلقته ناف الخمر السيف ، واستعد لخلافتها لم يتوقع المطاردان ، وأما رماها هراواتهما وأندفعا بكل قوتها نحو ،



وقد وثقا من من النتيجة . وفجأة اندفع من وراء الشجرة جسد ضخم ليعرق في الهواء عروق السم ، ويصدم بأحد الرجلين ويلقيه أرضا . طارت الهراوة من يد الرجل . وصرخ صرخة رعب وألم حينما انفجرت آليات حادة في عنقه ، بينما راحت المخالب تمزق جسده .

توقف الرجل الثاني عن الهجوم على الشاب . واندفع نحو المتصارعين على الأرض محاولا إنقاذ صاحبه من براثن الذئب الجاثم عليه . وكادت الهراوة الضخمة أن تهبط على رأس الذئب إلا أنه شعر كأنما دخل قضيب من نار أحرق كفه ، شل حركة ذراعه تماما حتى أن الهراوة أصبحت حملا ثقيلًا بين يديه وسقطت على الأرض .

استدار ليواجه مهاجمه والدماء تنزف بفرارة من جرحه . في حين صعب الشاب الخنجر وواجه به . وامتدت يد الرجل الأخرى لتقبض على راسع الشاب بقوة تمنعه من تسديد طعنة أخرى . وجاهد الاثنان . ولكن الشاب لم يكن بدا للرجل بالرغم من أصابته ، كما أن قدمه كانت تؤله في حركته ، وتعوق من خلفه . وبدأ صراع بين الاثنين استعملت فيه الأيدي والأرجل ، والأسنان . وسقط الخنجر من يد الشاب بينما قبض الرجل على رقبته وبدأ يشدد الضغط عليها وقد بدت الوحشية . وشهوة القتل تظهران بوضوح في عينيهِ الغنيةتين .

حاول الشاب أن يتخلص من القبضة الحديدية ، وأن يبعد اليدين التي كانتا تضمان عنه الهواء ، ولكنه لم يفلح . فترك محاولته ، وسدد قبضته إلى الوجه القبيح أمامه . وزبحر الرجل سالت الدماء من الأنف اللافطس . ولكن اليدين الحديديتين لم تقواخيا عن عنقه . واحتمر الشاب بضرب بمخون في الوجه ، والجسد أمامه دون جدوى في حين ازداد الضغط على رقبته يمنع عنه التنفس . وابتدأت الدنيا تمسود في عينيهِ . وضعفت ضرباته ، كما شعر بأن ساقيه لم تعودا حويان على حله .

وهجأة مدت عن الرجل صيحة ألم ، وتخلت اليدين عن الرقبة فاندفع الهواء في الرئتين اللتين كانتا تكادان أن تنفجران . رأى الشاب الرجل وقد وقع على الأرض يتلوى من الألم ، وهو يحاول أن يتخلص من يديه من بين ألياب الذئب . وطرح نفسه فوقه وراح يكيّل له الهزات ، في وجهه ، وكل ماصادفه من أجزاء

جسده . استمرت المعركة غير المتكافئة لحظات محدث بعدها حركة الجسد المسجى على الأرض . ولم يدع الدئب الساق إلا حينما وضع صاحبه يده على رأسه ينبيه إلى انتهاء المعركة .

جالس الشاب على الأرض مستنداً إلى ص جذع الشجرة يستنفض أنفاسه الضائقة وراح ينظر إلى آثار المعركة ، كان منظر الرجل الأول شاماً فقد خرجت قصبته الموائية وتفرق جسده ، ووجهه من آثار رائن الدئب ، وأقاييه . كان من الواضح أنه فارق الحياة تماماً . ولم يكن منظر الثاني بأحسن من الأول . فقد كانت اللداه تسكسو وجهه من أثر الصدمات التي كادها له الشاب ، كما كانت تسيل برارة من بين ككته وساقيه . لكن الحياة لم تكن قد فارقت .

عادت أنفاس الشاب إلى طبيعتها ، وبدأ يشعر بجوع شديد . وأطلع إليه الدئب ، وفهم أنه يدعو إلى الوليمة . وأنه يشعر مثله بالجوع إذ لم يكرهنا قد ندوق طعامه إلا أكثر من يوم . واتجه الدئب إلى الرجل الميت وبدأ ينش في جسده . وهو يتطلع إلى الشاب بين الميعة والأحرى ، ولكن لا حير لم يشعر بميل نحو مشاركة رفيقه الطعام ، بل لعله شعر بغضاضة يسيرة ، وهو يرى الدئب يلتمهم أحد أسماء جنسه . وفطاع حول له يبحث عن بعض آثار حتى لمح بعضها فوقه واتجه إليها . أحسن لحظة وفوقه « لالام في كاحله . لكنه كان أحب من ذي قبل . ودهش الدئب لإدشاهد صاحبه يعاف أكل اللحم الطيب وبدأ كل آثار ، لكنه لم يشعل باله كثيراً بهذا ، واستمر في وجهه الشبية بلا توقف .

سار الشاب إلى حافة الدابة وراح يمد بصره إلى الأفاق البعيد حيث المرتعات . لم تلتقط عينه بأى الزهد الذين كانوا متجهين إلى التل فلا يد أنهم قد بلغوه ، أو شافوا . وعادت ذاكرته إلى للصيحة التي نبتهم إلى وجوده فأدرك أنها لابد قد أتت من التل . فمد بصره تجاه السهل المبسط أمامه ، وراحت عيناه التافستان تبعثان عن مكان يمكن أن يكون مأوى لحولاء الناس ، أو أشباه الناس ، لكنه لم يتمكن من أن يتحقق من موضع معين بالذات نظراً لبعده المسافة وأن كان قد رأى ، أو خيل إليه أنه رأى ، أما كي فكنتها ظلال قاتمة ربما كانت فجرات في هذا التل .

عاد بعد برهة إلى حيث ترك الذئب ، ولاحظ أنه قد فرع من طعامه أو كاد . وسمع الشاب أنيما خافتا صادرا من الرجل الآخر ، فظفر إليه . واهتملت في بسة أحاسيس مختلفة . حيثما عاش ، لم يكن هناك مجال للرحمة ، أو الشفقة ، اعتاد أن يقتل أو يقتل ، ولا مكان للصيف بين الأحياء . كان يعلم ما يحدث . سوف يتركه ملقى على الأرض ، وبعد فترة قصيرة ستأق العقبان ، بل أنها تحقق الآن فعلا في انتظار ارتحالهما . ثم ستأق الضباع ، ولعلها الآن ليست بعيدة . ولم يكن بطبيعته يحب العقبان أو الضباع ، فهي جبانة لا تأكل سوى اللحم ، ولا تعيش إلا على نفايات الحيوانات ، والطيور الجارحة العظيمة مروح الذئب من طعامه . فالتجه إلى رفيقه الذي تناول حربته في صمت وبدأ الاثنان في المسير في الاتجاه الذي أتيا منه . والنعت الشاب خلفه فتشاهد العقبان تحط على مسافة يسيرة من الجثتين ، ورأى هين الرجل المسجى على الأرض . ثم يكن فيها خوف ، ولم يكن فيها رجاء ، وإنما كانتا مستقلتين الأمر الواقع . وتردد الشاب هنيئة ثم عاد أدراجه ، وطارت العقبان مبتعدة ، انحنى على الرجل ورفع من الأرض ، وألقاه على كتفه ، وسار به متوغلا في الغابة .

مضى ركب الثلاثة في السير ساعة أو تزيد . وازدادت كثافة الأشجار ، ولمح ثوب بضعة حيوانات تنسرب على مسافات قريبة ، كما تعالت صيحات القرود . وبدأ الشاب يشعر بالآلام حادة في قدمه ، فقد أضاف الحمل الجديد إليها مما لم تكن في حالة تستطيع احتماله كثيرا . وانهجه تفكيره إلى مكان يمكن أن يستقر فيه يوما ، أو أبدا ما حتى يتمكن من العناية بالرجل ، وبكاحله . وازدادت الآلام في قدمه حتى اضطر أن يصع حمله على الأرض . وحس إلى جوارحه مستندا إلى جذع شجرة ، ومضى بذلك قدمه .

سمع أصوات خافتة تصدر من الرجل المسجى ، فالتفت إليه وراح يفكر مع سيمعه به . كان الرجل في حالة سيئة جدا ، ولما كان الجرح السكين بين يديه قد توقف عن النزيف ، إلا أنه كان قد فقد كثيرا من الدماء ولم تمكن من الخروج قتل كآفة عن طعنة الخنجر ، خاصة آثار أنياب الذئب . وتلفت حوله بحثا عن مياه يمسح بها بجروح المصاب ، لكنه لم يجد ماء على مدى حصره . كان الثعب قد أخذ منه ، وتناثرت عيقاه ، ففسق الرجل المصاب إلى

جوارده ، واستلقى على ظهره ، وراح في صبات عميق ، يلبس ربهض الذئب قائما  
ببطنه المليء .

استيقظ الشاب بعد فترة على صوت أمات الرجل المتزايدة ، فنظر إليه ولا حظ  
أن العرق قد بدأ يضح على جسده بصورة واضحة ، وأنه كان يتمدد في غشيائه  
وأن كان أحدهم من أن يتحرك ، حركة كاهية . شعر بمرور أنه لابد له صاب  
من مياه تيس شفتيه وتمسح عرقه . احتمله على حكتته وسار به وهو يشكيه  
على حركته ، بحثا عن المياه ، حتى وجد عبيرا صافيا . انتهى أقرب شجرة آمنة  
منه ، ووضع الرجل على الأرض ، ثم ذهب يبحث عن أوراق شجر عريضة  
يحولها الماء . لم يمرض ، وأراد الذئب أن يتبعه ولكنه أشار إليه أن يقسم  
إلى جوار الرجل فعل ، وبعد بركة عاد الشاب إلى الذئب قد بدأ يتحسس  
الرجل بأنه . لقد ملأ أن رقيقته قد حمل الرجل كما حمل عشرات المرات قبل هذا  
بلحم بعض الحيوانات إلى صدادها ، إلى وقت بدأهم ما فيه الجوع فلا يحتاجان  
إلى السعي وراء فريسة ، ومن حسن الحظ أن الجوع لم يكن قد تمكن تماما  
من الذئب فلم يبدأ في نهش الجسد المسمى أمامه . وأبعد الشاب عن الجنة فرجع  
غضبا ، ولكنه تنحى ، ورفع الشاب الرجل ثم بدأ في ارتقاء الشجرة ليضعه  
على عصب آمن بعيد عن متناول الذئب ، والحيوانات العابرة . ثم عاد وهبط  
إلى الأرض ، وتناول أوراق الشجر العريضة وملاها ماء وعاد إلى الرجل يبلل  
شفتيه ، ويمسح وجهه وجسده المغموم .

علم الشاب أن الرجل لن يستطيع الحركة ، ولأن العناية بنفسه لأيام ، فابتدا  
فورا في محاولة تحميم مريضهما على قدر ما يستطيع . جمع أفراصا صغيرة ، وأغصانا  
ليضعها على فرع كبير فوق الرجل يحميه بها من وهج الشمس ، ووقاه بسيرا من  
الأمطار . ودثره بجلد غزال صاده فأكل به حمايته . وصنع هذه أوان خشبية  
كان يحمل فيها المياه ، كما أحضر ثمارا ، وهواكه راح يضعها في فم المريض بين  
الوقت والآخر . لم تكن لديه معلومات عن الجروح سوى أن كل جسد لابد له من  
العداء ، والماء فضو يفرهما للمريض . وقاوم الجسد الحديدي الحمى ، ونقص الدم  
وبدأ شيئا فشيئا في استرداد قواه ، والتعلب على جراحه . وذهبت أيام كان الشاب  
قريبا يرعى مريضه رعاية دائبة ، ولم تبد على الرجل أية آثار الحياة سوى تلك

الانبات التي كانت تصدر من الفية والآخرى .

في اليوم الرابع تفنحت المينان الضيقتان لأول مرة بوعى عما حولها ، ولما استقرتا على وجه الشاب ظهرت عليهما الوحشية . تحرك الرأس الصغير في محاولة للموض ، ثم عاد فحبط مكانه من المصحف ، وأغلقت المينان . ومد الشاب يده في رفق وراح يمسح العرق الذي بدأ يتصبب بغزارة - في الجبين المتقد ، وتفتح المينان للمرة الثانية ، لكن بظنهما هذه المرة كانت تغاير تماما سابقتهما . اكتسبت علامة التجمد والذهول ، وصدم التصديق . كما قد اعتاد بين رعاياه أن أجريح أما أنه يترك ليحترق . أو يأكله رفاقه ، وهو الأكلب الأعمى ، فلم يكن يوجد مكان للرحمة ، أو الشفقة في حياتهم ، بل لعله لم يكن يعرف ماها أصالة .

مد الشاب يده ببعض اثمار يفريها من الفم ، وزم المريض شعته في مبدأ الامر ، لكنه عاد يأكل ما وسعت شهيته ، رفع الشاب رأس المريض قليلا ، وأعطاه جرعة ماء من أحد الأوعية الخشبية . ارتشعب الرجل بشغف ، وحدث منه تهمة راحة ، ثم وضع رأسه على فرع الشجرة ، وأسلم نفسه إلى النوم .

هضت الأيام تفرى حتى عادت للرجل بعض قواه ، وابتدأ يأكل اللحم ، ومنذ هذا الوقت سار نحو استرداد صحته الكاملة بخطى واسعة ، وجاء اليوم الذي استطاع فيه أن يهبط من الشجرة بمفرده دون معاونة ، وذو يتجه إلى المدير برئوى منه ، وأن يلتقي من الأفرع ما يصلح لأن يكون مراوطة عليظة يستعملها في الدفاع عن نفسه . وشاهده الدأب لأول مرة واقفا على قدميه ، فزجر وكثر عن أعبائه ، في حين استعد الرجل لملاقاته بالمرأوة . ووقف الشاب بينهما يشير إلى الرجل أن يدع المرأوة ، ويمسح بيده على رأس الدئب حتى ساد بينهما السلام .

لم يمر بين الرجل والشاب حديث بأية لغة ، حتى الإشارات بينهما كانت قليلة متباعدة لا تعدو أن تكون طلبا لمياه أو غذاء . ولاحظ الشاب أن إشارات الرجل كانت واضحة جلية تفصح تماما عن المعنى الذي يرغبه في حين أنه لم تكن تصحبها أية أموات ، بل إن صوته لم يخرج أبنة من فمه إلا في مرات معدودات كانت إشارات تحذير أو صيحة مداء ، كما كانت الطليقة الصوتية فيها تسكد أن تكون دندا واحدة

على العكس من الشاب الذى كانت تصحبه إذ رآه دائماً أصوات مخدمة ذات طبقات ، ويقم بطباق مقتضى الحال

حاول الرجل ذات مرة أن يثقل بعض الأصوات التى صدرت من الشاب ، لكنه ، كانت محاولات تعب لم تسر عن نتيجة تبشر . واستهدف الطرف فصدر من الشاب ما يشبه الضحكة ، وهو يثقل أصوات الحيوانات ، والطيور حتى أن الرجل راح ينظر إليه فى بلاءة غير مصدقة .

وحدث أن خرج ثلاثتهم للصيد فصادوا خنزيراً برياً . وتقدم الرجل فوثب على ضر الحيوان صارماً إماء يراونه ، لكنه سرعان ما وقع على الأرض . دار لوحش دؤوبه سريعة وهاجم الرجل قبل أن يتيق من وقع الصدمة ، لما لم تكن المسافة بين الإثنين ليريد على بضعة أمتار حينما عرفت من جانب الرجل حربة طويلة لتستقر بقوة بين عيني الخنزير تماماً . وقهر الحيوان فى الهواء صارحاً من الأمام ثم سقط على الأرض لاحتراك به . ودخل الرجل فمضى ينظر إلى الشاب والحربة مستغفراً فى رأس الخنزير ، ثم تقدم بضعة وراح ينحسب الخشب كآ ، ليكتشف عما به من مسر يحمله يقتل وهو على مثل هذا العدد واستل الشاب حجره ، وراح يشق بطن الخنزير أمام عيني الرجل الدهول ، ثم اقتطع له قطعة كبيرة من اللحم تناولها وهو ما زال يندو فيما يشبه الحلم . وجلس الإثنين على الأرض بأكلان يصيحبهما فى حين قبضع الذئب إلى جوارهما يلتهم بصيه فى هدوء .

لأنهم العظام ، ونظر الرجل إلى الشاب ثم أشار بيده إلى أنه يريد أن يرحل إلى قومه ، وأنه يريد لو أن الشاب ذهب معه . لم يرد الشاب فوراً ، لكنه راح يفكر . كان يشعر بحس شديد إن أبصر من قومه يجلس معهم يشاطروهم صيدهم ، وطعامهم وروحهم . كانت الأيام التى قضاها مع الرجل سعيدة ، لطيفة أرادت عنه وحشة الوحدة ، ولعله لو ذهب معه إلى قومه سوف يعيش يسهم مدى الحياة ، ليصبحوا قومه أيضاً . ولكن هل هم حقيقة قومه ؟ هل يشبهونه شكلاً أو عملاً ؟ لقد قضى مع أحدهم أياماً ، ولم يجد هنالك حلاف كبير يبه وبين الفردة . أو مائر الحيوانات . وما كان أرقى قليلاً ، لكنه كان يشعر أن الفارق بينهم كبير . وعلى أى الأحوال فقد حاول فى مبدأ الأمر أن يتعام مع الرجال الآخرين

فقابلوه بالمعاد ، وأرادوا قتله ، فلم يستخير الحال لو ذهب الآن مع فرد منهم ؟  
وعادته غريزة حب الاجتماع حتى استقر رأيه على ذلك . هزم على أن  
يذهب ، ولكنه في هذه المرة سوف يكون محتاطا لما حصى أن يحدث لو أدهم  
وقصوا قبوله بينهم . إلتفت إلى الرجل الذي كان يراى ينظر إليه بصبر ، وهر  
رأسه علامة القبول . ولم تبد على ارجل أية علامة من علامات العاطفة ، فلم  
تتحرك عضلة من عضلات وجهه ، ولا تغيرت نظراته ، وإنما كل ما فعله هو أن  
استدار ، واتجه إلى ناحية الجبال متوقفا من الشاب والذئب أن يتبعاه .

مد الشاب يده وقصص على ذراع الرجل الذى توقف وواجهه مستفهما . أشار  
إليه الشاب بأن ينتظر قليلا . كان يعلم أن المسافة بينهم وبين الجبال يمكن أن تقطع  
في وقت يصلون معه فن أن تعيب الشمس . وهذا عالم يكن يريده كان يسعى أب  
لا يصل إلى الأرض الغضاء التى تفصل الغابة عن الجبال فبين عروب الشمس ولم  
يعهم الرجل بغية الشاب . لكنه صدع إلى شارته ، وتبعه إلى العدير القريب  
حيث جلس إلى جواره مستندا إلى جذع شجرة .

لما قطع الشاب غصبا مناهما من الشجرة ، وراح يقبلى بعمل حربة أخرى أمام  
ناظرى الرجل المشدود . وهضت فترة ، والرجل ينظر ، ثم حول عينيه إلى العدير  
فشاهد أمماكا تسبح قريبا من الشاطئ . قام الرجل بحذر شديد ، وراقبه  
شاب وهو يتجه نحو الماء . ثم رآه وهو ينحنى لجأه ليقبص على سمكة بيديه  
ويبقى بها على الشاطئ . ثم راح يتلمس صفة اخذول تاركها السمكة تنلوى وتغمر  
عن الأرض دون أن يلتفت إليها ، وتكررت العملية أربع مرات دون أن ينطوى .  
فمر مرة واحدة في إخراج سمكة . ودعش الشاب من مهارة الرجل في الصيد ،  
وم يكن هو قبلا قد أكل سمكا ، وإن يكن قد حاول صيدها لكن محاولاته  
كانت دائما تبوء بالفشل .

قام من مجلسه واتجه إلى ناحية زميله ليرى كيف يتسنى له أن يفضض على  
سمكة بيديه دون أن انزلى . وفهم الرجل ما يدور بخلد الشاب ، فدعا بالإشارة  
بأنه أن يجرب حظه ، لكنه أحقق في كل محاولة قام بها . ولأول مرة لاحظ  
على وجه الرجل علامات ما يختلج في نفسه ، إذا بسطت أسارية قليلا وبان  
فيه أنه هو إذ استطاع أن يبرز رقيقه في عمل من الأعمال . وكأنما لبثت قدرته



ومخوفته ، انحنى فجأة ودفع سمكة أخرى إلى الشاطئ .

واعلمت في نفس الشاب عوازل وحشية من الغيظ ، والحق ، رفع حرارته وطمع بها السمكة التي كانت تتلوى على الأرض . واختلقت الحربة جدد السمكة ، واضتمت . بالأرض . وجأة هذا غضب الشاب ، وروح ينظر في تفكير إلى السمكة التي كانت ما تزال تتلوى في ضيق . مد يده وتناول الحربة ، وأخرج منها السمكة ثم انجم بهذر بحر الشاطئ . وهبطت الحربة ، بسرعة البرق لتتحرق المياه وتخرج منها ، وفي طرفها سمكة تتلاعب في ضوء الشمس . وحذرت من الشاب صيحة لإنقاذ وفرح . وسرعان ما أتى بالسمكة على الشاطئ . ومضى يكرر عمله ليصيد غيرها ، وغيره . حتى بلغ ما اصطاده حب . واكتفى الآن بما حصله عليه ، ومصيا يحمس السمك من الشاطئ . ثم رجعا إلى جذع الشجرة ، وراحا يلتزمان عذاه شيئا ، في حين التفت الدتب بصيه .

كانت الشمس تقترب من لحبيب حينا بدأ الثلاثة سيرهم صوب الجبال . أعطى الشاب إحدى الحربتين إلى الرجل فتناولها الآخر ومضى ينظر إليها في بلاءة . حاول الشاب أن يمله كيف يتقدمها ، لكنه لاحظ أنه لا يستطيع أن يحس القبض عليها إلا كما يقض على المرواة . فقد كانت يده ، وأصابه ، غليظة لا مرونة فيها ، فترك محاولته . وناولته المرواة . انهمر الثلاثة في سيرهم بقيادة الرجل الذي كان كما يسير على هدى غريته فلم يحاول مرة واحدة أن يتباطأ أو يتلكأ ، وإدما كان يسير على وثيرة واحدة دون أن يلتفت يمينا أو يسرة .

وغابت الشمس تماما وهم لا يزالون في الغابة لم يخرجوا منها . وتجمعت الظلة صريعا حتى بدأ القمر في الظهور فأضاء لهم الطريق بما يكفي للسير ، ولاحظ الشاب أن أشجار الغابة قد حوت كثيرا عن ذي قبل ، وأن الجو داخله برد . وكثرت الحصى ، فراح يفتق سطوته في حين كان الرجل يسير بالخطوة نفسها التي بدأ بها ، بلا تمهل أو انتقاء للخطى .

لاح الجبل قائما يطاول السماء . واحتوت الأشجار تماما أو كادت ، فأتى سوى شجيرات متناثرة هنا وهناك ، تفصل بينها مسافات كبيرة . وشعر الشاب وكأنه قد جرد تماما من كل سلاح معه ، إذ كانت حياته دائما بين الأشجار يحتمي بها ، ويتسلقها ، ويستعمل أفرعها وأعصابها ، ويأكل ثمارها ، أما المراء ،

هذه كان تجربة جديدة عليه لم يرتج لها ، ولهذا كان كثير التلفت يمتد ويسر .  
وأحسن أن الذئب كذلك لم يكن على طبيعته . كانت تصدر منه زجرات  
كما لو كان يتحيل أعداء تروصه ، بل كثيرا ما توقف عن السير لولا أن الشاب  
كان يحسه .

وبدأت قدما الشاب تؤلمه من كثرة ارتطامهما بالحصى ، فاعطى إلى التباطؤ  
فصلا في حين استمر الرجل في سيره دون أن يغير حتى من سرعة خطواته .  
وبتدأ الشاب يجد صعوبة في اللحاق رفيقه . وأخذت الفتحة بين الاثنين في  
الزناح . لكن لم تكن هناك صعوبة في الترقيا ، نظرا لشدة سطوع القمر .  
وزدادت المسافة ويبدأ رويدا حتى أضغى لا يسكاد أن يرى حيل رفيقه  
اللا بصعوبة ، ومع هذا فلم يكن يهتم كثيرا بالرؤية إذ أن في حاسة شبه ما كان  
يسيه عنها حاسة وأن الرباع كانت ترد من ناحية للرجل ، وما علم أن تأخره  
قد قد حيا له .

فجاء أحسن الشاب بأن الذئب قد توقف عن السير تماما ، فالتفت إليه يحسه  
لكنه زجر رافضا التقدم . وأيقن أن هناك خطرا يشهدهما ، وأن الذئب قد  
شبه قبله إذ علم من التجربة أن حاسته أقوى ، فلم يصبر على الاستمرار في التقدم بل  
توقف أيضا ، لم ينظر طويلا ، فقد وصلت إليه سرعة عالية ، لم يشك في  
أن صدرت من الرجل الذي كان معه ، وتوالت صرخات أخرى وزجرات ،  
ثم لا شيء .

كان أول ما خطر في ذهن الشاب أن يسارع بالهرب ، لكنه عاد بعد  
اللمحات الأولى من الدهر وتعمل في تفكيره . لأن المسافة بينه وبين العتبة كبيرة  
جدا ، ولو كان من قتل رفيقه قد رآه فانه لاشك سوف يلحق به إذ لم يعتقد  
الذئب على المدور في مثل هذه الأرض المليئة بالحصى والحجارة ، في حين أن  
صعديته قد أحشوشذت أقدامهم فلم يمدوا يمشرون بها ، وكانا وثقا من  
هحية أخرى أنهم لم يلتقطوا رائحته إذ كانت الرياح آتية من جهتهم ، ومع  
هذا ، ومع قوة حاسة الشم لديه فلم يلتقط رائحتهم في حين أن الذئب قد التقطها .  
فجاء استقرار رأى الشاب . ابتداء بدور دورة واسعة حول الاتجاه الذي كان  
الرجل قد أخذه ، والذي أنت منه رائحة الباقين . ولم يمايع الذئب في هذه

المرة من متبعة المسير ، وإن كان كثيرا ما التفت حوله كأما ينتظر أن يراه  
عذو في أية لحظة .

ابتدأت الأرض تدرج نحو الارتفاع ، واضطر الشاب أن يلتفت طريقا  
بين الصخور ، وقد صمم على الصعود إلى قمة التل . وساعده ضوء القمر على تلمس  
الطريق ، فاستمر يرتقي يتبعه الذئب في هدوء وبطء . كان يعلم أنه ليس بعيدا  
بعدا كاليا من موطن أصحاب الرجل ، أو فقلته فسكان في ارتفاقه حذرا أن يحدث  
أذى صوت . لم يكن الحبس عاليا ، كان مجرد تل ، ومع هذا فقد استغرق الشاب  
في ارتفاقه جل ما بقي من الليل . كان القمر قد احتس تماما حينما وصل الشاب إلى  
قمة الحبس تماما مجددا . ظلت حوله فلم يكدر يرى سوى على بعد خطوات قلائد ،  
فجار فيما يعمل راد بوجه أن الرياح كانت تصفر نشدة ، وأبه بدأ يرتعش  
من شدة البرد . وسار متملا يتبعه صدقه الوثيق حتى هثر على صخرة صلبة ،  
منحته وحاسبه بهص الخاية من رمير الجور ، ووصف الرياح غارتسكن إليها .  
والنصق به الذئب ، وراحا في سبات عميق .

برعت الشمس ترسل أشعة دافئة تمحل الجسدين النامين . وفتح الذئب عينيه ،  
والقى صاحبه مستغرقا في نومه فتسائل من جواره ، ومضى يتطلع حوله . بحثا  
عن الطعام . لم يكن جائعا بالضرورة ، إذ كان ما تناوله في اليوم السابق يكفي  
لأن ينتظر على عذبه دون أن يصبه أدنى صيق ، لكنه أحس أن قمة التل على  
امتدادها لا تعوي طعاما أو ماء ، وكان مجرد البعد عن الاثنين يكفي لأن يشمر  
بالجوع والعلماء . اتجه ببطء إلى إحدى حافتي القعة ، ثم عاد ليظهر في الجهة  
المقابلة ، وأخذ يهبط في تسكسل إلى السقع .

تملأ الشاب في نومه تحت وطأة أشعة الشمس ، وحين فتح عينيه . كان  
شعوره لأول وهلة بأنه في مكان غريب عليه . ولم يستمر هذا الشعور سوى  
ثوان معدودات استعداد بعدها جميع حواسه تماما ، فاستقام واقفا وراح ينظر  
على امتداد الطرف .

كان المنظر الذي قابله بديما . على آسح الأفق كدت غبته الخيية تتناول  
أشجارها حتى كأنها رقوس شياطين . وظهرت الأرض التي قطعها سيرا في  
الليلة الماضية جرداء إلا من بضعة أشجار ، وبعضات متناثرة سقطت من عراها .

تذكر صاحبه الذى مات ، وقومه الذين قتلوه ، طارقا إلى الخدم في حركة لا شعورية بعيدا عن الخافة . وتطلع حوله باحثا عن الدئب ، لكنه لم يثر على أثر . راحت عيناها تجوبان الارض بين العاية ، والتل بحثا عن صاحبه . ولم ير شيئا يتحرك . اتجه إلى الخافة الأخرى فابله منظر آخر أذهله لمحضات حتى عن التفكير في رقيقته .

كانت هناك أيضا أرض جرداء كذلك التي بين العاية والجبل في البادية الأخرى . لكنها لم تكن في مثل اتساعها ، ولا في مثل هراها . كانت الأشجار المنقرقة هناك أكثر ، كما كانت توجد بعض الزهور البرية ، والأعشاب المتناثرة تغطي المنظر بوهج وحياة . وحده الأرض امتدت القابة . لكنها بدورها لم تكن عذبة التي جاء منها ، فلم تكن أشجارها بمثل هذه الكثافة ولا الصرامة ، لكن معظمها كانت باسقة مستقيمة تكاد أن تكون جرداء حتى أعاليها . تلامحت أشعة الشمس والظلان يتملآن روعة الطبيعة في حين أحدثت الرياح تناديا بالأشجار لتتصق على المنظر حياة . وحركة . ووهج الشاب مبهوتا وعمامة . أحردا بجمال المنظر . لكن طبيعته العملية عادت به سريعاً ليدور العملية بغيره بحثا عن رقيقته . وبعد لحظات عاد إليه بصره حديراً لم يكن هناك في أثر الدئب .

ارتد مرة أخرى إلى الخافة محاذرا . وجالت عيناها هذه المرة في الجبل نفسه بحثا عن موطن أهل صديقه أراحيل . وهناك شاهد بعضهم يخرجون من جوف حبل وكأبما اشق عليهم كان ظهورهم فقائيا للدرجة أن الشاب استطاع على أنه بعيدا عن الخافة حشيه أن يروى . وحينها بدأ روجه بعد برهة ، عاد مرة ثانية زاحما على بطنه . وأطل برأسه عذما ببعض الصخور كانوا على مسافة لا بعد أكثر من مائة متر من مكانه . فكانت عيناها الحديديتان تستطيعان تمييزهم بسهولة . ولأول مرة منذ أكثر من سنتين رأى أمانا .

استند به العضول فأخذ ينتقل محاذرا إلى مكان أقرب يستطيع فيه الرؤية بشكل واضح ، حتى استقر به المقام على مسافة لا بعد أكثر من خمسين مترا . شاهد النساء يندحن إلى جوف الجبل حاملات فواكه وحسرا . وآهن وهن من مرة ثانية إلى الخارج بعد أن يتخلص من أحمالهن . وغبن إليه ذات مرة

أنه رأى فتاة صغيرة بينهن تسير أكثر استقامة من الباقيات . ازداد فضوله فأراد أن يقترب أكثر ، ولكنه حتى أن يروى أن فعل وشاهد النساء يتحركن في ثقل نحو مكان في الجبل لا يزيد في بعده عن مكانهن بأكثر من ثلاثمائة متر ، حيث امتدت العادة بأشجارها أكثر من أى مكان آخر ، وحيث تسكاد الأشجار أن تنصل بسطح الجبل بل أن بعضها كانت تلبت عليه فعلا .

أخذ بعض النظر في الفتاة حتى أكد أن نظره لا يخدعه . وأنها تسير باستقامة أكثر من الباقيات حتى أنها كانت تبدو عريضة بينهن . وعادت به الذاكرة إلى موقفه من عشرين سنة . كان هو أيضا يسير أكثر استقامة منهم . بل وكان تركبته الجسماني مختلفا عنهم تماما . صحيح أنه كان بينهم من له أنف في مثل استقامة أمه ، ومنهم من كانت شفتاه أرق من الباقيات ، ومنهم من كانت يداه أقصر لا تمتدان إلى ما بعد الركبتين . ومنهم من لم تكن جبينته في مثل حين حمرت الآخرين ، ولا كانت عيناه عاترتين في مثل غور أعينهم ، بل أن منهم من كان يجمع أكثر من صفتين من هذه الصفات ، ولكن لم يكن منهم من يجمعها جميعا سواء . لعل هذه الفتاة من جفنه ، ولعلها أيضا شاذة منبوذة بين أمهات كما كان هو . وأراد أن يتحقق من ذلك فاستقر رأيه على أن ينتقل إلى ناحية الحضرة التي تجمع منها النساء العواكف والعلماء ، كمر راجعا إلى قمة الجبل بحثما بالصخور حتى تأكد أنه إذا وقع فل يراه أحد .

اتجه تمسك به مرة ثانية إلى أن يلحق نظره على الجانب الآخر لعله يرى رفيقه الذئب أثرا . بجان ببصره في الأفق الممتد أمامه ، ولكنه بدلا من يرى رفيقه ، شاهد على المد بصمة نقط سوداء تتحرك . أدرك من انبساط حركتها ، وحينئذ أن القاد من رجل يتجهون نحو الجبل . بل لعلهم لو احتفظوا بنظرهم سيرهم لجاؤا إلى البقعة نفسها التي يقف عليها .

اختفى خدع إحدى الصخور ويرقبهم يتقدمون . سوى تماما فضوله الأول في أن يرى النساء من قريب ، بل وبس كذلك رفيقه الغائب ، وما كان في الواقع ليتم بضيائه ، فكثيرا ما فعل هذا ثم عاد بعد بضعة ساعات ، وأحيانا بضعة أيام . وإشند لبيب الشمس ، وشعر بالظما والجوع ، وإن كان الجوع غملا . وقاده للتفكير في المياه إلى أن يتعجب من أين يشرب أولئك القاطنين في جوف الجبل ؟

من هنالك غدير في العاية القرية حيث تجمع النساء الطعام ؟

من الوقت ثقبلا وهو يرقب النقطة المتحركة تقرب شيئا فشيئا ، وتتضح معالمها ككبريت . واشتدت وطأة الشمس فاشتد به الظما . فسكر في أن يقوم من مكانه ، ويتجه إلى العاية ليرى ظمأه ، ويسد جوعه ، لكنه قبل أن يتحرك لاحظ نقطة صغيرة آتية من العاية وهي تتقدم بسرعة نحو الجبل . لم يكن عنده أدنى شك في أن هذه النقطة إنما تمثل الذئب . ولا بد أن الرجال شاهدوه ، لكنهم لم يعيروه لئعنا إذا كان من الواضح أن في ذهنهم ما يشغلهم أكثر منه . استمر الشاب ينقل بصره بين الذئب والرجال ، وهو يلاحظ أن لأول حترب بسرعة أكثر كثيرا من الآخرين ، فتأهب لقائه ، وبلغ الذئب سفح الجبل ، ثم أخذ يفتق طريقه إلى القمة في بطء وسرور . لاحظ الشاب أنه يحمل في فمه شيء لم يتحقق منه في بادئ الأمر حتى اقتراب بدرجة كافية فرأى أنه أراب كبير . وقرب فب الذئب سرورا إذا كان الجوع قد استلبه به . تلقى رفيقه مرحا وراح يركب على ظهره ورأسه بينما قنع الذئب بأن يضع أمامه صيده . تناول الشاب حمره ، وقطع الأراب ، وراح يأكل ويعطم رفيقه . ودار في ذهنه مقدار الحب الذي لابد أن رفيقه قد عاياه من جراء حمله مثل هذه المسافة الطويلة ، ورد له جوابه إلتصافا .

عادوا للتفكير في الرجال الذين كانوا يقتربون من سفح الجبل ، وتعجب من رحبتهم ومدفهم . أما وجهتهم فكانت بلا شك إرتقاء الجبل ، ولكن إلى أين ؟ ومن عندهم ؟ هل هم أصدقاء لما كنى الجانب الآخر ، أم هم أعداء لهم ؟

وإذا كانوا أعداء فما بغيتهم من إقتحام موطن عدوهم ؟ هل هو مجرد القتل ؟ أم سدا ؟ وفرع من طعامه فكان جوعه ، ونخف ظمأه قليلا . وأطل برأسه سريرا ليرى إلى أي مكان وصل القادمون فشاهدوا وقد بدأوا يرتقون الجبل . كان أمامهم في تقدير الشاب فسحة من الوقت حتى يصعدوا القمة ، في حين كانت الشمس قد توسطت كبد السماء . راح يرقبهم بعض الوقت وهم يسرون في صف واحد في صمت رهيب ، بل بحركة تكاد أن تكون واحدة .

وانتقل إلى الناحية الأخرى من الجبل . شاهد بعض الرجال جالسين على مدخل تكيف . وفي أيديهم بعض الأحجار لم يتبين ماذا يفعلون بها لبعيد المسافة ،

في حين كانت النساء لازرن على دأوس في الذهاب إلى أطراف الغابة القريبة . والعودة منها حاملات بعض المواكع والثمار . ومرة أخرى لاحظ الفتاة بيتين ، بقامتهما المتعسبة ، وسيرهما المستقيم . وعاوده الفصول الشديد أن يراها من كثب ، لكنه راجع رأيه ، وآثر التزيث حتى يرى ماسوف يقطعه القادمون . رجع باضره مره ثانية إلى الرجال الجائسين في مدخل الكهف ، ولاحظ أنهم لا يكادون يتحركون من أماكنهم . في حين راحت بعض الصبية تلعب حولهم في صخب وضجيج .

كان من الواضح أن الجميع لا يعلمون شيئا عن القادمين ، وأهم لم يكونوا يتوقعون رأى رائيرس . أو مهاجرين بل كان كل منهم في شأه لاه . واحتار مكارا أمام من العيون أراح فيه جسده . بينما تمدد الذئب إلى جوارء صامتا ومضت فترة طويلة قبل أن يتحرك الشاب ليلقى نظره على القادمين . وفوجيء بأهم قد شاروا القمة فعلا . وأهم لم يكونوا يبعدون عن مكانه سوى مسافة يسيرة . ازداد إيمساكه ش في مكانه ، ووضع يده على رأس الذئب بحذرا . في حين كان الأخير قد تم فعلا بالوقوف متحديا . لكنه ما انت عندما شعر بيد رفيقه على رأسه ، أن هاد إلى وضعه الأول ، وأعقن عيبيه في تساكل .

وحل القادمون إلى القمة . واستطاع الشاب أن يميز قاماتهم ووجوههم . لاحظ أنهم أكثر انصافا في سيرهم من ساكني الكهف ، وإن لم يكونوا قد وصلوا إلى درجته أو القمة . لكن هذا الانصاف أعطاهم مظهرأ أكثر صرامة وطولا ، كما أن أيديهم لم تكن تهبط كثيرا إلى ما بعد الركبتين كشأن الآخرين . ومع هذا فقد كانت أرجلهم قصيرة ومشيهم متباطئة . كان مع كل منهم هراوه ذات رأس صخري . ومقبض انصاف قبضة اليد . ولاحظ أن جميع الهراوات تتشابه تماما في الشكل ، والمظهر الخارجى ، ولم تكن كذلك التي شاهدها في أيدي قاطني الكهف مجرد أمروح شجرة تتفاوت حجما وطولا . رأى الشاب الجماعة تقف وهي تنظر إلى رجل كان يمزج الجميع طولا وصحامة . وأشار ارجل يديه ، وهراوته بضعة إشارات بدأت الجماعة بعدها في التفرق ، والمبوط بمحور شديد على الناحية الثانية من الجبل . وأن هي إلا لحظات حتى كان الجميع قد تواروا تماما عن نظر الشاب .

لا يطر قليلا حتى تأكد من أن أحدا لن يراه إذا تحرّك من مكانه . ثم أشار  
بى الدئب بالمسكوث . وتقدم نحو الحافة زاحفا على بطنه ، وحينا أطل برأسه  
رأى أن المهاجرين كانوا منتشرين بين الصخور ، وهم يتقدمون ببطء وحذر نحو جماعة  
الكهف الالهية . استمر تنقل المهاجرين والشاب يرقبهم وقد ركزوا كل حواسهم  
على الرجال ، والنساء تحتمن ، وعلى تحركاتهم البطيئة بحيث لا يصدر عن صوتا .  
وتخرج حجر من تحت قدم أحدهم ليستقر على بعد خطوات من أحد الجبالين .  
رفع رأسه إلى أعلى لجأه في حين جمد المهاجرون في مساكنهم متوارين خلف  
الصخور . استمر أرسن يمين النظر في الجبل . ثم هب واقفا وصدرت منه  
صرخة تحذير . وهو يشير بيده إلى موضع المهاجرين

جمد الموقف للحظات ثم اندفع الجميع إلى الحركة . جرى الرجال إلى داخل  
الكهف لينضجوا بعد لحظات ومع كل منهم حرارته . اختفى الأطفال ، والنساء  
في داخل ، ودوت صرخة أخرى في أرجاء الجبل . لكنها في هذه المرة  
- نكي صرخة تحذير ، وأما كانت صبيحة هجوم أطلقها العملاق الذي كان  
يجرد جماعة المهاجرين .

اضطرت الجماعة المهاجرة نفسها فلم يبق هناك داع للاحتماء خاصة وقد ضاقت منهم  
فرصة المعجزة التي كانوا يسمون إليها . اندفعوا هايطين يقطعون المسافة التي  
تفصلهم عن فريستهم . وبالرغم من أن عدد المهاجرين كان أقل من عدد عدوهم  
- أنه كان من الواضح منذ البداية أن الفوز ، سوف يكون حبيصهم ، لاحظ  
كذب وهو يرقب أن حركاتهم كانت أسرع وأخف ، وأن سلاحهم أكثر فاعلية .  
تخفى الجمعان ، وبدأت المعركة بوحشية لم ير الشاب مثيلا حتى بين أكثر  
حيوات شرارة . استعملت لهراوات في مبدأ الأمر ، ثم انقلب القتال بعد هذا  
الأكبى والأظفر ، والأسنان ، والأرجل . ركز الشاب نظره على عملاق  
- حين ، كان من اليسير أن يراه وسط المجموعة المغمومة إذ كان رأسه يرتفع غالبا  
عبر الجماعة ، والظاهر أن سكان الكهف أيضا قد علموا أن لهذا الشخص أهمية  
كبيرة فأنهم حوله خمسة منهم يضربونه بهراواتهم . ورأى الشاب الهراوة الصاعدة  
مع في يد العملاق أنهبط مرتين متتاليتين بسرعة عجيبة ليستقر لإثنين مخطي



الرأسين تماما . وقهر أحد الرجال على ظهر العملاق ، وأشبأ أطافره في وجهه في حين أنغرزت أسنانه في الكتف . واضطر العملاق أن يلقى المراوغة من يده في وجه أحد مهاجميه ليلتفت إلى الذي أعنل ظهره . ارتفعت اليدين الثريتان لتقبضان على يدي الرجل تسدانهما عن الوجه ، ثم لتفيا به على الأرض . وامتحن الرجل الباقي الفرصة ليكيّل له بضعة ضربات قوية على كتفه ، رأسه ، ثم ألقى بنفسه عليه يساهد زميله الذي تعلق بالقدمين . ووقع العملاق على الأرض فاحتقن من أمام ما يرى الشاب وسط المعركة .

أدار الشاب رأسه ليرى سير القتال مع باقي الأفراد . كان القتال مازال على أشده ، لكن العدد كان قد تناقص جدا فلم يبق من المهاجمين سوى خمسة ، في حين هبط عدد سكان الكهف إلى أقل من النصف . كانت جثث القتلى ، والجرحى ملقاة ببشاعة على الأرض في حين بدأت العقبان تطير عذقة فوقها . لم يكن بين جميع المتقاتلين من الطرفين من لا يسيل الدم من جرح ، أو جراح في شتى أنحاء جسمه ، ومع هذا فقد كان القتال مازال دائرا بالوحشية نفسها التي بدأ بها ، ولمحظات خيل الشاب أن الدائرة قد دارت على المهاجمين فقد كان سكان الكهف على ما قدروا حاروا نصف عددهم في حين فقد المهاجمون إحدى ميزاتهم الهامة إذا كان القتال دائرا بعير هراوات .

لكن الحال لم يستمر طويلا على هذا ، هذا تنقص واقفا ثأفة في وسط الجماعة عملاق يحمل أحد مهاجميه ، وألقى به على المتقاتلين جميعا ، وهو وحديق على السواء . وقع بعض الرجال على الأرض . وجدت هرج لثراء معدودات كاد القتل أن يتوقف فيه . وامتحن العملاق الفرصة ليعتدل هراوته وراح يطير بها الرؤوس في ثرون إرهاب ميزاب القوى تماما . وأحد سكان الكهف متقاطعون تحت الضربات الساحقة ، الواحد تلو الآخر ، مشعري الحاجر ولم يدم بمعركة بعد هذا طويلا إذ سقط آخر سكان الكهف تحت طرقة رصيه من هراوة العملاق صرخته أنه تمام .

توقفت العملاق ، ولم يبق من المهاجمين سوى الثلاثة . وشاهد الشاب يقتل بعض سكان الكهف الذين لم يكونوا قد ماتوا أثناء المعركة كما قد يظن ليماون شتخير من إخوانه على الوقوف .

لاحظ الشاب أن بعض النساء بدان يخرجن من الكهف إذ توقف صوت الحركة ، يستطلعن الخبر . لكن صيحة العملاق جعلت الرؤوس تهتفي بسرعة في الداخل . هبط الرجال الستة إلى مدخل الكهف حيث اختفوا عن باطري الشاب . وبدأت العقبان تهبط إلى مكان الجثث لتشرع في وليمتها العظيمة .

تحرك الشاب من مكانه وقد شعر بالعطش الشديد ، لكنه مرعان ماعاد وراء الصخرة إذ شاهد اثنين من الرجال يرتقيان الجبل إلى مكان الحركة . وطاروت العقبان صارحة في غضب ، في حين دهش الشاب من السبب الذي دعا الرجلين إلى العودة فراح يرقبهما في فضول ، وآمها يقرسان في الجثث الملقاة ، ثم انتقى كل منهما جثة حملها على كتفه وعاد بها إلى حيث اختفى في مدخل الكهف . وعادت العقبان هابطة . حار الشاب في تفسير المهدف الذي دعا إلى أمقاء الجثتين . لكنه لم يقف للتفكير إذ هاوذه شعوره بالظما الشديد فترك غيابه ، وسار هابطا لئلا إلى العاية القريبة بتيحه رفيقه الذئب .

كانت الشمس قد غابت حينما وصل الاثنان إلى أطراف الغابة ، وراحا يبحثان بغير إتقان لا تخطئ عن جدول مياه . وحل الظلام قبل أن يمشيا على بغيرتهما . فارتويا ، ثم بحث الشاب عن شجرة مناسبة لارتقاها ، واستلقى على أحد فروعيها ، وأغمض عينييه ، في حين قبع الذئب تحتها . لكن النوم لم يأت للشاب سريعا على خلاف عادته . راح يفكر في أحداث اليوم . وتوالت في ذهنه الأسئلة بلا اجابات قاطعة .

لماذا لم يبق هؤلاء كل هذه المدة البعيدة ؟ ولماذا قتلوا جميع الرجال من سكان الكهف ؟ لماذا حمل الشاب مربي قتيلا ودخلوا إلى الكهف ؟ ماذا دار في الداخل ؟ هل قتلت جميع النساء أيضا ، ولاضلال ؟ هل قتلت ذئب الصبية البيضاء المستقيمة العامة ؟ ماذا ص من كل هذا القتل ؟ لماذا عاش حيوانه كالحيراء لا يقل لا دفاما عن النعس ، إذ غصه جوع مائة . لكن هؤلاء يلوح أنهم كانوا يتناولون مجرد الشهوة في العمل ، والا فماد قضى العملاق على الحرجى من حصاره ؟

وداعبت صورته للعتاة المستقيمة القامة حياله ، وتسمى لو أنه رآها من قرب ، لكنه الآن في لآء ب قد فلانها الغراء كما هو بالباقين ، وبذلك لن يقسمي له

أن يراها أبدا . ففكر أن يقوم من مكانه ليرتقى الجبل إلى حيث مدخل الكهف ليرى ما يفعله الغرارة ، ولكنه عاد وراجع رأيه ، ففي مثل هذا العمل مخاطرة جسيمة لا تؤمن عواقبها ، كما أنه ليس واثقا من أنه سوف يستطيع في الظلام رؤية الفتاة والتحقق من شكلها ، حتى إن استطاع التلصص ، واستراق النظر دون أن يشعر به الرجال . وعليه التماس ، فألقى عيفيه ، واستسلم النوم ، وصورة الفتاة قدما الممشوق ماثلة أمامه .

استيقظ الشاب مع شروق الشمس ، وهو يشعر بجوع شديد . ألقى بنظره إلى أسفل الشجرة ، لكنه لم ير الذئب في مكانه فهبط إلى الأرض ، وراح يبحث عن بعض الثمر يفتات بها . كانت المنطقة غريبة عليه فاستغرق في بحثه وقتا أطول من المعتاد حتى أن الشمس كانت قد إرتفعت في السماء حينما فرع من تناول وجبته . ومع أنه كان مشغولا بالبحث عن الطعام ، إلا أنه لم يتوقف عن التفكير لحظة في الفتاة ، ومن معها وهم في أيدي الغزاة . وما أن أشبع جوعه حتى توجه فورا إلى الجبل ، ونظر من بعد نحو فتحة الكهف ، لكنه لم ير أثرا للحركة ، أو الحياة فيه أو حوله . فبدأ يرتقى الجبل متجها إليه ، وهو يحاذر في كل خطوة يأتيها من عين مرقنة ، أو اذن منصتة . ظل ينتقل من صخرة إلى أخرى يحتمى بها ، وعيناه لا تفارقان مدخل الكهف ، لكن الجبل ظل موافا لا حياة فيه .

جال بهيمه في جوارب الجبل كلها ، ولم يجد جديدا ، ومع هذا فقد ظل على محيطته وحذره ، فقد كان يخشى أن يكون شركا نصب له . دار دورة كاملة حول مدخل الكهف حتى صار فوقه تماما . وشاهد ما بقي من جثث قتلى المعركة وقد أصبحوا مجرد هياكل عظمية بعد أن آتت العقبان على ما كان فيها من لحم . كان منظر العظام ، والجناجم المتناثرة بشعا تهنيق به النفس فأسرع مبتعدا عنه حتى أصبح فوق مدخل الكهف مباشرة . أصبح السمع عاجلا أن يلتقط أى صوت في الداخل ، لكن كان كل ما تنامي إليه أصوات عقبان تتنازع . كان معنى هذا الختمى عدم وجود أحد في الكهف ، أو على الأقل عدم وجود شخص حي فيه . علم أنه لم يعد هناك داع للتخفي ، والاختباء ، فأسرع هابطا إلى المدخل . هزنت العقبان في وجهه متحمدة ، لكنه كان يعلم أنها جبانة

لأنها جم حيا ، فتناول حربته وتقدم نحوها . إزداد صراخها حتى كان يتردد بين جنبات الكهف ، ثم وكأنا كانت على إلتفاق ، هبت جميعها طائفة . واضطر الشاب أن يترك المدخل المحظوظ ريثما نخرج منه الطيور الفزعة .

جانبه منظر كئيب . كان الكهف متسعا يتجاوز طول حشرة أمتار وعرضه مثلها أو تزيد ، كما كان سقفه عاليا إلى درجة تسمح للرجل الطويل أن يقف براحة . بل وكانت هنالك منطقة ارتفع فيه السقف ، داخل في جوف الجبل إلى مساحة جعلته مظلمة تماما ، وعلى أرضية الكهف الواسعة ترامت جثث القتلى ثلاثة لأطفال رضع ، وجثتا الرجلين الذين حملنا من ساحة المعركة إلى داخل الكهف ، وجثة خادمة لإمرأه .

كانت جميع الجثث قد نهش عليها بدرجة أو بأخرى . لكن الشاب لاحظ ظاهرة لم يكن قد رآها من قبل في أى وقت ، كما لم ير حيوانا في حدود عليه يمكن أن يتسبب فيها . رأى هاجم القتلى جميعا موشمة وفارعة . لم يكن يعرف ما يوجد داخل الحجمة عادة ، لكن أيا كان الذى كان فيها ، فبعد التهمة الذى هشمها (١) . شعر الشاب بقشعريرة غريزية أدغمه أن الرجال الذين كانوا في الكهف قد هشموا رؤوس القتلى ، واستخرجوا ما كان فيها وأكأوه ، كما أنهم ولا بد قد أكأوا من لحمهم . وإن كانت العقيان قد ضيعت معالم ما أكأوه . وما كان الشاب ليعلم معنى تهيم الحجمة أو كل الملح، وما كان ليعلم أيضا بشاعة أكل لحم البشر ، بل هل العكس ، كانت بيته وحياته تجعل هذا من الأعمال العادية المألوفة ، لكنه بالرغم من ذلك ، شعر بنفور غريزي ليس له سبب .

دارت عيناه مرة ثانية في جدران الكهف ، وسفقه . رجعت ذاكرته إلى عائلته التى كانت تقطن تجاوزيف الأشجار ، وفروعها ، ورأى نفسه يقارن بين المأوىين . لاشك أن مثل هذا المأوى أقوى ، وأمن من الأول ، وهو أقل عرضه لهجوم عليه ، وأسهل في الدفاع عنه ، ومع هذا فقد قتل الجميع من فيه ، وأخذ الباقون أسرى . هل ينفع مثل هذا المأوى ضد الرعب الذى طارده والذى يجسد الشاب منه قدر استطاعته .

لم يكن هنالك شك في أن هذا المأوى الحجري أحسن كثيرا من تجاويف  
الأشجار ومروحي ، ولا شك أيضا أنه يعطى حماية أكثر ضد الأمطار ،  
والرياح ، والصواعق ، وغيرها من عوامل الطبيعة ، لكنه ليس دائما كافيا  
ضد أي عدو مهاجم ، بل لعله شرك لا يسهل الإفلات منه ، وراودته بعض  
الخواطر ، أن يستعمل الكهف كموطن له بعد أن قتل أهله أو أمروا ، لكنه  
راجع نفسه إذ كانت أثمار ، والمياه بعيدة ، بل وكذلك الصيد . وشعر بحركة  
خطاه ، فالتفت بسرعة مستعدا بحربته ، لكنها كانت العقبان التي طارت بمجرد  
أن رآته يتحرك . وأخرجته هذه الحركة من أحلامه ففكر في أن يعاود رحلته  
الأولى بمحاذاة الجدول ، لكن فضوله دفعه إلى أن يقرر تتبع آثار المهاجمين  
ليرى ما سوف يفعلون بالأمري ، وليرى كذلك وجه الفتاة مستقيمة القامة  
عن كتب .

## الفصل الرابع

### هي ... وهو

كانت الشمس قد تعدت الظهيرة حينما وصل الشاب إلى قمة الجبل للمرة الثانية . على ضوء النهار إتجه من قوره إلى الحافة الثانية ، وصرح بنظره في الأفق حيث رأى المهاجرين لأول مرة . لم يحب حذسه إذ لاحظ له على البعد ، قريبا من الغابة نقط صغيرة تتحرك ، لم يشك لحظة ، في أنها الجماعة عائدة أدراجهم من حيث أمت . تردد الحطّات قبل أن يبدأ في الهبوط ، وجمال باخترية في قلق إلى الاتجاه الذي أتى منه ، مفكرا في زميله الذئب الذي لم يره منذ الصباح . وحار في فكره عما إذا كان الذئب سوف يستطيع أن يتبع أثره وأن يسلقه . لم يكن يفكر عادة في أن رفيقه قد لا يستطيع اللحاق به ، لكن المنطفة كانت غريبة على كليهما ، ولم يكن الشاب واثقا من قدرة الذئب على تتبع أثره . كاد أن يرجع عن رأيه في إقتراف أثر الجماعة ، والعودة للبحث عن رفيقه لولا أنه شاهده فجأة يظهر على الحافة الثانية من الجبل متجها نحوه . ولم يتردد بعدها ، اتجه مباشرة منحدرًا على السمع ، في الاتجاه الذي رأى فيه النقط المتحركة .

بدأ تعرف الشاب على أنواع جديدة من الحيوانات حينما شاهد ما عزا يقفز من أكمة صغيرة لإقرب منها ، ثم رآه وهو يجرى مدعورا لينحني بعد لحظات بين الصخور . حاول اللحاق به ، لكن الماهر كان يفقر بحفة متناهية على الصخور ويرتقي لما كان لم يكن في استطاعته أن يلاحقه فيها . ذكرته رؤية الماهر الشاب بمجموعه قلمت ، حوله باحثا عن غذاء أو صيد . شاهد من بعد قطيعا من الحيوانات تقفز من صخرة إلى أخرى في خفة ، ورشاقة متناهيتين . فسكر في محاولة صيدها ، لكنه رجع عن رأيه لما رآه من سر حركتها فوق الصخور ، وبقية باستمالة مضارعتها . حتى الذئب قنع بأن ينظر لإيها بنهم دون أن يحاول اللحاق بها . وما درى الشاب أنه كان يشاهد قطيعا من الماهر الجبلي .

ترك الإثنين سميع الجبل وسارا متجهين نحو الغابة . كان الشاب يعتقد أن المسافة بين الغابة والجبل ليست بعيدة . لكنه لم يقدرها قدرها حتى أن الليل جن قس أن يسه بداية لأشجار المنتشرة . شعر بجوع شديد ، وظمأ ، ففنى يبحث بين الأشجار القليلة عن الثمار ، في حين تركه اللذائف في إحدى رحلاته التي يتغيب فيها عن رفيقه . لم يجد أية ثمار ، كانت جميع الأشجار باسقة ليس فيها سوى حفرة الأوراق . حتى فروعها لم تكن على ما عهده . من صائر أشجار العابات التي مر بها ، قريبة من الأرض تسبها يسهل تعلقها ، ولذا كانت الشجرة تكاد أن تكون ملاء في حلقها . وترتفع شاهقة بلا أى فرع إلى مسافة كبيرة من الأرض ، ثم تبدأ العروج .

ضرب صفعاً مؤقناً عن الطعام والشراب ، ومعنى بكائه يبحث عن مأوى ينضم فيه يقيه غائلة الوحوش ، والبرام ومضت أكثر من ساعة دون أن يجد بعينه فاسطراً أن يصح حركته إلى جاسه ، وأن يستلقى تحت إحدى الأشجار دون أية وقاية سوى حواسه المدوبة .

لم يكند الشاب أن يستسلم النوم حتى هب فرعا هل صوت صبيحة بدت آتية من داخل الغابة ما كادت أن ترتفع ألما ورهاباً حتى برزت قبل أن تصل إلى منتهاها . كانت الصبيحة بعيدة ما كان يمكن للأذن العادية أن المنقطها ، لكن أذى الشاب المراهقين ، وحده الدائم ، وتوقه لأي خطر أيقظه من نومه . لم يشك لحظة في أن هذه الصبيحة التي سمعها إنما صدرت عن حنجرة آدمية ، وبالذات من امرأة . واستمر فترة يتوقع تكرارها ، أو حدوث أى صوت آخر ، لكن الغابة عادت إلى صمتها لا يقطعه سوى عواء دئاب تجارب بعضها .

جفا اليوم عينيه فظن يقظا يفكر لم يكن هذا شك لديه أن الصبيحة إنما صدرت عن امرأة من الأسيرات ، وأعطها الفناء المستقيمة القائمة . ولا بد أن المرأة قد أفرعها شيء ، وأن أحد الرجال المهاجرين كان يريد أن يقتلها ، فرائ المرأة ذلك فصرخت . ولعل هراوته الثقيلة قد هوت على رأسها فشمته ، وقطعت العرجة قبل أن تصل إلى مداها . ولا بد أن الجماعة الآن تلثم لحمها . أو تزدرد خافي جرحتها . كما فعلوا قبل ذلك بالحث التي رأها في السكوح . أجل لا بد أن هذا هو ما حدث ترى هل صدرت هذه الصبيحة من فم الفتاة مستقيمة القائمة ؟

وعاوده التمسح فاستلقى ليلام . وما زالت صورة الفتاة في مخيلته .

استيقظ قبل أن يتصبب الليل وقد مرت في جسده قشعريرة شديدة لم يشعر بمثلا من قبل من أثر البرد . نظر حوله يبحث عن شيء يدفع به جسده العارى فلم يجد سوى بعض أوراق الأشجار ، فصرى يجمع منها ما يستطيع على حذوه القمر الذى يتحلىل من بين الأفرع والأعصان ، حتى تجمعت لديه كمية كبيرة منها ففرشها على الأرض ، وحاول أن يدخل نفسه بينها . والمزعم من هذا أن بآته النوم حتى وصلت إلى أمه رائحة رفيقة الذئب الذى وصل إليه ، والتصق به بينغى الحفـة بدوره . وحدث الحرارة فيهما فقاما نوما عفيفا من أثر الحمود الذى دللاه طوال اليوم .

فتحت السماء أبوابها ليبتل المطر ملائوف ساهات متتالية تحت كل أثر يمكن أن يستدل به الشاب على الطريق الذى سلكته الجماعة ، بل ويحت كذا لك كل أثر رائحة حذفتها ، ولم يبق أمامه بعد هذا ألا أن يصرف همه إلى إشباع جوعه وزميله ، ثم الاتجاه نحو المصدر الذى تصور أن الصوت قد جاء منه . لإنه الإنسان بسرعة إلى الغاية حتى أن يكون بين أشجاره بعض الحماية ضد الأمطر . وبينما هما سائران فى دروب الغاية ، طلع على الشاب فجاء مطر بشع . جمجمة مرشمة ، وبقياعظام ، وهذان تطير بعد أن سلحبت ما كان قد قبضى من المرأة المسكودة .

حار الشاب فيما يفعل وإلى أى اتجاه يسير . كان أمامه أن يسير فى الاتجاه نفسه ، وأن يستمر فيه ، أو يفارقه حتى يستدل على مكان الجماعة إذا نسي له أن يسمع صرعة أخرى ، إذ كان قاطعا فى أن المهاجرين سوف يقتلون امرأة نائية خلال يوم أو اثنين . لكن هذا مساء الانتظر لئلا قد لا يحدث إذ ربما تقتل المرأة دون أن يكون لديها فرصة المراح ، أو فى مكان بعيد بحيث لا يصل إلى أذنيه الصوت . لكنه لم يأخذ أى الطريقين . كان يعرف بحكم بيئته أن العقبان لديها غريزة عجيبة فى توقع الموت . تسلى احدى الأشجار بصموبة راح ينظر إلى السماء حتى شاهد العقبان محلقى ، فلم يتردد فى أن يأخذ الاتجاه الذى رآها فيه .

سار الشاب حديثا يقبعه الذئب ولم تنذر مناظر الغاية حوله أثناء سيره إلا قليلا . كانت دائما تلك الأشجار الباسقة الخضراء ، وقليل ما كان يرى لوما



آخر . استمرت الأرض خليطاً من الطين ، والحصى ، والحجارة في حين تمت  
بعض الأشباب في المناطق التي تحف فيها الأشجار نسيها . لاحظ أثناء سيره  
أن أنواع الحيوانات مختلف تماماً من تلك التي ألها في الغابة التي نشأ فيها .  
كانت معظمها حيوانات صغيرة ما يكاد أن يراها حتى تجرى ، لتختفي في  
جسورها ، أو بين الأعشاب ، وإن كان قد لمح بين الحين والآخر غزلاً أو تمرح بين  
الأشجار ، أو ما اعتقد أنها غزلاً ، وإن كانت أكبر حجماً من زميلتها في غابة الأولى .

افتقد أكثر الأصوات المألوفة لديه ، فلم يسمع صراخ القردة ، والنساييس ،  
ولا الأصوات المرعبة للوحوش وإن كان قد حيل إليه أنه سمع زئير سم سيق  
الناب ، كما وصل إلى أذنيه عواء الذئاب . لكن أصوات الغابة ههنا كانت  
مغايرة تماماً لألفه ، حتى أن أكثرها كان تغريد طيور . ولاحظ أن أصوات  
الطيور كانت أعنى ، وأحسن من طيور غابته ، لكن الأخيرة كانت ألها  
أكثر تعدداً ، وتبايناً ، وبريقاً .

وزجر الذئب ليبيد الفئ من أحلامه ، وليجد أمامه تماماً ، وعلى بعد لا يريد  
عن عشرين ميلاً ، وحشاً هائلاً قد سد الممر بين الأشجار . تذكر أنه قد رأى  
شبيهه في غابته ، وإن كان هذا الوحش أكبر حجماً إلى درجة تجاوز مرة ونصف  
الآخر . زجر الوحش ، ودهش الشاب حين رآه قد وقف على خلفيته حتى  
كاد أن يكون متمصب الغابة فكان منظره هائلاً . استعد الشاب بحريته وهو  
يشك في قيمتها وفاعليتها ، أمام هذا الجسم الضخم .

لوح الوحش ، وما كان إلا دماً ، يديه في الهواء متعدياً . وانتظر الرفيقان  
ماسيعة ، لكنه استمر في تعديه . ولعله هو الآخر كان ينتظر ماسوف يفعلان  
إزاء تعديه ، وتحرك الشاب ببطء وحذر نحو الأشجار الجانبية مفسحاً الطريق  
في حين لم تفارق عيناه الذئب لحظة واحدة . وبقي الذئب مكانه مكشراً عن أليابه ومطلقاً  
زيجرات متعديّة متتالية . وازداد غضب الذئب ، وركز اهتمامه على غريمه ثم اندفع  
كالجنون نحوه . بقي الذئب مكانه حتى كاد أن يدممه الوحش الهائج ،  
وحين استعد الشاب لدخول المعركة ، لكن زميله تمنى في اللحظة الأخيرة ،  
بخفة لانضاهي ، والندفع الذئب . ودهش العتي إذ رأى أنه لم يترقب في اندفاعه .  
واندت عن شفثيه تنبؤة راحة كأمها انزاح عن كاهله عبء قهيل .

استأنف الاثنان سيرهما دون حدث آخر . وتمجيب الشاب اذ لم تصل الى  
أمامه رائحة الجحاة . كان يعتقد أنه يقاربها ، ومع هذا فقد مضت خمسة أيام وهو  
يسير في العابة الغريبة دون أن ينحفظ أى دليل على وجودهم .

و ذات يوم كانت الشمس قد شارفت المضيئ حينما اختار شجرة أسول من  
غيرها في القلبي ، وارتفع لهرى الدقيان وقد انحرفت تماما عن الاتجاه الذي  
كما يسيران فيه . لكنه لاحظ أيضا شيئا آخر كانت الجبال التي رآها عن  
بعد وهو على قمة القلبي قد اقتربت ، وكان الاتجاه الجديد الذي اتخذه اتجاه  
يتجه رأسا الى إحدى سلسلة الجبال ، وأقربها . فمر الى رأسه أن الممجمين أيضا  
كثيرون من سكان السكوف ، وإن كان سكنهم في جبل آخر . وإذا فبعد أيام  
سوف تصل الخفة إلى موطنها ، وإن يكون من اليسير عليه عندئذ أن يرى  
الغثة من كذب . هذا إذا ما كانت ما تزال على قيد الحياة . إذا كان يريد أن  
يحصي شيئا فعلية أن يفعله بسرعة ، فكل يوم يقرهم من بقيتهم ، ويبعد من  
عابته الحبيبة ، كما قد يكون بعض أفراد أهلهم قد خرجوا للصيد ، وبذلك  
يكونون قريبين إلى درجة يحتمل معها أن يسارع أحدهم إلى مساعدتهم ، فيضطر  
الشاب ، والذئب إلى مجابهة فئة كثيرة لا قتل لها بها .

هبط من الشجرة إلى حيث كان الذئب في انتظاره ، وابتدأ في اتخاذ الاتجاه  
الصحيح . واظلمت الدنيا وما يرايان جدران في سيرهما حتى اضطر إلى التوقف  
حتى أن يفقد الاتجاه الصحيح ، وأخذ يجمع الفروع الصغيرة ، والأوراق المتساقطة  
ليحد فرائشه ، وزميله إذ كانت الحرارة قد انخفضت بمجرد أن اختفت الشمس .  
ولسرة الثانية طرقت أذنيه تلك الصرخة المريعة غير المكتملة ، ثم ساد الغابة  
هتو غريب . كانت الصرخة في هذه المرة أكثر قربا من سابقتها ، وأكثر  
ارتعاجا ووحدة . ومما ليته وخيال العناء يذاهبه .

أيقن أنه حركة من الذئب قبل انفلاج المجر . سار الاثنان في العابة يبحثان  
عن طعامهما حتى وجداه في شكل غزال صغير اقتسماه . ولم يلق الشاب هذه المرة  
سوى الطعام وإنما حله ، والجلد . وخطر في باله خاطر . ذكرته قدماء الداميتان  
من الحصى بحريق الغابة ، فقطع قطعتين من الجلد ، وربطهما حول قدميه . ولما

خرج كادت الشمس تسكد أن تنو سط كبد السماء . مرة أخرى ارتقى قمة شجرة ليرى العقاب ، ثم هبط ليأخذ ذات الانجاء . وفي هذه المرة كان يسير بسرعة تقارب العدو فقد كان يريد أن يدهق بالجماعة في الليلة نفسها . مر في طريقه على عقبان تنهش ما بقي من جثة امرأة . لاحظ أنها قتلت بالطريقة نفسها التي قتلت بها سابقتها ، وأن جرحاتها قد شملت تماما كما كسرت بعض العظام الكبيرة . وما درى أيضا أن هذا كان لاستعراج المح ، والنجاة

فقد أنه لن تقتل امرأة ثلثة الا بعد أيام ، فواصل سيره في نؤده حتى كادت الشمس أن تغيب ، ومع هذا لم ير لجماعة أثرا فسكن في أن يرتقى شجرة ليرى منها موقع العقاب . لكنه تردد في التعميد خشية أن يفتبع عليه الوقت ويمن الليل قبل أن يتأكد من مكانهم ، فواصل سيره بلا توقف ولا هرواة . ومعنى يومان أحراا والشاب يتبع انجاء العقاب . ودارغم من هذا فقد هبط عليه طلام اليوم الذي دون أن يرى أي أثر .

كاد أن يياس ، ويبدأ في جميع فراشه من أوراق الشجر حينما توقف الذئب فجأة ، وصدرت عنه زجرات حافنة . توقف الشاب بدوره ونظر إلى رفيقه فراه يحرق عينيه في حل شجرة لا تبعه أكثر من هشرين مترا عن مكانهما . كانت الغابة في دلام يكاد أن يكون دامسا ، اذ لم يكن القمر قد ارتفع في السماء بعد . وصح يده برفق على رفيقه ، ثم اسباب بحفة إلى أقرب شجرة يختص بها . وفهم الذئب ما يريد رفيقه في سكن ، فامس زجره . أخذ الشاب يمحلق في الانجاء الذي ينظر إليه الذئب حتى حين إليه أنه يرى بقعة أشد ملاما من غيرها . وفهم لماذا لم يسمع صوتا ، ولماذا لم تقتل امرأة في هذه الليلة حتى الآن . لقد تناهت إلى الجماعة وانحته اذ كان قد اصبح في مهب الريح بعد أن انحرف في الطريق ، فوضعوا له كميناً ينتظره ليقتض عليه ، وربما ارادوا أن يكون هو الضحية في هذا المساء . ولقد كاد أن يكون ، لولا حدة بصر الذئب . وتحرك الذئب يتبعه من مكانه مرة أخرى ليحتق في ظلال أشجار العاة ، وليدور دورة كاملة بعيدة حتى لا يبق في مهب الريح ، وحتى يصع الجماعة حيث تنهاى إليه رائحتهم .

أكمل دورقه بغير حادث بالرغم أن القمر كان قد ألقى في السماء مر سلا أشعة وضائة كادت أن تحين الليل نهارا . وقف في ظل شجرة بعيدة ، وراح

يرت على كتفه الذئب حتى لا تصدر منه زجرة ، أو حركة تكشف عن وجودهما . كان الجميع نياما سوى الشخص الذى كان ينظرهما خلف الشجرة وقد بدا الآن واضحا فى ضوء القمر ، ودارت عينا الشاب بين النائم بحثا عن الفتاة ، لكنه شاهد أولا ذلك العملاق الذى كان الفيصل القاطع فى القتال مع سكان المكلف . وركز نظره عليه مدققا فى ملامحه . لاح الجسد طويلا جدا وهو نائم ، وندت عليه علامات القوة الصارخة فى كل جزء من أجزاء جسمه . ونقل الشاب بصره متفرسا فى الوجه . لاح له أن العين لم تسكن فى مثل عور عيون الآخرين ، ولا كانت الجبهة فى انحدار جبهاتهم ، وكان الألب أظلم . لكنه لم يكن بالبحر الفوطية كسائر زملائه . وحيل إليه أنه الذراعين لم يكونا فى حول ذراعات الآخرين ، ولا كانت الرجلان فى قصر أرجلهم . لكن أكثر ما كان يلفت النظر فى الرجل هى وحشيته البادية على وجهه حتى فى نومه . كان دائما ويده تقبض على مفاصله الضخمة .

انتهت عينا الشاب تبعثان حتى استقرتا حيث كانت ترفد الفتاة وسط نسوة الاسارى والاطفال . والسبب لا يدري كنهه أحسن براحة اذ شاهدها . رغم أنها لم تسكن إحدى الضحايا السابقة ، مضى إليتهما بهيئته . دارت عيناها من الشعر الأسود العاجم ، إلى الأهداب الطويلة المسبلة ثم إلى الأنف . عين المستقيم ، والشفيتين المليبتين ، وأخيرا هبطتا إلى الجسد الصغير القوي . وارت فى رأسه الأفكار . لقد كان كل ما يورده هو أن يشبع فضوله ليرى الفتاة . كثر ، أما الآن وقد رآها ، فقد قرر أن يستخلصها لنفسه . فكر فى أن يحتضنها والباقيون ينام ، لكنه راجع رأيه حينما تصور عظم الخطورة .

استحب بعد دقائق ، وتبعه الذئب . وحينما أضجى على مسافة آمنة من حافة جمع بعض الأوراق الجافة وجعلها له فراشا . ثم استلقى على الأرض . نبت الذئب إلى جانبه وسرعان ، ما اغصص عينيه وراح فى سبات عميق .

لكن الشاب جافاه النوم . وراح علة يفكر فى الوسيلة التى يستخلص بها الفتاة منه . ولاح لحياله الوجه الجميل كأنما يستحبه على انقاذها فقص يتعلم فى رفقته . حزن أن يرايه النوم . كان يعلم أن فى انقاذ الفتاة من أيدي أمرها خطورة جسيمة

حتى في أحسن الظروف ، أما إذا أقدم دون روية فلا شك في أنه هالك ، وأنها هالكة .

أخيرا استقر رأيه . إن عليه أن ينظر ، ويتحير العرس . عليه أن يقتضي أثر الجماعة ، دون أن يلحظه ، وأن لا يخطأ إلا إذا دعت الضرورة الحتمية لذلك .

وكانما كان في استقراء رأيه راحة ذهنية له ، فلم يمض وقت طويل حتى راح في سبات عميق لم يستيقظ منه الا مع تباشير الصباح . ورأى أن يترك الجماعة فمضة الوقت قبل أن يتبع أثره . فالتفت في الغابة يبحث عن صيد .

مضت أكثر من ساعتين قبل أن يفكر عزالا شاردا ، ومضت ساعة أخرى فاتهم فيها مع الذئب وجبتهما ، ثم حمل الشاب ما استطاع من اللحم وانفذ يجرى وراء الجماعة . وصلته الرائحة قبل الغروب ، فتعمل في سيره . دارت عيناه في الغابة حتى رأى رآهم واستقر نظره على الغنائة . رآها تسير مكشوفة تعبة تحرجر ساقها جرا . ولم يكن حال الاسيرات الا حريات بأحسن منها ، بل ربما كانت هي أكثرهم تعجلا ، ولما سكا .

استمر الشاب في تعقبه محاذرا أن يتعرض لمهب الريح ، أو أن يحدث أي صوت . وكانما طل الذئب أنهما يتعقبان فريسة إذ أنه بدوره تسع صاحبه متسللا متلصصا .

جاء الليل ، وتوقفت الجماعة من المسير وسأرا يا كاون بما معهم من اللحم وجدورياتهم وألقوا بمسلاتهم إلى الأرضات اللات وحس ينقلن في سليلها . ومضت فترة ، ثم هم المكون اليانة . وهم "أب أن القوم قد جمعوا ، وأنه لا جدل لليلة أبدا إلى محاذلة ، ثم الم .

استمع جودوه ، وصلى يبحث في ذلك سريعا من مرسع سلكي ذاب ، ورفعه في يده ، ورأه للرس ، ولم ينوقف عن ذلك . ثم "أب أن القوم قد جمعوا ، وأنه لا جدل لليلة أبدا إلى محاذلة ، ثم الم .

وطلع حين تدكيره رجحه صبيحة حدثت من الذئب فاجعت لميه . ورا قدما ينظر في أمه . فخرج الذئب بجحة من مكابه ، ليكن الذئب اتجه إلى

ناحية أخرى ، ثم توقف وراح ينظر إليه مرة ثانية نظرة قلقة غير مستقرة . وعدل الشاب عن الاتجاه الذي اتخذه ومضى يقبح الذئب . لقد التقطت أذنا الذئب الخادقان صوتا لم يصل بعد إلى أذنيه ابتداء الذئب يتعد كثيرا عن منطق الجماعة . لكن الشاب لم يكن يريد أن يتعد فتوقفه السير . وتوقف الذئب وراح ينظر إليه متطلعا . لقد كان الذئب يخشى تجمعات الأسرار بطبيعته ، وكذلك كانت سائر الحيوانات ، أما هو ، فهو أسرار ، فإذا يخشى تجمعاتهم . وأشار إلى رفيقه بأن يتبعه ، لكنه لم يتحرك من مكانه ، وأخذ ينظر إليه تلك النظرة القلقة .

لجأ علم السبب في قلق الذئب . تنافى إلى سمه وقع أقدام حبيبة على الأرض . اصرع بالاحتفاء في ظل شجرة ، واتجه ببصره إلى مصدر الصوت ، على ضوء القمر ، رأى جماعة من الرجال تتجه إلى حيث المعسكر وبها يسكن السكف لم تكن طريقة سيرهم تختلف عن زلاتهم النائمين . فاكثروا من مقبلة ، وأيديهم طويلة مدلا ، ومشيتهم ثقيلة متعاضدة وتبعهم الشاب جاعلا أياهم من حيث تأتي الرياح . ودارت في رأسه الأفكار . من هم هؤلاء الجماعة ؟ هل هم أعداء النائمين أم أعداء ؟ هل سيدور القتال أم سيكون احتمال ؟ .

وقرب مكان معسكر النائمين ، واستطاع الشاب أن يراهم . شاهد العملاق وهو يهب خلفه من قومه ، وقد أمسك بمراوقه ، ويصرح صرخة مرعبة ، نبوت كل من كان في المعسكر فبهوا مدعورين . شاهد الجماعة الآقية وقد توقفت عن السير ثم أصدر واحد من الرجال صوتا صديقا كان له معمول السحر . إذ وضع العملاق مراوقه جانبا ، ومضى قدما قومه فرين ضمن من كان معه . ولاقى القادمين سرور . فهم الشاب أن الجماعة التي معه ربما كانت أيضا من أصحاب الآخرين وأبهم ربما كانوا في رحلة صيد أخرى بدورهم ، ثم تنافى إليهم رائحة أصحابهم ، فحضرُوا للقيام .

رأى عملاق يتحول من أسرار ، والاطلاق لاسرى وراح يتفرد في وجوههم ، وجسادهم . نأه يقف هنيئة عند الفتة مستقيمة العامة التي علا وجهها قدس ، ثم مد يده وقبض على ذراعها . حاولت الفتاة الدمعس بشكل قراها ، ولمكنها كانت كرشة في مهب لريح ، وجرحها العملاق غير عسى ، متقاومتها .

رأى الشاب ابداه تراقب المشهد وقد انبطحت على وجوههم أحاسيس شتى .  
فالتساءل والاطفال كانت أحاسيسهم تتأرجح بين الرعب والراحة ، في حين أن رسم  
النهم على وجوه الرجال .

وصل العملاق إلى حيث ترك هراوته ، أحس أن ينقطعها . وقرر الشاب التمدد  
مهما كانت المجازفة . وقبل أن يتحرك من مكانه رأى الفتاة وقد انتهزت فرصة  
استرحاء اليد حينما انحنى العملاق لتناول هراوته ، وتملصت من قبضته ، وفي نوان  
كانت قد أطلقت ساقها للرياح .

وظهر هنا غارق الإحسان الكامن واصبع في السهولة التي كانت تفكر بها الفتاة ،  
والسر في العدو الذي ساعدتها عليه سفاها الطويلتان . وتوالت تفكير الجماعة بدقة  
صككت الفتاة من الاحتفاء في الغابة من عين الشاب ، ثم حدث هرج بينهم . كان  
أمرهم في استرداد وعيه العملاق إذ تناول هراوته بسرعة وأشار إلى بعض الرجال  
أن يسلموه . وأعطى أثر الفتاة . ودهش الشاب حين رأى أن العملاق ، على ضحامة  
جسده كان حبيب الحركة ، سريع العدو حتى أنه ترك باقي الرجال خلفه بمسافة  
ولم يكذ السباق أن يبدأ .

ترك الشاب مكانه غير حافل بأن تراه الجماعة . واندهش بدوره في الاتجاه  
الذي سارت فيه الفتاة . ولم يمض دقائق حتى لاح له شعبه وهي تجري بين الأشجار  
متغلقة في حبة الغزال . أراد أن يلحق بها لكنه تريت حتى يرى مطارديها .  
وسرعان ما شهدهم . كن العملاق يتقدمهم بمسافة ، لكنه بدوره كان يتبعهم وبين  
الفتاة مسافة تزداد اتساعا في كل خطوة . وأطمان الشاب إلى نتيجة السباق ،  
فراح يمدو حجاب الفتاة على مسافة جارية تمكنه من رؤية مطارديها دون أن يروه .  
لم يجهد نفسه في العدو إذ لم يكن يريد اللحاق مؤقتا بها ، كما كان يريد أن يطمئن  
إلى أن أعداءها لن ينهقوا بها أو أنهم سوف يدعون المطاردة . واستمر  
السباق ، وثقتة تتسع بين الفتاة ، والعملاق ، كما كانت تتسع بين العملاق  
وسائر المطاردين .

استمرت الفتاة متغلقة غير عابثة بالخصى في الأحرار تدي قديمها . كانت  
أنفاسها تزداد سرعة ، ويكاد الهواء أن يعجز وثيقها . وكانت سفاها من حين  
جسدها ، لكنها مع هذا استمرت تجري دون أن تخفض من سرعتها ، أو حتى  
تفكر في الوقوف لاسترداد أنفاسها . كانت تعلم أن الموت وراءها ، وأن كل

خطوة تجر بها تعدها عنه ، كانت كلما هبطت قواها دفع إليها الرعب مزيدا من  
قوى . لم تكن تدري إلى أين هي ذاهبة ، وما كان يربها إلا أن يعتمد على العملاق  
وهراوته ، بل لم يخطر في بالها أخطار العامة وحيراتها . كم مرة لناهى إلى  
سمها صوت حيوان قريب ، أو وصلت إلى أنفها رائحة وحش كاسر ، لكنها  
مع هذا لم تكن تعباً بما سوف ينتهى إليه مصيرها طالما هي تبعد عن هذه الهراوة  
الصغيرة التي رأتها تنشم الرقوس نهباً .

لم تحاول مرة أثناء عدوها أن تلقى طرة ورأها ترقى المسافة التي تفصلها  
عن أعدائها . إذ أنها كانت تعلم أنها أمرع منهم عدوا ، بل إنها حتى وهي طفلة  
كبت قسقى ساء وفتيات عائلتها . كان يجب أن تستمر في عدوها . كان يجب أن  
تحنن قدميها اللتين بدأنا تزلزلهما في كل خطوة . يجب أن تحمل وتقاوم الأعياء  
فمن بدأ يداحل جسدها ، وضربات قلبها التي ارتفعت حتى كانت تسمرها  
سرب كالمطارق في رأسها .

لجأت ففر أمامها من الظلام شبح أسود ضخم ، ورائت عينيها وأصبعين فقدحان  
شررا . وقفناهي إلى سمها زجرة الوحش . لم يكن لديها وقت تتفادى فيه الفقرة  
لظوبلة الشبح الأسود فأيقنت بالموت في لحظات . ربما قد داخلها شعور بالراحة  
لأنها المطاردة ، وبأنها لن تقع مريسة لتلك الهراوة المزعجة ، وخيل لها أن شيئاً  
قد مر من فوق رأسها وإن لم تكن مأكدة ، لكنها سمعت الوحش يطلق صرخة  
مرهقة ثم ينحنى على نفسه في الهواء ليستط على الأرض يتلوى على بعد خطوات  
منها . لم تتوقف للزى ، بل استمرت في عدوها وقد أمدتها الرعب قوة زادت من  
سرعتها ، في حين امتدت يده قوية فتزعج الحربة من رأس العمدة الأسود بعد أن أخذت  
حركته تماماً . وعادت المسافان الطويلتان جريهما حلفهما .

مضى الوقت والفناء ما زالت في عدوها حتى أحست بأنه لم يعد في مكنتها الجرى ،  
وب عليها أن تستريح مهما كان الثمن الذي سوف تدفعه . ألقت بنفسها على  
الأرض لإعياء ، وراحت في شبه عيوبة بينما ترددت أنفاسها مريضة بيز ضلوعها .  
كمت خائفة القوى تماماً ، وزاد من ضعفها أنها لم تكن قد تناولت غذاء لثلاثة



أيام قناعاً سوى ما كانت تمصغه من أوراق شجر ، أو جذور نباتات فقد عافت نفسها أن تأكل من لحم نبات جلدها الذى تبقى من فضلات غذاء أعدائها .

لم تشمر الفتاة بالمعينين الذين كانوا قريباً منها ، من وراء شجرة قريبة .  
لم تسمع كذلك الخطوات المتلصقة حتى رأت الذئب واقفاً أمامها ، وقد كثر من أليابه .  
وحذرت منه زحزحات ، وصرحت العثاة ، وازدادت التصفايح بالهجرة .  
بينما ارتعد جسمها رهبا ، لم تفلت أن يهجم الذئب عليها ، لكنها سمعت صوتاً صادراً عن قرب منها ، ووقفت الذئب إذ سمع الصوت ، ثم أدار وجهه ، وانطلق إلى الغايه حيث لاحق بين حلال الأشجار . عجزت الفتاة من الصوت العريب ، فراحته تملأت حولها عن مصدر الصوت . لكنها لم قر حتى يجرى حركتها في الظلال فعاد بها التفكير إلى الوحش الأسود الذى هاجمها ، وإلى ذلك الشيء الذى يشبه الهراوة الذى مرقى من فوق رأسها ليستقر في رأس الوحش فيقتله . جارت في التعليل ، وازدادت عنها من ذلك الجهول الذى يحوم حولها ، دون أن تراه .

وعاد بها التفكير إلى موقفها كانت نعم أعيد لها أن بعد مرة ثانية في العدو وأن عطاردها لابد أنهم قد اقتربوا حداً منها الآن . أن عنها أن تتحرك بسرعة إن أرادت الحياة . حاولت أن تنقب ، لكن قديمها عانها فوقعت على الأرض . وشاهدت العينين المختصيان منظرًا لعله كان الأول من نوعه على وجه البسيطة ، كما سمعت الأديان صوتاً ربما لم يكن أحد من قبل قد سمعه ، كانت الفتاة تمحش بالسكاه العاجز المستسلم . وشعر الذئب بشعور حتى فقهض بأنه لا يجب سباح هذا الصوت ، وبأنه قد آن له أن يتدخل لمساعدة الفتاة .

شعرت الفتاة بيدين قويين تطوقانها ، وترفعانها من الأرض لتلقيان بها على كتف عريض . حاولت في مبدأ الأمر التخلص من القمضة ، لكنها قواها الحائرة لم تسعها ، فتركت نفسها مستسلمة . وشعرت بأمواج يدها ، وقد بدأ حاملها في العدو سريع ، أسرع من عدوها بمراحل ، وقد كانت تظن نفسها أسرع بنت جلدها هدوا . رأت ذئبا ضامها يجرى وراء حاملها فتمتد رهبا ، لكنها الرجل لم يلتفت واستمر في عدوه . رأت الذئب يتابعهما دون أن يحاول الاقتراب أو الهجوم ، وصرها ما أدركت أن هذا العريب كان صديقا للذئب . وحارت في كنهه ، هل هو من الرجال الذين كانوا يطاردونها ؟ واستبعدت هذا الخاطر

لأنهم لم ترمهم من يستطيع العدو بمثل هذه السرعة واليسر ، كما أنه إن كان منهم  
 فاعلى الذى يذهب إلى الفرار بها ، ربما كان يريد أن يأخذها لنفسه وينتهبها دون  
 باقى أصحابه . وأعيانها التفكير فكيف عنه مستسلة ، راحات ترقب الأرض  
 والقدمان الواثقان تنهاها فى سهولة بخطوات متعظمة ليس فيها كمال  
 ولا إرهاق .

لاحظت أن حاملها قد انحرف فى عدوه عن لإفجاء الذى كانت متدفقة فيه ،  
 ثم فمعت سبب هذا حينئذ لاحظت أن انجاء الرياح قد تغير ، وأنه قصد بهذا عالها  
 أن لا تحمل الرياح راحتهما إلى مطارديهما . استمر حاملها فى العدو بلا توقف  
 ولا هوادة بخطوات واسعة شعرت الفتاة أنها مع سرعتها ليست هى أغص  
 ما يستطيعه حاملها من سرعة . لقد قدر سرعة مطارديهم ، لتقدير أسبها ، ولم يشأ  
 أن يجهل نفسه بمجهول لا داعى له .

خيل الفتاة أنه قد مضت ساعات ، وحاملها مازال يعدو بها بذات السرعة  
 رغبة لا ينقص منها ولا يزيد . وبدأت طلائع النهار تغير الكون ، والرجل  
 زال يجرى كأنما لم يمسه تعب أو كلال . وتغلب التعب والجوع على الفتاة  
 وحس فى شبه غيبوبة لم تفق منها إلا بعد أن سقطت أشعة الشمس عليها .  
 هتعت عينيها ترى نفسها مدفأة على الأرض إلى جانب جلع شجرة . ودرت  
 صرعا فرأت رجلا طويل القامة ، مستقيم الجسد يمسك بما ظننه عصا ويذهبها  
 و حذول يجرى قريبا منها ليخرج مدهكا من طرفه الآخر .

خطر فى بالها أن هذه هى فرستها الهرب ، فبدأت تتحرك ببطء لكنها  
 من ما كسفت عن الحركة حينئذ سمعت إلى جوارها مباشرة زجرة هرفت قبل  
 تصر أنها زجيرة الدب . وسمع صائد السمك الزجيرة فالتفت إلى باسيتها ،  
 من عن صيده . ولأول مرة رأته الفتاة وجها يصاحف تماما كل ما ألفته فى  
 حستها . كانت هائلت العيان ، ولأف ، والشفقان والدمع والحيمة ، لكن  
 من المظنن . لم تكن العيان عاترين ، والجبهة منبطحة إلى الخلف ، بل  
 من نفسها تنظر فى عشرين صافيتين وسبعة مستقيمة ، وألف لا أثر فيه للطمس ،  
 من ليس فيهما عظمة ، ومضى الشاب ينظر إليها فترة . ثم انحنى فتناول  
 سكين من الأرض ، وألقى بها إليها ، ثم عاد يصطاد من جديد

تتردد الفتاة في أن تثبط المحمدين إذ كان الجوع قد ألم بها إلى حد غير محتمل وراحت تمشيها في نوم . لاحظت وهي تأكل أن الشمس كانت قد تجاوزت وسط السماء ، ودهشت إذ لم تكن تصورت أنها نالت كل هذه المدة . فرغت من أكلها بسرعة زائدة ثم حاولت التوجه إلى الجدول لتتوى ، ففشرت بألم شديد في قدميها فجعلها تصرخ صرخة كتمتها قبل أن تخرج من شفيها ، ومع هذا فقد لاحظت أن الشاب قد توقف للمرة الثانية عن الصيد ، ونظر إليها يستطلع الخبز . ولم يمر الفتاة الشاب الثماني ، وتعاملت على راسها وسارت إلى الجدول ترتوى زججر الذئب ، ثم كف حينما علم أنها لن تحاول الحرب شربت حتى أحدثت كفايتها ثم راسعت حينها تنظر إلى الشاب وهو ما زال مشغولا بصيده ، ثم إلى الذئب وقد قبع في ظل شجرة يلتهم إحدى الأسماك .

وسطر في بالها أن فرصتها للحرب قد عادت ، لكنها في هذه المرة راحت تدور بعيدا بحثا عن أحسن مخرج أدارت رأسها ببطء وحذر في أشجار الغابة ، وبعاد حيل إليها أن هناك حركة خلف إحدى الأشجار القريبة فتثبت نظرها عليها . ولم تمض فترة حتى تأكدت أن هناك حركة فعلا شاهدت جزءا من كنف يبرز ، ولم يعد عندها شك في أن هناك من يرقب الفتى ليتبين فرصة الانقضاض عليه . وأطلقت صرخة تحذير في اللحظة التي أنز من خطاب الشجرة عملاق يطوح بهواوته في الهواء .

هبطت الهراوة في قوة لو أنها أصابت لحشمت رأس الشاب تماما ولا انتهت المعركة قبل أن تبدأ ، لكن الشاب تفادىها بخفة وسهولة أذهلت الفتاة . ودهشت إذ رأت الذئب قد اندفع مرجرا ، لا إلى المعركة ليساعد صاحبه ، وإنما إلى داخل الأحراش والغابات . ولم تمض فترة طويلة حتى فحيت الصب حينما سمعت أصوات صياح غخطلة بزججرات الدث . لقد أحس الأخير بأصحابه العملاق يقتربون فحب إلى مهاجمتهم . وفي هذه الأثناء كانت المعركة أمامها على أشدها .

كانت الحربة قد سقطت من يد الشاب حينما تفادى هجمة العملاق ، وأصبح أعزلا تماما ، لكنه سرعان ما تامل شيئا من منطقته لم تثبته الفتاة في مبدأ الأمر ، ثم تحققت من أنه الذئب السيق ثمر ، وواجه هدوء .

استقر العملاق حينئذ رأى غريمة يكاد أن يكون أهرا ، فتقدم منه وهو يلوح حرارته الضخمة ، كأه ، هي عصا رفيعة لا تفل لها ولا وزن ، وظهر طارق التكوين الجسماني واضحا في حدة حركات الشاب ، وصرعتها لإزاء الثقل الذي للحركات العملاق . وبالرغم من أن ميزان القوى كان من الواضح لصالح العملاق ، إلا أن سرعة الحركة وخطتها وازمت بين الكفتين . كانت المراوغة ترتفع لتبهط حينئذ يكون الشاب . لكنها تقابل الهواء . وتكون الفريسة في مكان آخر . وانهز الشاب فرصة أقرب فيها غريمه منه ونمادى ضربة من المراوغة ثم امتد الخنجر بسرعة خاطعة لينشق لحم الكتف بمرح عميق انشق منه الدم . صرخ العملاق من الألم والغضب ، ومقطعت المراوغة من يده ثم تراجع إلى الخلف بعيدا هي هذه الآلة الجهنمية .

أدرك الشاب أن الحركة أصبحت لصالحه ، ولكن أصوات القتال في الغابة كانت تمل إليه ، وكان يعلم أن الدليل يستطيع إيقاف باقي الرجال طويلا ، وأنه قد يفقد حياته في المحاربة ، فكان حثا عليه أن ينهي المعركة في أسرع وقت مستطاع . وطبق على غريمة يريد إنهاء بطشه أو اثنين . وهنا تبين له العارق بين قتال الحيوان والإنسان . لم يجرر العملاق كما كان يتوقع كالم يهجم كما تفعل الحيوانات المحاصرة ، وإنما إنظر في مكانه حتى أقرب منه للشاب ثم ، بحمة غير متوقعة من مثل حجمه ، تهادى الطمعة الموجهة إليه وإمتدت يده السليمة لتضرب الشاب على وجهه وجبهه طوحت به بعيدا وأسقطت الخنجر من يده . وقبل أن يفيق من هول الضربة كان العملاق قد سقط عليه بشل حركته ويزهق أنفاسه .

قاوم الشاب بضرب بكل قوة ، ولكن اليدين القتين كانتا تطبقان على عنقه كانتا قد منعتا الهواء عنه ، ونما لك الشاب نفسه وعارده العقل . ان يستطيع الإغلات من القصة الحديدية بمجرد القوة ، فكان عليه أن يلجأ إلى الحيلة . لجأ أمتدت بداء ، لا تزيحها القبتين من عنقه وإنما لتفرز الأصابع بكل قوة في العينين الضيقتين . صرخ العملاق من الألم ، وترك الرقبة التي كان يضغط عليها ليرفع يديه إلى عينيه الملتهتين . وانهز الشاب الفرصة وانهال على الوجه ، والجسد لكما وضربا حتى طرح غريمه عن صدره ، وهب واقفا في حين تفتر العملاق ووقف بدوره . مضى ينظر إلى عدوه من خلال هذين حراروتين

لا تمكث ان تريان ، وابتهات ممركة رهينة قواعها الايدي والسكات ، وراقبت الفتاة قد لا بين ماردین لارحة فيه ولا هراوة .

ولجأة بزغ من بين الاشجار اربعة رجال ودثب . كان الذئب يحاول المحرم على الرجل ، ويتفادى في اخير نفسه مراوهم ، لكنهم كانوا يضفطون عليه ويحاولون التقدم لمساعدة زميلهم ، وما كان في مكفة الذئب إلا مجرد تأخير هذا المحبوم ، تسلل أحد ارجل نازكا زملاءه يناوشون الذئب ، وابعده نحو المختافين ، وراه الشاب فترك غريمه وجرى إلى الجدول يلتقط حريته . وبعده الرجلان . وهنا أيضا ساعدته حفة حركته الفاشئة عن تسكوبه الجسدى . بالرقم من نصر المسافة فيه كان قد انقط الحربه ورجعها إلى حامل الهراوة ، وقدقة بها قبل أن يصل لعملاق ليهذان الاشتباك ثانية . دخلت الحربه صدر الرجل لتخرج من ظهره ، فأطلق صرخة مروعة نادت عن مقدار الألم الذى شعر به . سقطت منه مراوته ، وأمسك بالحربة بكأنا يديه ، كأنما كان يسعى لإنزاعها ، ثم سقط على الارض حثة هامة ، وادداد اقارب الرجال من المختافين فزودد الشاب برهة ثم ترك غريمه شام ، وانحنى على الأرض ليلتقط الفتاة ، وأطلق صرخة هي أقرب إلى النداء ، ثم راح يجرى . ولانقشت الفتاة لغرى الذئب قد ترك بدوره غرماؤه وتبعهما عدوا .

لعل المهاجرين كانوا قد أخذوا كفايتهم من القتال ، أو ربما كانوا قد أخذوا درسا من السباق الأول فلم يحاولوا المعاق بالثلاثة . وتبين الشاب الحقيقة بسرعة فتوقف عن العدو ، ألقي بالفتاة على الأرض ، ورائته بعد ذلك يبحث في الغابة عن أشياء لم تعرف ما هيتهما حتى عاد ومعه بعض أفرع الشجر الصغيرة ألغهاها إلى جانيها ثم رآه يلتقى قطعة معينة من الاشجار ثم يجلس إلى جوارها وبدأ بعمل دون أن يانتعز إليها ، في حين قبع الذئب أمامه وأسلم نفسه للنحاس تحت أشعة الشمس التى تخطط الاشجار .

راحت الفتاة تراقبه في فضول في حين تنالت في رسمها الاستهزاء . ماذا سوف يفعل بها ؟ هل سيعيدها إلى قومها ؟ وهلبقى منهم أحد لم يستبعد تلك الغارة المشؤمة ؟ أم تراه سوف يلتهمها كما فعل الرجال الآخرون ببعض قوعها ، وفسكرت في الحرب ، لسكنها تذكرت أنه أسرع منها عدوا ، وأن الذئب

ولا بد سوف يقتلها إن فعلت ، فتركت الفكرة مؤقتا لحين يمكنها تنفيذها .  
استمرت ترفقه وهو يشدد أحد طرفي غصن ويدببه . وانذرت الرجل الذي  
هجم عليه والذي قذفه الشاب بالرمح ، وكيف دخل الرمح في صدره ليخرج من  
ظهره ويرد به قتيلا في الحال . وعلمت أنه يقوم بصنع سلاح أشد فتكا من  
تلك الحرارة التي لا تأثير لها إن هي برحت اليد نظرت إلى الحزام يلتف حول  
وسط الشاب ، ثم إلى جلد القفال في قدميه . وتعجبت من فائدة الأول ، وتعلمت  
أن يكون لها إذا لمحي قدميهما من تلك الحجارة القوية التي أدمنتها . ورات  
الشاب وقد فرغ من صنع رمح ، وإلتفتي عصا ثانيا وبدأ بعمل فيه كما فعل  
في الأول .

لم يمض وقت طويل حتى كان الشاب قد أنهى رمحا أربعة . وما كاد أن  
يخرج من صنع الأخير حتى جمعها ونظر إلى الذئب ثم أشار إليه أن يقبع مكانه  
كما أشار إليها ألا تتحرك ثم اختفى بين الأشجار . مكثت الغداة برهة لا تحاول  
شيئا ، وراقبت الذئب فرأى ما زال ، إنما في الشمس لا تطرف عيناه . وتوسعت  
في بطنه شديد محاذره أن يصدر صوتا ، لسكها ما كادت تحاول القيام حتى  
سمعت زجرة الذئب ، ورأته ينظر إليها وقد كثر من أيه به ، فعادت ثانية إلى  
مكانها في حين أغضض عينيه ، واستمر في تعقبه بأشدة الشمس .

دلف الشاب بين الأشجار في غير صوت ، وبدأ يدور دورة طويلة هائلا  
إلى مكان المعركة . راح يرقب الرجال الأربعة من بين الأشجار . لاحظ لأول  
وهلة أن جثة زميلهم الخامس قد نبش الكثير من لحما بينما وملت الرأس المعاملة  
نفسا التي رآها الشاب في الحجوم الأخرى . وفهم لماذا لم يهتس الرجال بمطاردتهم  
لدرأوا غداء شيئا ، فتوقفوا ليألو قسطهم من النوم . راح يراقبهم وقد جلسوا  
منهم من لا يكادون أن يتحركوا ، بل أن أحدهم كان نائما تماما . وانتقلت عينا  
الشاب إلى العملاق ، رآه يستند إلى جذع شجرة وقد وضع رءوسه إلى جانبه  
في حين راح يتأمل الخنجر الذي كان قد سقط أثناء المعركة . كان الدم قد وقف تزيفه ،  
ولاحظ أن العملاق كان قد وضع عليه طيما من الأرض ، ولكنه بارعهم من هذا  
كان يادى الثعب والإرهاق .

ارتفعت إحدى الحرايب في يد الشاب ثم تركها لتندفع إلى أقرب الرجال

الأربعة فتدخل في ظهره وتستقر بين ضلوعه . وصرخ الرجل صرخة الموت ،  
وابتلى الدم من ظهره كالخبراب ، ثم استكأ على وجهه ، وراح يتلوى قبل أن تسكن  
حركته ، وتفارقه الحياة . وتصايح الرجلان الديقان ، وقفر العملاق عن مكانه ،  
واندفع إلى حيث كان الشاب يقف ، لكنه كان قد ترك مكانه من مدة . وانتقل  
إلى قلب العابة ، تخفيا عن العيون . ثم يجر الفتى بعيدا ، وإنما أعاد دورة أخرى ،  
ورأى الرجلان وهما مازالا يبحثان عنه . وحار في أمر العملاق إذ لم ير له أمرا ،  
فمن كان أصعب من أن يتحرك ، أم تراه يبحث عنه بمفرده . ؟ تملك الفراق  
الشباب . وود لو عاد إلى الجدول ليرى إن كان العملاق مازال هناك ، أو بارح  
مكانه . لكن رأيه لم يستقر على التخلص أولا من الرجلين . لم يكن هناك شك  
لديه في أن العملاق أكثر قوة من الرجلين ، حتى في صدمته ، كما أنه أكثر منهم دهاء  
إلى درجة تجعل مجرد وجوده خطرا عليه والفتاة . أحس بشعور غثي بأنه لن ينسى  
كما تنسى الحيوانات ، بل وكما سوف ينسى زملاؤه الرجال ، ما فعله به الشاب في  
الممرضة ، وهو ما حاول الشاب السعي لإلا ليستعمله في القتال القريب ، أنه لن ينفع  
الشباب من استعماله .

طارت حربة أخرى في الهواء لتستقر في صدر أحمد الرجلين ، واينخر  
بدوره على الأرض مسكاً بها يريد إنزالها . ظهر الرجل الأخير ، فاندفع عائدا  
إلى الجدول يريد أن يحتسب بالعملاق . ولم يقبضه الفتي ، ولا حاول اللحاق به ،  
لأنه مضى ينقل بحفنة وحذر بين الأشجار مرصلا بصره في شق الاتجاهات .  
تفاهت إلى أذنه أصوات صيحات الرجل الأخير ، كان من الواضح أنها صيحات  
نداء . ومعنى هذا أنه لم يجد العملاق في مكانه ففضي بصره مستنجدا وقد تمسكه  
الرب وهو بمفرده إذاء ذلك الموت الذي لا يراه حتى يأتي طائرا في الهواء .  
وما كان الموت في حد ذاته ليخيف الرجل فقد هاشره في حياته حتى أنه ، لكنه  
كان الرعب من المجهول هو الذي أفقده صوابه . رآه الشاب من بعد ، وهو  
يجرى ليصبح بين الأشجار غير عابئ بأن يحذر أو يحناط . لاحب على شفثيه  
شبه ابتسامة ، فقد علم أن الرجل لن يمش طويلا ، وأنه سوف يكون أفعى مسملة  
سائمة لأول حيوان مقوس يمس دهنه .

أهل التمهكير في الرجل ، ومضى يسأل عن العملاق كانت الشمس قد

شارفت المغيث وكان يرد أن يعود إلى الدبيب ، والمتاف قبل أن يحن الليل ، وقد ينقذ طريقه وسط هذه الغابة الغريبة عليه . لكنه لم يكن أيضا ليحرق على الحركة طالما لم يكن وانقا من انتهاء معركته مع غريمه الضخم ، دار في حوله أنه ربما يكون قد اكتفى بما ناله وكر عائدا إلى قومه ، قاما من المنبئة بالإياب ، لكن شعوره كان يستبعد هذا ، وكان يعلم في قرارة نفسه أن العملاق ما زال في مكان ما من الغابة قريب . وأنه يتحين الفرصة ليأخذه على حين غرة قبل أن يستطيع أن يستعمل حرايه .

تجمد في مكانه ، وراحت عيناه تبحثان بين الظلال المتراصة ، والأشجار بحثا عن أية حركة ، أو صوت يمكنه أن يستدل به على موقع غريمه . لكن العادة كانت تطبق على سرها ، ولم يقنأى إلى سمعه سوى صيحات الهرب آتية من بعيد ، وأصوات الغابة العادية . أيقن أن عدوه كان يريد لها معركة الانتظار وتحسين الموضع . وانظر الشاب بعض الوقت . ولكن شيئا لم يحدث ، وظلت العادة قابعة صامدة . وابتدأ الانتظار يضيق على أعصابه ، وحيل إليه أن غريمه قد ترك الجيرة فقد ز من ، وأنه إنما ينتظر هنا بلا جدوى .

استبد به الظما وهو قابض في مكانه لا يتحرك ، كانت مجرد رؤية المياه تجري في الجدول على بعد أمتار منه يزيد من عطشه . وأخيرا قرر أن يجازف فانتقل من مكانه في حذر شديد ، متجها صوب الجـول ، وعينه لا تفارق الأشجار تبحثان عن أية حركة غير عادية . لكن شيئا لم يحدث . ولإزداد الملل منه ، وكاد يقطع بأن العملاق قد طارق الجيرة وأنه عاد إلى قومه ثانية وتذكر خجسته الذي أحده عدوه وناسى عليه فقد كان يود أن يستعيد بأية طريقة .

وصل إلى الجدول ، ووضع حرقته على الأرض ثم انحنى ليشرب . كان يعلم أن هذا هو أسوأ وقت ، وأنه من التيسير على عدوه ، إن كان مختفيا بين الأشجار ، أن يهاجمه وهو في هذا الوضع ، ولعله كان قد أخذ درساً من المرات الأولى ، والثاني سوف يسرق الخطى ، ويهاجمه بلا أدنى صوت . إن يطرح حرارته في الهواء كالفعل في المرة السابقة ، ولن يصيح ، وإنما سوف يكون هجومه صامتا ، فائلا . وضاعف من حذره وهو يشرب . كانت حواسه جميعا منتبهة لأدنى حركة ، أو أدنى صوت ، كما تم بعد يده كثيرا ، حتى وهو يعب



الماء ، عن حركته إلى جواره . لكن شيئاً لم يحدث . واستمر الضئيل المطبق على العاية إلا من أصواتها العادية . فرغ من شرايه فتدث عنه تهيئة راحة وإطمئنان ، والتقط حرثه ، واهتدل واقفاً . لقد أيقن الآن أن العملاق قد غادر الجيرة ، وعاد إلى قومه . وأسف إذ هلم أنه لم يرى حنجره مرة ثانية ، وأن عليه أن يستعير منه شيء آخر . طرأ في باله أن يتبع عدوه ليستد نأيه السبق ، لكنه عدل عن ذلك إذ آثر أن يعود إلى الفتاة والذئب قبل أن يهجم الظلام .

بغاه حبات إليه الرياح زيجرات صادرة من ذئب ، وصرخة من الفتاة . لم يتردد لحظة . وارتفع يجرى بأقصى سرعته عائداً إلى حيث ترك رفيقه ملقياً بالخنجر بعيداً ، وعبر مجال ما إذا رآه العملاق ، أو هاجمه أحد وحوش العاية . كل ما استولى على تفكيره أن العملاق قد سدده ، وأنه تركه يقاتل الرجال الثلاثة ثم ينتظر في خوف ، في حين أنسل هو من المعركة ويهاجم الذئب والفتاة .

تلاحقت في رأسه الهواجس والأفكار ، تسابق قدميه إلى ساحة القتال . وترأحت الأسئلة عن مصير الذئب والفتاة . كان يخشى أن يكون العملاق قد قتلها انتقاماً منه . وطرد من فكره أن يكون رفيقه قد قتل ، فطالما دحلا معارك مما ليخرجا عنها متضررين . ولم يكن يتصور أن يعود ليراه جثة هامدة لا حراك بها . أحس ينهي على نفسه باللائمة إذ ترك غريمه يتدح به مثل هذه السهولة . ويمتلك برعيته وهو قابض في العاية يلعب دور المنتصر اليقظ .

وصل إلى المكان الذي ترك فيه رفيقه ، والفتاة ليجد الذئب ملقى على الأرض ، والدماء تنزف منه بهزارة ، ولم يجد أثر الفتاة أو العملاق . ركع إلى جانب رفيقه ، وتحسس جسده وتهد بارتياح إذ رآه مازال على قيد الحياة ، وإن كانت الدماء تنزف من جرحين عميقين عاثرين . ومد يده يأخذ من تراب الأرض ليضغط بها على جراح رفيقه فقد أدرك بعرضته أنه يجب أن يوقف تدفق الدماء ، والافتقد الذئب حياته . نوى الفتاة تماماً وهو يمشى بالجراح ، وينقل الجسد الهامد إلى أقرب شجرة يحتمي بها من بعض الرياح . وأخذ يجمع سريعاً بعض أوراق الشجر المتساقطة يضعها حوله ، وتحت ، وفوقه ، بحيث

كادت أن تخطيه تماماً . وتناهى إلى سمعه صراخ الفتاة . فتردد هيبه ، وسار  
 فيما يفعل ، فكان بين أن يترك رفيقه تحت رحمة الأقدار ، أو أن يمدح الفتاة إلى  
 مصيرها . لم يكن يشك في أنه القتل ، حينما يجوع العملاق ثابته ، بعد أكله  
 الدسمة ظهر اليوم .

لم يطل تردده طويلا ، فقد كان عليه أن ينفذ العشاء ، وأن يقتل غريمه  
 الذى خدعه ، وكاد أن يقتل رفيقه . وغلى الدم في عروقه وهو يتدفع بين الأشجار  
 نحو مصدر الصوت . وللمرة الثامنة لم يمت بأثر راء العملاق ، أو تراه  
 الوحوش . كان يعلم أن عليه أن يسحق غريمه بسرعة ، إذا أراد أنقاذ رفيقه ،  
 والعشاء معا . طرح الحذور كايه وهو يسابق الريح ، وما خطر في باله لحظة  
 سوى أن يسحق غريمه ، وأن يمرق جسده جراء على ما فعله برفيقه وبدأت  
 ظلال الغروب تغشى على الغابة وهو ما يرال في اندفاعه وحين لايه أنه يرى  
 على بعد شبيها صهما يتحرك بين الأشجار . ثم يتوقف من عدوة بل لعله زاد  
 من سرعته . ولم تدهس لحظات حتى تأكد لديه أنه يشاهد العملاق يقتل وهو  
 يحمل العتاة على كتفه وكأنها لعبة أطفال .

رآه غريمه فتوقف ، والتفت إليه ليقابله ولكنّه لم يأتى بحمله على  
 الأرض . وقبض الشاب إلى أنه إن استعمل حريته فقد يصيبها الفتاة ، وأن  
 العملاق إنما قصد أن يستمر في حملها حتى يجرمه من استعمال رجه فقد كان  
 هنالك عقل بشرى ، أو يكاد ، في رأس هذا الجسد الضخم . رآه الشاب يستعد  
 لملاقاته وقد قبض بيده على الناب العتيق . وألقى هراوته على الأرض . كان  
 مذهوره ، والظلام يكاد أن يكتسه هائلا مخيفا . لم يكن الشاب لم يكن يكره في  
 كل هذا ، وإنما ادحضر تفكيره في الباب السيقى ، فقد كان يعلم مقدار حدته  
 وأثره . لو أن العملاق أعطى فرصة لهما كانت حالتهما لإستعمال هذا السلاح  
 الخاد ، لكان في هذا القضاء المبرم على الشاب ، والفتاة ، والذئب . لم يتوقف  
 عن اندفاعه حتى كان على قيد خطوات من غريمه ، وبدلا من أن يقتل  
 احربة ، اندفع بها إلى السكتف الماوى يطعنه ، ويحركه سريعة جدا على حبله  
 تحشى العملاق عن طريق الحربة في انوقت نفسه ألقي بالفتاة والخنجر على  
 الأرض ، وانزع الحربة من يد الشاب ليطرحها بعيدا . كانت حركة ثلاثية

سريعة إلى حد أن الشاب فوجئ بها فلم يستطع أن يفعل حيالها شيئا . وكان خطأ العملاق الأول أنه حاول أن يتحلى ليأمنه الخنجر من الأرض ، مما أعطى الشاب فرصة ليسقود توازنه ، وليقفز في الهواء صاربا وجهه عدوه بكنا قدميه . كانت الضربة من الشدة بحيث ألقت بالعملاق على مسافة كبيرة ، وكادت أن تسكر ترقوته ، في حين وقع الشاب على الأرض إلى جوار الخنجر .

في لحظات إنقلب الموقف تماما . لقد تناول الشاب خنجره ، وامتدت يده العملاق إلى المرأة . إحتدل الاثنان في وقتئذيهما وبدا يدوران حول بعضهما في حذر يرقبان كل حركة قد يأتي بها أحدهما . كانا يعلمان أن فترة راحة هذه المرة لا بد أن ينتهى بموت أحدهما ، أو ربما بجرحهما معا ، لهذا فقد راح كل منهما يرن غريمه . رأى الشاب حين العملاق الصيقتين ، وهما ترقبان كل حركة يأتي بها . كانا عيانا طهر الخبث والقسوة فيهما جلليا ، كما ظهر شعور آخر ، هو أقرب إلى أحاسيس الإسائية ، شعور بالسكرة ، مزيج بالخوف . ولاحظ الشاب أن الجرح في كتف العملاق قد فتح ، وأن الدماء مادت تتدفق منه . لكن الجسد الحديدي ما كان ليأمنه يمثل هذه القوالب . ومع هذا فقد كا الشاب يعلم أنه لو استمر نزيب الدماء مدة كافية فقد يفقد العملاق قوته البرقزية ليسكون هزيمة سهلة له . لكن الشاب بدوره كان متعبا كما لم يكن عنده من الوقت ما يكفي لإصاعته في استنزاف قوى غريمه إذ كان يفكر في رفيقه الجريح الذي تركه تحت رحمة الضباع . وأنه من المحتم عليه أن يعود إليه سريرا .

حالت من الشاب إتقافه سريعة إلى العتاة ، فرأها مسجاة على الأرض حيث ألقاها العملاق ، لا حركة لها ولا حياة ، كما لاحظ عندما في جبهتها ، ففعل العملاق ضربا ليفقدوها ويها ليمسها من الصراح . وابتعد العملاق فرصة الثانية التي تحول فيها نظر الشاب عنه . وبأدبه بصيرة من المرأة ، لو أنها أصابت لسكانت مصلا الحطاب . لكن الشاب كان ينتظر هذه الحركة ، بل أنه قد حول نظره عن غريمه ليغريه بأن يقدم عليها ، وما كاد أن يفعل حتى عرف خطأه الثاني بعد فوات الفرصة . في سعة القتل تنحى الشاب عن طريق المرأة ليندمع العملاق من قوة الضربة إلى الامام ، وفي شراسة النمر ، إرتفع الخنجر ليهبط

على الجسد مرتين متتاليتين بسرعة البرق . أن العملاق ، وترجع ، واندفعت  
دماء من الجرحين الجديدين الفاترين . لكنه أدهش الشاب ، وأخذ على حين  
غرة حين تحركت الهراوة بحركة عكسية انصيب يده ، وتطوح منها الخنجر .  
أحسن بأن الهراوة قد كسرت عظام يده وشلتها عن الحركة ، كما شعر بالآلام  
حاددة ترتد إلى الذراع كله لتصدم بالسكنف .

رأى العملاق الشاب وقد أضاعى أهرا من سلاحه ، فارتد بسرعة وأخذ  
يخرج بهراوته في ضربات متتالية على أن أصيبه احداهما فيكون فيمدها نهاية  
حركة . وتراجع الشاب أمام الثورة العارمة . ولما رأى مؤثقا يده ، وراح  
يعدى طريق الهراوة ما أمكنه ذلك . وأصابته ضربة على جباب كتفه ألقت به  
على الأرض ، أمكنها لحسن حفظه لم تصب عظاما ، ومع هذا ومع أنها كانت  
سنة ضعيفة نسبيا إلا أن الآلام انتشرت في جسده ، وصرح العملاق صرخة  
تجهر حينما شاهدته طلع على الأرض وقد أذهلته الضربة ، فالتقى بهراوته ثم  
رمى عليه جسده . واستعاد الشاب وعية بسرعة ، ورفع رجله لتصيان  
جسد الضخم المندفع في أسفل البطن ، ولتطوحه بعيدا عنه . وصرح العملاق  
ولسكب في هذه المرة كانت صرخة ألم ، وليست صرخة انتصار .

وارتد الإثنان يقفان . كانت يد الشاب تكاد أن تكون مشلولة تماما ،  
وتردد الآلام في كل جسده ، في حين وقف العملاق يترنح وقد تسربل في حلة  
من الدماء التي كانت تنزف من جروحه بفزارة . والشحم يبنى القصد على غريمه .  
وتمدد العملاق على قوة ذراعيه فأطبق على الشاب ، وطوقه بهما يهره كأنما  
سرح منه الحياة . شعر الشاب بطوقين من الفولاذ يلتفان حوله ، وبأفاسه  
صبر ، فراح يكيّل السكاك على الوجه القريب منه . أبطقت الدماء من وجه  
الصفاق ، لكن ذراعيه لم تتراخيا ، بل جمع كل قوته ، وإرداد دمهرا لغريمه .  
سقت أسنان الشاب الحادة في العنق الضخم ، بينما راحت الأظافر تقطع في جلد الوجه  
الكثيب ، ومازال الذراعان يطوقانه بانقوسة نفسها ، وكأنه كان يلصق في  
صخر صلد .

أحسن الشاب بأفاسه تتالي بسرعة ، وبالدنيا تدور ، واشتد الظلام أمامه ،

وعلم أن قواه بدأت تنور ، وأن نظام صدره قد تشكّر تحت الضغط الهائل الذي يدفع للهواء من رئتيه ، ويحميه من الدخول ثانية إليهما . تملكه جنون فرح يكيل القسكات الغريبة في كل جزء طائله يدها في محاولة أحيرة للفسك من الطوق العولادي الذي لم يرتخ لحظة واحدة . ولجأة ماتت الركبتان عن حمل الجسد الضخم ، ولم يعد في إمكانية العملاق أن يتحمل من العقاب أكثر مما إحتمل ثمر على الأرض كأنما هو جبل يلهو . وتراحى الذراهران الحديديان ليبيطا في محاولة يائسة لحاية الجسد من الإطراح على الأرض . أحس الشاب بالهواء يمدفع إلى صدره ، بالحياة تعود إليه . لم يتوقف عن كيول العصب بجنون إلى غريمه الذي لم يعد في استطاعته حتى مجرد تحريك ذراعه ، بدافع عن نفسه ، أو حمايتها من السيول الممحر .

بارغم مما عاياه العملاق فقد امتد الذراهران الحديديان ليقبضا على ساق الشاب ، وترعاهه على الركوع على الأرض . وتبادل الإنسان القسكات ، ولم يثبتت الدماء من وجعها وجسديها . وشعر بأن نظام أصابعهما تشكّر أثر كل لكمة ، ومع أنه كان من الواضح أن القوة الجسدية لسكليمها قد إشتت ، أو شارفت على الإتهام ، حين القتال اسنمر بمجرد الإرادة البهيمية ، احتفظت الدماء بالتراب ، فكان منظرهما بشعا . وجاء وقت لم يستطع فيه أيهما أن يحرك ذراعه . فانتقل القتال إلى الخرشنة ، وعمرق الخلد ، وانقسم بالأسان .

ووقع الجسدان على الأرض من الإرهاق ، وماكفا من بعضهم . ولتنبهت الفتاة هراحت ترفيقها في ذهول ، لم يخطر في بالها أن هذا حير وقت لها الحرب إن شامت ، وأن أيهما أن يستطيع قمعها . كان المنظر للمائل أمامها قد صعرها إلى درجة سميت كل تفكير في أي شيء آخر . ففى على مارات في حياتها من العيب ، والفسوه ، لم تملأ هذه الوسعية مثيلا . عرّ الشاب أسنانه في كتف العملاق وحاول الأخير ، بما بقى له من قوة أن يعقبا عيني غريمه . وتمرق جلد الوجه ، وماترك الشاب كتف هدوه .

سكن القتاد في الواقع كان قد وصل إلى مشارف نهايته . فقد كان ما فقدته العملاق من الدماء من الكثرة بحيث لم تعد لديه القوة للاستمرار في المهركة ، ولا حتى مجرد تحريك يديه . أما الشاب فقد بلغ به الإرهاق حدا اضطره لأن ينتظر بين كل حركة وأخرى ، ليسترد أنماسه الضائعة . وأحيرا لاحظ أن

عريته لا يكاد أن يتحرك ، ولما كانت حركته مجردة حركات من الجسد العنصر ،  
وأعماق متعينة تتردد ، فتتوقف بدورها عن الحركة ، وإبتدأ يستريح ليسترد  
قواه المائعة .

حاول النهر من أكثر من مرة دون أن يفلح ، فقد حادته ركبته في كل مرة .  
كأن يسقط على الأرض ليربح جسده المرهق ، ولولا حروفه على رقيقه الذي  
تركه تحت راحة الضياع لأغلق عينيه وبام ، لكنه كان يعلم أن زومه منناه  
العتى أن زميله سوف يقتلهم قبل أن يثاق العجز ، كان عليه أن يقوم ، ويعود  
إليه مهما كلفه هذا من مشقة . استجمع إرادته ووقف فوق الجثة المسجدة ،  
يتربح لا يكاد ساقاه تحمله . ولم يفكر في أن ينوي غريمه بضربة حربة ،  
أو طعنة حاجر ، ولما تحرك في صعوبة ، وهو يشعر بالألم في كل جزء من  
جسده . إحنى على الأرض يتحسس مكان السيف الثاني ، والحربة حتى تثر  
صبيها . ووضع الأولى في منطقته بينما تقدم نحو العتاة وهو يتوكل على الثانية .

رأى العتاة تنظر إليه وقد التفت حذقتها في ذعر . ولو كان قدر له أن يرى  
عنه حاله المنظر ، ولعرف السبب في الرعب الذي إستولى على العتاة . كان جسده  
مغطى بالتراب المختلط بالدماء ، واحمرت عيناه ، وشعث شعره ، وصالت الدماء  
من وجهه وتدفأت إحدى يديه عاجزة ، لا يستطيع حراكها إلا بالآلام شديدة ،  
في حين كان يجر نفسه جرا إلى حيث تستلق العتاة متوكئا على حربيته . ولجأة  
عكرت العتاة في أن فرصتها للهرب قد ضاعت ، فلن يستطيع اللحاق بها وهو في  
مسه الحافة ، كما كانت تعتقد أن الذئب قد قتل العملاق . ولكن حانت منها  
ثمة إلى الحربة فأدركت أنه على ما به من ضعف يستطيع أن يرسلها في الهواء  
لدها ليقتلها إذا شاء قبل أن تخطو بضعة خطوات .

استكشفت على نفسها حين رأت أنه يتقدم نحوها ويمررها بطرف حربيته لتنفذ  
نشر إليها أن تسير أمامه عودا إلى الذئب .

سارت مكرهة ، وجر الشاب نفسه وراءها جرا ، وترك العملاق كومة منفضة  
من اللحم ، والدم ، المختلط بالتراب ، ومع هذا فقد كانت أنفاسه مازالت تتردد  
منه يجلو ويهبط يهبط . أبت قوته الهائلة ، وجبروته الفيضة أن تترك الحياة

وأبت الحياة أن تفارقها . لم يكن القمر قد بزغ ، خيم الظلام تماما على الغابة حتى أن الشاب كان لا يكاد أن يرى الفتاة أمامه إلا بصعوبة ، كان كل جزء في جسمه يتألم ويصرخ . لكن إرادته الجبارة كانت تسيطر . وكاد أن يعزل الطريق ، لولا أن تناهى إلى سمعة أصوات الضباع هددته السبيل .

ووصل أخيرا إلى حيث كان يرقد الذئب . رأى قبل أن يصل إلى مكانه عيوناً كثيرة قلح في الظلام ، وسمع زججرة رفيقة يحاول أن يضعها ليعدها . وأصدر صرنا أجشاً متعدياً فاحتفت العيون سراعا ، لكنها عادت تنظر من بعيد ، وأرسلت الضباع صراخاً طويلاً ، أجابها عنه ضباغ أخرى قريبة علم الشاب أنها لا تد تعاصر المملاق الآن منتظرة موته . وحاربه شعور يشبه الأسف لأن تذهب مثل هذه القوى بها لأكلى الرمم .

جلس على الأرض إلى جانب الذئب مستقداً إلى الشجرة ، وأشار إلى الفتاة أن تجلس إلى جواره . وكأما أحس الذئب براحة واحتمئان لوجود رفيقه إلى جواره هوفقت زججته وراح في سبات عميق . وبقي الشاب يغالب النوم وينظر إلى العيون النهمة التي تلح في الظلمة ، وترقب الجماعة في صدر . وبقيت الفتاة تقبض في حمية ، والأفكار تتسابق في رأسها . إن فرصتها الهرب والنجاة والعودة إلى عائلتها أقوى مما تكون في هذه المائلة ، فالذئب عاجز لا يستطيع حراكاً ، والشباب شبه عاجز ، وحتى المملاق لا بد أنه قد مات الآن ، وأكلته الضباع ، لم يبق سوى أخطار العابة العادية ، وما كانت لتفكر فيها إذ اعتادت بها . ما عليها الآن إلا أن تتخلص من الشاب ، وما أيسر ذلك بمجرد أن ينام ، وهو لا بد فاعل بعد الإرهاق الذي عاناه طوال اليوم . شعرت بشيء صلب إلى جوارها فتحمسته فإذا به حجر كبير . ففر قلبها من القرح فقد وضعت العليمة سلاحها إلى جوارها ، فهذا الحجر من اليسير عليها بعد أن تهشم رأس الشاب ، وما عليها إلا أن تنتظر حتى ينام .

عالت النظر فرأت رأسه يميل على صدره ، ثم ينفذ مرة ثانية ليصحو ، وليعاود اغفائه . وبقيت متيقظة تنتظر ، ومضت ساعات ، والحال على ما هو عليه ، وكأما يئست الضباع من الجماعة فركبتها ، ولما لم يعد ذلك أنجمت لتشارك

وميلاتها في ولية العملاق . وبرز القمر يرسل صوره بين الأشجار ليأتي ظلالاً كأنما هي المردة ، والشياطين تحف بهم من كل جانب . ونظرت الفتاة إلى الشاب ، وكأنما كان قد إطمأن حيناً رأى الضبايع تمجرهم ، فتدلى رأسه على صدره وراح في سبات عميق هو أقرب إلى الغيبوبة منه إلى النوم . كان الذئب بدوره نائماً لا يفيء عن حياته سوى أنفاس ضعيفة تزدد ، وهو الجسم في النظام . وعلقت الفتاة أن ساعة خلاصها قد دنت ، ومع هذا فقد نالها ما اعتادته من حرص العابة وحذرهما ، فلم تتجمل . وهدئت فترة أخرى دون أن تتحرك .

أخيراً قررت أن ساعة العمل قد حانت إذ بدأ القمر في المغيب ، ألمت نظرة أخيرة على الراقدين إلى جوارها ، وإطمأنت إلى أنهما كانا في سبات عميق . تحركت يداها في بطن شديد لتناول الحجر إلى جوارها ، وما طرقت حينها الساعين . إذ عندك في بطنها حتى تحكم توجيه الضربة ، ثم رفعت الحجر بكلاً يسيراً لتسوي به على الرأس المدلى على الصدر . وفي ثوان تغير المنظر تماماً ، وجر الذئب العاجز ، وسقطت الشاب السقم وأدرك ما يحدث . وهبط الحجر عن رأسه ، لكنه تحرك عن طريقه ، وقبض على يد الفتاة بأصابع من حديد . مطح الاثنان على الأرض . وحاربت العصابة كائنة الماتجة بكل ما فيها من شباب وقوة ، في حين لم يكن الشاب في سكون قواه . هدت أنها وقد فشلت في ضربتها فصيرها الموت لئلا لا شك فيه ، فراحت تدافع عن نفسها بكل ما أوتيت من قوة . أشببت أطرافها في وجهه ، وراحت تخمش بجلده ، وغرزت أسنانها واحدة في كل جزء صادهها من جسده . ولم يحاول الشاب إبطائها . وإنما قصمه على إبعاد أذاها عنه . وتدحرج الاثنان على الأرض عدة مرات . واعتلته الفتاة تخمش جسده ، وتجذب شعره ، لكنه سرعان ما ألغاه ثانية على الأرض بدوره ، وقبض على معصمها فصرم في الأرض ، وما كانت قواه تنصارع قوته مهما كان أجوده .

تريت الاثنان برهة ينتظان فيها أحدهما . وأحسن الشاب بالجسد القوي تحت ، وبالصدر الناهض ينصق بصدره . والآنفاس الحارة تلفح وجهه . وشعرت الفتاة بالجسد الضخم يضغط عليها يسكاد أن يدفع الهواء من صدرها



دفعاً ، واللمبة الخشنة تنصق بعدها الماعم . لحاولات النفس ثانية . لكن محاولاتها إنما زادت من التصاق اللبنة الكثيفة ، وضغط الجسد الثقيل . أحست فجأة أن الصراع بينها وبين الرجل قد تحول من صراع في سبيل الحياة إلى صراع الغريزة .

تركزت الطوقان الحديديان يديها ، واهتدت أصابع فولاذية تتجسس جسدها النض في وحشية وقسوة ، آلمت كل بصر لمسته . وانفرت الأسنان في شهوة مياصة في وجهها ، ورقبتها ، وصدرها ، وصاحبت الفتاة من مقاومتها ، وحاولت دون جدوى أن تاق الجاثم فوق صدرها على الأرض . راحت تدش أطرافها في جلده ، وتجذب شعره ، ولحيته ، وتفرر أحاسيا في كتفه ، وتدفعه في صدره بيديها . وتجادل أن أمقيه عنها بساقيها . لكن الشاب لم يحاول حتى أن يدفع عن نفسه أدها .

## الفصل الخامس

### العلاقة

لم تكن الشمس قد برعت حينما فتح الرجل عينيه وتلفت حوله . إلى يساره  
تسرفد المرأة هائلة ، وإلى يمينه كان الدئب . ومن الغريب أن تذكره لأمه  
بعض واحدة إلى العملاق متساويلا عما إذا كانت الضباع قد قضت عليه . هب من  
مكانه واقفا . وجلست المرأة معتدلة . وفتح الدئب عينيه ، وراحا ينظران إليه .  
- ليكما أن يبقيا حيث هما ، ثم اطلق مندفعا بابتسامة الغابة . كان كل جرم في  
حده مازال يؤلمه ، كما كان وجهه متورعا ، وأثر الحدوش واضحة به . اسكنا  
بحت ألا ما سطحية لا تموقه عن الحركة ، وذلك فيما هذا عظام يده التي  
تتألمها .

وصل إلى حيث ترك العملاق وهو واثق من أن الضباع التهمت . لكنه  
لم يحس . لم يكن العملاق في مكانه الذي سقط فيه ، وإنما كان قد زحف حتى  
وصل إلى أقرب شجرة ، واستند إلى جذعها . رآه يمسك بجراوته ، وهو  
حس . فقد كان أصعب من أن يعرف رأد أربعة من الضباع تحوم حوله .  
وعصر الرجل شعور بالإعجاب فقد كانت معجزة أن يبقى غريمه على قيد الحياة  
حتى الآن . صاح الرجل ففرت الضباع محتفية في الغابة ، وأضحى هو وعدوه  
وحالوجه . نظرت إليه العينان الضيفتان القامبتان ، ولم ترتفع عنه النظرة  
وهو يتقدم حتى وصل إليه . ولجأ إرتفعت الهراوة المخبئة في الهواء ، لكن  
لرجل نحاسا عنه بيسر . وإبهارت قوى العملاق مرة واحدة ، وغشيت غيبوبة ،  
سب أقرب إلى الإستسلام للذوت .

انحنى الرجل ، وتناول العملاق بين يديه ثم رفعه إلى أعلى ليضعه  
على كتفه . والنقط الهراوة ، ثم كر راجعا إلى أمراته ، ورفيقه . ربما كان  
يبحث عن توقعان رؤية أي شيء سوى أن يعود صاحبهما حاملا العملاق .

هن المرأة صرخة جرع ورعب ، وزجر الذئب ، وحاول أن يقف لكن صاحبهما تقدم نحوهما بحصى شبة ينوء بحمله الثقيل ، ثم وضعه على الأرض برفق وجلس إلى جواره ، مكث الإثنين ينظران إليه ، ودارت الأفكار في رأس المرأة . هل أتى بالعلاق ليأكله ثلاثتهم ؟ أمها وقومها لم يكونوا يأكلون لحوم بعضهم . وإن كان الرجال في بعض الأحيان يأكلون قلب الرجل الشجاع منهم حين يموت ممتورين أن شجاعته سوف تنقل إليهم . لكنهم كفأعده لم يأكلوا لحم البشر . بل يأكل رجلها لحوم البشر ؟ .

إن العلاق مارال يتنفس . كما لا يبدو على رجلها أنه ينوى قتله ، فلماذا إذا أتى به ؟ وحارت في عقلها الإجابة . كانت تعلم أنه أن به ليعقذه عن برائن الضباع ، ولحماية حتى يشغ ، ومع هذا فقد أسكرت بشأنا هذه المسكرة ، فقد كانت صبة حياتها للقتل . الرحمة . طرحت الأفكار من رأسها . له رجلها وأيا فعل هو الصواب . وودت لو أمكنها أن تبيته أمه بجلت له في الغابة القريبة عن ثمار لياكلها ، لكنهم لم تجد . وأما لما خشيت أن تعقد طريقها إلى مكانها عادت تنظر أوبت .

ما كاد الرجل أن يتقرب ويتردد أنعاسه حتى هب واقفا ثانية ، ثم انحنى ليرفع العلاق ويطرعه على كتفه ، ثم أذعه نحو الذئب ، ورفعه بين يديه مشيرا إلى المرأة أن تلتقط الرماح وتنبهه . فطأت المرأة كما أمرت ، ثم سارت خلف رجلها تتعجب من مقصده . لاحظت أنه يسير في الاتجاه الذي جاء منه ، والذي يؤدي إلى قوم العلاق فارداد تعجيبها ، لكنها كانت تعلم أنه ليس لها إلا أن تلتصق .

سار الرجل بحصى سليمة وهو ينوء بحمله الثقيلين ، لكنه غاب الشعب الذي كان يشعر به . كان يريد أن يصل إلى الجدول الذي حدثت عنده المعركة الأولى مع الرجال في يديه حياة إثنين يلزمها الماء أكثر من أي شيء آخر ، وليس من اليسير حمل الماء إلى مسافات بعيدة . وقطع الرجل المسافة على خمس مراحل ، لكنهم وصلوا أخيرا .

كاد الرجل أن يطير من الفرع حينما وجد شجرة ضخمة ساقطة على الأرض ، وفعل صاحقة قد انقضت عليها ، أو عاصفة هوجاء طوحت بها وصع الرجل حمليه برفق .

على الأرض ، في حى الفجرة وأشار إلى المرأة أن تتبعه ، ثم انطلق إلى الجدول أمامه يبلل شفتيه وينمش وجهه ورأسه ، في حين أأقت المرأة بنفسها كاملة على أرض العدير ، وتركت الماء يجرى على جسدها .

اتجه الرجل صوب الشجرة الملقاة على الأرض ، وبدأت المرأة ترى عجا . وأنه حين ليحمل الذئب برفق بين ذراعيه — ثم يتجه به صوب المياه . ورأته حينها يشرب بيبهارحت يده فوسع على وجه الوحش ، وجسده في حنو الأم . كنى رفيقه ، أعاده إلى مكانه من الشجرة ثم كرر فعلته مع العملاق . رأت قصا وفتح عينيه النورمتين ، وينظر إلى الرجل نظرة من لا يصدق ، ورأته ينزل من قمة كس لم يشرب منذ أيام . وتركه الرجل حتى إرتوى تماما ، ثم عاد وحله في صبيح لاحتول له ولا قوة ، وأرقده إن جوار الذئب . وزجر الأخير في غضب ، لسر نظرة واحدة من الرجل كانت كفيلا بأن تسكته .

توالت الأهاجيب على المرأة ، فقد أشار إليها الرجل أن تصيد السمك ، وبدأت تعمل ذلك على طريقة قبيلتها . بيديها . وكان صيدها بطيئا . لكنها جمعت عددا لا بأس به . والتفت بين الغنية والأخرى نحو الرجل . فرأته قد إتمى جزءا كبيرا من فرع شجرة . وجلس على الأرض ، وأخرج من جرابه الباب السيفى ثم أخذ يحفر في وسط الفرع بهمة وجد . لم يمض وقت طويل حتى جوف وسط الفرع ، لكنه لم يتوقف بل استمر في حفره الحثيث حتى عمق الحفرة جدا ، وركت الحوافي . وحمل الرجل الإناء ، وإبجه نحو المرأة ، وأشار إليها أن تنظر ، وهجبت لإدحيل إليها أنه لم يكف فقط بالإشارة ، وإنما صدر من فيه صوت صاحب الإشارة ، رائه ينطق من جدول ليملا الإناء ، واستقر الماء في الوعاء غملة وسار به إلى جانب العملاق المذهول .

لم يقف الأمر عند هذا الحد من المعجزات ، لكنها ، وقد صادت أسماكا كافية طغت تطعم الذئب ، وتأكل وتراقب الرجل . رأته يلتقي أفرعا ، وأغصانا تكاد تنقساوى في طولها حتى تجتمع لديه كمية ضخمة منها . ورأته ينظر إلى الشجرة نظرية الملقاة على الأرض في تفكير ، ثم رأته وهو يتجه إلى حيث تستقر قبة قنطرة ، وعضى يبعث بين الفروع العليطة كأنما قد فقد شيئا . وأخيرا إستقر عليه على أنه لم يكن من المستطاع أن يقيم مأوى يضمهم الأربعة ، فلم تكن فروع

الشجرة من الصحابة كما كانت الفروع في عابته الأولى . وابتقى مكانا تعددت فيه الفروع إلى جانب بعضها ، ونقل إليها ما اقتطعه من أحشاب . راقبته المرأة بذهول وهو يحفر في الأرض ليضع الأغصان إلى جوار بعضها . ثم يرد منها متخذًا من فروع الشجرة الضخمة سقما يحمي من المطر ، والشمس .

مالت الشمس نحو المغرب ، ولما يكتمل سوى مأوى واحد نقل إليه الذئب بعد أن أمر إمرأته أن تجمع عصا أوراق الشجر الجافة . والذرة الثانية لاحظت أن إشارته إليها قد صعب صوت أجش لم تدر له سببًا ، لكنها راحت تجمع أوراق الأشجار كما أمرت ، في حقة وسرعة . وفرش الرجل جردًا منها تحت جسد الذئب ، ثم وضع فوقه كمية أخرى . كان نظام قد حل حينما لاحت نحو المملاى ليرده من مكانه ، وينقله إلى جوار مأوى الذئب تحت فرع آخر من الشجرة ليغطي بعض الحاية من الجو البارد . وأحاطه بسكينة كسرة من أوراق الشجر . وأخيرًا استلقى على الأرض إلى جوار المرأة فالتصفت به تستمد الدفء من جسده الضخم

واستيقظت في الصباح المبكر ناعمة هائلة أقوى مكانه شاعرا . استولى عليها رعب شديد فقد طالت أنه قد هجرها ، وهبت واقفة لدى المملاق ما زال واقدا في مكانه ، وقد أخذت منه اللحم كل مأخذ ، كما أبهرت الذئب وقد خرج من مأواه . وراح يهرح في اتجاه المدير . تلفت المرأة حولها في حده ورعب باسطة عن رجلها . لمكن الغاية طلت صامتة إلا من أصواتها المألوفة ، طير يعنى ، وذئب يعوى ، ودب يتحدى . رجال في خاطرها أن تجري في الغابة بحثًا عن رجلها ، لكنها هادت فاستبعدت الفكرة إذ لم يكن هنالك أى أثر ينم عن الاتجاه الذى سار فيه .

عاودت النظر إلى المملاق الذى كان هائجًا في نومه يضائل أهداء غير موجودين . وحارت فيما تفعل له . نظرت حولها فرأت وعاء الماء ، وإلى جواره ترك لها الرجل رحلين . تناولت إحدهما وفكرت في أن تقضى على المملاق . لكنها تذكرت أن رجلها قد أدرك حياته ، ولو أنه أراد له الموت فما كان أيسر عليه من أن يتركها بها للضباع . رأت الذئب يتجه إليها مكشرا عن أنيابه ، فدافته بالحربة . وزجر الذئب ، ثم عاد واتجه نحو مأواه

وإستلقى فيه . حملت المرأة نوعاء وملأته ماء ثم صبته على المملاق الهائج .  
وهذه الماء فعل البحر . فقد بدأ المملاق في إحطاط وإتقلب صراخه . وقاله  
من تأوهات وأبات وتعملل سقيم . كررت المرأة العملية حتى هذا المصاب  
تماما . وراح في سبات عميق .

رفعت الشمس في كبد السماء . وتناولت المرأة أحد الرمحين . واطفقت في  
قبضة تمسح من الفواكه اللينة . وممرهان ما وجدت بعضها على سماع  
تقدير وقربا منه . فأكلت ثم جمعت كمية منها بين يديها . وضعت راجعة إلى  
المعسكر لتجد أن المملاق قد فتح عينيه اعمومشين ومضى يرقها وهي تسير  
بحره . وتجدس إلى جواره عارضة التوث الهري عليه . ولم يتمكن من تناوله  
بيده فقد كان في حالة من الصمم لم يستطع معها حتى أن يحرك ذراعه . كما أن  
حراح في كتمه كانت من صلبتها . إذ صطارت أن تضغ الطعام في فيه . وأكل  
شبهة حتى أذهب ما جلسته . وعادوا النظر إليها ثم إلى نوعاء . وهدت المرأة  
رأسه . وأسقته ماء حتى ارتوى . ولما دلت رأسه إلى موضعها وباه .

وحارت فيما تعمل بعد ذلك حتى حانت منها الثمانيات إلى الأغصان التي جمعها  
الرجل فهبت من مكانها . وتناورات الوطاء الخشبي ثم مضت تجمع الفواكه اللينة  
حتى ملأته . وعادت إلى الأحشاش المتجمعة . ووضعته الوطاء على الأرض .  
وسادت ثقله رجلها فيما كان يعمل .

التصفت الثور وهي تعمل يحد لا يعرف الكلال . وألهاها عملها عن أن  
تذمت حولها . لسكنها توقفت حينما سمعت الدئب يزجر ويعوى مخذرا .  
وتركت عملها . وانصدقت نحو الجربتين فتناورات إحداها ووقفت تنصت .  
بحول يبصرها في العابة . لاحظت أنه قد ران على العدة صمت رهيب . حتى  
قطيور كانت قد توقفت عن الغناء . دب الخوف في قلب المرأة . وراحت تنفث  
حولا في حيرة . وانفثت إلى المملاق المسجى . وأنه ينظر إليها نظرة حيل  
إليها أن فيها تسلية . وفيها أعجاب . وخرج الدئب من مكانه يجر نفسه بجرا .  
ووقف إلى جانب المرأة مكثرا من أيابه . بظرت المرأة إلى حيث اتجه نظره .  
لسكنها لم تر شيئا . فجالت بظرها في أنحاء الغابة ثم عادت تنظر إلى الدئب .  
لاحظت أن نظره لم يحد من الموضع الذي ثبت عليه أولا . وعادت تحد من

طرحها جامدة أن تصر ما عسى أن يكون الذئب قد رآه . خيل إليها أنها رأت حركة بين الأشجار عن بعد ، لكنها لم تكن واثقة ، وطار فسرها إلى رجلها لو أنه كان موجودا الآن ، لكنها هذا الرعب الذي يعتصر قلبها اعتصارا . وخطر ببالها خاطر مرعان ما يعتذه . وروع الذئب إلى جوارها وهو يستمع إلى صرخة عالية أطلقتها المرأة صرخة ملؤها الاستجداء ، والرعب . ودعش العملاق حتى أنه رفع جسده قليلا بعدد النظر في المرأة ، ثم عاد واستلقى صعدا من مجهوده .

كان لصدى الصرخة أثر صريع ، فقد رددت الغابة زئيرا عاليا لا يجد مصدره عن الممسك إلا قليلا ، ورأت المرأة على أثره جسدا ضخما يمدو بين الأشجار مندفعاً نحوها . واشتدت قبضة المرأة على الرمح في يدها ووقفت صامدة تنظر الجمجمة ، وقد تحققت من أن جسمها نمرأ ضخما . المرة الثانية لأطلقت من حنجرتها صرخة استغاثة رددتها أرجاء الغابة ، وتوقف النمر فجأة وهو على بعد لا يزيد على عشرين خطوة من مكانها ، وراح ينظر إليها ، والذئب بعينه القاسيتين المتوحشتين . كان المنظر في حد ذاته يكاد أن يكون مضحكا . فمن ناحية وقف النمر في جلال منظره ، وقوته ينظر بشراسة إلى المجموعة أمامه . وفي ناحية أخرى كان ثلاثة : امرأة تفيض على روح تتحدى به ملك الوحوش ، وذئب جربح لا يكاد أن يقوى على الحركة ، عملاق طريح الأرض في شبه غيوبة .

وكأنما أدرك النمر المرقب فلم يتعجل في هجومه ، سار بهطولات بطيئة نحو المريسة . وقبض الرعب على قلب المرأة حتى كادت ركبتيها أن تحواناها ، لكنها تماسكت ، وإزدادت قبضتها شدة على الرمح . وفجأة زار النمر ، وقعر في الهواء قفزة حملته المسافة الباقية حيث يقف حصوه . وطار الرمح من يد المرأة ليلتقاء في الهواء ويصبيه في كتفه ، وتنحبت امرأة عن طريقه في حين حاول الذئب أن يقفز عليه لينشب فيه أظفاره ، لكن قدماء غائته ، فوقع على الأرض قبل أن تسكمل القفزة . وسقط النمر على الأرض بدوره ، وزار عاضبا . ولم تكن ضربة الفتاة من القوة بحيث يدخل الرمح في الجسد إلى درجة يصعب إخراجها ، ولا كانت أيضاً في مقتل ، أو مكان يعجز النمر ، ولو مؤقتا

عن متابعة هجومه . وإنما كان ما فعلته الضربة أن أخرت النتيجة المحنومة لبضع دقائق . انتهزت المرأة الفرصة ، وانحفت على الأرض والتفت على الريح الثاني ، واستعدت لمقابلة النمر .

سقط الريح الأول من كتف الوحش فاستدار وهجم على المرأة . وطار الريح من يدها للمرة الثانية ، لكنها كانت قد تعطلت الرمية ، قطاش دون أن يمس هدفه ، وقصفت من أمام الوحش ، لكنها تعثرت فسقطت على الأرض . وبسرعة البرق ، وقبل أن تستطيع إستعادة توازنها والقيام ، كان النمر قد عاود هجومه ، وانطرت المرأة ضربة تقضى عليها ، وانطرت الجسد الضخم يقع عليها ، وعلت أبا لن تستطيع الحركة بالسرعة الكافية لتعادي الجسد ، أو الضربة فاستقرت في مكانها على الأرض باعرة برعب إلى الوحش وهو يعاود الهجوم .

لكن المحجوم لم يكتمل فقد طار ردهج في الفضاء من حيث لم تعلم المرأة ، واستقر بقوة في صدر النمر . وامتلات العاية بهرغبة ألم ، وغضب أطلقها الوحش الهائج الجريح ، في حين قهر قلب المرأة من المرح والامل ، ودار نصرها إلى حيث المصدر الذي أتى منه الريح اتزى الرجل واقفا كالألهة وقد نهض في يده على الثاب السيفي وراح يرقب النمر وهو يقهر في الهواء قفزات متتالية كأنها معنى الشخص من الريح الذي دخل بهج في صدره . توقف امر لحاة عن القفز ، وهجم على ذريعه الجديد الذي حرمه من فريسته ، والذي صعب له كل هذه الآلام . وابتعد الرجل عن المحاب القوية ، وبمركبة سريعة وانفقه لاعتلى ظهر النمر ، وارفض الخنجر ليبط مرات متتالية ، كل منها أقوى من سابقتها . تمالت صيحات النمر وزئيره ، وتقات على الأرض عارلا التهلص من صدره ، لكن الساقين كانتا تعيطان بجسده كسوار من حديد كما التقت إحدى الذراعين حول رقبتة في حين مضت الأخرى تسكيل له العظمتات .

لم يستمر القتال طويلا فقد تغلب العقل البشري مرة أخرى على القوة الفاشية للحياء . همد الجسد الضخم ووقف الرجل المنصر . وجرت المرأة إلى رجلها خورة بما يفعل ، راملت به واصفرا أسها على صدره العريض بينما راح الرجل يربط عليها في حان ، ثم دفعها في رقة لانغلو من حرم ، واستدار عائدا إلى ثابته . ولم يطل مكثه هذه المرة ، وسرعان ما قمل راجعا بعد أن رأى الصباغ



قد أتت على العرزال الذي كان قد صاده ثم ألقاه من كنفه حيثما سمع دواء الصرخة .  
مرة أخرى شاهدت المرأة عجباً . رأيت الرجل وهو يمزق جلد الفرس  
بصخرة شاقة البطش . ولم يبدأ في الأكل ، وإنما انتهى بعض الأظفار فألقتها  
إلى الذئب الذي لا يقص عليها بهما . وانتهى بهما آخر ناوله للذئب ثم العملاق ،  
لكن الأخير دفعه وراح في عيبوبة من النوم . وأقوه وهو يمزق الجلد يفصله  
من اللحم في تودة وتأن . ودعشت عما ينبغي فعله حتى أنها تركت غذاءها ومكثت  
تفطر إليه .

أما الرجل صلح الجلد عن اللحم ، ففرد به ضاية معرضاً إياه لأشعة الشمس  
ثم بدأ في غذائه . وأصرعت المرأة تقدم له العاكمة فدحاها جانباً واستمر ياتهم  
اللحم . وفرغ من أكله فأنجبه نحو المدير يصب الماء . وبصه على رأسه وجسده  
ثم عاد متجهاً نحو الأغصان البهية ليتم بها ما أوى آخر الذئب . ولا حظ أن بعض  
الأغصان قد أصبح إلى ما سبق له إقامته فذهب المحطة . ثم نظر إلى المرأة مستفهماً .  
ولاح على وجهها سرور مشوب بالخوف أن تكون قد أتت ما لا يرضى عنه ،  
لكنه أشار إليها أن تأتي لتساعده . وسأت المرأة إلى جانب الرجل في إقامة  
الماوى لهما . ولعملاق الطريق .

قضت الأيام صراعاً تنوالى وهو في عمل دائم . إذا لم يكن يبحث عن طعام ،  
فأقامه ليلاء ، أو صعباً لأوعية . ولما قطع الرجل من جلد الفرس جزءاً صلب منه حذاء  
لرفيقته ، وكان فرسها به كبير الدرجة أنها أحسدت تجرى وترقص ، وتقفر عما  
أطلق من بين شعبي الرجل صيحة حشنة أجشدة . وعلمها الرجل كيف تحكم الإصاغة  
بالرمح ، وأخذ يمرنها ساعات طوال حتى كادت تنخر كلالا ، ولسكنها في النهاية  
أتمت قذف الرمح إلى درجة تكاد أن تضارعه هو . صنع لها خنجراً من  
عظام الفرس ، وحزاماً من الجلد ، واتخذ من سائر الجلد دثاراً يقيها البرد مساء .  
وشى الذئب تماماً ، وجرى معها في الصيد وأطمأن إلى المرأة فما علم كما كان  
يعامل رفيقه ، لكنه لم يطمئن أبداً إلى العملاق ، وكثيراً ما كان يزجر حين  
يراه يقترب منه ، ولو تركه معه بمفرده لقتله . لكن الرجل كان دائماً مستعداً لهذا ،  
فقد استرد الذئب صحته لم يكن يتركه أبداً مفترداً بالعملاق ، وإنما كان دائماً  
يصحبه ملك أو يترك المرأة معها .

ورداً المعلق يسترد قوره ببطء شديد في مدأ الأسر . لكنه تجرد أن بدأ  
بشكل الحجم كان تقدمه نحو السماء بخطوات سريعة . وكتم المعلق حقيقة شعاعه  
وإستعادته لقوته حتى حدع الرجل ، والمرأة . لكن عين الذئب الشكوة لم تكن  
نعمه ، ولم يتوكل له أية فرصة . فاستمر في تشبلة الصنف ، وأنه لم يسترد قواه كاملة .  
ومع أن الرجل لم يكن يشك فيه إلا أنه تسبب أو لآخر كان قد أصبح دائماً  
لا يتحرك مهنداً مع المرأة ، بل كان يشير إلى الذئب بالبق . إلى جوارها ، كما كانت  
أول حركة من المعلق مساء تستصدر زجرة من الذئب البفظ .

وجاء يوم كان الرجل فيه متعباً في نعابة يصيد . وجلست المرأة في الشمس  
تحاول أن تقطع مخنجرها قطعة من جسد الغزال في حين أفع الذئب إلى جوارها  
يتمدد في كسل صهري . وراحت عين المعلق ترقب الإثنين يتحدث . وشدة  
ارتفعت رأس الذئب ، وهدت أدياء تصيحجان السميع . وجسد المعلق في مكانه ،  
وارداد تصلب جسده ، وتحول نظره عن الذئب . والمرأة إلى الغابة عبر الجدول  
وراح يحرق النظر . واستمرت المرأة لاهية في عصب فلم تمر ما يحدث حولها أي  
شيء . كان قد خطر في بالها أن تقطع قطعة من الجلد لتربط بها شعرها فهدت  
في عملها دون أن تفكر فيما حولها . مطمئنة إلى وجود الذئب إلى جوارها .

دارت عين المعلق تحديقاً في الغابة عبر الجدول ، وارتسمت علامات الجهد  
على وجهه ، ثم ألقت حوله باحثاً حتى وقعت عيناه على غصن قريب يصلح أن  
يكون هداوة تليق به . ولأنه فرحة لإشغال المرأة بما فعل ، وتركيز الذئب  
لكل حواسه فيما هو أمامه في الغابة وأخذ يتنقل ببطء حتى أمسكت يده الهراة  
مأعدها وراء ظهره ، وعادوا أقل الأنظر بين المرأة ، والذئب ، والعبادة .

إزدادت زجرة الذئب ، فنوعت المرأة من عملها قلقاً ، وألقت نظره على  
المعلق الذي تظاهر بالثوم ، طرقت عينيها إلى الذئب . وأنه وهو يحرق النار  
في العبة ، عبر الجدول قلقاً غير مستقر . تركب الجلد ، واشتدت قبضتها على  
الحجر ، ثم هزوات إلى الرماح الملقاة على الأرض وأمسكت بإحدها ووقفت  
متأنية ، لم يطر الذئب صبراً وقد علم أن المرأة قد تسببت إلى وجود الخطر ،  
فادفع عبر الجدول ليحدث بين الأشجار المقابلة في سرعة خاطفة .

صدرت صيحة ألم وغضب ، عتمة زجرات الذئب في لحظات تحولات

العابة الصامتة إلى حركات وأصوات . اندفع من وراء الأشجار هذه رجال يتصايحون ، ويلوحون بهراواتهم في الفضاء . لقد أيقنوا من مراقبتهم للعسكر أنه لا يوجد به سوى امرأة ضعيفة ، ورجل ملقى على الأرض لا يستطيع حراكا ، وذئب . وحينما هجم الذهب على أحدهم تركوه يقائه ، وجمعوا على المرأة ، والرجل الطريح وهم موقنون من سهولة الصيد .

أطلقت المرأة صيحات إستغاثة متتالية ، وسطار في بالها أن تقول الأدبار غي تعلم أنها أسرع من مهاجميها . استدارت فعلا لتفعل هذا ، لكنها رأت رجلا يهران من حلمها في العاقبة ، لقد اتقن المهاجمون حبك المصيدة . وطاور الريح من يدهم ليستقر في صدر أحد المهاجمين ، صرح الرجل من الألم وسقط على الأرض يتلوى ، محاولا إخراجهم من صدره في حين هجم الباقون على المرأة غير معتبين بأن يستعملوا هراواتهم . وتماما حنجر حاد أسقط رجلا آخر يتلوى من الألم ، وقد أبش آدم من جنبه . ودارت المرأة بينهم كالقوة المُنجدة تظن كل من يصادفها ، لكنها لم تفلح ، لم يصدفها ، لم يصدفها ، ولم يكن هناك أي أمل في أن تستمر مقدومتها طويلا . أخيرا رفع أحدهم هراوته ليقبض عليها . لقد أرادوا أن يأخذوها حية وليعودوا بها إلى قبيلتهم . أما وقد أبدت هذه المقاومة ، وفي يدها هذا السلاح الحاد فلم يكن هناك أمل من تهشيم رأسها . ارتفعت الهراوة في الهواء ، وقبل أن تبيض على الرأس اندفع عبر الجدول صمم مارق ليقهر على الرجل ، ويلقيه أرضا . وتملك الرجل الذعر للحظات من هذا الوحش الذي لا يعرف الخوف إلى قلبه طريقا ، فنفروا سريعا تاركين صيولهم على الأرض يمرقه الذئب بأنياه وغالبه .

انتهرت المرأة العرصة وتناولت رجعا آخر ، واعتدلت شعها بمرقة الجلد متحدية ، وتجمع الرجال مرة ثانية وقد قنعوا عن هراواتهم مصرين على إنهاء المعركة . طاور الريح الثاني فسقط أقرب المهاجمين . وأوقف تقدمهم للحظات ، لكنهم سرعان ما تصايحوا ، واندفعوا يقطعون الخطوات الباقية بينهم وبين المرأة والذئب .

لجأة وقف أمامهم العملاق ، وكأما انشقت الأرض عنه . ولم تكن دهشة المرأة لنفس عن دهشة المهاجمين وهم يعتقدون أن الجريح لم يكن يستطيع

حراكاً فأمسوه ، وإذا بهم يرونه قد ظهر أمامهم فجأة يطرح هراوة غليظة ويصيح صيحة قتال منكرة ، ويقف سداً ميباً بينهم وبين بغيثهم ، المرأة والدئب . ترددوا برهة قبل أن يستعيدوا جأشهم ويعاودوا هجومهم أشد ضراوة . وانتزت المرأة المرصعة ، وأطلقت ساقها للريح في حين وقف العملاق بمقابل عشرة رجال أو يزيد .

ارتفعت الهراوة الضخمة لتطيط على رموس الرجال . وتساقطوا حولها كالدهاب . وأعاتته ضربات هراوات ثقيلة في كتفه بل في جانب رأسه ، وكل جزء من جسمه تقريباً . وانفثت الدماء من أكثر من جرح ، لكنه استمر يقاتل . واستمر الرجال يتساقطون . واندفع الدئب في وسط المعركة ينشب محالبه في هدا ، ويفرز أياها في ذلك لكن ما كانت شجاعة الدئب ، ولا قوة العملاق لتجديان أمام السكثة العددية العائقة . ولم يكن هنالك شاك في النهاية المحترمة .

اندفعت المرأة في العابية بأسرع ما تستطيع أو تحملها ساقها ، وأطلقت صرخة إستجداد أخرى رددت أصداها الأشجار . ولم تسكد تبعد عن مكان المعركة بأكثر من مائة متر حتى برز من وراء إحدى الأشجار جسد صخم لم تستطيع في جريها أن توقف نفسها قبل أن تصدم به . كادت تصرخ فرها ، لكن الذراع الذي أساحها في قوة وحتان ، جعلها توقف الصرخة قبل أن تخرج من حنجرتها . في لبقة أشارت إلى مكان المعركة ، ووجدت نفسها تتمتم بأصوات لا تعرف كسبها أو معناها ، لكن لم يكن هنالك شك في أن الرجل قد فهم ما ترى إليه إذ محاهها جانباً ، واندفع بكل سرعته لاجدة رفيقه والدئب . جرت المرأة خلفه وقد زايها الخوف ، فما كان مكانها إلا حيثما يوجد الرجل ، ولو في وسط الجحيم . كانت تفتها فيه ، وفيما يستطيع عمله تجاوز كل الحدود بعد أن رآه يصرع النمر ، ويصنع المعجرات بيديه ، من أفرع الشجر ، وجلود الحيوانات وعظامها . ولم تأخذ المسافة منهما أكثر من دقيقة حتى وصلا إلى مكان المعسكر .

كان المظهر الذي جابها قد بلغ منتهى الروعة والرعب .

رأيا العملاق ما يزال واقفاً وقد كسته الدماء فكأنه تسربل في حلة كاملة

منها . كانت المرات ترفع ، وتمشط على جسده دون أن يحاول حتى مجرد تعاديهما . بينما كان يقبض على مراوته بكتلة يديه ويضرب بها بكل ما أوتي من قوة . وكان لذئب من ناحية أخرى مهاجم بلا توقف ، لكنه كان في الوقت نفسه يتفادى الضربات المنهكة من كل جانب . بل أنه كان أحيانا يبتعد عن مكان المعركة ليعاود الهجوم من جديد . وتأثرت في الأرض أجساد ضحايا العملاق ، والذئب ، فأضطت المعركة منظرًا رهيبًا لشما

لم يصع الرجل لمطه ، فدف الرمح من يده بقوة ليستقر في ظهر أحد الرجال المهاجمين وينفذ من صدره . وصرخ الرجل صرخة الموت ، ووقع على الأرض يتحط في دمايته . وقوسى المهاجمون العملاق آخر يهبط في وسطهم وقد استل حنجرًا حادًا يضرب به يمين ويسارًا ويضربهم بالأجرار . وتضافت الرمح على الأرض ينثرب من الآلة ، وبدأت أصواتهم وتأوهاتهم . وأعطى ظهور الرجل ودخوله المعركة قلب جديدًا للذئب والعملاق فتضاعفت قوتهما وحللا على الباقيين حملة صادقة .

ورأى المهاجمون العملاق الجديد ينضم إلى الفئة المقاتلة ، ورأوا ما فعله فيهم سلاحه الحاد . كانوا قد ذاقوا من مراوته ، وأنياب الذئب ما هت في عضدهم ، فكان تدخل الرجل بقوته الحديدية في المعركة فصل الخطاب . أطلقوا لسيقاتهم الحنان يلتمسون النجاة . وتوقف الرجل والعملاق عن القتال في حين أودفع الذئب وراءهم ليلقى بأحدهم على الأرض في مباء الجدول ، وينشب غلبه في كتفه ويلغزق ألبابه الحادة في رفته القصيرة . وأمام يدعه حتى [ كنفس الجدول بالدماء ، وحتى نحدث الحركة تمامًا .

وقب الرجلان يرقبان القتال إلى أن انتهى ثم تبادلوا النظرات ، وأشار الرجل إلى العملاق بأن يذهب بعيدا عن الثلاثة ، وهز العملاق رأسه نفيا . وتوعده الرجل بحجره ، لكن الثاني تراجع إلى الحلف ، وهز رأسه نفيا . وأمسك الرجل بأحد الرماح وصوبه نحو صدر العملاق فخرى الأخير بعيدا حتى احتس خلف إحدى الأشجار ، ووقف ينتظرا .

ورأى الذئب رغبة يارد العملاق ، فاندفع نحوه مطاردا ، لكن المراوة ارتفعت في الهواء مهددة ، ولم يتحرك العملاق . ووقف الذئب مزجرا ينتظر

فرصة الهجوم ، لسكن الرجل ماداه ، فترك مكانه متبرما . استمر الرجل ينظر إلى العملاق قليلا وهو يفكر لماذا تصنع المرحض في حين كان قد لا تعود قواه كاملة ؟ هل كان ينبغي لانتهاز فرصة ليقنتله وامرأته ، ورفيقه ؟ إذا كان هذا غايته لا بد أنه قد صنعت له فرص كثيرة فلماذا لم ينتهزها ؟ ولماذا انغم المرأة ولذت بصد رفاقه مع علمه بأنهم لولا وصوله لسكوا وقتلوهما لا محالة ؟ وأحيما لماذا لا يريد الآن أن يتركهم ويذهب إلى قومه ؟ ولماذا لم يقابل حبلها مدده . لمعنصر ؟ لا يمكن أن يقال إنه حين أمامه هذا فرص مستبعد . إنه لم يجهن أمام الذئب ، وإن كان قد تخرج من أن يهبط عليه بهراوته فلا ما هو عرصه إذا ؟ ولماذا تصنع الضعف في حين كن في كامل قوته ؟ وفمرت الإجابة إلى دهر الرجل .

لقد تصنع العملاق الضعف حتى لا يطرده الرجل ، أنه يريد أن يبقى إلى حواره ويقبضه ، ولهذا قابل أهله إلى جوار الذئب ، والمرأة ، ولهذا أيضا لم يقبل أن يقااله حين تحده ، وإنه لاشد إلى مسافة كافية تقيه شر الحصر ، والريح ولهذا أسيرا يقف ناطرا إليه منتظرا . وعاد النظر إليه فرآه يتحلس النظر مرقبا ، فأشار إليه بالقدوم . وكفغل صغير فاز في النهاية بأمنيته ، لاندفع العملاق قافزا في الهواء ، وأخذ يرقص ودهسات وتم عن سروره وفرحه . وزمجر فذئب ثم هدأ وكأنه قد فهم . وتطلعت المرأة إلى رجلها مستعجبة . ولما لاحظت أنه لا ينظر إليها ، ولما عايرت العملاق أدارت وجهها بدورها ترقبه . ومنذ هذه اللحظة أصبح الزمجر رجلا وامرأة ، وعلاقا ، وذئبا .

o o o

لم يضع الرجل وقتاً . فقد كان يعلم أن مهاجمهم - وف يعودون ثانية ، وفي هذه المرة سوف يكونون أكثر عددا ، وحذرا ، وربما لن يكونوا هم خصاء الحظ كما كانوا في القتال الماضي . أشار إلى العملاق والمرأة ، وبدأ يحمل - يرغب من متاع . ارماع ، والأواني ، والجلود . وشاركه رفيقه ، فلم تكن لا يضع دقان حتى كان المسكر حاويا إلا من يضع قطع من الاحشاب وصار مط يتقدمه الرجل ، كل بحمله إلى حيث تقودهم أقدامهم . واتجه بهم الرجل نحو الجبل ولم لم يتخذ طريقا مستقيما .

مضت أيام كثيرة وهم في سيرهم متجهين دائماً إلى الشمال . وازداد الجوع برودة ، ولاحظت المرأة وهي تحمل بعض جنود الحيوانات التي صاदाها أن جسدها دافئ حيثما لامس الجلد . حاولت أن تدثر نفسها بإحداها ، لكنها كان يسقط من عليها ، كما كان يعوق حرية حركتها إلى حد ما . وإزدادت وطأة البرد ، وبدأ هطول الأمطار بصورة شديدة متوالية اضطرتهم في نهاية الأمر إلى التوقف عن السير . وأشار إليهم الرجل ، وبدأ ثلاثتهم في إقامة معسكر يحتضون فيه من عذب الطبيعة وقسوتها . وأقيم المعسكر في هذه المرة بسرعة عجيبة إذ كان في معرفة العملاق سدقوى ، وابتدأت الرياح تعصف ، والأشجار تتمايل مهددة بالسقوط . ورددت السماء وبرقت ، ولم يكن أمام المرأة إلا أن تسكنش في صدر الرجل . واندثر الجحاة بالجنود في مأواهم ، ولكنها لم تمكن كافية لحمايتهم من الزمهرير الذي أطبق .

ومضت أيام أخرى ، وفي الصيد حتى كاد أن يعدم . وزادهم الجوع برداً ، وزادهم البرد جوعاً ، ولم ترحمهم الطبيعة ، بل زادت من قسوتها ، فاشتدت الرياح حتى كانت تتغلغل الجدران المستترعة من أفرع الأشجار المتواحة فتحيل ، أرواحهم إلى مشاة ، بل أنها انزعجت أكثر من مرة الأعصان ، واضطروا إلى إعادتها إلى موضعها . كانت الشمس تضيئ أياً ما تختفي وراء السحب لا تظفر . وبدأ هطول الجليد ، وازدادت الحيوانات شراسة إذ أمضها الجوع ، وكان عواء الدئاب يصل إليهم بصمة تكاد أن تكون مستمرة . وحدهم الخط مرة فاصطادوا وعلا كبيراً كما هم غذاء الأيام لم يحتجوا فيها حتى لجورد الخروج من المأوى ، وفي هذه الأيام حدثت أشياء كانت نقطة فصل في تاريخ البشرية .

كانت المرأة تنطع بعض الوقت في القلي بمحاولة عمل أواني خشبية مقلدة فيها رجلها ، وأخذت قطعة من فرع وبدأت تمرغ وسطها بختجها للعظمى . وكان الرجل والعملاق يرقبانها في سكون . وبدون سبب مفهوم كان الرجل يكثر التحديق في قطعة الخشب في يدها . لقد لاحظ أنها جافة تماماً ، وانقل ذهنه إلى الاكتشاف الذي اكتشفه في الغاية الأخرى منذ مدة طويلة مضت . وحر عقل الإنسان كاملاً كما برزت طباعه . أراد أن يفاجئ رفيقيه بمعرفته ، ويظهر لهما تفوقه العقلي عليهما . وفوجئت المرأة بالرجل يقرر من مكانه ويتناول منها

القطعة الخشبية ، ثم لإزداد عجبنا بدأ يبحث بين الأعصان المتراكمة حتى  
استخرج قطعة أخرى ، ثم جمع بعضها من أوراق الشجر الجافة ، وبدأ يحك قطعة  
الخشب ، وراقبه العملاق والمرأة وهما في دهشة بما يفعل . واستمر الرجل في  
عمله مدة طويلة حتى أن مراقبيه شبا النظر ، فبدأت المرأة تنسج في عمل آتية من  
قطعة أخرى من الخشب ، في حين ، أسلم العملاق نفسه للنوم .

توقفت المرأة عن عملها مرسلّة صرخة فرح . وهب العملاق من نومه جزعا  
لأن وصلت إلى أنفه رائحة دخان ، وراح الإثنين يطيران بهنج إلى ركن وما  
يصبح . شاهدا دحانا يخرج من إحدى قطعتي الخشب دون أن يشاهدا زارا .  
ورأيا الدخان يتكاثف كما بما يفعل قوى سحرية . ثم لجأه أمسكت النار كما  
من القدم في أوراق الشجر الجافة . ولم تكثت المرأة في ركن من المأوى عامة  
نظر إلى المكان دهشة ، في حين ترشح العملاق بعيدا عنها ، ومضى يشهد حوله  
كأنما يبحث عن معر . وهب الدخان وانفعا . لكنه ، وكأما تذكر ما كان  
يفعله رقيقه مالمدة ، هاد واستقر مطمئنا . نظر الرجل إلى النار يفجر ،  
وأمرع يغذيها بأوراق الشجر ، ثم أعصان رقيقة . ولإزدادت النار اشتعالا ،  
ودمعت أعينهم من الدخان المتكاثف في مبدأ الأمر حتى أن الذهب فضل الخروج  
إلى العراء وارمرير على المسك في المأوى . لكن سرعان ما استقر الدخان  
في عمود واحد . ودخل الدخان المأوى .

لكن تسلية الرجل ، وهلع المرأة والعلاق ، وعدم اكتراث الذهب ،  
انضبت جميعا إلى ألوان أخرى من الاحاسيس حينما بدأت النار تضيئ الذهب  
فما حولها ، وشعر الرهط لأول مرة مد أيام طويلة بحرارة حقيقية تنفذ إلى  
أجسامهم . ومدد هذه اللحظة أصبح الانسان سيد العالم ، فقد بدأ استهلاك النار ،  
ولم يعتمد لها أوار بعد هذا ، أو يكاد .

مع الزمن ، وبالمكان ، تحسن استهلاكهم لها ، فقبلوا أن الدخان أن  
ما يكون حينما لا تكون هناك رطوبة في الأحشاب المستعملة فبدأوا يحترقون  
الأحشاب داخل المأوى ، بعيدا عن عوامل الطبيعة . وزال خوف المرأة  
والعلاق منها ، بل إنهما كانا يقتربان من وقت إلى آخر ، لكن الرجل أضاعى



ثم هم إلى . ولا يجب أن ليس هو صانع النار ؟ وأم يحرق عقلمها على تصور أن في استطاعتهم أن يعملوا مثله ، فقد بدا بعدهما أنه يتمتع بقوة سحرية . ليس هو صانع الخضر ، والحرايب ، والآوان ، والجلود ، والمأوى ؟ من كان يستطيع أن يعمل هذا لو لم تكن لديه قوة خاصة ؟

التقطت أنوف الحيوانات رائحة الدخان فأبتمدت من المكان . حتى أصوات الذئاب ، لاحظت الجماعة أنه قد رأى قليلا دفعة واحدة ، عاشت الجماعة في دفة ، وأمن . وأم يقتصر الأمر على هذا . لقد تذكر الرجل أيضا حريق الغابة ، وتذكر اللحم المحترق الذي أكله ، وأن بعضه الذي مسته النار لم يكن سوى اللحم . نظر إليه الاثنان مشدوعين وهو يقتلع قطعة من اللحم ويقربها من طرف النيران لتتحرق قليلا ثم يبدأ في أكلها . عرض قطعة على المرأة فأخذت منها حائمة ، وأشار إليها أن تأكل مصاحبا لإشارته بصوت آمر ففعلت ، واستماعت طعمها ، وفعل مع العملاق مثل ما فعل معها ، لكن العملاق لم يستمتع طعم اللحم المشوى ، وإن كان لم يأهه

وهكذا أصبحت النيران دافئا و نورا وأمن ، وسيلة لطهي الطعام .

## الفصل السادس

### الصائد والفريسة

سأه صباح يوم لاحظ فيه الرجل أن اللحم بدأ يتأقصر ، وأن عليهم أن يسأروا في البحث عن فريسة أخرى . وهنا طهر العقل البشري مرة أخرى ، هذه عادات الحيوانات إلا تفكر في طعام الفد ، طالما كان لديها ما يكفيها لغيره . أما الرجل فقد كان يفكر في غده . رأوه وهو يقطع قطعة كبيرة من اللحم . يطيها للعلاق مشيراً إليه بحملها ، ودهشت المرأة وهي تراه يخرج من البيت ليجمع لها عدداً ضخماً من الأغصان ، والخشب ويلقيه إلى جانبها . سألتها أن الباقي سوف يخرجون للبحث عن طعام ، وأن عليها أن تبقى . لاحظت المرأة أن الرجل كان دائماً يلقي أوامره بالإشارة ويصاحبها بأصوات صر من حنجرتة . ولاحظت كذلك أن الأصوات ، وإن كانت تبدو واحدة في السب في الواقع تختلف في طبقاتها ، والأحاسيس التي توحى بها . بل إنها لاحظت أنها هي نفسها بدأت تقلده في هذا ، وأنها كثيراً ما صحبت بإشارتها صوته غير مفهومة . استعمله للصوت كان أكثر تقدماً بمراحل . فقد

بحر هو الأمر .

نجم الرجل نحو مدخل المأوى ، فقاتلته صرصر عاتية أعادته ثانية يفكر . سوف يخرج ليصيد فريسة في هذا الزمهرير ، وقد يمكث وصاحبه يوماً ، يوماً ، وبذا سوف يضطرون إلى المبيت في الغراء ، في هذا البرد القارس . حذوية فتناول جلد الثور ، وبعض الرماح ، ثم حاول للعلاق جلد الوعل ، سألته أن يتبعه . خرج الاثنان يتبعهم الذئب ، وكان مفطراً فريداً لم تشهد عليه مثيلاً . رجل متكامل ضخم البنية يحمل رماحاً ، وجلد دمر ، ويتمنطق بجلد من الجلد يتدلى منه قاذب سبقي ، ويمتدني حذاء من جلد . وعلاق لم يصل في حوزة إلى مرتبة الإنسان العاقل الكامل ، وإن يكن أعلى بمراحل من أشياء

الإنسان ، ألقى على كتفه المريض حبل ، وتهيئ في يده هراوة ضخمة ، وحول وسطه حزام جلدي يثدلى منه حنجر من العظم ، التعل بدوره قطعة من الجلد . وذئب ضخم يادى القوة والشراسة ، ومع هذا فقد كان يسير إلى جوارهما في دعه وسكون .

نمى إلى الرهط عواء الذئاب الجائعة تردد أصداؤه أشجار العاية . وصار الثلاثة ينتزعون أقدامهم في الجليد المتراكم ، وهم يتلفتون في كل مكان بحثاً عن صيد . لكن الغاية بدت وكأنها قد هجرتها حيواناتها ، بل وطيرها تماماً . بدت الأرض أمامهم ، اصعة بيضاء لا أثر فيها للحياة . وتفرعت دروب الغاية فمرجوا فيها يتنصصون دون جدوى . اشتدت الرياح ، وهطل الجليد ، يهراً أيديهم ، وأصحى السير هسيماً في أكوام الثلج المتزايدة ، وما زال لا أثر لحيوان . أكلوا بعضاً من اللحم معهم ، لكن أرجل كان يورع بقدر ، فما أشبع اللحم جوعهم ، أو ملأ بطونهم . غابت الشمس ، واستقد الرجال إلى جذع شجرة وتثرا بالجلدس ، وما كفيهما لسعة البرد . والتصق الذئب برفيقه يخفى الذئب ، ويشيع في جسده الحرارة . وعلى طوى ، نام الثلاثة إلى صباح يوم تال .

استيقظ الرجل مع بزوع النهار وقد شعر بأن جسده قد تعلب من شدة البرد . والتفت إلى جواره فأعقد الذئب ، لكن العملاق كان ما يزال مائماً . أخذ بذلك وجهه ، وجسده بيديه عسى أن يشيع فيها بعض الحرارة . واستيقظ العملاق . وشعر بالبرد بدوره ، فراح يقلد الرجل فيما يفعل . وتناول الرجل قطعة من اللحم . وتناول مثلاً ، وراحا يأكلان . لم يكن الجو بأحسن مما كان في اليوم السابق بل لعل الرياح قد إزدادت شدة ، والبرد قسوة . حاول الرجل أن يتدثر بحبل النمر ، لكنه كان دائماً يقع منه ، وأخيراً وضعه حول وسطه وربط الحزام الجلدي فوقه . وقلده العملاق ، وشعراً بدفء نسبي ، لكن رأسيهما ، وصدريهما كادا مازالا معرضين لمسح الجو . وقبل أن يتحركا حضر الذئب يحمل بين فمه أرباباً برياً . تناول الرجل منه وأعطاه من لحم الوعل قطعة كبيرة مسياً ، ثم بدأ في سحق فراء الأرنب وانتهى من عمله بسرعه من أضحي خبيراً ، وكاد أن يلقى بالمرء جانباً ، لكنه عاد فراجع رأيه ووصفه

على رأسه ولف أطرافه حول صدغيه . وإزداد دفقا . راقبه العملاق في عجب  
بما يفعل ، فقد كانت الحياة منه مليئة بالعجائب والمفاجآت .

مربوم ثان ، وثلاثه آخر . وما زالت الرياح على ما كانت عليه ،  
ولم يقطع هطول الثلج إلا في فترات متباعدة . وفرغ اللحم . حتى الذئب  
لم يستطع أن يبعد فريسة أخرى . وبدأ الجوع يعض بتواجذه . ولم يكن الرجل ليهتم  
بهذا كثيرا فيه . كان يستطيع أن يعيش على جذور الأشجار مدة طويلة ، وهو  
ولاد سوف يعثر على فريسة في هذه الأثناء . ولعل الحال كذلك بالنسبة للعملاق ،  
لكن الذئب كان لابد له من لحم ، وإلا هلك جوعا . وتعالى هواء الذئب  
الجائعة يملأ الغابة . رد عليها الذئب متحديا . واحتق الذئب في اليوم الرابع فلم يعد  
إلى الإثنين حتى المساء . كان واصعا أنه لم يكن أسعد منهما خطأ ، بعد لحقهما  
منهوك القوى ، يجر نفسه جرا فوق الجليد .

كان صباح اليوم الخامس حينما شاهد الرجل حيوانا ضحعا يسير في مسحة بين  
الأشجار يرعى بعض العشب طيه لأول وهلة فيلا . لكنه حين حقق فيه علم  
أنه حيوان آخر ، وإن كان يشبه العيل إلى حد بعيد . كان حجمه يجاوز ضعف  
حجم العيل العادي . كما كان ناهما أكبر كثيرا من باب العيل ، ويكون كل منهما  
ما يسكاد أن يكون دائرة كاملة . في حين كانت أذناه أصغر من أذن شبيهه ،  
ورأسه أقرب إلى البيضاوية منه . وعلم الرجل أن الحيوان مأموث ، وليس فيلا ،  
وإن كان من هائلته .

نظر الرجل إلى العملاق وإلى الذئب ، واحتار فيما يفعل . هل يهرق ثلاثهم على  
مهاجمة هذا الحيوان الضخم ؟ إن حجمه يزيد عن حصة أضف حجمهم مجتمعين  
ولاشك أن ضربة واحدة من حرطومه الطويل كمية بالقضاء على أيهم ، ثم كيف  
يقتلوه ؟ بالحرايب أم المراوة أم بمحالب الذئب ، وأيا به ؟ واستبعد الرجل  
فكرة مقاومة هذا المارد ، لكنه ما استدار إلى رفيقه حتى رأى الجوع يكاد أن  
يصصف بهذا . وعادت الفكرة تراوده . إنهم جميعا سوف يموتون جوعا ،

وبردا ، إن لم يوجد اللحم سريعا فاعليهم لو ماتوا مقاتلين ؟ كان الرجل يعلم أنه  
إن كان هنالك أمل في قتل الحيوان المارد فإنما فخط في حرايه ، فما كانت هراوة

المعلق لتجدي فتيلًا، ولا كانت كذلك غالب الذئب، متى يبحث منظرها من أغصان  
تصلح حرايا، إذ لم يكن يحمل معه أكثر من حربتين، ووجد بفتنه مريما  
إذ كانت الريح العاصفة قد كسرت كثيرا من الأفرع والأغصان، وبدأ يعمل  
بهدوء، وجهد ليدبب رؤوس الحرايا، واستمر الحيوان الضخم يرعى، ويباكل  
الأغصان الصغيرة، وأوراق الشجر الجافة، (إنهى الرجل من صنع حربتين  
أحريين، ولم يكن يهيمه أن تكون رأسيهما حادتين، فقد استقر رأيه على أن  
الجره الوحيد الذى قد يصيب الحيوان بأى ضرر إنما يكن فى عينيه.

وابتدأت بجاذفته الكبرى، أعطى المعلق ثلاث حرايا، وحمل واحدة،  
وتلصص متجها نحو الحيوان، مشيرا إلى المعلق أن يتبعه، ووقف الذئب ينظر  
إليهما فى حيرة، ظهر متصور أن رقيقته قد قرر قتال هذا الحيوان الضخم، لكنه  
تبصهما بغير تردد، وصحق المعلق إذ رأى الرجل يأتى الحيوان مواجهة، حتى  
قبحه الذى لا يعرف الحوف بدأ يخونه، فرددت خطواته، لكنه لم يتوقف عن السير،  
كانت خطوة الرجل تنحصر فى أن يقرب من الحيوان إلى أقصى حد ممكن، بحيث  
لا يوجد مجال لأى خطأ فى إصاية الهدف، وبحيث تكون الضربة من القوة بدرجة  
تكنى لأن يستقر الرمح فى عينيه، ويدخل إلى غور بعيد فى رأسه، اختار  
أقرب شجره من الحيوان، وإحتفى وراءها مشيرا إلى رقيقته بأن يستقر خلف  
شجرتين أخريين، وكادت أن تحوته شجاعته حين رأى ضحاكة غريمه من كثب،  
وتصور أى دكلمته أو ضربة، لكنه كان يعلم أن هذه هى فرصة اللاتهم فى الحياة،

خرج من خلف الشجر فى بطة شديد حتى لا يلمت نظر المساهوث إلا آخر لحظة،  
ومع هذا فقد توقف الحيوان عن الرعى، واستقرت عيناه عليه دون أن يرفع  
رأسه، جمد الرجل فى مكانه اللحظات حتى عاد الحيوان إلى رعيه فاردادت  
قبسته على الرمح، وتقدم بضع خطوات أخرى، وللذة القايية توقف الحيوان  
عن الرعى، لكنه فى هذه المرة رفع رأسه ناظرا إلى المخلوق الحقير أمامه،  
وهال الرجل المنظر حتى كاد أن يطلق لساقيه العنان، لكنه تسمر فى مكانه  
وبادل الماموث نظرة بنظرة، وأحيرا استقر رأى الحيوان على أن هذا المخلوق  
الحقير لا يمكن أن يكون منه ضرر، فقاد إلى غذائه فى هدوء، ولم تبق بين  
الرجل وبينه سوى بضع خطوات، فانتبه الفرصة وقطعها نفرا فى برهات

مضودات ، وصوب حريته ، وربما قبل أن يفيق الماموث المذهول .  
 سقرت الحربة صادقة في العين ، ودحات إلى أكثر من ثلث في الرأس .  
 وردت الغاية صرخة ألم وغضب ، كانت من الارتفاع لدرجة إرتجت معها  
 العتبة . وعلق معها قلب الرجل فأطلق لساقيه للعنان متجها نحو الأشجار .  
 اندفع الحيوان الهائج نحو غريمه يريد أن يصفه سحقا ، وعلى الرغم من  
 صدمه جسمه فإن حركته كانت خفيفة سريعة إلى درجة لا تكاد أن تصدق ،  
 حتى أنه لو تكن توجد الأشجار لعلق الرجل في لحظات . لكن الأشجار كانت  
 حربة كافية . وتعهد الرجل أن يجري في خط مستوي بحيث لا تسمح ضخامة الماموث  
 سرعة الالتواء بين الأشجار . ومع هذا فقد استمر في المطاردة غير عاب .  
 صدمته بالجذوع الصنخية . استمر الرجل في المراوغة هاء يعلت من عدوه  
 قريب ، لكن الماموث ظل يطارد به بلا هوادة . وجرى العملاق والذئب  
 حب الإثنيين . وحاول الذئب مرات أن يهاجم الماموث من الخلف . لكن  
 حرس الهائج لم يشعر حتى بالخالب القوية والأياب الحادة ، واستمر في  
 حركته . حاول العملاق من ناحية أخرى أن يذف بإحدى الحراش في ظهره ،  
 من حربة ، على قوة الرمية ما كادت أن تمس جسدا الحيوان حتى سقطت على الأرض  
 حرم أن تخرجه . والتفتلها العملاق واستمر يمدد وراء الإثنيين .

دأ السكالك بصيب الرجل ، ولكنه كان يعلم أنها لن هي إلا خطوات ،  
 حتى سحقا تحت هذه الأقدام الصنخية . ضاعف من جهده وانطلق يمدد عدوا  
 بين الأشجار مراعى أن تكون وجهته المساوى ، حيث توجد المرأة .  
 من الماموث أيضا كان قد أبهكه العدو ، وزاد منه كثرة إرتفاعه بالأشجار  
 حركته العملاق بالرجل ، كما أن الدماء لم تتوقف عن السيل من عينه المصابة .  
 ربح الحيوان الضخم يلتقط أنفاسه اللاهثة في حين استمر الرجل في الصد  
 حرس حتى أيقن أنه بعد من الخطر الدائم فالتقى بنفسه على الأرض لتسكين صدره  
 راقب العملاق الماموث ، وراه يحاول أن يخرج الحربة من عينه  
 حركته حتى أفلح بعد محاولات عدة . وازدادت آلامه من الجرح كما ازداد  
 حركته لدماء ، وعلت صرخة أخرى تهر الغابة ، وترسل الرعب في قلوب سكانها .  
 سمعت الذئاب الجائعة رائحة الدم فتزدد عوازا يقترب شيئا فشيئا ،

وكلما اقتربت كلما قويت رائحة الدماء ، وكلما ازداد هيجانها ، وأجيرا كأنها كانت على ميعاد ، شاهد العملاق والذئب ، قطيعا من الذئاب يبرز بين الأشجار ويحيط بالحيوان المشتم . وسمع الرجل المواء ، ولاحظ لزيداد قربه ، وفهم معناه فقب من مكانه عائدا إلى حيث ترك الماموث ، فقد أبى أن تسلبه الذئاب هريسته .

لجأ سكت المواء ، وران على الغابة على أثره صمت أكثر وحشة . وقفت الذئاب تحيط بالماموث هبابة أمام الضخامة الهائلة الوحش . وأبصرها الحيوان وفهم بصيرته أنها قد تجمعت للقتل ، وأنه هو غذاؤها ، فاندفع نحو أقربها إليه ونفرت الجماعة . اسكن جماعة أخرى حلقه إنشربت العرصة ، واستجمعت شجاعتها ، وراحت تهجم عليه . وانفت الماموث إليها وراح يضربها بحرطومه ويطأها بقدميه . وتطايرت الذئاب في الهواء في كل مكان ، وسحق منها إثنان ، وفر الباقرن . اندفع الحيوان الصخم في وسط الأشجار بعيدا عن مكان المعركة في حين انقضت الذئاب على ماقتل منها ، ولم يمض وقت طويل حتى كانت قد انتمحتها تماما ، ثم اندفعت في أثر الماموث . وعدا خلفها الذئاب ، وتبعه العملاق . ولم ير العملاق الرجل وهو يقف حارب إحدى الأشجار . ولم يعلم بوجوده حتى أحس بيده تمسك هل فزاعه . استدار رافعا رأوه ، لكنه سرعان ما حفضها حينما رأى رقيقه . وتناول الرجل منه رجا آخر وأشار إليه أن يتبعه ، ثم انطلق يمدو وراء جماعة الذئاب .

كان الماموث ، على ضخامة جسمه خفيف الحركة إلى حد بعيد كما أن هذه الضخامة ذاتها وصمت من خطواته حتى أن الرجل والعملاق كانا يجاهدان كما يلحقانه . ومضت ساعة وهما يمدوان تقودهما الرائحة حتى شاهدا الحيوان الضخم وهو يقف وسط ساحة خالية من الأشجار ، يجاهد حتى يسترد أنفاسه في حين أساطت به الذئاب من كل جانب . كان من الواضح أن الدماء النازفة من العين المصابة ، والعدو المستمر ، وتقال الذئاب قد بدأت تؤثر على قوى الحيوان المسكين ، لكنه كان ما يزال بعيدا جدا عن أن يكون هريسة سهلة . أطلق الرجل إحدى رماحه فسقط على أثره ذئب ما كادت باقي الذئاب أن تراه حتى هجمت عليه حتى قبل أن يموت ، ومزقته لإربا . وانتهز الماموث العرصة

دسا عدوه من جديد ، واعتصم طريقه ذئب آحر كان مصيره الموت مسجنا  
تحت الأقدام الجبارة .

اسدق فريق آحر من الذئاب يقطع قطعاً منه ، ولم تمض دقائق حتى كان  
ذئبه .

وقب العملاق دهشاً ينظر إلى الرجل ويعجب عن فائدة قتل الذئاب مادام  
لا يستطيعان أن يقتاتا على لحمها . ولجأة لاحظ ذئبا لم يقبينه في أول الأمر يمدو  
بحرصا وفي فمه قطعة كبيرة من اللحم ، وشاهد ذئبان آخران يهربان خلفه .  
ورحل الذئب إليهما ، وألقى بقطعة اللحم أمامهما في اللحظة التي هجم عليه  
الذئبان . وطار ربح ليستقل على أثره ذئب ، وهبطت المراوطة لتعصم ظهر آحر  
وفي ثوان احتلف الرجل قطعة اللحم الملقاة على الأرض ، وجرى بأقصى سرعته  
يتبع زميلاه في اللحظة التالية ، إمتلاء المكان بالذئاب أموى وتندبح ، وأزجر  
وهي تغضم في جسد الذئبين الجريحين . ولو كان الرجل والملاق قد وقفا  
فصت عليهما الذئاب الماتجة التي أعماها الدماء ، والجوع .

قطع الرجل قطعة اللحم إلى نصفين بخنجره ، وناول العملاق قطعة في حين  
أكل قطعة في هدوء وهو يرقب الذئاب ، وهي تنهى وليمتها على زميائها .  
نبت الذئاب من الرئمة في دقائق أخرى ، وراحت تعدو خلف الماموث الذي  
كان قد إحتق منذ أمد طويل بين الأشجار . وسار الرجل وهو مارال يلثمهم  
ضعة اللحم نحو مكان الذئاب ، النقطة المرجح أن دار بصره في العابة يبحث  
عن زميله الذئب ، لكنه لم يقف له على أثر ، فرجع أن يكون قد تبع الذئاب  
في عدوها خلف الماموث .

لم يتعمل الرجل في تتبع أثر الذئاب إذ كان يعلم أن الماموث وقد استقر  
بعض أفعاله أن يكون فريسة سهلة ، وربما مضت أيام قبل أن تستطيع الذئاب  
التغلب عليه نهائيا واستمر يأكل ، ويتلذذ بعذائه غير حائى بإشارات العملاق له  
رادت حيرة الـ لاق حين جلس الرجل على الأرض ليستريح بعد أن فرغ من  
تناول طعامه ، وأشار إليه بالجلوس ، وتراحت إليهما أصوات الذئاب تبعه  
وهي تمتص أثر الماموث حتى كادت أن تتلاشى .

كانت الشمس قد بدأت تميل نحو الغرب حينما هب الرجل من مكانه



وأخذ يعدو في أثر الحدة ، المطاردة ، والمطاردة ، وتبعه المملاق ، وأضاف  
الغذاء والراحة التي بها إلى قوتيهما فأطلقا كلسهين ينهبان الأرض بهما  
ومضت ساعة ، وهما يعدوان بلا توقف أو مهل . وراحت أصوات الذئاب  
تظهر ، ثم تملو مع كل خطوة ، يتطوانها لكنهما لم يتوقف عن العدو .

ولجأة قبض الرعب على قلب الرجل بيد من حديد ، فلم تنأى إلى ألفه رائحة  
الحيوان الجريح والذئاب الحسب ، وإنما بدأت تظهر رائحة أخرى لا يمكن أن  
تتواجد إلا في مكان واحد في الغابة ، رائحة خشب يحرق . وخالج الرجل  
شعور بالدهشة إذ لم يكن يظن أنهم قد اقتربوا إلى هذه الدرجة من المأوى  
خاصة ، وأنه قد فارقهم عدد أكثر من خمسة أيام ، لكنه لم يكن قد حسب حسابا  
لأنهم لم يكونوا يعدون خلال الأيام الماضية ، كما أنهم لم يكونوا يسيرون في  
سبل شبه مستقيم ، بل كانوا يبحثون في الغابة عن الطعام فيما يشبه الدوائر .  
وطعت في رأسه أفكار سوداء ، وتنبيل ادموت وهو يطلأ مأوى المرأة في عدوه  
الجنون . واخذت الصورة لتعمل عليها صورة الذئاب وهي تقطع الجسد حيا .

## الفصل السابع

### قتال العالقة

انقضت المرأة جلد الآيل ومدت جسدها العاري إلى جانب النهران تصطلي .  
شعرت بوحشة غريبة حينما تركها رجلها ، وذهب إلى الصيد - صحيح كان لديها  
ما يكفيها من اللحم لأيام . وصحيح أيضا أنها كانت آمنة من تغليات الجو وبرده ،  
كما أنها كانت تعلم أنها آمنة من الحيوانات الضارية طالما لم تفارق النهران أو  
نحدها تعتمد ، ولم يكن هناك خوف من هذا إذا كانت عندها كمية صغيرة من  
الأحشاب ، كما كان في تناول يدها وصيده لا يفتنى . لكنها مع كل هذا ، وهي  
م نعم بمثابة مطلقا في حياتها السابقة ، وجدت نفسها تشعر بوحشة شديدة ،  
وفزع كبير .

مضت الساعات الأولى من النهار بطيئة لئلا أثر فيها لآية حياة . وحان وقت  
عدائها ولم تشعر بجوع أو رغبة في الأكل ، وحظر في بالها خاطر تقبل به بعض  
الوقت ، فراحت تقطع من اللحم قطعاً صغيرة وتشربها في النهران ثم تأكلها .  
لاحظت أن أحسن القطع شيئا ما تجاوزت الدهن ، أما غيرها فكان يكفي أن يذس  
نار . وطربت لما اعتقدته اكتشافا يذهل رجلها ، وأعطاهما هذا بعض التفكير  
في أن تعمل شيئا مما جده به حقيقة وتسمده . لكن النهار ولّى ولم تفعل شيئا .  
بانت الليل فلفقة تحشى أن تنطفئ النار فلا تستطيع أن توقدها إذ كانت  
تعتقد أن رجلها ، ولا أحد سواه ، هو سيد النار . واستيقظت مرات في وسط  
الليل لتنفذ النار . وسمعت أكثر من مرة وقع أقدام بعض وحوش الغابة  
خارج مأوها ، لكن رائحة النار كانت كقيلة بأن يخدمهم . وأحست ذات مرة  
بجسد أحد الوحوش يسكاد أن يلتصق بالأحشاب المتساقطة ، وسمعت صوت  
تنفسه ، وغيل إليها أن جدار المأوى سوف ينهار ، لكن التنفس لم يقطع  
بعد قليل ، وغاب الوحش في أحشاء الغابة دون أن يحدث شيئا .  
قامت من نومها مع طلوع الفجر ، وهي تشعر برود شديد . وحانت

هنا لفتة إلى النيران فوجدتها تسكد أن تنطق ، فأمرعت تعذيبها بالأحشاب لكنها لم تفتن ومصب الجذوة الخفيفة تجوشيتا فشيئا ، وهي تراقبها في هلع ، ولا تدري كيف تشعب . وتوالت في رأسها الأفكار المرعبة ، وهي تراقب الجذوة تحنو . وارتعشت خوفا حينما فكرت فيما سوف يفعله الرجل حين يعود يرى النيران التي أشعلها وأمرها بأن تعذيبها وقد انطأ . ولم يعطرق بالها أن النار هي في الواقع حمايتها من البرد ومن الوحوش الليل ، ولعل هذه كانت أشياء مألوفا في حياتها . لكن أرجس إيلاه سيد النار كان شيئا آخر . الويل لها إن عاد ليجد ناره قد انطأ . واستولى عليها رعب جنون مضى تضع في النار ما تنصل إليه ، إذعابا واستمرت الجذوة تحنو ، لعلها لو كانت تعرف الابتها إلى الله في هذه اللحظات لعلت . ووسعت فيها وضعت ورقة شجر جافة . ولاصت الورقة النار فاشتعلت ، وقهر قلب المرأة فرحا ، لكنها عاد فسقط حينما حبت النار ثانية ، وبدأت الجذوة أقل لهاثا .

لكن المرأة كانت قد عرفت ، فصت تجمع ما وقع تحت يدها من أورا القبر الجافة لتلقيها على الجذوة حتى كادت أن تطمأ ، لكنها لحسن حظها عادت ثانية إلى الاشتعال . أمسكت النيران في الأحشاب ، وأدلىح لحيها يتعالى المأزى ولم تم هذه التجربة إلا لهما .

وعاد شعورها بالبرد أشد ما كان فراححت تصطلي على النيران . وتدفرت الجذوة حتى سرى الدفء في جسدها . وبدأت الساعات البغيضة تترى على كثبية وهنا لاح الفارق بينهما وبين قومها سكان الكهف الأول . فهم لم يكونوا يمكرون ، إلا إذا دعت الضرورة إلى التمسكير ، أما إذا كان لديهم غذاؤهم ، ولم يكن هنالك خطر يتمددهم ، فكان يكفهم أن يبقوا الساعات الطوال جالسين ، أو نائمين . بلا تمسكير أو ملال . قامت تشوى لنفسها مصر قطع اللحم ، ولم تستطع ذات مرة أن تخرج قطعة ألفتها داخل النار أكثر مما يجب وعدت بعدها إلى الحربة لتقطع لها ثم تأكلها . ومضى عقلها يفكر ، ففكرت العملية مرة ثانية ، لكنها في هذه المرة لم تناول اللحم بيدها ، وإنما أكلت من الحربة مباشرة . وانتمت من أكلها . وعادت الساعات المملة السكتية تتنالي ببطء . غدت النار ببعض الأخشاب وفكرت في أن تخرج من المساوى ولو اللحظات ، تشمل فيها أشعة الشمس ،

ولمفع الهواء الطبيعي . . فارتدت الخذاء الذي صنعه له رجلها . ولقت جسدها  
بجهد الأيل وخرجت من باب المأوى . ولحمها لحظة سر وجها هوذا فارس ما حست  
تشميرة تسرى في سائر أنحاء جسدها ، لكنها مع هذا كانت سعيدة . إذ تركت  
المأوى . ومضت تتطلع إلى الأشجار ، وإلى السماء كالو كانت تراها لأول مرة .  
وسقطت عليها أشعة الشمس من خلال الأشجار ، لكنها كانت باردة لاجل الحرارة  
فيها . ولقت برهة ثم جرت ، بصفة المرة إلى داخل المأوى ، وقنوات حريتين ،  
ثانية وأطلقت تمدد بين الأشجار في مروح . ولم تجرئ على أن تبعد عن المأوى  
كثيرا إذ كانت في رعب من أن تجعو النار ولا تستطيع لها إيقادا . ولم تكن له لم  
أله سوف يكون في هذا نجاتها من موت محقق .

أمدل الجواد على جسمها أكثر من مرة وهي تسهر ، فكانت تصلحه لكن  
بعد أن يلفح البرد جسدها . وازداد شعورها بالبرد . لكنها ما كانت اتأمله  
في مروحها وسعادتها بقتل بعض الوقت خارج المأوى ، ولحقت أربها بجري بين  
الأشجار مما لقت رجحا عليه . لكنها لم تصبه ، واختفى الأرب . وسارت إلى  
أرمع ثلث قطه ، ولم تلمظ وهي تعمل هذا هيمن ترقاها من وراء الشجرة اعتدات  
في رقتها ثم استدارت ثم تعود ادراجها إلى المأوى وهي في خشية من أن تنطق  
الثيران . وتبعها العيمان المتوحشان واسترق صاحبهما الخلف في هذه الواقعة  
ولم تسمع المرأة وقاما للخطوات خلفها ، فقد كان الجليد يكون طبقة على الأرض  
تكنم الصوت . وصلت رائحة الدخان إلى أنف المرأة فارتاحت لأن الثيران  
لم تذهب بعد ، وتمالت في سورها ، غير شاعرة بالخطر الدائم الجاثم خلفها .

راقبتا العيمان بنوم زائد لم يكن صاحبهما في عجلة من أمره إذ كان وانقا  
من قرته ، وقد رته على العنك بالريسة أمامه في أية لحظة رغب . فراح ينظر إليها وكأنها  
تسنى ينظرها ، وهي غافلة عنه وهو على قيد خطوات منها . ونهى إلى سمع المرأة  
الدفقة صوت تكسر غصن صخرة المذات خلفها ، ودعوة ترى هيبي الدب نظران  
إليها بنوم وشراسة .

سمرت في مكانها لحظات ، وارتفعت صرخة الوحش تهر أوجاء الغابة تعان  
نحو حشر على دريسته . وفي اللحظة التالية ادفع نحوها واستعد القفزة الفائلة .  
نكر المرأة كانت قد استعدت رباطة جأشها ، وأحلفت لساقها الريح نحو المأوى  
وسقط الجواد من جسدها لكنها لم تشعر به ، ولا شمعت بالجهد القارس الذي يهرا

الاجساد نظرت المرأة حلما وهي تعدو لوى الدب قد أصحى على بعد خطوات قليلة منها ، لكنها أمامها أيضا كان المأوى ، وإن تسكن تعلم أنها إن جرت راحا إليه فإن الوحش لابد قاطعا قبل أن يلفه ، فراحته تنصرف في طريقها ، وتراوشه الخطوات القليلة الباقية ، حتى وصلت إلى المدخل فدخلت منه ، وأطل الدب برأسه ، وقابلته النيران فربح غاصيا ، وراحته حينئذ تنظران إليها وهما تقدحان شررا دون أن يحرق هل التقدم خطوة .

أمرعت المرأة تنفذ النيران فزاد اشتعالها ، وتراجع الدب إلى الوراء حائفا . لكنه لم يكن ليبدع فريسته تطلت مثل هذه السهولة وقد أساءه الجوع ، فراح يدور حول المأوى ، ولقد حيرة عساه أن يجد مدخلا آخر لا تقف دونه النيران . انبطحت المرأة على الأرض وهي تلهث تنبها ، وترتعد خوفا . ثمالت بين يديها حربة من الحراش الكثيرة الملقاة على الأرض ، وراحته تدور مع خطوات الدب استعدادا للقيام بحركة أخرى . واحتك الجسد الضخم بالأحشب المظامة ، غابت تحت قوة الجسد ، وسقط أحدها على الأرض . نظرت المرأة في وجه لوى الوحش تحديقها من خلال العريضة الضيقة . فدرت يدها بسرعة لتطمئن في وجهه . صرخ الذهب صرخة عالية من الألم . وتراجع إلى الخلف خطوات ، ثم بدأ يحوم حول المأوى على مسافة تعاقبه إلى أن الحراش لم تلمسه بأذى ، ومع هذا فلم يكن ليبدع فريسته . حاولت المرأة أن تدل من القرمع الذي سقط لكنها لم تفلح . ففكرته . وجلست تراقب الحيوان وهو يروح جيئة وذهابا غير عابئ بالدماء التي كانت مائلا في فمها من جسده .

لقد دفع الهواء باردا من خلال الفجوة ، وأحال جو المأوى إلى صفيح لم تفتد النيران في أن تنحرف من حرقه . واقتربت المرأة من النيران حتى كادت تلامسها ، لكنها لم تنحرف بدفعه إلا في الناحية التي كانت تواجه النار مباشرة ، أما باقي جسدها فساكن يكاد أن يتجمد من البرد . فراحته تفرس أجزاءها بالتناوب على النيران . ذكرت الجلد الذي سقط منها في الحراء وتمتد لو استطاعت أن تخرج لتلتقطه . لكن أفي كان لها هذا . جال يعاظرها أن الجلد لو كان مقيد على جسدها لما سقط منها حينئذ كانت تقاقل الدب ، ولما كانت الآن تجلس هادئة

دافعة غير عابثة بوجوده في الخارج ، انجز الحيوان فرصة اشغال المرأة بتدفئة نفسها وحاول أن يولج رأسه من الفرجة . - ووقع غصانه على الأرض من قوة الضغط فالتفت بسرعة دافعة الحربة نحو وجهه . تراجع بعيداً عن السلاح ، لكن الفرجة كانت قد اتسعت قليلاً ، واندفع الهواء بارداً يهراً الجسد العري ، وتمايلت النيران مع شدة التيار . سبت المرأة البرد المثلجات ، ولثابها رعب شديد من أن لتطفى النيران ، وما دوت أن الهواء إما كان يزيدها إشمالاً . اندفعت نحو القنطرة محاولة دفع الاغصان الساخنة ، وأمكنها فعلاً أن تثبت بعضها إلى درجة خففت من وطء الرياح العاصفة ، لكن الذئب كان ما يزال بالخارج يروح جيئه وذمهايا ، فأضطرت إلى البقاء بحريتها بجوار الجدار العشبي محاولة أن يقيه بعيداً . انخل الهواء الضخات ، وبدأ فعل البرد يؤثر على جسدها فأحلت ترمداً ، ومع هذا فلم تسكن تجمد على ترك السياج والإقذاب من النيران .

وجاءتها المعولة من حيث لا تحسب ، ترامت إلى سمعها أصوات هواء الذئب التي لالتقطت رائحة الدم الذي كان ما يزال ينزف من جرح الذئب . وسمع الذئب بدوره هذه الأصوات ، وعرف معناها ، فلم يتردد لحظة واحدة وإنما اندفع يستحق بين الأشجار هارباً من موت محتم . وجلست المرأة فقرة قبل أن ترى الذئب وهي تندفع وراء فريستها في أثر رائحة الدماء . ومضت فقرة أخرى قبل أن تقوم من مكانها ، وتندفع إلى الخارج حتى وصلت عدوا إلى حيث تركت جلد الآيل ، وعادت به بالسرعة نفسها دون توقف إلى أن دخلت الدار وهي قلقت . لم تضع الجلد على جسدها إذ كانت التلويح تكاد أن تغطيها ، وإنما قربته إلى النيران حتى أضحى دافئاً ، ثم لفته حولها لائحة ، حتى جادت ندماء تجمد في مروقها . بدأت تحاول في هدوء إصلاح الشخرات التي حدثت في السياج حتى أتمتها ، وإن كانت قد اضطرت أكثر من مرة أن تتدخل عن حمية الجلد لجسدها . وجلست إلى النيران أخيراً متدفئة للجلد ، لكنه أيضاً من يزلق مع كل حركة تأتيا . واتجه تفكيرها إلى محاولة ربطه بجسدها ، لكن الرباط لم يكن محكماً . رغل الحال على ما هو عليه حتى هداها تفكيرها بعمل فتحتين فيه لتخرج يديها منها . واستعملت للخنجر حتى أتمتها .

وأصحب الجلد أول رداء يستعمله الإنسان ، وإن كان مازال مفتوحا من الأمام وأخيرا قطعت سيورا متقابلة من طرفي الجلد الأماميين وربطتهما ببعضهما فأصحب رداء كاملا ، وإن يكن غير محكم تماما .

استغرق عملها كل تكبيرها حتى أنها سميت غذاءها بل ولم تكن تحرك رأسها من عملها إلا لتضع بين الحين والآخر بعض الأحشاب في النيران . وهو الوقت سريعا لم تشرب به إلا بعد أن انتهت من صنع أول رداء كامل على الأرض إذ لاحظت أن الشمس قد غابت وأن الظلام حل . وداهاها جوع شديد فذلت يدها إلى اللحم في جانب المأوى لتجده قد تجدد ، لكنها وضعت في النيران وراحت تأكل بشراسة حتى شبعت . وبادت إلى جانب النار ، تستيقظ كل شمرت ببعض البرد فتقليها .

وجاء صباح ثالث يوم بنصيب فيه رجلها . ومضت تبارها كاه في المأوى تحاول أن تصنع من الخداء كما فعلت بالرداء . ولم تخرج إلا لفترة قصيرة لتجمع بعض الأحشاب إذ لاحظت أن الكمية التي كانت موجودة لديها قد انصرفت إلى حد مرهق . وبدأ القلق يفتأها حينما حل رابع يوم ، ولم يظهر فيه له سر أو أسد رفيق في أي أثر . وازداد انزعاجها حينما لاحظت أن قطعة اللحم التي تركها لها لن تكفيها لأكثر من يوم آخر . فراحت تقلل من الكمية التي آملت أن يكفي اللحم أكثر من يوم أو يومين . انقضى النهار ، وتناهى إلى سم عواء الذئاب آتية من بعيد . صجبت من الإد لاحظت أنها تزداد اقترابا في كل صبح وانتقل ذهنها إلى الدم وتساءلت عما إذا كانت الذئاب مازال تطارده حتى لا تسكنها استبعدت هذا العرس ، إذ ما كان يمكن لأي حيوان أن يقاوم عواء الذئاب لأيام ثلاثة متتالية . وبدأ الجزع يهتصر قلبها وهي تستمع إلى صياح يقراب ، وأبقت أن الذئاب ، وفريستها إنما تدفع في اتجاه مستقيم نحو أماكن جالت في رأسها عشرات الأسئلة ، وإن لم تستطع أن تجيب على أي من هل تفصدها الذئاب باللدات ، أم تراها تطارد حيوانا آخر ؟ حتى إذا كانت حيوانا آخر فهل استدعها آمنة إذ ما كان المأوى يعترض طريقها ، وهو سر يكون المأوى ، وتكون النيران حماية كافية من الحيوان المطارد ، وله المطاردة ؟ أم هل كان المطارد هو رجاها ورميقاه ؟

وازدادت أصوات الذئاب ارتفاعاً ، كما ازدادت اقتراباً . وتملك الدعر قلب المرأة ، وممت أكثر من مرة أن تترك المساوى هاربة إلى قلب العابة ، لكنها كانت تنكص في كل مرة حينئذ تكبر في أن رجلها قد أمرها أن تبقى حيث هي ، ولعلها أن تركت المساوى لا يلتقيان ، أو لعلها تموت برداً وجوعاً ، أو تذهب وثنية لوحش مفترس . لم تفعل شيئاً طوال النهار سوى أن تنصت إلى عواء الذئاب الذي كاد أن يصم أذنيها ، بل أنها لم تسك تأكل إلا القدر اليسير من اللحم . وراحت تسلي نفسها بتفذية النيران ، ومراقبتها وهي تندلع . وغلب أصوات الذئاب حتى حيل إليها أنها أضحت تحيط بالمساوى .

وجأة احترق الليل صوت ارتفع حتى حلا العواء ، صوت آدمي لم ينادك امرأة لحظه في أنه صوت رجلها . اندفعت تمسك بالحرايب في يدها وهي تنهض من الخوف ، والجرح . وحارت فيم تعمل ، وفي تصير الصرخة التي أطلقها الرجل . ثم صاحبا أدنى رية في أن الصرخة لم تكن للاستغاثة ، كأنها لم تكن نداء ، لا لكررها . فبل كانت التحذير من أن تخرج من مأواها ، أم كانت لغرض آخر لم تفهمه . راحت تطل من بين السياج عساها ترى ما يحدث في حرج ، لكن الظلمة كانت شديدة ، ولم يكن القمر قد برغ ، فلم تتمكن من رؤية شيء .

سنة ، أصبحت بأن عينيها تنظران إلى ظهرها ، فاستدارت لترى ذمياً ضخماً من رأسه من فتحة المساوى . وقد انعكس ضوء الميران على وجهه فزاده بشاعة شديدة . واندفع جسد آخر من وسط الظلام ليقع على الدتب ويدفعه بعيداً . وحل ، ودارت معركة في الخارج لم تعرق المرأة على أن تخرج رأسها . وتناهدت إلى أذنيها أصوات زيجرات وحشيه لقتال مرير يقع على قيد حذرت منها ، كان الجسمان كثيراً ما يرتطمان بالجدار الخشبي حتى حشيت المرأة . ولم يقطع العواء في الخارج ، كما لم ينقطع صوت القتال الدائر .

خرج المرأة الرعب ، على رجلها ونفسها . وودت لو فرت معه من كل هذا . سرعان ما ورد إلى حيث كانت تقطن في المكور آمنة مع قومها . وانتهى صوت الذئاب لم يفته عواء الذئاب ، بل لعله ازداد اقتراباً ، وازداد هولاً .



وظهر بالمدح رأس ذئب يقبض بين فكيه على جثة ذئب آخر يجر جرها إلى الداخل . وفقر قلب المرأة من الفرح حين تليذت رفيق رجلا وهو يدخل المأوى ملقيا بين يديها جثة ذئب ضخم . ولم تشمر المرأة بما تفعل وهي تمسك يدها إلى الذئب تحضنه . وزجر الذئب ، لكنه لم يتحرك من مكانه ، بل لعله إرتاح إلى اليد الرقيقة وهي تمسح على فرائه في حنو وحب ، فتوكها تداعبه ، آت إليها ، وديماً كالخل .

مدت المرأة يدها تسحب الجثة إلى الداخل بعيداً عن المدخل في حين رجع الذئب إلى جانب النيران وقد إرتجه بنظره إلى الخارج يرقب ما لا تراه رفقه وقد انتصبت أذنيه لتسمعاه عواء نى جلده ، وتنبذان الأصوات ، بحرية تفسيرها ، بحثاً عن سيده ورفيقه . وعلا في العابة صوت مرهب للحيوان . وقبضت يد من حديد على قلب المرأة ، في حين هب الذئب واقفاً ، واندفع إلى الخارج ليبحث في الظلام .

إنتاب الرجل فرح هائل وهو يرى الماموث يندفع هارباً من الذئب في صرير مستقيم يتوده بلا شك نحو المأوى . علم أن هليبه أن يفعل شيئاً سريماً ليرد به هذا الاندفاع ، وليحذر المرأة من أن تخرج من المأوى ، وإلا كانت للذئب الجائعة ، بل ربما ذهبتها أقدام الماموث الضخمة . عدا الرجل الماموث بأقصى سرعته ، وتبعه العملاق متعجباً بما يريد أن يفعل . وشاهد النيران ترسل ضوءاً خافتاً بين الأشجار فعلم أن الساعة العاصية قد دنت ، وصحبة إنداد إلى المرأة لنسدها ، ولا تخرج من المأوى . وقبضت يده على أحد الرمحين ، وواجه الوحش الضخم ثم أطلق الرمح بكل قواه ليستعين بالسليمة . أطلق الوحش صرخة مدوية لمعزت لها أرجاء العابة ، وكمعن يتخبطنه المس ، يرتطم بالأشجار فيبرها هراً يكاد أن يقتلها من جوع . واندمجت الذئاب للجائعة وقد اطمأنت إلى أنه إن يراها لتقطع من الجسد الذي راح يدور على غير هدى في فسحة من الأشجار يرتطم بكل مهايات العرب .

أخيراً ذهبت الحيوية ، ووقف الحيوان يرنح غير محاول الدفء — ضد هجمات الذئاب التي تكاثرت عليه تفقز عالية محاولة أن تمنطيه لتفزع عن

دون بغيتها ، وانسكرد المخلوق بالنتيجة نفسها ، لسكنها في كل مرة المنصب مخالفا  
في الجسد السميك ، ولا تدعه إلا وسيول من الدماء تحتلظ بالشعر الخيزر .  
ولإزداد ضعف الوحش فهبط على ركبتيه كأنهما يطلب الرحمة . ولم تزد هذه  
لحمة الذئاب إلا ثوحشا إذ أدركت أن النهاية قد حانت فتكاثرت عليه تقتله .  
صدرت حشرات من الحيوان . وكست دماؤه الأرض فأحالت بياضها أحمر  
قائيا . وسقط الجسد الضخم بها الذئاب التي أدانت تلتهم قطعا منه ، ومرتوى بالدماء  
التي لا غير منتظرة أن تفارق مصيبتها الحياة .

لكن الرجل لم يكن ليذع فريسته تلتهم أمام هيبته دون أن يحاول شيئا .  
والعملاق يقف الرمح الثاني إلى يده ، ويصوبه نحو أقرب الذئاب إليه .  
وصرح الذئب وقفز في الهواء ليهرى على الأرض متخطيا في دماؤه ، ولاندفعت  
رأسه الذئاب القريبة منه تلتهم في لحظات . وتناول الرجل غصنا صلبا واندفع  
في المعركة . ولجبه العملاق ، يطوح بهراوته وقد غلى في عروقه دم القتال .  
وصعد لغصن الضخم على رأس أقرب الذئاب ، وثلثة الهراوة على رأس آخر ،  
شمت رهوس أربعة من الذئاب قبل أن تعيق باقيها إلى هذا العدو الجديد ،  
سرع إلى الغاية ببدأ عن السلاحين القاتلين .

وقف الرجل والعملاق على هيئة الماموث ينظران إلى الذئاب وهي ترقبهما .  
صارت من العملاق زجرة احد ، في حين وقف الرجل متأهبا لانزال . وراحت  
الذئاب ترقبهما غاضبة . كانت أربعمون ذئبا أو تزيد ، وكان يسكنها أن تقتضي على  
الرجل أن يهاجمهم . ولما علموا أنهم كانوا في هزيمتها . وامل  
الرجل من دهشت وهي ترى أحدها يندفع من بين الأشجار كالسهم الممارق  
من جانب الاثنين ويظهر لهما من مجرا يتحد .

من العملاق قد تعجب أيضا وهو يرى الرجل يضع الفرع على الأرض ،  
ويجده ، ثم يبدأ في هدوء في إقتطاع اللحم من الجسد المسخي ، وفصل  
فيه . كان الرجل يعلم أن ثلاثتهم لم يستطيعوا الصمود طويلا أمام انسكرد  
الرجل . كان يخشى أن تجذب الدماء مريداً من الذئاب ، فاشترى فرصة  
ليبدأ في إقتطاع كميات من اللحم . وليحصل أجزاء ضخمة من الجسد  
ويجعله بدلا من تلك التي سقطت عنهما وهما يعدوان .

وأشار منظر الدم ، والذئاب فاستجتمعت شجاعتها واندفعت مهاجمة .  
 وأسند الرجل ظهره إلى العملاق وحضى الإثنين يندفسان الهجوم ، في حين قفز  
 الذئب في وسط المعركة يشير الفزع بين بني جنسه . وارتفع الفرع الضخم وهبط  
 بسرعة فائقة ليحطم رأس ذئب ، ثم آخر ، وآخر ، وآخر . ولعبت البرأوة  
 دوراً هاملاً في تهشيم الرؤوس ، وقسم الظهور . ولم تستمر المعركة سوى دقائق  
 قليلة أثرت الذئاب بعدها أن تلوذ بأحضان الذئبة لتجمع شتاتها ، لاستعداداً  
 لهجوم آخر ، تاركه خلفها عشرة ضحايا .

التفت العملاق إلى الرجل . ولعل تعجبه عما يفصل قد كثر حتى توقف  
 التعجب . رآه وهو يقصص على فدى أحد الذئاب القتيلة ويطوحه بشدة بعيداً  
 عنه ، نحو العاية . واندفعت الذئاب نحو الضحية تلتهمها . وسقطت بينها ضحية  
 أخرى ، وثالثة . ونظر العملاق إلى الرجل ، فأشرف إليه أن يفعل مثلاً مما  
 وأطاع العملاق فألقى إلى للذئاب الجائعة يحث ثلاثة من زملائها في حين بدأ  
 الرجل في محنته . يسبح جلد الماموث ، ويقتطع قطعاً من اللحم . ومضت فترة  
 طويلة قبل أن تقتفى الذئاب من الحث الست التي ألقيت لها ، ووقفت تنظر  
 وتراقب . وأشار الرجل إلى العملاق فطوح الجثث الأربع الباقية ، ونصت عليها  
 إخوانها النومة تلتهمها في حين مضى الرجل في عمله .

وعلى حين غرة تسمعت أذنه أصوات عواء بعيد . تلففته الغابة فراح يردد  
 الصدى من جميع الجهات . وعلم الرجل أن ذئاباً أخرى قد التفتت الرائحة ، وأنها  
 تنادى بعضها لتجتمع على الفريسة . وتنبه إلى الخطر ، فراح يعمل بسرعة فائقة  
 حتى اقتطع كمية ضخمة من اللحم ، وأشار إلى العملاق فأعرب منه لحمله ، وحمل  
 مابقى وتراجع الاثنان صوب المأوى . في حين راح الذئاب يتبعهما وهو يراقب  
 باقي الذئاب .

لم يكن المأوى بعد بأكثر من مائة خطوة ، لكنهم قطعوها في دقائق  
 مليئة بالخوف وترقع الهجوم . وكادوا يلفغون المدخل حينما اندفعت من الاتجاه  
 المضاد ذئاب عديدة ألقت بالرجل على الأرض ليسقط منه حمله ويبدأ الدفاع  
 يبيده المجردين . وألقى العملاق بحمله وتناول هراوته في سرعة وراح يهبط بها  
 على رؤوس الذئاب في جنون . واندفع الذئب بهجم على الذئاب يبعدها عن سيده .

حتى تمكن من تناول الفرع ، والوقوف على قدميه يقال المماجين .

وسمعت المرأة صوت القتال الدائر فتناولت بعض الرماح ، وخرجت من المأوى لتلقى بها الواحد تلو الآخر على الذئاب المهاجمة . ومضت لحظات فأرجع فيها القتال لصالح العربيين ، لكن الهراوة كان مفعولها رهيبا ، وما أن انغم إليها الفرع والرماح حتى انشوت المعركة بالسرعة نفسها التي بدأت بها . وهرب الأحياء تاركين جثث مئة قتلى ، غير جرحى مصوبا يلعقون جراحهم . والمتنصرون غيبتهم وأدخلوها المأوى ، ورفضوا بها قاصعين بالدق ، والامان إلى جباب النار ، وقد أيقنوا أن نديهم من الطعام ما يكفيهم لأمد طويل .

فبع العملاق في ركن المأوى ، ورفض الذئب في المدخل ، وراحت المرأة تحمس جسد الرجل ، وتضع بهم الطين على جراحه . وتفاقت إلى أدن الجميع أصوات عشرات الذئاب تتعالت فوق بقايا جثة الماموث . ولما شمرت الأصوات قرة طويلة من الليل ، استكنها بدأت تحفت شيئا فشيئا كلما أمثلا أحد الذئاب ونصت عن القتال ليتقن في العابه . ودام الجميع من الإرهاق والتعب ، وحينما أصبحوا ، كانت أشعة الشمس تعطي العابة الهادئة ، ولم يكن هنالك أدنى صوت ، سوى أصوات بعض الطيور المعردة .

## الفصل الثامن

### الجحيم البارد

كان صباح اليوم التالي مليئا بالعمل . فساد كاد الجميع أن يفتنى من مأكله حتى بدأ الرجل في سلخ فراء الدئاب ، وفصل اللحم ، والمظام . كان العمل طويلا ، وشاقا نظرا لوفرة العدد الذى أصابوه . لكنه مضى فيه بلا كلال أو ملال . وعرضت المرأة ملابسها على رجلها ، فراح ينظر إليها فى تعجب أولا ، ثم فى فرح ثانيا ، جملة بضائع من مجهوده لفصل ما يرغب من فراء . ومضى خياله بصورة له الفراء وقد صنعت يد المرأة ، وارتداه ، تركته المرأة سعيدة ببطنه ، وخرجت تجمع الأعصان ، والأخشاب لتفعل بها النار . وتبعها الدئاب فى رواحها ورجبتها .

تناول المملاق حراوته ، ودلف من المخرج يتشبع بشمس النهار ، لمكان صرغان ماعاد وهو يهلل كن هشر على كنز . نظر إليه الرجل فراء يطرح فى الهواء بقطعة ضخمة من العظم ، كانت فى استطاعتها ورأسها المثلث أشبه بالهراوة ، وإن كان من الواضح أنها أصلب منها بمراحل وأكثر فاعلية . ولاحت على شفثى الرجل شبح ابتسامة مالبثت أن تلاشت حينما تذكر ناي المساموث الصنمين المدبيين ، فمرع إلى الخارج وهذا إلى الهيكل العظمى الخائل الذى بدأ يحتفى تحت بعض الشوح المتساقطة . وأقف ينظر إلى التابين الصنمين حائرا فى كيفية ابتزازها ثم كيفية استعمالها . وأخيرا أجزء الأمر فترك التابين ومضى يفتنى بعض العظام التى طرأها قد تخيده فى صنع بعض الأدوات ، والأسلحة .

مضت الأيام تنزلى . وصنع بعض الحراوب من العظام ، كما صنع أكثر من حنجر . وقامت المرأة بصنغرداء لرجلها ، وآخر للملاق . واضطرت بالنسبة لهما أن تستعمل أكثر من قطعة من فراء الدئاب بطنها بسيور من الجلد ، وأضحت الأمر بالنسبة إليها وقد علت ماتريد ، مسألة تعديل لحسب ، فكان تطور أيضا فى صناعة الملابس . أما المملاق فكان يفتنى معظم وقته قابضا فى ركز

لا يحاول شيئا . كان ما يزال في إحدى مراحل التطور . ولم يكن عنده من طبع حيث يشعر بالملل أو السأم ، بل كان قائما بالأمان ، والهدوء ، والشبع .  
ومضى الرجل يبحث في العاية عن بعض الأعصاب ، والأفرع الجافة . كان يريد بعضها بأحجام معينة ، لصنع أواني وأوعية ، وأخرى بأشكال محددة لصنع عرابه أو حذير . راح يوسع من دائرة صعيه بحث عن بغيته . وذات يوم خرج في الصباح ، واستلقت المرأة متسككة على ذراعها إلى جانب النيران تتلذذ ببعض اللحم ، والجلد ، وتفكر في طرق مختلفة لتشكيلها وصناعتها . وأحست بحركة قدم مدخل المسأوى ، فرفعت رأسها ووجهه لتتبين أن العملاق قد دلف داخلها . خدلت في جاستها ومصعد ، نظر إليه . لم يكن هنالك شك فيما يبتغيه . وتوافع أنه لم يكن غريبا أن يأخذ أي رجل ، أية امرأة . لم تكن هنالك أسرة - معنى الذي نعرفه الآن - كانت النساء عادة مشاعا للرجال . أي رجل أراد أية امرأة من سبيل وطوره . أما الاشقاء ، والأخوات ، والأمهات ، والآباء ، والأزواج ، هم يكونوا كذلك بالمعنى المعلوم ، ولما كانوا مجرد أفراد ، رجال أو نساء ، لم يزعجهم من أن المرأة كانت تعلم هذا الوضع ولا تعلم سواء إلا أن شيئا ما في هذا جعلها تتراجع . لم تكن تبقى أن تكون لغير الرجل ، مولاهما . سيما . لم يخطر في بالها أن تصرح أو تستغيث فلم يكن هذا هجومًا - وهذا . كما أنها كانت تعلم أن العملاق لا يقصد بها شرا . أنه يريد ببساطة - بشع عريضة جنسية . ولما كانت هي المرأة الوحيدة في المسأوى فإنه من الطبيعي أن يشارك الرجل فيها .

سكتت المرأة في ركن المسأوى ، وامتدت يد العملاق تقبض على قدمها سحبها إلى جوار النار . حاولت المقاومة لكن اليد الحديدية لم تأبه للمقاومة . خنت اليد الأخرى إلى الدثار الذي ترتديه لثرقه وتنزعه انتزاعا . أحست من الصنم يطبق على صدرها ، وبلا إحسان العادة تهرس في كنفها ورقبتها . خنت تقاوم ولم يشعر العملاق بالمقاومة وكسأها كانت ألمرية صغيرة حبيب . راحت اليدان القويتان تتحسان الجسد البض وانغرست الأصابع في ثديها في كل جزء منها . وتأوهت المرأة ألما وضغفا ، وحاولت التخلص من أحد الجاثم فوقها ، لكن القوة الهائلة لم تدع لها أية فرصة . راحت تهرس - تستطيع من قوة وأفادت مره في الانفلات منه ، لكن اليد الحديدية

أعادها بسرولة إلى حيث كانت وازدادت مقاومتها من ثأرتة ، وحيل إليها أن قوته قد تضاعفت في حين راحت قوتها وهي شيئا فشيئا .

ولم يشعر إلا ثلث بالرجل وهو يدخل المأوى . أحسن المملاق يدين تطبق على رقبته ، وبتزعاضه من فوق المرأة . التفت مزعجرا غامضا يرى الرجل يشده شدا إلى الخارج ، واعتدلت المرأة في جلستها وأسرعت وراءه للرى الرجل وهو مازال يجر المملاق على الجليد ، قاضيا على رقبته بكتف يديه . راح المملاق يحدف يديه في الهواء محاولا الوصول إلى الرجل . لكن هذا لم يسع له فرجه ، واستمر يضغط بكل قوته . ولم تر المرأة الرجل من قبل في مثل هذه الحالة حتى وهو يسارع الحيوانات ، والرجال لم يكن وجهه يمثل هذه الوحشية البادية ، اكتست وجهه بحمرة مائة ، وانست حدة هيئته . وبدأ جليا عليهما الرغبة في القتل .

توقف المملاق عن الاطاحة يديه في الهواء ، وانست يدها إلى الحلف لتقبض على يدي الرجل ، وبقرته الرقبة بدأ يحدفها عن رقبته . ودام الصراع بينهما لحظات . واضطر الرجل أن يبعد يديه ، وهب المملاق واقفا تراجع الرجل بضع خطوات ووقف متأنعا القتال ، لكن المملاق لم يكن يريد أن يقاقل ، وإنما وقف مشدوها ينظر إلى رقبته متأتلا عن السب الذي جعله يريد قتله . إنه لم يقف إنما أوجعية . فما الذي دعاه إلى محاولة قتله . ولاسط الرجل نظرة القسائل ، والتعجب المرئسة على وجه زميله . وبدأ الهدوء يعود إليه . ولو سأله عن السب في ثورته لعارمة ما استطاع أن يجيب . وبدأ المملاق يتراجع وهو ينظر إليه ليستطلع ما يفعله ، لكنه لم يتحرك من مكانه ووقف كأنما يقاوم قوة عارمة تعتمل داخله .

تقدمت المرأة في استكافة ولست ذراعه . وكأنما توجهت المواجهة كلها في هذه الامة إستدار الرجل ، وهوت قبضته على وجه المرأة لتطيح بها بعيدا ، وتلقى بها على الأرض وقد تضرع وجهها بالدماء . صرحت المرأة ألما . وبقيت قائمة حيث هي تقاوم الغشية التي ألتابتها . ومع ما ألم بها من ألم فقد داخلها شعور غريب من المهر . وانزعج . لم تكن تدري سبب هذه الثورة العارمة ، ولم تكن تدري سببا لتلك الضربة القاسية التي أصابتها ، لكنها كانت تعلم أنها فرحة مبتهجة بالإثنين . توقف المملاق من

المسحاة ، ونظر إلى المرأة ، ثم إلى الرجل . كانت الحقيقة البسيطة التي لم يعلمها الإنسان قد بدأت تدخل عقله البطيء . إن الرجل يريد هذه المرأة أن تكون له . دون سواء . وعلى غرابة هذه الرغبة بالنسبة للمعلاق ، وعلى أنه لم يفهمها ، إلا أنه يبدو أنها إرادة الرجل ، وليسكن له ما يريد .

ولم يعلم الثلاثة أنهم بذلك قد أرسوا أولى القواعد التي منها تكونت الأمور بعد ذلك بمئات السنين .

في الأيام التالية لم يكن الرجل كعادته مع المرأة . لاحظت أنه يعتمد عنها ولم يطلب منها طعاما كما كان يفعل بل كان يأكل ما يريد ، ويقوم بمجاسية البسيطة نفسه . حاديات أكثر من مرة أن تقرب منه ، لكن زجرته كانت كافية لأن تتعدى وهي تذكر اللطمة التي أرهبها والتي كانت آثارها مازالت ظاهرة على شفثها المنورمتين . وبدأ لها أن الرجل قد ازداد إنهما كافيا يقوم به من أعمال ، وأنه أكثر قلقا عن ذي قبل ، وأكثر رغبة في هجر السجن الاضطرابي ، الذي وجد نفسه فيه ، وأكثر ضجرا ، كان يمتحن لجأة دون صوت ، أو إنذار ، ثم يعود في صمت كما ذهب .

لم تفهم في بادئ الأمر سببا لهذا الانقلاب العجائي ، وهذه الحركات الصامتة المفاجئة ، أو لعلها أحست بأنها الميزة تأكل في قلبه . لكنها لم تكن تعرف الغيرة كغصور ، وإحساس . وإنما هي الغيرة تدلها على أن مصدر ما أحاط بالرجل من وجوم وضجر وقلق ، هو ما حدث بينها ، وبين المعلاق . وما كان يمكن لش هذه الحالة أن تدوم . فكانت المرأة تهرع إليه لتقرب الطعام ، وتصرخ لتأوله قطعة من الخشب ، أو لتفقد النيران ، كانت تفعل هذا وغيره في صمت ، وهي وجلة حائفة ، تتوقع لطة في كل حركة . وبغريزتها كانت تعاذر حتى من مجرد النظر ناحية المعلاق ، الذي يعتمد بدوره ، وبدأ عليه أنه قد نسي الواقعة كلها ولم يعد يذكر إلا أن الرجل لا يريد شعما آخر أن يمس المرأة . وذات ليلة تملبت الطبيعة ، كما يحدث دائما وحادث الحياة إلى مجاريها .

جاء وقت فرع الرجل فيه من جميع ما يريد صنعه ، وكسى المساوي الخارجي صفة الجلد التي ارتد عنها من الماموت حتى يضع مسرب الأمطار ، وتخلل الهواء ، كحبات المتناثرة ، فكأه بهذا صنع أول حبيبة في التاريخ . ولم يستطع العقل



الفضيطة الذي اعتاد الصناعة ، والحركة ، البقاء طويلا بلا عمل أو تفكير ، ففى  
يعكر فى موقفه . تمنى أن يكون فى استطاعته الرجوع والعودة إلى غابطة الحببية  
الداثة . و نظر أكثر من مرة إلى السماء يستطلع الجو ، لكنه كان قد بعد  
جوا عن منطقته الأصلية . كان لا يعلم شيئا عن الجو ، ولا عن الوقت الذى  
سوف يقف فيه تساقط الجلبه .

كان يعلم أنه إذا شاء أن ينتقل إل حيث أتى ، فإن عليه أن يخترق سلسلة  
الجبال التى وقد منها . لكن الجبل كانت تكسوه طبقة سميكه من الثلوج ،  
وكان عليه أن يقضى أياما حتى يصله ، وأياما أخرى حتى يرتقيه ثم يهبط منه .  
ومعنى هذا أنه كان عليه أن يترك أداوى لمدة طويلة هو ورفاقه ، وأن عليه  
أيضا أن يترك حماية النار ودفتها . ولن يستطيع أن يوقدها فى الأوقات البسيطة  
التى سوف يقضيها فى الغراء ، فأيقادها عمل شاق يستغرق ساعات . راح عنه  
يطرح الأسئلة . لو كان فى استطاعه أن ينتقل بالماوى وبالنار ، إذا لها على  
الجميع حتى تسبق ذلك الجبل الثلجى . وحالت منه لفته إلى جلد الماموث الضخم  
ولجأ لمع فى ذهنه حل إحدى المشكلتين . راقبه الصملاق فى دهقة وأجه من  
تحت أهداب عينين ناصبتين ، وهو يهب من مكانه ، ثم يخرج خارج الماوى .

صدر من الرجل صوت اعتادت المرأة عليه كغداء لها . خرجت به وروحا لزمه  
وقد التقط فرعا طويلا وغرسه فى الأرض ، ثم رآته ينتزع الجلد من على الماوى ،  
ويشير إليها أن تساعده ، فأطاعته متعجبة مما يبغى ، ساعدته فى تعاليق الجلد على  
الفرع حتى تهول حوله ، ثم رآته وهو ينفق أفرعا متعددة تكاد أن تتماثل فى  
الطول ليفرسها على مسافات متساوية من الفرع الأوسط ثم يرفع الجلد عليها .  
وهكذا صنعت أول خيمة حقيقية فى التاريخ . ولم تكن قطعة الجلد التى اقتنصها  
الرجل كبيرة بحيث تكون خيمة كاملة بل أن معظم الأركان كان خاليا ، لكنها  
كانت بداية ، وكانت دوما من الماوى على أى حال .

فهمت المرأة مراده ، وعلمت أنه إنما يبغى أن يحيل ، ويعد له ، بهذا هذبا  
الإنشوى يعمل بدوره . أشارت إليه أنه لو كان هنالك جلد كاف لأمكنها أن  
تربطه بيده لئلا يفسد على الأرض مكوونا ماوى ، لكن الرجل استبعد هذا  
الرأى بأشارة من يده إذ أن معنى هذا أن يخرج مرة ثانية ليصيد حيوانات

صحة ، لا تقل من الوجود حجما ، وبالتالي يكون معناه البقاء إلى أمد غير محدد . بل ومعناه أيضاً أن تكون الخيمة كبيرة لا يسهل على شخص واحد حملها لمسافات بعيدة . واتجه تفكيره إلى ناحية أخرى . ماذا لو كانت الفروع تنصر من هذا ، وما عليهم إلا أن يستعملوها للنوم فقط ، والمأوى على أى حال من يستعمل إلا لهذا الغرض . قام بتنفيذ فكرته فوراً . وراح يلتقى ببعض الأعراف الصغيرة نسبياً ، ويعمل فيها ، ويستعد منها ما يمكن الاستعانة عنه . سكن الجند ، وإن كان قد استقر على الأرض مكوناً خيمة ثمانية ، إلا أنها أصبحت بالكاد تكفيه والمرأة ، ولم تسكن لفصح العملاق معها . وحلت المرأة مشكلة أن ربطت ثلاث قطع من العراء إلى بعضها لتشكل قطعة واحدة كبيرة ، صبح حين جربتها أنها تسع الدئب والعلاق معاً . وما كان العملاق ولا الدئب في الواقع في حاجة إليها ، إذ أن الأخير كان يغنيه فراؤه ، في حين كان الأول من سكان المنطقة وقد اعتاد سبيها على جورها ، وكان يكفيه الرداء الذي صنعته عراء .

ولم يستطع الرجل أن يحل المشكلة الثانية . حاول أن يضع الأحشاب خشبة الصغيرة في أحد الأوعية الخشبية ، لكن محاولاً مابداً الوعاء يهتز . وأخيراً فحس أن ينظر قليلاً ، ثم لا أن يتحسن الجو ، ولم يمكنهم أن الشتاء سوى يطول إلى شهور . ومرت أيام وهو جالس لا يكاد أن يحرك . وتعمل العقل المتكامل من السكون ، بدأ الأثر يظهر في طباع الرجل ، وأخلاقه . في حين كان عقل العملاق المتبادل سبياً صاعداً لا يفكر فيما وراء العداء ، والدفع ، والأمان ، كان العقل البشرى يسعى ، ويفكر في تحسين حاله ، وإقامة أعمال جديدة . كان عقلاً فاعلاً لا يستطيع أن يخلد إلى الراحة ، سكن ما كان في استطاعته شيئاً وهو مقيد في مكانه لا يكاد أن يملك حراً كما . عند الرجل فأفها ، وملا ، وسأما كلما مرت الأيام . وظهر المضجر عليه في حركته وتصرفاته ، بل في غذائه . وتوقف عقله عن التفكير في أى شيء ، سوى الخروج من السجن الذي وجد نفسه حبساً فيه .

لكن هذه الأيام التي قضاهما حبساً ، أو يكاد ، في المأوى الصغير قدمت فاء جلية إلى العالم لم يشعر هو بها . كانت هي الفرصة الوحيدة التي بقى فيها

رجل عاقل، متكامل ، مع امرأة متكاملة عاقلة جييسين لمدة طويلة في مكان ضيق . كانت المرأة تراقب رجلها في كل تصرفاته ، فكانت تكاد أن تقرأ ما يفكر فيه . وعى عقلها رغباته ، وكيف يعبر عنها ، بالإشارة ، والوجه ، والصوت . علمت نبراته حينما يكون جائعا ، وحينما يكون عطشا . أمكنها أن تفرق بين نبراته وأشارته وهو حائق ، أو عاضب ، أو سعيد . بل لعلمها بدأت أمر في عقلها من مجرد سماع الصوت ، دون أن يقرن بالإشارة .

وبدأ الرجل يكون صريع العادة . فأصبحت إشارته وأهم مخارج صوته ، تؤدي تلقائيا بالشكل نفسه في الموقف نفسه . والتقطت عين المرأة للنمذة . الاشارات ، وترجمها عقلمها ، كما التقطت الأذن الإنسانية الأصوات ، وفرقت بينها . لكنهما كانت على أى حال أصواتا بدائية ، ولم تكن لشكون لغة باى شكل ، ولا حتى مع التكامل . ولعل الأصح أن يقال أنها كانت بداية متافقة ، بين الرغبات آترة في كل الأحيان ، مطلوبة برغبات ، واحتياجات . أريد أن أكل . أريد أن أشرب . يلزم احضار خشب للنار . ادخل أو اخرج . مجرد إشارات مختلفة ، تصحبها طبقات صوتية متباينة . ولم تكن حياة المرأة قلا مع قبيلتها حلوا من الاشارات المصحوبة بالأصوات . لكنهما كانت تعلق كثيرا من جميع التواشى فلم تكن الموضوعات التي تتبادلها المناقشة في مثل هذا النمذ الذي خبرته مع رجلها ، وبالتالي كانت الاشارات محدودة في نطاق معين . أما الأصوات ، وكثيرا ما صعبها ، فقد كانت عالما واحدة لا تكاد أن تتغير . أقرب إلى الحشرة منها إلى أصوات ذات مغزى أو هدف . ولم تكن الحال الصوتية للمناجر قوما من التكامل لدرجة أن تعطى طبقات صوتية مختلفة كثيرة وإنما كانت ، شأنها شأن الحيرانات ، محصورة في سلم ضيق ، لا تكاد أن تتغير .

اختتام الحال تماما مع رجلها ، فقد تعددت الأصوات تعددا كبيرا بالنسبة لما ألفتة سابقا ، وتبع ذلك تعدد الاشارات وتنوعها ، وتنوع ما صعب من أصوات . ومع مرور الأيام ، وشيئا فشيئا ، بدأت الأصوات ، نفسها ، منفصلة عن الاشارات تعطى معنى متباينة ، كما بدأت تأخذ صورة مستقلة قائمة بذاتها . وبالرغم من أن الاشارات كانت مازالت هي المائدة ، وهي الأصل . إلا أنه في بعض الأحيان القليلة المتباعدة ، كان الصوت في حد ذاته ، غير مصحوب

رربة يمتلئ المعنى الذى يهدف إليه الرجل ، أو الذى تهدف هي إليه . وتحدثت  
 عن بعض الأشياء التى كثر ترددها الماء ، والغذاء ، الدئب ، العملاق ، النار ،  
 الحب ، فلم تمد فى حاجة إلى الإشارة مع سماع الأصوات فى مثل هذه  
 حالات . واضرابها من الأوامر ، والنواهي ، والتعذيرات . ومن  
 أت أول لغة صحيحة متكاملة .

رغب المائدة الخفية فى الحبس على مجرد المناقاة الصوتية . لم يكن الرجل كان  
 ما يمتلئ الوقت وهو يلعب بالاحشاش ، بلا عرص إلا لقتل الوقت من السأم .  
 شيئا ما يجلس على الأرض . ويخط خطوطا لا هدف لها ، ولا معنى . وجاء  
 من يمارس هوايته ، وهو يفكر فى مخرج للسجن الذى لا مفر منه .  
 سمر ، طراه على هانطت يده على الأرض ، وحيل إليه أنه يرى الأشجار .  
 حنقه الخطوط من أفكاره فراح يعدل فيها حتى بدا على الأرض رسم  
 من شجرة .

ت من بين شعته ضحكة ، أو من أقرب ما يكون إليها . وتبعث المرأة ،  
 إليه انظر ما صنعت يداه ولم يمكنها فى أول الأمر أن تميز الرسم .  
 أحس أشار إليها ، وعدل من موقفها حتى رآته ، وتبينته ، وضحكت المرأة  
 . أو كادت ، وأمسكت بقطعة من الخشب ، وحاولت أن تقلد بيدها .  
 التالى أضفى الرسم هوايتهما وتسليةهما . رسما أشجارا كثيرة ،  
 وحاولا رسم الدئب والعملاق . وكل شيء يفكران فيه . وما كان  
 قد عملا بهذه الهوية الخطوط الرئيسية لبداية حضارة الإنسان  
 الكتابة .

أيام أخرى لزداد تورأعصاب الرجل فيها . وأصياه التفكير فى كيفية نقل  
 بأن يعلم أنهم بغيرها أن يستطيعوا أن يناموا ليلة واحدة ، ولا حاية لهم  
 . وراحت المرأة تراقبه . كانت تعلم ما يدور فى حله ، وأنه يحاول  
 . يخرج من هذا السجن الإضطرارى الذى أرغمته عليه الظروف ، والذى  
 مداه . بل أنه كان يلوح أن الثلوج تزداد تراكما يوما بعد يوم ، وأن  
 شدة ، وأن يمكن يبدو هنالك أى فى تحسن الجو ، على الأقل لمدة طويلة  
 . كل هل يستطيع الرجل احتمال هذه المدة الطويلة حبسا داخل المأوى

لا يملك حراكا؟ ولعلها لاحظت أن توتر أعصابه كان يزداد كل يوم صاعدا ، حينما يهب من بومه ليطل في الخارج ليرى حالة الجو ، ثم ينكمش ثانيا وقد فأس به الخشب . وحتى لو أنه كان قد بدأ بمقد تلك الضررة التي تلحقه من اكتئال صحتة . ووفرة قوته . راح يسلى نفسه بسمع أوعية وجراب ، وخناجر لالزوم لها ، صنع أوعية مختلفة الأحجام القاهها في النار ، وصنع حرايا متباينة الطول ، والقي معظم قه النار . ورسم رسومات مختلفة ليعوها وينطق غيرها ، ونحت أشكالا شتى من الخشب ، وصنمها ، والقي بها جانبا .

وكان صباح يوم يعمل في وعاء كبير من الخشب حينما توقف فجاء وراح يبك . وبصر إلى النار . ماذا لو وضع في الوعاء بعضا من طين الأرض ثم وضع فوقه النار ؟ أهذه البساطة يمكن أن يكون الحل الذي قضى في التكسير فيه أياما فاقة وليال مؤرقة ؟ ترك الوعاء الكبير الذي كان يعمل فيه ، وقفر إلى ركن المأوى قفرا باقظت العملاق من نعاسه ، وجهته يراقبه فيما يشبه البلاهة ، وهو يتدور أول وعاء لمسته يده . وراقبته المرأة . ولاحظت أن وجهه قد تهلل فرحا واختفت من عييه تلك النظرة السكينة ، وعاد إليهما معا فهم الذي يضيق عليه نوح من الحيوية لم تكن تجدهما في غيره .

دهشت المرأة وهي تراه يقف من طين الأرض ، ويضع ما اغترفه في الوعاء رافته وهو يلبس جوارب الوعاء بالطين . وشاهدته ، وهو يتناول قطعة خشب ويرفع بها بعض الأخشاب الصغيرة المحترقة ويضعها في الوعاء . ثم يجلس أمامه على الأرض ليراقب الأخشاب وهي تحترق داخل الوعاء دون أن تحرقه . ولم يكن الرجل بهذا ، إذ كان يعلم أن عليه أن يتأكد من أن النار سوف تستمر في الوعاء . أياما دون أن تمسه سوء ، قراح يعذبه بين الغينة والأخرى . وجف الصبر ليكون طبقة صلدة تحمي الوعاء الخشبي ، واستمرت النار ملتصقة داخله دون أن تحرقه .

تبدل حال الرجل تماما منذ هذه اللحظة ، فقد أخذ يعمل بجهد لجوف وعاء أكبر . واستقر رأيه على أن حماية النار ، وحملها ، يجب أن يكون من اختصاص المرأة ، في حين يقوم هو العملاق بحمل المسأوى ، والأوعية ، والجلود والفند . ولاحظ أن يكون الوعاء بما تستطيع المرأة حمله لمسافات طويلة دون إراقة

ومضى يكسر قطعاً صغيرة من الأخشاب لتغذية البيران أثناء السير . وأتم عمله في اليوم التالي . وراقب النار في الوعاء الأول ، وكاد أن يرقص طرباً وهو يبعدها مازالت مشتعلة ، وأن الوعاء لم يلتئب . تناول الوعاء فلاحظ أنه كان شديد السخونة ، وأنه إن احتمل قليلاً فسوف يخفف البرد في الخارج ، ومضى يسير خارج المأوى بالوعاء ، وراقب النار فيها وما يحدث من تغيرات ، وفكر في احتمال سقوط الثلج وهم سائرون ، فغطى النار بالخلد ولكن الجلد كاد أن يحترق كما كادت البيران أن تنفد . فحس عذمان أعواد الخشب في الطين داخل الوعاء ، وربط الجلد في منتهى ، وبقيت النار مشتعلة ، ولم يمس الجلد سوء . وكانت هذه آخر تجربة يقوم بها قبل أن يقرر الرحيل .

بدأت الجماعة تستعد للسير مع أول النهار . تدرج الثلاثة بملايسهم ، ولبسوا حديثهم ، كما وضعوا أغطية رؤوسهم . وحلت المرأة وعاء النار . كما حملت حصص الأخشاب الصمغية في كيس كانت قد صنعتها ، وحفظته بسير جلدي إلى جانبها . ولم تكن تغذية النار مشكلة فما كان أكثر من الأخشاب الجافة في الغابة . سم الرجل ما يريد حمله بينه وبين العملاق ، فحمل هو بعض الأوعية ، والحرايب ، فصور في حيرته لزميله اللحم أساساً . واستغنى عن الأعمدة التي قد أعدها لرفع الحرايب ، مكثفياً بالحرايب . وتناول بعض السيور الجلدية ليربط بها الحرايب . ظهره في حين التي ما تبقى من الجلود على كتفه .

تحركت الركب العريش . رجل ، وامرأة ، وعملق ، وذلك . كانت السماء صافية . وفيها الغيوم أو السحاب . وسطعت الشمس ، لكن أشعتها كانت فاترة . لا أثر فيها للحرارة . وبدأ الأربعة سيرهم يتقدم الرجل . كان قد غير اتجاهه في الأيام السابقة أكثر من مرة ، وامتدت الغابة أمامه متناقلة لا يرى بها شيئاً . أشجار باسقة خالية من الأوراق أو تسكاد ، وأرض بيضاء مسرماً الثلوج ، وأغصان جافة متقاطعة . وجال في ذهنه أن يطلق إحدى السيور ليرى مواقع الجبال ويختار أقصر الطرق إليها . لكن الأشجار كانت حرة بلا من العسير جداً لتلقها . وراح عقله الفشط يفكر في أي الطرق . وسلك حراً فلاحظ في تفرقاته السابقة مسار الشمس ، أو النجوم ، وإنما كان تمكيد

كله منصبا على الحوادث المتتالية التي حدثت . لكنه الآن بدأ يسترجع الحوادث . ويحدد الأماكن في ذاكرته .

لا شك في أنه كان عليه أن يعتمد عن الطريق الذي أتى منه ، بعد قتاله مع أفراد قبيلة العملاق . لكن أين كان ذلك ؟ وأي طريق أخذ ؟ دارت عيناه ثانية في العاية ، ولم يجد أية إشارة قد له ، ونظر إلى العملاق . ترى هل يعلم الطريق ؟ وكيف يستطيع أن يسأله ؟ لا بد أن هنالك لغة ما من الاشارات يستعملها هو وفرومه ، والألما ارتحلوا كل هذه المسافة البعيدة لقتال عائلة الفتاة كما لا بد أنهم غيروا الطريق مرات عديدة . لكنهم في هربهم وقاتلهم قد انحذوا طرقا أخرى مختلفة . فمن يعرف العملاق أين هم الآن ؟ وهل يستطيع أن يشرحهم من هذه الغاية المسمومة ؟

شعر العملاق بنظرة فرح إليه حينه في بلاءه جعلته يترك مجرد محاولة متوالة . وسار الركب في بظء شديد إذ كانت الثلوج قد تراكمت على الأرض ، وكان السير عليها صعبا . ومضى الرجل يفكر . لم يكن في حماسه الأول قد ظن أن اقبحه سيرهم مشكلة ، فهو سوف يتم مباشرة إلى الجبال ، ويتسلقها ثم يهبط من الناحية الأخرى ، لكنه الآن وقد بدأ فعلا . كما كان يشك في أي الاقبحات توجد الجبال . كان يتصور أنه سلك الطريق الصحيح ، لكن هل فعل ذلك حقا ؟ أم يكن أمامه سبيل ثلثا كد ، سوى التجربة . وعليه الآن أن يراقب مسار الشمس ، وأن يتخذ إجماعا واحدا لا يجيد عنه حتى يعرف تماما أين الجبال ، ولم يكن يعلم أنه يسير فعلا في اتجاه الجبال . ولستكم جبال أخرى مغيرة تماما لللال التي سبق له أن تحطها هي مغامرة السابقة .

قضت ساعات . ولم تتغير المناظر حول الجبل إلا قليلا حتى أنه كان من المسير القول بأنهم قد انتقلوا من مكانهم . أرض بيضاء فكسوها الثلوج وأشجار باسقة تسكاد ان تتشابه جميعا ، فكأما قدت في قالب واحد وبدأ الكلال يدب في جسد المرأة ، لكنها لم تحاول أن تقف أو تشعر رجلك . التعب قد ، ألم فيها . أخذت تنقل قدميها بثقل حتى جعل إليها أنها كانت تنزع من الأرض انزعاجا . وجاء وقت تدرت فيه حطائها حتى ان النار اوشكت ان تحبب منها ، لكنها مرعان ما تماهكت ، واحتفظت بتوازنها ، وطردت المسير

لاحظ الرجل ما اعتدى اذراء فاحتار مكانا وسط الاشجار وجد به شجرة  
ساقطة على الارض وأشار بالوقوف . وجلست اذراء على الشجرة ، وقبض الذئب  
على جوارها . ووقف العملاق يرقب الرجل . رآه بدور نظره في أرجاء العابة  
التي يبعث عن ثوبه ، واراد العصر حامرا . لم يجد دليلا واحدا يمكنه أن  
سندل به ، على الطريق ، واستقرت عيناه على وجه العملاق ثم أشار إليه ، وتقدم  
لعملاق واحتر الرجل كيف يفسر منهجه . أخيرا جاءت في رأسه فكرة .  
صعد على الارض بخطوط طارية ، وانفجرت الثلوج لتوضح رسما . لم يكن هنالك  
شيء أنه يمثل جهالا ، وطريقا إليها

كانت هذه ثاني خطوة نحو الذئبنة ، ( استعمال الرسم الدافئة : خطر العملاق  
رسم في بلاهة . ولم يد عليه أنه قد فهم شيئا . وتقدمت المرأة ، وطلعت  
رسم ، وفهم عقابا المصحح ما يريد الرجل . لكنها هزت رأسها انبعا ،  
مستترة أين هي ؟ حاول الرجل مرة ثانية مع العملاق ، وراح يجمع الحاج  
كروام تشاء الجبد ، ثم سوط طريقا إليها ، وأشار إلى الجمع كأنها هم يسرون  
مسلما الانحاء . ولم يتقدم فهم العملاق . كان جائعا وكان يفكر متى سوف  
يسمح لهم الرجل بالغذاء .

سرس الرجل من المحاربة . وجلس إلى جوار المرأة على جذع الشجرة  
مستريح . والعملاق حملته من اللطم على الارض وجلس إلى جواره . وتقدم  
رسم اللحم ، واستل سحرة ومضى يقطع قطعة صغيرة بسيما ، ألقى الجزء  
بذئب ، وأعطى العملاق ، والمرأة جرابين آخرين ، وتناول هو حصيه .  
حرى روح العقل البشرى . لم يكن الرجل يهتم إلى متى يظفون في هذه الصحراء  
تحت ولا متى سوف يتيسر لهم الصيد .

فقد كان عليه أن يوزن الأكل قدر استطاعته . كان يصيبه الجوع  
كثير ، فهو لا يأكل سوى اللحم ، في حين يصعب الرجل يبحث عن جذور  
وراح يصعب بعضها ، وتناول المرأة والعملاق بعضا آخر . وعاف  
الزئول لأمرا الجذور ، لكنه حينما رأى الرجل والمرأة يعضفانها بدأ ينضع  
في تأفف ظاهر .



عادوا السير بعد فترة ، في الاتجاه نفسه ومضت ساعات أخرى ، ومالت الشمس نحو المغرب . وانصروا الخيمتين ، وأخذ الرجل بعضاً من قطع الخشب المحترقة ووضعها في رداء آخر ، ووضعه في خيمة العملاق والذئب . أحضر لها بعض الخشب لحافه وأشار إلى العملاق فقد رأى المرأة وهي تفعل ذلك مراراً . وعاود العملاق اجوع ، فإشار إلى الرجل ، لكن الأخير أعطاه بعض الجذور فقط ، وأشار إليه بالامتناع عن أكل اللحم .

هرب الرجل من يومه فزعاً ، كانت هناك أصوات صادرة من الخيمة المجاورة ، كان لابد من يجر عاصماً ، والعملاق يتعدى . وأمرع الرجل ودلّب إلى الخيمة ليرى الذئب يحاول أن يقضم من اللحم . والعملاق يحاول أن يمتعه قابضاً على هرأوتهم هذا . كان الذئب جائعاً ، ولم يكن يهمهم كيف يظن كذلك في حين أن اللحم على قيد خطوات منه . ولم يكن العملاق بدورهم يهم ذلك ، لكنه كان قد تنقّى امرأ من الرجل ، وكانت طاعته عمياء . لا يبال فيها للمناقشة . علم الرجل أن الذئب جائع ، لكنه كان يعلم أيضاً أن قطعة اللحم التي أعطاهما له كانت تسكبه يوماً كاملاً دون أن يضار ضرراً حقيقياً . وتدخل بسرعة مبعداً الذئاب : وكثير الذئب عن إجابته لكنه عاد وتجمع ما كنا ، وحمل اللحم الرجل ، وخرج به ثم دأب إلى خيمته . واستقر السكون في العابة إلا من عواء الذئاب يتردد من بعيد .

وعادوا السير مع أول حيوط النهار . كان السير أشق من اليوم السابق إذ أن الجليد كان قد ازداد تراكمه خلال الليل . ومضت الجماعة قفلاً أخصى متساقطة . واحتق الذئب ليعود بعد ساعات ، كان قد ذهب يبحث عن صيد ، لكنه عاد يحق حزين . وتناولوا وجنتهم الوحيدة في صمت ، وفي هذه المرة امتنع الرجل عن لحم ، واكتفى بما عثر عليه من جذور النباتات والأشجار استمر بها بعد أن حفر تحت الجليد . وجن عليهم الين ، وقبضوا في الجبين والريح تصفر ، والذئاب تددى .

مضت أيام ، لم يصادفوا فيها صيداً سوى أرنب واحد هاد به الذئب . ولم تنغير المناظر حولهم . الجليد نفسه ، والأشجار نفسها ، عواء الذئاب وصفير الرياح ، ومن وقت لآخر زئير نمر يتحدى . أما الطيور المفردة فكانت قد هاجرت منذ زمن بعيد ، ولم يعد أحدها يسمع لها صوتاً . وتناقص اللحم بصورة رهيبية بالرغم من أن الرجل كان قد قصر تناوله على مرة واحدة كل يوم .

وتدعوهم الذئب على العملاق حتى اضطر الرجل أخيراً أن يحمّل كمية اللحم  
تحميه في قبة .

وجاء يوم تنبه الرجل فيه أن مامهم من اللحم لن يكفيهم لأكثر من وجبتين  
ولذلك كان عليهم أن يبحثوا عن الصيد بأي ثمن ، وإلا هلكوا . صحيح  
- دور البساتن وشجيرات الأشجار كانت تدمم بعض الغذاء ، لكنها إن تدمم  
من اللحم أما الذئب فكان لا بد له من اللحم وإلا هلك جوعاً . وزاد البرد  
- حركة المستمرة من وطأه الجوع . وبدأ على الجميع الهزال والشحوب . كانوا  
صبراً بآفة الجاعة التي بدأت السير منذ أسبوعين أو أكثر . وقرر الرجل  
- يوهب ، وأن يقيم فترة من الوقت يصرخ فيها للصيد . اختار بقعة تحميها  
شجار من الرياح العاصفة وأقام فيها عبيبه . ومضى يوم كامل وهو يجمع  
حطب ليجلي النيران أطول فترة ممكنة . كان يعلم أن النار هي حريتهم الوحيدة  
- حطار الغاية . وهي ملاذهم ضد البرد والحيوان . وبدونها لم يكن هنالك شك  
في موتهم . وبدونها ما كان يمكن أن تحميم حراهم ، ولا هراوة العملاق من هجوم  
قرب الجماعة . ولهذا لم يدخر وساق في جمع الأخشاب طوال اليوم . وساعده  
- . وساعده العملاق . وتكسدت أكوام من الأفرع الجافة والأعصان حول  
تيمتين . واحتجى الذئب حينها للاحظ أن الخاغة لا تتوى الرحيل ، وأنها سوف  
صبر ولم يعد حتى المساء .

في تلك الليلة بات الجميع في دفاع حقيقي . وسمح لهم الرجل بقطع صغيرة  
من اللحم . وقررت المرأة اللحم المنجمد من النار ، وكذلك فعل الرجل . وبعد  
ذلك ، يأكلان لحماً مشروباً ساخناً زاد من شعورهما بالدفء والشيء . واستنقت  
- أو عن ظهرها بين الغراء ، وبدأ جسمهما يميلان في ضوء النيران . كانت  
- من الخن قد بدأت تظهر عليهما . وتضعهن بطنها قليلاً ، لكنه هذا لم يعبر  
شيء في القوام المشقوق . ودلف الرجل إلى جانبها .

واستقيظ بعد فترة قصيرة وهو يكاد أن يخنق . لم تكن العبيبة بحكمة تماماً  
- المرأة عادة يدحها من أسفلها ولم يكن قد صنع باباً ، ولما كان يدلف  
- تحت العطاء الجليدي ، إذ كان هذا يعطيهم دفئاً أكثر . ودمع غائبة الوحوش  
- في النيران التي أوفدها هذه اليلة أشد من أية نيران أخرى ، وكان الجليد

يتساقط كثيرا ، ويمتفر بعده على الحيمة لينفى بحرارة الحيمة فيتحول إلى ماء  
ينحدر ليجمد ثانية سريعاً حياً يلامس الأرض ، وثبت فثبات منع الجليد الهواء  
من الدوران الحيمة ، وكادت البرد أن تنفخ ، كما أوشك النائمون  
على الموت احتساقاً .

أحس بحاحته الشديدة إلى الهواء فأسرع بزيح الجلبه من أحد الجوانب .  
ولم يسعه هذا فمد يده إلى سحبه واقطع من الجلبه قطعة تدلو من الأرض قليلاً .  
دس الهواء البارد إلى الحيمة ليؤلف المرأة . ولتعود الدرد إلى الاشتغال .  
وملا رئيته بالهواء الثقى . ووسع الفتحة قليلاً وأكفها إلى الأرض لتصبح باباً  
صغيراً يمكنه أن يذلف منه بيسر . وأسرع إلى الحيمة الثانية ليعمل بها ، كما فعل  
بجيبته . ورأى النيران قد حذت ثمار إلا من جذرات صغيرة في حين لم يتحرك  
العلاق ولا الذئب .

واعتمد في مبدأ الأمر يده مائفاً ، لكن العلاق بدأ يبدل . حمل  
الرجل الذئب بين يديه وأحس بألمه تزداد في صدق شديد ، خرج به  
إلى الهواء البارد بيناراحت يدها لذلك كان الحسد الهامد في حركات لاشعورية .  
وأرسل الهواء رعشه في الحسد ، وتململ الذئب قليلاً ، ثم فتح عينيه بعد دقائق  
قليلة ، وانتظم نفسه . ووعده الرجل عن الأرض رهن ، فراح يحاول أن يستدل  
في وفاته حتى تماسك ، وتقدم من قدى الرجل يمشح فيهما كأنهما يشكرا .

لجأة شعر الرجل بالعصيق يهرا يده . كان في لفته على صدقيه قد نسي  
أنه عاز تماماً ، أما الآن وقد اطمان عليهما فقد شعر لجأة بلسعة البرد . أطل  
العلاق برأسه الضخم من العرجة التي فتح الرجل وراح يستنشق هواء الجبل  
بلهفة . وأشار إليه الرجل أن يمد النيران إلى حالتها الأولى ، وأن يضع فيها  
بصلة أحشاب ، ثم هرع إلى دوح جيبته وهو يتنفس من البرد . أسرع  
إلى جانب النيران يستدفئ بها . ولاحظت المرأة أن جسده يرتعد فتناولت أقرب  
العراذ نفه حول كعبيه ، وصدره ومع هذا فقد ظلت الرعدة كما هي .

حينما طلع النهار كانت الحصى قد تمكنت تماماً من الجسد المسجى . وشاهدته  
المرأة والمرء يتصبب من جيبته ، وسامر جسده . ومع هذا فقد كان يتنفس .  
جلست إلى جواره تحتار فيما تعمل . كان كل تصورهما أنه يلزم تدفئة

الرجل : رآه لا بد له من الغذاء . حاولت أن تقرب لها من فمه ، لكنه عافه ، من أنه كان في شبه غيبوبة لا مكان فيها لأن تدخل . لا كل إلى فمه . وأطعن رأس العملاق من العرجة . وأطعن الدب . كانا قد استيقظا بدورهما ولما لم يخرج الرجل جاء ليرفقاظه ، فلم يكونا قد اعتادا على أن يتأخر عليهما .

استمر ارأسان برهة طويلة ينظران إلى الجسد الذي لا يسكاد أن يتحرك . وكأما باتفاق سابق استعجا ، ووقف العملاق برهة وكأه يسكر ولعله كان يتصور أن الغذاء هو ما يلزم الجسد المسحوق . ولكن من أين ؟ إن اللحم ، كما نرى منه ، بالداخل ، ولا يوجد أى أثر للغذاء غير ذلك . وفجأة تذكر ، كبح على الأرض ، وراح يزيح الجليد بسرعة . ويحفر الأرض يستخرج سميرات الجذور . كان قد شاهد الرجل يفعل هذا ويضع الجذور . وعلى أن حصب لم يكن مستعجلا بالنسبة له إلا أنه يبدو أنها تفسى من عائلة الجوع ، ولو حيل . رافقه الذئب مشجعا ، ورآه وهو يجمع كمية من الجذور ليذلف بها جسمه لرجل ويلقيها هناك ، ويخرج ثأيه . وتناول العملاق هراوته ، ثم نظر إلى الدب . ويتعالم غريب صامت إن تعلق الائنس معا في الدابة . كان يلزم اللحم ونحن عبيدما بالنسبة أن يخرجنا الصيد . ولم يصكر أحدهما في أن يتزود باللحم الموجود بالحزمة أو بحجرة منه .

أحست المرأة برحيمهما ، ودلت أنها بقيت بفردهما مع الرجل المريض ، ولا حرية لهما إلا النيران ، والحراب . لكنها كانت تعلم أيضا أن النيران حامية بحية بمرددها ، وأنه لا حاجة لها في الواقع إلى الخروج من الحزمة إلا لتلتقط من الأشجار القريبة التي تسكاد أن تسكون في تناول يدها . كانت تعلم كذلك أنها كنية من اللحم تكفيها وأرجل بضمة أيام ، خاصة وقد ترك العملاق الدب يصيبيهما . لكن المشكلة كانت في هذا المريض الذي بدأ وكأنه يحرب أعداء لا وجود لهم ، الذي يرفض تناول أى طعام . لم تستطع أن تغذيه اللحم ، ولم تستطع أن تجعله يتناول بعض الجذور .

صمت ساعات وهي جالسة إلى جواره تمسح عنه العرق ولا تدري ماذا تفعل . جالسة بهمس الجليد ، ووضعها على شفتيه ، ودخلت قطرات من المياه في الفم . وحيل إليها أن الجسد سادة بهمس الهدوء . نشفت قطرات العرق

من على الجبهة ، ومست يداها الباردتان الوجه ، وحيل إليها أن الهدوء ازداد .

جلست مريداً من الشلج ، ومسحت به الوجه والجبهة ، والهم . ورد - هدوء المريض ، وحفت حدة الحرارة . ولم تفكر المرأة أثناء اليوم كله - تناول غذاء ، وإنما مكثت تحاول المرة تلو الأخرى أن تعلم الرجل المسحو وبات عاولاتها جميعاً بالفشل . لم تتحرك من مكانها إلى جواره مرة إلا لتجلب الثلج ، أو الأحشاب ، أما بقية الوقت فكانت تنهيه في النظر إلى رجله أو تجفف العرق من جسده . أو تنضمه إلى صدرها إذا حارأت الحصى قد ارتعدت إلى درجة الهدوء . وجس عليها الليل ، ولم تأكل شيئاً ، كما لم تتحرك من مكانها . كان كل تفكيرها في الرجل ، وفي أنه لم يتناول غذاء طوال يومه ، ولم تتمكن من أن تعطيه شيئاً سوى بعض الجليد يذوب على شفتيه . ومضى الليل ولم تم إلا لعفوات وهي جالسة ، تجفف العرق ، وتضم الرجل ، وتجلب الثلج وتغذي النيران .

وجاء الصباح ليصدها في جلستها تذكر مرهقة . لو أنها استطاعت فقط أن تغذي الرجل المريض . لم يكن حاله قد تحسن أو تغير كانت الحصى مزالته على أشدها ، وكان الجسم القوي يقارم ولكنه كان ينقصه الغذاء . وفي القليلة التي كان يقبض فيها المريض لم يكن يتكلم أو يشير وإنما كان ينظر إلى أب كأمما يرجو شيئاً . وتقدم المرأة إليه الطعام ، لحا وجدورا ، ولكنه كان يرفضها ويطلب ماء . ومضت المرأة تفكر ، هل تستطيع أن تحول الجدور واللحم إلى ماء ؟ ماذا لو أهبط رجلها بعض الماء الساخن ليندفئ من جسده الذي لم توابله اربعة ؟

قامت من مجلسها لتسمع بعض الجليد ، وتنضمه في أحد الأوعية ثم لتحاول أن تضع الوعاء في النار . وأحرق النار الخشب ومست يداها ، وسقط منها الوعاء في النار ليحترق الخشب المحاربي ويقي الطين الذي تحول إلى فخار . رجعت إلى مجلسها إلى جوار الرجل يائسة ومضت في جلستها فتره ثم حارت منها التفاته إلى النيران . رأت الفخار وقد احترق ولكنه لم يشتعل . لاحظت أنه قد بدأ يشتعل من شدة الحرارة ، ولكنه لم يشتعل ، ودارت في رأسها الأفكار . إنه

فطين يتجمد ويتشقق ، لكنه لا يشتمل إن لونه يسود ، وينكمش ، لكنه لا يشتمل . كيف يمكنها أن تستفيد من هذا ؟ مدت يدها لتناول وعاء ثانيا ، ودلكت شارجة بالطين وابتدأت تعرضه للنيران . ولم تكن الكمية التي دلكتها كافية . فسرعا ما جفت ، وتشققت وتناقلت من الجدار الخارجي للوعاء . بدأت من المحاولة ففتحت الوعاء جانبا ، وأحسست بشدة الجوع . كان قد مضى عليها يومان لم تذق فيها طعاما ، فذرت يدها وتناولت قطعة صغيرة من اللحم المتجمد وقربتها من النيران حتى دثمت وتساقلت قطرات من الثلج المذاب في النيران وجف اللحم فراحت تنهمه .

نظرت إلى رجلها نظرة يأس ، وهي تراه يذوى دون أن تستطيع أن تعمل شيئا . جلست يأسا عاجزة وقد أعيتها الخيلة ، وجاءت تذكرت المياه المتباعدة من قطعة اللحم ، وقامت من جلوسها لتقطع قطعة أخرى من اللحم المتجمد ، وجاهدت حتى أمكنها أن أغرس فيها حربة قربتها من النيران ، في حين أمسكت في اليد الأخرى بوعاء خال فتقطعت فيه الثلج المذاب . وتكونت لديها كمية من الماء انداف . لم يكن سحبا ، لكنه أيضا لم يكن باردا . تناولت بعض الشعيرات النباتية والجذور ، وقربتها بدورها من النار حتى ذاب الثلج وسالت المياه منها . وعصت تمضغ بعض الجذور والشعيرات لثقتها بأصنافها . ثم تضعها في الماء . وكان أول حساء في التاريخ .

لاحظت أن النار بدأت تحبو فقامت تستحضر بعض الأخشاب الجافة من الخارج ، ونحت الوعاء بعيدا عن النار . وقفت فترة وهي تزيل الشوج المتراكمة على الأخشاب حتى أمكنها أن تدنس إلى الداخل كمية منها تكفيها ليومين أو ثلاثة . وراحت تعدى النيران . وارتفع الدخان مرة ثانية ليضئ المأوى ، ويرسل الدفء إلى المريض . وحانت من المرأة لتفتته إلى الوعاء ، وكادت أن تصرخ يأسا وكندا جيبا رأت المياه بداحه وقد تحولت إلى جليد ، وأن كل شيء بداخله قد تجمد . كان الهواء البارد يدخل من الباب الذي صنعه الرجل ، وكان يجمد أي شيء يبعد عن النار قليلا .

تدبعت المرأة إلى أبيه يجب أن تغلق هذا الباب . لمكنها عادت وتذكرت أن في غلقه موت لهما وترددت عتارة . أخيرا دلفت إلى الخارج وتركت مسافة

صغيرة من الباب تسكن لأن يهرح منها الشخص العادي ، وراحت تقيم جذورا من الجليد . وتمسكت الثلوج بسرعة لتكون سائرا يصد الرياح عن المأوى ويحتمل له بمرارة النيران تشع في أرجائه . وبالرغم من أن إقامة الجدار يستغرق وقتا طويلا ، وبالرغم من أن المرأة كانت ترتدى العراء ، إلا أن أسوأ كانت تسلك ، وهي تهرع إلى الداخل تحاول أن تدفئ نفسها إلى جوار النار .

عادت الدماء تهرى في عروقها ، وهرى الدم في جسدتها ، فالتفت ثمة إلى الرجل المسجى . تناولت الوعاء بما فيه من ماء ، وجدور ، ولحم متجمد قرر من الدم دون أن تصعه فعلا عليها ، وشيئا فشيئا بدأ الجليد في الدوان . وتمجن الأمور ، وإنما تركت الحساء يدفأ قدر ما استطاعت . ثم بدأت في محاولة إعطائه للرجل .

تناول الرجل الحساء ، وكان معهوله كالسحر . لم تنص لحظات حتى كان قد قام يوما عميقا ، والعرق يتصبب منه . لم يكن الجسد الحديدي في حاجة لأكثر من هذه الدفعة ليتغلب على المرض . ومثل هذه اللحظه بدأت المسحة تهوي سريعا إلى الجسم المريض . وبقى يومان ، كانت المرأة لا تكاد أن تأكل إلا ما يكفي أودها ، في حين راحت تطعم الرجل من اللحم والجذور ما استطاعت أكله . وقد قصت كمية اللحم بدرجة مريعة ، ومع هذا فلم تفكر المرأة سوى أن عليها أن تطعم الرجل ليستعيد كامل قواه . لم يظهر أثر لضعف أو الداء في هذه الفترة ، وبدأت المرأة تشك في أنهم قد هلكا جوعا ، ويرد ، في هذا الجسم البارد .

كانت تعلم أن الرجل لن يستعيد كامل قواه إلا بعد مدة طويلة ، وأنه في هذه الاثناء يلزمه أن يأكل كمية كبيرة من اللحم والجذور . لم يكن في استطاعة الرجل أن يهرج لمصيد ، وبذلك أثقلت المسئولية عليها ، على الأقل لتجمع كمية من الجذور والشجيرات تقيها شر الموت جوعا .

وجاء صباح اليوم الذي رأت فيه أن كمية اللحم لن تسكني لأكثر من يوم أو اثنين ، كما أن ما بقي من الجذور كان يئأس هذا واستقر رأيها على أن تهرج إلى العابة لتجمع الجذور ، وتحاول اصيد . تهركت بخفة حتى لا توفظ النائم . وجهت ما بقي من طعام ووضعتة إلى جواره ، ثم خرجت من المأوى ليتقابل

حقيق الصباح . نحت الثلوج المتراكمة على الأخشاب ، وحلت بها المستطاعت  
وعادت لتضعها إلى جوار الرجل المريض . وكررت العملية أكثر من مرة حتى  
اقتضت بأنه سوف يكون لديه كمية تكفيه لشغبة النار أياما . لم يكن في بيتها  
أل تبعد عن المأوى ، ولا أل تبين خارجة ، لكنها كانت تعلم أن في خروجها  
محاورة جسيمة ، وربما في تعود ، ولهذا وفرت لرجلها ما استطاعت ، من غذاء  
ورقود ، حتى تعطيه أكبر فرصة للحياة . نظرت إلى الرجل الدائم نظرة طويلة  
ثم دلفت خارجة من المأوى لتواجه الجحيم البارد .

تململ الرجل في ردةته ، وفتح عينيه . وبقي فترة قصيرة لا يتحرك . وكأنها  
هو في شبه عيونه . ثم حرك رأسه ودار بنظره في المأوى . لم ير للراه أثرا .  
ثم يكررت في يادى الأمر . فذهب في الخارج تقضى حاجة . شعر بأن جسده  
قد بدأت الصلابة تدب فيه ، فحاول الجلوس في مكانه . اعتدل في جلسته  
وراحت عيناه تصحان ما حوله ، لاحظ أنه يوجد كميات كبيرة من الأخشاب  
للمرقود ، وانها قد وضعت في تناول يده . كما لاحظ وجود ما بقى من غذاء  
في جواره . وبدأت الحقيقة تنضح . صرخ مفاديا على المرأة ، وجاوبه  
لصوت . علا صوته مرة ثانية مفاديا الدئب والعلاق . انتظر برهة . لكنه  
- بسمع ردا على ندائه ، ولا وصل إلى أذنيه صوت حركة .

دارت الأفكار في رأسه . هل إرتحل ثلاثتهم ، وتركوه لمصيره ؟ كلا .  
أنه في فترات صحوة السيرة خلال الأيام الماضية لم ير الدئب أو العلاق ، ولم  
سمع لمدا حسدا ، أما المرأة فقد كانت تآتم إلى جواره في الليلة الماضية ، وقد  
خرج بها أكثر من مرة أثناء تباحله . إذا فقد ذهب العلاق والدئب أولا .  
في أيام ، لكنها ذهبا يستبان من حيد ولما لم يهودا ، رأت المرأة أن الغذاء  
- يكفيها ، ورجلها ، ارتحلت هي الأخرى ، وراء المأكل . لاحظت إلتاقه  
مع شديد ، وحاول التماس من مكانه ، لكنه كان ما يزال أضعف من أن  
تد - بمحمود . لقد اعتدل واقفا لبرهة ، ثم دارت به الأرض ، وسيل إليه أنه  
سقط فاضطر إلى الجلوس ثانية .

بضعت فترة قبل أن يسترد انقاسه اللاهته ، وتما لك جأشه ، وهاود التفكير  
- رية . إن المرأة كانت إلى جواره في المساء . ولم يكن من الممكن أن تخرج



جهر المأوى ليلاً ، إذا فبي قد خرجت في الصباح . وقد أعادت ترتيب مآوى  
وجليت أحشائها من الخارج . وبالتالي تكون قد قضت فترة من الصباح ، وبعد  
هذا أيضاً أنها لم تتحرك المأوى إلا منذ مدة بسيطة ، وأنها لا يمكن أن تترك  
بعيدة الآن . زحف من مكانه حتى أطل من فتحة المأوى وأطلق صيحة -  
بأعلى ما تستطيع رثاء المنهركتان . وكرر الصيحة ثلاث مرات ، ولم يسمع أحد  
لو كان يعلم في أى اتجاه ذهبت ، ولو كانت لديه قوة كافية ، إذا لامكه -  
بها ، أيا وهو في هذه الحالة . وألقى بنفسه على الأرض بائساً . وفجأة شعر -  
كبيرة ينتابه ، وأحس بيد من حديد تقبض على قلبه ، ولو كان يعرف -  
لبسكى .

فعل راجعاً إلى جوار النيران . زحفاً على يديه ورجليه وقد تمسك -  
واحد ، يجب أن يأكل ، وأن يسترد قوته بأسرع ما يمكن ، والا فلا أمل -  
أن يرى رفيقته مرة أخرى . تذكر الذئب والعملاق ، وتساءل في نفسه  
إن كانا ما يزالان على قيد الحياة . ولكنه سرعان ما استبعد أن يكون قد -  
لما حادث إذ هما من الصلابة والقوة بحيث يتغلغان على أى أنواع المخاطر -  
يده إلى الوعاء يتناول ما تبقى به من حساء . ثم انقطع من اللحم قطعة -  
من النيران ، ولم ينتظر حتى تشوى ، وإنما راح يلتهم ما استطاع -  
بالقوة قد دب جسده ، لكنه حينما حاول أن يتحرك من مكانه شعر -  
لا تقربان على حمله ، وعلم أنه أضعف من أن يقوم بعمل جدى . ثم  
فقط شديد وهو يفكر أن عليه أن ينتظر يوماً أو ايأماً حتى يستعيد قواه -  
لحركة الفعالة ، وفي هذه الأثناء سوف تكون رفيقته في عداد الأموات .

## الفصل التاسع المرأة الصائدة

تلقت المرأة الهواء البارد بنهيج وجشيتها ، وانضمت إلى السماء الملبدة بالغيوم .  
 ددت لحظات في حشاها ، بعد أن تركت المأوى ، كان الصمت يربو على أمانه ،  
 وكأنها ليس فيها أحياء . شعرت بالبرد القارس يتجهل دمارها فأسكتته حول  
 جسدها بحركة لا شعورية . واحتارت أى اتجاه تأخذ ، فدارت عينها تطلعا  
 في كل ناحية . لم يكن هناك ظرق في الواقع بين المساطر حولها ، وبالتالي فلم  
 حس يوجد مجال للاختيار ، ومع هذا فقد كانت تعلم أن عليها أن تعود ، إذا  
 حس لها الحياة ، وأنها بالتالى عليها أن تكون على ثقة من علامات بركة المكان  
 منى ، وإلا فإنها لاشك سوف تصير الطريق ، وإن يكون لها أمل في الحياة .  
 ترددت قليلا . كانت العابه أمامها تنهاى إلى أقصى ما يند إليه الطرف ويكاد  
 حرها أن يكون على نبط واحد لا فارق بين شجرة وأخرى ، أشجار باسقة  
 تعود إلى السماء ، لأروع صغيرة على ساقها حق القمة . ولم تكن الأرض أحسن  
 من . فقد كساها الجليد فأصبحت بيضاء باضحة لا أثر فيها لاية علامة بركة ،  
 ووضعت العلامة اليوم فلن تكون إلا ساعات قليلة حتى تعلمس تماما .

استقر رأسها على الاتجاه جنوبا ، وأخرجت من منطقة خدجها سادا ،  
 حست تضع في طريقها علامات بين كل شجرة وأخرى على أبعاد معقولة . كان  
 حشاها تظن ثقيلًا ، فقد كان الثلج تحت قدميها حشا يحمل من الصبر السيره عليه ،  
 من أن وقتا طويلا كان يضيح عليها وهي تضع علامات واضحة بين الفينة  
 وأخرى . لم تكن قد ابتعدت كثيرا عن المأوى حينما سمعت صيحة الرجل .  
 حست عن السير ، جال في خاطرها أن تعود أدراجها إلى المأوى . إن الرجل  
 حبيب ، وما اعتادت أن يعصى له أمرا ، لسكنها كانت أيضا تتصور أن العودة  
 حسد عليه وعليها . وترددت لحظات ، وأحيرا عقدت العزم ، فالتجست نحو الغابة  
 حيرة متشاكفة ، وصيحات الرجل ترن في أذنيها .

لم يكن هناك شك في أن المرأة لم تكن تدر تماماً ، وينظرها في العادة .  
ولم تنم ، حتى في الساعات الأولى من نحرها من المأوى فقد كانت تدفعها حادة  
نبيلة وإفقاد رجتها ، ولو على حساب حياتها . لكن الساعة مصت نور الأحرى ،  
وهي سائرة في اتجاه واحد ، وتقات عيب لهاظر متكررة لاحتياها ،  
ولانغير . كانت تنقلب في كل اتجاه حولها حتى أن يجد حبيدا . وأحداث  
مرة أخرى يدلف ببر الأشجار ، ولما صمت ، لا اتجاه يحوه كان قد احتقن من ناظرها  
وعادت في سيرها يائسة .

انتهى النهار وهي ، في اتجاههم لم تبق . وأصابها الكلال فجلست  
على الأرض . وشمرت بجوارحها فرائحت تعبت يديها في الجليل تريد أن  
تصيب بعض الجدور لكن لم تنص دقائق حتى هدأت أن الأمر أعسر كثيرا  
ما طلت . فيما عدا الطبقة الأولى كانت الطبقات التالية قد اجتمعت تماما حتى  
أضحت أقوى من الصلب ، ولم يكن من الممكن أن تعبت بها يديها . وحتى حينما  
اخرجت الخنجر ، وجدت أنه بدوره لا أثر فعال له . وبعد هذه محاولات تركت  
المحاولة يائسة فقد كان الأمر يحتاج إلى قوة جبارة .

كانت هذه أول مرة تعرض فيها نفسها ، دون حركة ، أو عمل ولاحت لها  
العابة كثيفة موحشة . وشمرت بالصمت حولها رهيبا ، وحتى خفيف الريح  
وهي تداعب أوراق الشجر لم يكن يقطع الصمت ، ولما بدا أنه يزدور رهبة .  
حيل إليها أن وراء كل شجرة في العادة يكن سحر لا تدرى كمه . وبالرغم  
من اندثار لحكم حول جسدها فإنها وقد توقفت عن الحركة بدأت شعر يابرد  
القارس ببرأ أعصابها بحركات لاشعوية راحت تضرب يديها على جسدها ،  
وقدميها في محاولة لأن يجري الدم فيها ، وطاف مذهبا سؤال . ماذا سوف تفعل  
إذا ما جئ الليل ؟ كيف ستنام في هذا الخلاء المريع ، وهذا البرد القارس ؟ لأنها  
إذا نامت فلن تستيقظ إذ سوف يتجمد الدم في عروقها

أصابها فرح كاد أن يدفعها إلى العودة إلى الملجأ سريعا . لكنكم أحداث  
وتمايلت معها ، وتذكرت أن عليها أن تجد حبيدا تغذى به وتعزى رجتها .  
تلقت حولها تبحث عن وسيلة تدفع عنها أذى الليل وبرده . لم ير سوى  
الشجر ، والجليل الأبيض يمتد أمام ناظرها ، وأعصاب متكررة ، وبعض أوراق

صح الخافة . وتمت لو أنها قد تعلت من سيدها كيم تصع البر ، أو أنها  
تحت قد حملت معها بعضا منها . إذا لتغير الحال تماما .

ودكرتها معها بحاجاتها إلى طعام ، وتناولت وهي تقوم من جلسها ، وبدأت  
تربص به بمخاض الغذاء . تنفت عيناها من مكان إلى آخر . طالعا الجليلد يبرق تحت  
سحابة الشمس ولم تكن تعلم شيئا عن الجليلد وحيث بدأت تشعر بأن عينيها لا ترى  
حداً تحسبها ، وبغير شعور تحولت إلى الأشجار تنظر إليها ، إلى الحصرة ، وكناها  
من قبل المعنى الموقت ، وأعطاهادرسا ألا يستمر في إدمان النظر الدائم إلى الجليلد .  
جست ساعات ، وزاد عليها الجوع ، وأرهقها السير . وبدأت الظلال تمتد في العاية  
من راحتها وتوقعت المراء تتطلع - ولما بمخاض مكن تبيت فيه . وطالعتها  
بحر حولها ، ولما لا تجوف ولا انحد - يا - مع لا أفرح قريبة من الأرض . حارت  
في بعض غفها المكثود ويبحث عن وسيلة تقيا برد الليل . ولجأة تذكرت ما فعله  
حين حينما كانت الجماعة عند النهر ، لقد استعمل بطع شجرة كآوى غطاء  
جوع المتكسرة بجوارها إلى بعضها .

سفت بلا توقف ولا هراة تجمع كل ما استطاعت من الأغصان  
سكرة . ولانفت شجرة صحبة ثم راحت بمافي الزمن وهي تفرس الأغصان  
حيد بوصع مائل على جذع الشجرة . رصب الأغصان إلى جوار بعضها  
تصصت ، وحاولت ألا تترك لحوات واسعة بينها . ثم مضت تعطيها بالجليلد .  
تكتف بهذا ، بل راحت تجمع من أوراق الشجر ، وتعرشها على أرض المأوى  
لصير . ولم يستغرق صنع المأوى وقتا طويلا ، ومع هذا لما كادت أن تنتهي  
حتى كان الظلام قد حيم على الغاية تماما .

نفت إلى الداخل ، وكان المأوى صغيرا حتى أنها اضطرت إلى حشر  
حشرا ولم يكن يسير عليها الحركة . ومع هذا لما أن استقرت حتى شمعت  
في كبر في الحرارة . وصدرت عنها تهيدة من لم يذوق طعم الراحة أو الأمن  
يومه : أمضها الجوع ، فراحت تبيت يدها في الجليلد محاولة استعراج  
حذر خذور ، لكن محاولتها بامت بالفشل فأنغمضت عينيها . واستسلمت  
تهربت من نومها فرقة على أصوات الدباب تتردد في أنحاء العاية .  
سرت مر حشة ترسل الرعب في القلوب . وبلا لرغم من أن نومها كان عميقا

فإن يفظنها أفنديها دفعة واحدة إلى الانتهاء الكامل . وفتحت عينيها تحملي في الظلام الدامس الذي لم يكن يخفف من حدته أى ضوء .

حاولت أن تخرج رأسها من مأواها أمؤقت لمضى نظرة إلى العالم حولها . لكنها وجدت أنه بالرغم من أن العرة التي قامتها لم تكن طويلة إلا أن الجيد قد تراكم بحيث كاد أن يعاق عليها المأوى . وبأصابع ترتجف أحدث تريخ بهذه الثلوج الملهة ، التي تجمعت ، حتى أمكنها أن تخرج رأسها بخذر . ولم تكن الضه في الخارج أذل شدة منها بالداخل فإن القيوم الكثيفة كانت تغطي وجه السماء تماما فحجبت ضوء القمر ، والنجوم ، وساعدت أغصان الأشجار العالية الكثيفة على أن تظلم مابقى من ضوء . أدخلت رأسها ثانية ، واستلقت في مكان لا يأتيا النوم ، وبقيت سائر ليلتها مسهدة يتبارعها الخوف ، والجوع . والبرد . شر رفاق في ظلمة كثيفة دافعه لا تسمع فيها إلا عواء الدئاب ببعض السكوت المطبق بأصوات حريضة نائية .

لعلها نامت ، أو لعبها غمت ، أو عساه أن تكون قد انتابتها غيبوبة مؤقتة ، على أى حال هي الآن قد انتهت تماما . أرهفت حواسها جميعا . تنمى الخطر الذى تلذبه تلك الحاسة الغامضة التي لا تعرف مصدرها . ربما أصدر صوت ضعيف لا يكاد أن يسمع ، ومع هذا فقد تلقفته أذناها ، أو ربما حمل التسمع رائحة غريبة التقطها أنفها . أو لعله ذلك السكون المطبق الذى خيم على السماء . أيا كان هي الآن مرهفة جميع حواسها . إهتدلت في رقبتها على قدر ما تسمع سمى المأوى وقد أمسكت يدها خنجرها متأهبة لوقوع كارثة .

مضت الشواني طويلة ، وتلفها الدقائق ، لكنها لم تتحرك من مكان أو تصدر أية حركة . حتى أنفاسها حبستها على قدر استطاعتها . لقد تعلمت أن الصمت والسكون خادعان ، يحددان الصائد ، فيعمل عن الفريسة ، ويتخذ الفريسة فتطمئن حيث الموت يقبع . كانت تعلم أنها ليست بدا لأضعف حيوانات العاية ، وأغفلها حية ، ولم يكن في استطاعتها أن تتهاون في استعمال مثل هذين السلاحين . وبدأت اطرافها تولها من لسة البرد . وضغطت على اسناب ان تصطك ، وتصارعت دقات قلبها ، خوفا ، وتوقفا ، لكنها ظلت صارة مساكنة محسكون الموتي .

بدأ أول ملاح النهار في الظهور ودلعه بصيص الصبح إلى المأوى من خلال  
 صورة التي تركها دون إحكام لتخرج منها ، وليدخل الهواء النقي إليها . ولا عظمت  
 مرة حدة في بادئ الأمر أن الجليد قد غطى الفجوة أو كاد كما أنه كان قد طمس  
 تماما معالم المأوى ، فكأنها مدفونة في قعر من الثلوج . وتساقت البرد خفيفا  
 كأنهم لا يسمعون له أى صوت عند ارتطامه بالأرض . وحلت المرأة في مكانها  
 ساكنة تراقبه وهو يسد عليها ما بقي من الفجوة شيئا فشيئا في حين لم تواتها  
 حراة على أن تزيج بمضاميه . وصمت فترة أخرى ، وبدأ الهواء في المأوى الصغير  
 يزداد ثقلا ، ويزداد معه نفسها صعوبة . وداس عليها رعب جديد إذ أحست أنها  
 لم تحاول أن تزيج بعض الجليد ليدخل إليها الهواء النقي فإن العدو الماتر من  
 خوف يعلم مكانها وفي هذا موتها الذي لا شك فيه . وإن هي من ناحية أخرى  
 حلت هلى حالها دون حراك فإن الفجوة صرعا من ماسوف تملأ تماما  
 وحتموت اختناقا .

احتارت أى السبلين تأخذ ، ومرت عليها الدقائق كالدهور ، وتناثرت أنفاسها  
 سريعة متلاحقة ، وشعرت كأن صدرها قد التفت حوله فعمس حديدي يترادى صغطة  
 في بطنه . وهلمت أنها لن تستطيع الصبر طويلا بعد هذا . تجمست فقررت أنها  
 . فب من الجزء الصغير المتبقى من الفجوة لتستشق الهواء النقي : ولم تبال بلوعة  
 لبرد القارس الذي كاد أن يجمد دماغها . وأزرق شفتاها ، وانم تشمر بذباية  
 أنها ، ومع هذا فقد أرغفت نفسها على الاحتمال .

وبلا مقدمات التفت لعبة الصبر لتبدأ لعبة الموت . كانت هناك أدهاس ثم  
 تجلبد الذي يغطي المأوى . راحت مغالب قوية تمبث ، ثم تحفر بشدة وبسرعة .  
 وتجنببت المرأة في بادئ الأمر في من أن الوحش قد طرح كل حذر جانبا ،  
 لم تملك أن فهمت أنه اعتقد أن ما هو مدفون تحت الثلوج مجرد حيوان ميت ،  
 مجرد لحم حيوان ميت ، ولم يخطر في باله أن يكون هنالك كائن حي يقربس به .  
 قد كسبت معركة الانتظار والصبر . وببطء شديد تحورات إلى الناحية التي يحفر  
 حيب الوحش محاذرة ان تصدر أى صوت . وما كانت في حاجة إلى كل هذه الحيلة  
 وقد طرح الحيوان الحذر تماما . اشتدت قبضتها على الحنجر وتأنيت لطمة  
 تحلاه . كانت تعلم أن لها فرصة واحدة إن إضاعتها ضاعت معها .

انزاح كثير من الجليد ، واشتدت رائحة اللحم في أيف الوحش الجائع  
 الإزداد معها نشاطه . وتراءى له الفراء الذي تشتر به المرأة ، واحطاً بتقديره  
 فصاعب من جفءه . وظلت المرأة في مكانها جامدة تنظر اللحظة المناسبة التي تظن  
 فيه طعنيتها . واتسعت الفجوة التي حفرها الوحش شيئ فشيئ حتى اضحت كافية  
 لأن يدخل رأسه ويمد عنقه . وجاءت اللحظة التي انظرتها المرأة بهرب بالبع ،  
 ثم يتوقف الوحش حتى يوسع الفجوة بدرجة تسمح له بأن يكشف الجسد المسجى  
 في الجليد ، وإنما دفعه جوعه إلى أن ينسى حذره تماماً ويدخل رأسه من الفجوة  
 بمجرد أن سمح له اتساعها بذلك .

بسرعة هوى الحجر في ضربة قاتلة على عنقه . وكان يمكن أن تكون القطة  
 قاتلة حقاً لو تمت كما رغبت المرأة . لكنها كانت بدورها قد تعجلت ، ولم  
 تجس في حسابها ضيق المسكن . ولأنها هي نفسها قد مكثت مدة طويلة بلا حراك  
 وقد جمد البرد أطرافها ، فجاءت حركتها بطيئة بسببها ، والطاعة غير قوية بدرجة  
 كافية . وجاء رد فعل الوحش سريعاً سرعاً مذهلة فصدرت منه صرخة تعجب  
 وألم ، وانسحب الرأس قبل أن تستطيع المرأة أن تعاود الطعن . وارتد الوحش  
 بعيداً عن متناول يدها . وبسرعة ماثلة دأبت المرأة من الأسفل بالقبضة على  
 ما بقي من الفجوة من جليد ووقفت في مواجهة دأب أشعث اغر صدم .

تراجع الذئب مرة أخرى حينما هب من بين الجليد ما كان يحسبه ميتاً .  
 وتساقطت الدماء ثابته من الجرح الغائر في رقبة لتستط على الأرض الناصعة  
 البياض . وتقدمت المرأة بصنع خطوات وهي مشهورة الحجر ، وما كان في نيته  
 أن تهاجم الوحش . وإنما كانت كل رغبتها أن تحرك أطرافها التي كاد البرد أن  
 يجمدها حتى تسرى الدماء فيها ، وتستعيد مرونتها . كانت تمام أن لذئب بالرغم  
 من الدماء التي راحت تنزف بعزارة منه فتريده ضدها كسء لها ، ومن اليسير جداً  
 أن يقتلها لو صدر منها أى خطأ .

لم تتحول عيناها عن الوحش المكشوف عن أليافها أمامها . واستمرت في وقعتها  
 لا تتقدم ، وإن لم تنوَقف كذلك عن تحريك أطرافها حركات سريعة قوية .  
 ومعنى الذئب ينظر إليها رهة وهو يزجر . ثم بدأ يتحرك منتها حولها بهيئة

لا يتعاد عن الخنجر المشعر . ودارت المرأة مع دوران الدئب . لم تحاول أن تنجس ، فقد كانت تعلم أن كل دقيقة تمر يزداد فيها الحيوان ضعفا فلم تقول الدماء تنساقط من جرحه لتقع متجمدة على الأرض ، في حين أنها كانت تزداد قوة ونشاطا ، وتعاود الدماء مربابها الطبيعي في جسدها .

دار الدئب نصف دورة حولها ، ودارت معه المرأة تواجهه . وارتد قليلا وجابهته المرأة . وبغت ، وبسرعة مذهلة انقض الدئب قافزا في الهواء مدفقا نحو رقبتها . وبهفة مائلة تراجمت المرأة بعيدا عن الأنياب الحادة ، وصوت يخنجرها قطعده في الجسد المندفع . لكن الحيوان كان يرقبه هذه القطعة فال بجسده في حركة بهلوانية مبتعدا ، في حين ضربت مخالبه في الهواء ندى تنذر به المرأة . وبالرغم من أن الفراء كان سميكاً ، كما أن ضربه الدئب كانت سريعة ، سطحية نسبياً ، إلا أن المرأة أحست بحبوط من نار تلمب حكمتها . ووقع الدئب على الأرض بعيداً ، لكنه لم يتوقف .

صرغان ما استرد قواربه وجاء الهجوم الثاني مفاجأة كاملة لها . لسكتها من ناحية أخرى كت بات الغابة ، وكل تعرضت في حياتها للمخاطر ، ولولا سرعة حركتها وحفها ورباطة جأشها ، ما كان يمكن أن تعيش في ظل حياة يحوطها الموت من كل جانب . بحركة حاطمة استدارت المرأة لتنفذ الهجمة القاتلة ، لسكتها لم تكن بالسرعة الكافية . لقد تفادت فكها الوحش وأتباعه ، فأطرد على الهواء ، لكن جسده ارتطم بها بقوة قذفت بها إلى مسافة بضعة أمتار ، وألقته على الأرض . وأطارت الخنجر من يدها . وأذهلتها الصدمة فاستمرت في موضعها للحظات ، لكن هذه المرة القصيرة كانت كافية لأن تجد الدئب قابلاً فوقها ، تمزق مخالبه الحادة رداءها ، ويحاول بأنيابه أن ينقض على رقبتها . وأخذها جلد الماء السميك من أن يتمرق جلدها تماماً ، ومع هذا فلم تنج من خدوش وتمزيق .

جاهدت المرأة أن تبعد أنياب الدئب عن رقبتها ، وراحت تدفعه عنها بكلتا يديها . أحست بأنفاسه حارة تلفح وجهها ، وسفحات ففارات من لعابه على وجنتيها ، وبهرتها عتاه المليتان بالوحشية المجردة فلم تستطع أن تحاول

( ١٢٣ — صدارة الأسلاب )



نظرها عنها . شمرت بسائل دافئ ، نوح يغطي يديها وهي ترفع الوحش وتمسك برقبته لتسعد وجهه منها . عدت أن الجرح الغائر الذي أصابه فعلا قد أحس يثرب بشدة . وصاحف هذا من شجاعته . وأعطاها أملا كانت أبعد ما تكون عنه منذ لحظات ، ودام الصراع بينهما دقائق أو لعمري ثوان . وأفلحت مرة أو تطرحه من عليها ، وسرعان ما عاد ينطلق . وفجأة انقلب الموقف تماما ، فصارت تستوف الدرب آخر قطرات الحيوية في مجمره عليها وصراعه معها ، وبدأت الحيرة ، فتمسكت من أعماقه ويذا ويذا . وسهل على المرأة أن تدفعه عنها . وأن تطرحه على الأرض . جرت نقطة الخنجر فتندفع نحو الدرب وتطعمه في كل موضع في جسده المرة تلو الأخرى . وحاول الوحش عدة مرات أن ينصر من كبوته . لكن كل محاولة كانت تسحب من سايقها . أخيرا لم يبق لها العييق الوحشيتين ، وحدث حركة الجسم الضخم .

وقفت المرأة تنظر لاهثة إلى الدرب وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة . وأحس بالدماء تلوث جسدها جميعه ، وإن لم تكن تعرف تماما من أين تنزف . كثر جسدها جميعه بثلمها ، ولم تستطع رجلاها أن تحملها فحرت ببطء على الأرض إلى جوار الجسد الحامد . مكثت فترة قصيرة وهي تحاول أن تتمالك جأش ولم تنحرك من مكانها حتى عاد إليها هدوءها تماما وارتد إليها رشدها . وصارت إحساسها بالآلام يتزايد . كادت الحشوش والجروح تملأ جسمها ، خاصة ذراعيها ، إذ كانت محالب الدرب قد مرقت أرداء وعمرت في كنفها الأيمن مدت يدها تضع بعض الجليد على أما كن الحروح المختمة حتى توقف دبيب الدماء تماما . ثم تعالمت على نفسها ووقفت مقربة تنظر إلى الجثة في بلاهة وقد وقفت عقابها عن التفكير .

مضت دقائق تماثلت المرأة فيها نفسها . وعلى الرغم مما كانت تشعر به من الآلام فأنها لم تنو أن تقطع نفسها أجزاء طرية من اللحم ، راحت تنفس في نهم حتى أحس بالشفيع . وشمرت بالحياة تعود إلى أعضائها قوية متدفقة وغمرها شعور بالراحة ، ودت معها ساعات ، لكنها كانت تعلم أن عليها أن تعود سريره إلى رجلها ، تحمل إليه الطعام . لقد قطعت يوما كاملا في مسيرتها بعيدا عن مأواها ، وكانت هائل قوية لم تصمها جروح ولم تنزف

كما أنها لم تكن تحمل شيئا ، أما الآن فإن عليها أن تجر ورائها  
فحصهم ، بالإضافة إلى أنها منبهة ، مكدودة وقد تمزق جلدها في أكثر  
مواقع ولئن نستطيع أن نقطع المسافة في أقل من ضعف المدة . غامرنا  
بإدائها عدت أن عليها أن تقم ليلة أخرى فريدة في هذه العابة الموحشة  
نوقت لا يتوافر فيه الدفء والأمان .

عنها التعب . وهبت واقفة ، وأمسكت بذيل الذئب وبدأت بحره  
من سائرة متجهه صوب رجلها . ووجدت أن المهمة أيسر كثيرا مما  
يذكركت الخبثاء نزلت خلفها على الثلوج بلا هتاف أو مجهود كبير .  
في سيرها ساعات ، ومع هذا لم نصل شوطا بعيدا إذ كان عليها أن  
لنتأكد من العلامات التي تركتها على الأشجار في رحلتها الأولى .  
تعب في جسمها فتعاملت على نفسها . كم من مرة جال في خاطرها أن  
تتركها كانت تطرح الرأي جانبا وتستمر في سيرها المكثود .  
تسهر ، وأحس بأن قواها تنحدر ، فاضطرت إلى الراحة . جلست على  
حافته إلى جذع شجرة صنم ، وقربت جثة الذئب عنها تطلب الدفء  
لصبيك . واسترخت أعضائها بعد المجهود الشاق الذي بذلته . ولأول  
مرأة تلاحظ أن السماء ملبدة بالغيوم ، وأن ضوء النهار لا يكاد أن  
من ثنايا الأشجار . وهبت تسبات من الهواء البارد بدأت تشتد شيئا  
بشيء حتى الثلوج تنهل من السماء .

لأول مرة من مكانها فرقة ، وهبت بسرعة تبحث عن الأغصان الجافة  
وتجمعها لتشكل مأوى يصونها من زحجرة الرياح ، والثلوج المتساقطة .  
لقد أن تجمع ، الأغصان تنسجها إلى جذع الشجرة إلا ويغطيها الجليد  
في أقل من نصف ساعة كانت قد لانت لنفسها مأوى من الأغصان  
التي كانت في هذه المرة لم تكن قد جمعت من الأغصان ما يكفي فاضطرت  
بجوانب المأوى من الجليد المتساقط ثم غطته بالأفرع . والأغصان التي  
تجمعها فكان المأوى من ثلاث جدران من جذع الشجرة أما سقفه  
لأغصان مقلقة بالجليد . واعتقت أن تكون الفتحة في الناحية العكسية  
من لاسد الثلوج مريما .

زحفت إلى داخل المأوى ، وسجرت خلفها جثة الذئب حتى أدخلتها . كان  
بالسكاد يسعها ، لكن هذا زودها بدوى كانت في أشد الحاجة إليه . دوى  
ضوت الرياح في الخارج ، ولم ترض ساعة إلا وكانت العاصفة على أشدها ،  
وبارغم من أنها أحسفت ، واختيار مكان الفرجة التي تركتها لقدها بالهواء فإن  
الشوح كانت تراكم بسرعة وتكاد أن تعلقها لولا أن المرأة كانت تويجها بين القبة  
والأخرى . استمر هبوب العاصفة ، وسقوط الجليد ، ولم تنفج حديثي مع مرور  
الأيام . وولى ضوء النهار بوجن الليل . حاولت أن أقام ، لكنها كانت تهب  
بني قوتها فمرة في كل مرة بعد فوزه قصيرة لتري أن الفرجة كادت أن تغلق عليها  
لقدني حية إلى جوار الجثة المسجاة . وطالت شعوتها ذات مرة وانتهت لجثاء  
أزرى العيون قد سدت قدامها . بلمة وسرعة حاولت أن تنزع الجليد . وازعجت  
الظلمة الدامسة في المأوى . فالمرغم من أن الليل في الخارج كان مظلماً إلا أنها  
كانت تشعر بأن مثل تلك برع من الضوء يصلها بالعالم الخارجي أما في هذه المرة  
فإن الظلام لم يكن يتخلله أى نور .

لم تستطع في مبدأ الأمر أن تحرك ذراعها . وظننت أنه قد تجدد ، وتمسكها  
قوة رخيخ قبلت مجوداً جباراً حتى بدأ الدم يجري في عروقها . ثم أحسنت بحضرت  
جسدها وذراعها بالذراع الأخرى . لم يحفظها الرعب في كل هذه المدة . ومضت  
دقائق وهي مذعورة تماماً ولم تتوقف عن حرقها بعد أن استمادت  
أطرافها حركتها . بل راحت في لفة مجهد في أن تعيد فتحة الفرجة  
مراً الجليد أصابعها ، لكنها لم تأبه ، واستمرت تعمل في صرعة . واحترق  
المجود الذي بذلته كمية الهواء النقي داخل المأوى الصغير . وصاق صدرها .  
وتمرت بالأم حادة في حلقها ، وخيل إليها أن هينها لا تزيان ، حتى انقلب  
نفسها لم تكن تراها . بدأت تفقد شعورها وتراخت قوتها ، واحت  
بالغيوبة تدعها ، استسلمت في دمه وسكون وراحة لم تشعر بمثلها طوي  
الأيام الماضية .

فجأة ، وكأني قد امتدت يد لتوقفها من سبات عميق جميل عادت إلى  
حواشي . وداعبت وجهها سمكة باردة تعمل إليها الحياة . ويبدو إليها كأن  
قد فتحت فعلاً جرحاً صغيراً من الفرجة قبل أن يغشى عليها ، ودخل الهواء إلى

صفا من أن تدفن حية، وتموت احتقا . مع دخول الهواء إشتات أملاء  
موجت توسع في الفرجة، وتلا رقيقا على ما وسعت . لم تتوقف عن العمل  
من ضمت تماما إلى أن الجليد لن يفر المراجعة إلا بعد فترة طويلة، وأمسكت  
حسب الفلاحة وبدأت تنظر إلى العالم الخارجى حولها . كانت العاصفة مازالت  
موتدا ، ولم يتوقف هطول الجليد ، لكن سبل إليها أن صوة إسمها من  
قرب بدأ يقرب حلال الظلام اندامس ، كارت حيلالات للأشجار تراءس  
تسبا وتترج تحت إطحات الرياح .

شعرت بموج شديد فدت يدها إلى خنجرها ، وحاولت أن تقطع نفسها  
خسة من الدم الممجي إلى جوارها ، لكنها وجدت أنه قد تجمد حتى  
نحس صلا كالصبر . كررت محاولتها في أكثر من جزء لكن النتيجة  
كانت واحدة دائما . تركت محاولاتها يائسة ، وراحت تنصت إلى صوت  
عاصفة عساها تنلس بعض الهدوء فيها ، لكن الرياح كانت مازالت مستمرة  
وتتزوج مازالت تتماقط بالشدة نفسها . وأرداه تمورها بالبرد ، فأخذت  
تتحرك أطرافها وجسدها بصفة مستمرة لا عهدا في الحين الضيق الذى حبت  
حسبها فيه . وتمنت لو أنها كانت قد جعلته أكبر مساحة من ذلك بل لقد حطر  
في بالها أن تجابه العاصفة المتعاول أن توسع من ضيق المكان ، لكن أراجعت  
رأيها فإطحات إلى نفسها لمخاطات مع هذه الرياح الموحاه .

علمت أن أكلها في الحياة ضئيل ، وأن عابدا أن تلعب لعبة الصبر مرة ثانية .  
لكنها في هذه المرة كانت تلعبها ضد الطبيعة ، ضد الجوع ، والبرد ، والنوم .  
مضت ساعات ، وبرز صوة النهار ، وما زالت العاصفة تدوى على أشدها  
وازدادت وطأة الجوع على المرأة لحاولت مرات أخرى أن تقطع من  
الدم الملقى إلى جوارها ، لكنها فشلت في كل محاولة ، وأن يستطيع خنجرها  
البدائى أن يفرق الدم المتجمد . دأبها البرد ، ولم تعد تفلح الحركات البسيطة  
التي كانت تأمها داخل المأوى في أن تطرده عنها . بدأت تشعر أن أطرافها  
وجسدها كله يعتمد شيئا فشيئا ، وإن طمها أن تخرج من سجنها الإختيارى  
لتقوم بحركات أكثر عدية عما تفعله . ومع هذا لم تخرج على مواجهة العاصفة  
وداخلها نحوى شديد من أنها قد خسرت لعبة الصبر هذه المرة كانت القوى

التي تعارضها ، كبير كثيراً من قواها الخائرة ، وربما صارت العاصفة على عنفوانها أياماً برمتها . لم تكن تتفقد أنها تستطيع أن تستمر على هذه الحال ليلة ثالثة . دب اليأس إلى نفسها ، وكادت أن تستسلم الموت ووافقت حركتها فعلاً .

لجأة لم تعد تسمح شيئاً . صمت الرياح العاصفة . وتوقف المثلج من البطول . وبرزت أشعة الشمس ضعيفة تجعل الأشجار . وقفر قلب امرأة بين صلوها ، وملاها الأمل قوة ، وبشاطاً فرحت خارج المأوى إلى حيث الشمس والأشجار ، والضوء . حاولت أن تنف على قدميها ، لكن ركبتيها سخرتها . راحت تحرك رجلها وذراعها ، وضربت جسدها بمحور في محاولة مذهورة إلى إعادة الدماء . وأخيراً ألحقت في النورص . آلتها معاصدا في كل حركة ، لكنها لم تنبأ ، واستمرت في ضربها لجسدها كما استمرت في تحريك سائر بدنها بالرغم من شعورها بأن خناجر كانت تمزق أطرافها . ومفاصلها . ووجدت يدات الألام نزول ، وتسرى الدماء حارة تبث الدفء . وزادت حركتها حتى أضحت تجري ، وتداول حول الشجرة كن به من ، لكنها كانت فرحة متباعدة بالحياة ، وبالحرية خارجاً من المأوى الضيق الذي كاد أن يكون مثواها الأخير .

وطراً عليها خاطر ، فأخرجت جثة اللذئب من المأوى ، وهرستها إلى أشعة الشمس . لكن الشمس ، كانت أصعب كثيراً من أن تزيل الجليد من اللحم أو حتى تخفف من درجة قيعمه . بطرت حولها حتى رأت خصاً قويا ماقى على الجليد فتنازلته ، وراحت تضرب بكل فوقها في مكان واحد من الفخذ . واستمرت مدة تضرب قبل أن تشعر بأن الجلد بدأ يلين ، وما كاد يفعل حتى استسلمت حنجرها ، واقتطعت لنفسها قطعة كبيرة من اللحم وراحت تقطعها بجنون وشرة . لقد عاد الدفء إليها ، وعاد الشبع . على أنها رأت أن النهار يولي مريماً . كانت تخاف الليل ، وتخشى أن طلبها النوم أن تتجمد أطرافها وتحسر الجراحة الأخيرة . لو أنها استطاعت فقط أن تبقى متيقظة هذه الليلة لا يمكنها أن تبدأ رحلتها مع أول حيوط النهار ، ولوصلت إلى رجلها قبل أن يمن الليل مرة أخرى . وداعبتها الأفكار السعيدة وتخيلت رجلها وهو يستقبلها في المأوى الدافئ . وتذكرت النيران وألستها تطاول مرسة الضوء ، والحرارة والأمان .

ولم تعلم بها الانفعالات وراء الخيال إذ مرهان ما عادت إليها طيعتها  
نسبة . جرت بقايا جثة الدب إلى داحل المأوى ، ثم وقفت تحرك أحرافها  
حتى بعد أن اختفت أشعة الشمس ، وتراقص حيالات الظلام . ولم تدلف من  
تصحر إلى الداحل إلا بعد أن هجم الظلام تمامًا . حتى بعد ذلك ، بقيت مدة  
يسيرة وهي تنظر إلى النجوم من خلال الأعصان العالية . وجدت أن من  
الصبر جدًا عليها أن تبقى في المأوى الضيق دون أن يقابلها النعاس . غفلت  
عندها أكثر من مرة ، لكنها كانت تم قبل أن تستغرق في النوم . حينها  
تأت ترى أنها لن تستطيع الاستمرار في اليقظة كانت تخرج من الفجوة لتحرك  
أحرفها قليلًا ، ثم تعود . برع القمر ، وألتمعت الأرض البيضاء بأشعثه  
لحبة . فكرت أكثر من مرة أن تبدأ رحلة العودة دون انتظار لنور  
الصباح لكنها كانت تشك في قدرتها على العثور على العلامات التي تخرجتها في  
الاشجار ، وبحسب أن تضل طريقها فألمت نفسها بالصبر .

كانت هذه ثالث ليلة لها دون نوم حقيقي ، أو راحة لبدنها المكثود ، بل  
ودون دواء يسرى في بدنها . وكان التعب والاجهاد قد بالاً معها ومن أعصابها  
ومع هذا فقد استمرت تقوم ، وتصلب ، إذ كان الأمل يراودها في لقاء زوجها حيث  
لدن ، والأمان ، والراحة . خرجت ذات مرة من المأوى وسارت بين  
أشجار القرية تلبس العلامة التالية على صوة القمر . وطرد بها الفرح حينها  
وجست أنها لا تبعد عنها سوى أمتار فلائيل ، حينها هادت إلى المأوى كان  
صبا في هذه المرة عامر بالآمل والاشقة . طالت تنظر بزوع أول حيوط القنار  
هبر ، وفكرت في أن تقضي الساعات الباقية من الليل في سلح فراء لدب  
حتى يمكنها أن تتدثر به وترداد دفئا ، وربما استطاعت أن تنام . وأشدت  
حضرها في الجثة محاولة أن تحصل العراء ، ثم توقفت بعد أن علمت أن  
حضرها كان أضعف من أن يقوم بالمهمة .

أخيراً جاءت مباشر الضوء . وتميزت الأشياء أمامها في خيالات واضحة ولم  
تتوانى من البتة في سيرها وهي تجر الجثة خلفها . وضعت سماعة أو تريد .  
ورغب الشمس ترسل أشعتها أكثر دفئا من سماه صبحو ليس فيها غيوم ولم  
تكن المرأة تعلم أن عاصفة اليوم الماضي كانت وداع الشتاء للأرض ، ولكنه

وداع ترك أثره على كل شجرة في الغابة ، وعلى الكثير من أحيائها .  
شاهدت بعض هذه الآثار في الأغصان الكثيرة الملقاة ، بل وبعض الأشجار  
الصغيرة التي تكسرت كأما بيد عملاق . لم يكن كل هذا في الواقع لم يكن  
بشيء إذا أن قلنا كان عامراً بالمرح والأمل ، فكل خطوة تحطوها كانت تدنيا  
من رجائها ، ومن الدفء ، والأمان ، والراحة .

ولعل هذه الطمأنينة التي داخلتها ، وهذا الفرح الذي فيها كانا هما السبب  
في أنها كانت أقل حيلة ، وحذراً عما ينبغي ، فلم تلحظ المينين النهمتين وهما تنظران  
إليها ، رقبتهما في صمت وهي تقرب ولعل الجليد أيضاً ساعد على ألا ترى  
الجسد الأبيض الصمغ ، وألا تشعر بوجوده إلا حينما درى صوته مرعباً في  
أرجاء الغابة ، ولم يدفع كالسيل الجارف نحوها .

## الفصل العاشر

### صراع البقاء

جالس أرجل إلى البران مهموما مكبودا . كانت قد مرت عليه ساعات وهو في مكانه لا يتحرك . لأول مرة شعر بمدى ضعفه ، وبأنه ما من شيء يستطيع أن يقوم به لينقذ رفيقته . هناك في العراء ، ووسط الجليد ، في مكان عامس العابة ، لم يكن يشك في أن المرأة قد لافحت حننها ، وأن الثلوج الآن تغطيها . لقد كاد النهار أن يولي ولم تعد ، وإذا حاجس قليل دون أن تعود فما من قوة يمكن أن تمنع عنها الموت .

كم من مرة حاول أن ينهض ليخرج إلى العراء سعيا وراء المرأة ، وفي كل مرة كان لا يستطيع أن يقف مستقيما على قدميه . عالمة الجوع . لكنه لم يجد في نفسه رغبة إلى الطعام . كان صعيها يحتاج إلى غسقاء بقوة ، ومع أنه شعر بعمده تصرخ في سبيل الطعام فإنه لم يعرها التفاتا . كانت لأفكار تدور في رأسه سرداء يتمثل فيها امرأ وسط الصقيع ، وقد تجمدت أطرافها . يمثلها ملقاة على الأرض والثلوج تطل عليها لتغطيها . ثم تلوح له بارقة أمل حينما يتذكر أن المملاق والذئب هنالك أيضا ، وربما قابلاها ، وربما هي الآن معها سليمة معا . ويعاوده التفكير ليستعيد ذلك اللقاء إن العابة واسعة وقامية الأطراف ، ومن المستبعد جدا أن تلحق المرأة بها . وحتى إذا هي كانت معها ، فكيف تخشى من الصقيع . أن جسدها ليس مثل الذئب ، وليس مثل المملاق ، فهي لا يستطيع أن تتحمل البرد كما يتحملان .

جن عليه الظلام ، وبدأت البران تتحرك قد يده إلى الأحشاش يغذيها . تلك الأحشاش التي جاءته بها المرأة ، حتى يستدفئ ، وخرجت هي تقوى في الصقيع . وأدته معدته بجرحى ، فاضطر أخيرا أن يمدحها ببعض طعام . ومعنى الليل ولم يتم به إلا كذا ونميا . ساعات قليلة اختطفها جسده المنهوك . ساعات قليلة استيقظ



فيما عدة مرات لتضاجعه الأفكار السوداء . وجاء طيف المرأة في أحلامه باهنا نفضا فيه الشلوج . وذهب من بومه فرحا . نعى إلى أذنيه صوت عواء ذئب . ورأى النيران تسكاد أن تحممه هذاها .

وجاء أول خيوط ضوء الصباح ليحده مستيقظ متنبها . ومع أن النوم كان قد جفاه معظم الليل إلا أن المدة القصيرة التي نالها أعطت الجسد الحديدي دفعة قوية نحو الصحة . شعر بالقوة تعود إليه لتعطيه أملا جديدا حتى أنه إنزع فطة من اللحم ودهنى يشويها على النار حتى يصفى ، فأخذ يشتمها بثراة . ولإزداد شعوره بالقوة ، فارتدى دثاره وحرج زاحفا إلى المراة . قابلته هواء الصباح البارد القسرى رهشة قوية في جسده . وقام فوثقا ينظر حوله . لكن الغاية كانت صامتة إلا من سميف أوراق الاشجار . راح بدق النظر في كل اتجاه عسا أن يرى أثر المرأة . آمال تجاذبه لتتحلى عنه بمسد لحظات وثوقه حزينا هموما .

كدن يعلم أن عليه أن يسرع في الحركة ، وإقناع أثر المرأة إن كانت هناك بقية من أصل هي لإقناعها ومع هذا فإن أعضاءه وصائر جسده كانا ما يزالان أضرب من أن يقوما بحركة جديدة . كانت حركته ضعيفة بطيئة لاسيوية فيها ، وإن يمد المرأة إذا هو ذهب بدوره فريسة مهلة لحوش العاية ، أو لهذا البرد القين . شعر برعدة تسرى في جسده . ولماحت وجهه ندحة ياردة جملة يرفع بصره إلى السماء ، وهاله ما رأى . كانت الغيوم تتجمع بسرعة غيصة لتعجب ضوء الشمس . لاحظ أن سمة الصباح قد بدأت تتحول إلى رياح . وجاء سميف أوراق الاشجار العالية مدلرا بأن أجوسوف يزداد سورا ، ومع هذا فهدد رخص أن يدخل في المأوى ليحتمى . كان عليه يعرف أولا أى اتجاه اتخذه امرأه هي رحيلها . تعامل على نفسه ، وراح يحول حول المأوى فلم يكن يتصور أن تتخذ طريقا دون أن تلك لنفسها أثرا تهتدى به إن هي أرادت العودة ، كما لم يكن من سبيل إلى ترك أثر في الغابة العيبة إلا عن طريق الاشجار .

لإزدادت الرياح شدة . وتسكارت الغيوم في السماء وما زال الرجل لاهيا ع يوسع من دورته حول المأوى متفحصا الاشجار . وتطير قلبه من الفرح حين رأى حذشا هلى جذع إحدى الاشجار لم يشك لحظة في أنه تم بفعل المرأة .

وخطر إلى المأوى . إذأ فقد اتخذت المرأة هذا الاتجاه وجعلت الشمس على يمينها .  
- بصمة خطوات وهو يشخص الأشجار ، وبعد مدة يسيرة رأى  
جسدا آخر على شجرة أخرى ولم يمد لديه شك أن المرأة قد اتخذت هذا  
الاتجاه . وقف لحظات يفكر في أن يتعقب المرأة بالرغم مما كان يشعر به من تعب  
وعياء . كان النهار قد جاوز الانصاف ، كان هو قد يمد أكثر مما قدر من  
قوى ومع هذا فقد تنازعت الأفكار والآمال .

واستقر رأيه على الاستمرار في تعقب المرأة . تحرك من مكانه متثاقلا بعد  
الاتجاه الذي اكتشفه . اسكن قبل أن يحيط خطوات تماوى فرع شجرة ليقيم  
نفسه مباشرة . انشده من تفكيره ، ولاحظ أن الرياح قد ازدادت شدتها  
حتى أصبحت تمص بالاشجار ، كما أن الثلوج كانت تتساقط بكثرة جعلت منها  
- شبه الحائط الأبيض الضخم . سرت البرودة في أنحاء جسده . هضم إليه  
شبه في محاولة يائسة للدفع . واحتضت السماء تماما وراء ستارة كثيفة من  
الغيوم . تردد في موقفه لخطوات ، واسكن أصوات الرياح وهي تزجر ، وما شعر به  
من ضعف متزايد قطع رأيه ، فنادى ، به إلى المأوى . لم يكن الأمر بالمسودة  
فقر تصورها . صحيح أنه لم يمد كثيرا ، لكن جسده كان ضيقا مملوكا من أثر  
مضى ، كما كانت الرياح شديدة ألقت به إلى الأرض أكثر من مرة ، في حين كان  
حيد يتساقط عليه كما هو الحيازة المثالية ، يسكاد أن يحجب الرؤية  
بالأمطار معدودات .

كثر تساقط الأفرع ، والأغصان الصغيرة وقذفت الرياح العاصفة بفصن  
صخر . وكانت الضربة من الشدة بحيث ألقت به على الأرض . حاول أن يتمالك  
من ويقوم ، إلا أنه شعر بقواه تجور ولا تساعد . ازدادت شدة الرياح ،  
زداد طول الجليد كان يعلم أن المأوى ليس بعيدا ، وإن عليه أن يبلغه  
سريعا وإلا هلك في العاصفة . استجمع قواه ، وأخذ يزحف على الجليد وأحسن  
تحريكه تنجده ، لكنه لم يتوقف . احتسى بشجرة كبيرة ، وامتدت يده  
في محاولة أن يستند عليها ليقف . وانكأ على غصن ملق على الأرض حتى  
سكن من الوقوف . وصكت برهة يلتقط أنفاسه ، ويتمالك قواه ، ثم استأنف  
لتعود إلى المأوى .

حينما وصل الرجل كان المأوى قد غطته الثلوج تماما ، وكان من الممكن

أن لا يراه ، أو أن يحسبه تلا آخر من الثلوج ، لولا أكوام الأبرع والمعون إلى جانبها التي كان قد جمعها في مبدأ الأبر وظهر بعضها من تحت الجليد .

كان المدحس قد سد تماما في هذه الفترة القصيرة . وركع الرجل على ركبتيه ، وأخذ يريح الجليد بكلتا يديه أحيانا ، وبالفن أحيانا أخرى حتى كشف المدحس ، ودأب إلى الداخل متوكفا لا يستطيع حراكا . لكن عمله لم يكن قد انتهى ، فإن النيران كانت قد استنفدت جميع الهواء في الداخل وخبت ، أو كادت . تعامل على نفسه . وزحف إلى الوراء بقلبها بالفن في يده بلمحة ، وسرعة يحاول أن يوقد جذوتها . وضعت فمها كاد فيها أن يستسلم لليأس . ولجأة أمسكت الدرع بأحد الأغصان الصغيرة الذي غطته بهص الأوراق الجافة ، ثم اندلعت وشع الدفء ، والنور في المأوى الصغير .

كان المجهود الذي بذله الرجل قد استنفذ قواه تماما فبقى في مكانه إلى جوار النيران يستمد منها الحرارة . وراح صدره ينخفض ويرتفع في نفس سريع . ينقطع لاهت بينما غاب عقله في شبه غيبوبة . دهمت النار الحرارة في جسده . ووهت الحيوية التي كان قد فقدتها في المجهود الجبار الذي بذله . ولم يطل به البقاء في مكانه . تحرك بهبط شديد ليغذي النار ، ليزداد اشتعالا ، وأوجه إلى مدخل المأوى يزيح عنه الثلوج التي تراكت ، وكادت أن تغلقه ثانية . وارتفع صوت العاصفة يكاد أن يسم الآذان . وهبط ظلام دامس دثر السكون حوله في سواد قائم لم يخفف من سواده الجليد الأبيض . وهاد الرجل إلى النار يستدفئ بها . اقتطع لنفسه قطعة من بقايا اللحم الضئيل الذي بقي ، وقربها من النار ، ثم مضى يلتصقها في فمهم .

لم يستطع النوم إلا غفوات قليلة . كان عليه أن يغذي النار دائما ، كما كان عليه أن يزيح الجليد المتراكم على المدخل . وتذكر أنه كان يرى المرأة لبان مره تمزج بعض الجذور التي تركتها إلى جواردة بالجليد لتضمها في وهاء وتقره من النيران حتى يدفأ ثم تلقه إليها ، فراح يقطع الوقت في طبع الحساء . تركه مدة طويلة على الميران حتى شعر بأن الوعاء بدأ يحترق ، ثم تناول الحساء . أحسن بالدفء يمرى داخله ، وبالقوة تمود إليه . وقبع إلى جوار النيران يفكر في المرأة . لم يعد لديه أمل في أنها عازالت على قيد الحياة ، فإن كانت

قد نجت من وحوش الغابة، ومن برد الليلة الماضية . فإن هذه العاصمة قد قطعت عليها ، فما كان يتصور أن يتمكن مخلوق ، خاصة امرأة ، أن يبقى على قيد الحياة وسط الغابة دون مأوى ، ودون بران . كلا انها حاتمة . نامت ذلك اليوم الذي لا استيقاظ بعده . هي الآن في الخارج مدفونة تحت أكوام من الجليد .

من العسير أن يتصور المرء شعور الرجل في هذه الحالة ، كان الموت جزءاً من حياته . رآه في شتى صورته وأشكاله ، واعتاد أن يتقبله دون مبالاة . رأى بعض أعضائه أسرته يأكلون الآباء ، أو الأمهات ، والآباء يأكلون أولادهم ، والرجل يأكل رفيقته ، والرفيقة تأكل زوجها . صحيح أنهم لم يكونوا يقتنون بعضهم بعضاً ، وإن كان قد رأى قبيلة العملاق تفعل ذلك ، لكنهم كانوا يرون أن من العيب أن تترك لحوم هؤلاء الوحوش تنهشها . كانوا هم أولى يلحوم ذرى قريابهم . ولم يكن الرجل ، وهو مازال صغيراً ، ثم شاباً يعيش مع أسرته ، يرى في ذلك أية غرابة ، بل ولم يكن يفكر فيه أصلاً فقد نشأ عليه ، وأصحب عادياً بديه شأن النوم ، والطعام ، والشراب . ولأول مرة في حياته داخله ذلك الشعور السريـب بالسبب لدوت ، شعور بالآسى ، والحزن . وبأنه إن يرى المرأة نائمة، ولو يشمر جسدها يدفنه جسده . إنها لم تكن مثل سائر الأشخاص الذين عاش معهم . إنها كانت مثله هو . كما أن أغريبين في عالم من القرباء لا يجمع بينهم حتى التشابه في الخفة . والآن وقد ماتت فقد أصبح فريداً في عالم الأغراب . كانت مذور الأنانية حميقة فيه ، أنانية الرجل ، وأنانية الوحش . وهو يفكر في نفسه ووحده ، ولا يفكر في تلك التي لقيت مصرعها حل محل تصوره مدفونة في الجليد . لكن أنانيته لم تكن مجردة . كان يعالطها الآسى على فراق رفيقته ، والحزن لعله بأنه إن يراها بعد ذلك .

مضى الليل ، وبرز الفجر ومازالت العاصمة على أشدها . واستمر الرجل قابلاً في مأواه العتيق ، يقوم بالأعمال الطيفية التي يلزمه القيام بها . من تنذية النار ، أو طهو الحساء ، أو تناول قطعة صغيرة من اللحم ، أو إزاحة بعض الجليد من المدخل . وعادده التفكير في المرأة أكثر من مرة . كان يمتلئ ببصيص صليل

من الأمن ، لكن حياته العمية ضلت تطرح هذا السراب جانبا . كانت الحياة بالنسبة إليه قوية عملاقة أقوى من يحياها . كانت هدفا في حد ذاتها بغض النظر عما يحيط بها .

ضلت العاصفة على أشدها تهدر في الخارج ، وظل هو حبيس المأوى . وبالرغم من أنه لم يزل قسعا كبيرا من النوم إلا أن الراحة ، والطعام كانا كعيلين بأن يردا إليه الكثير من قوته الضائعة . نظر إلى قطعة اللحم الصغير الباقية . كانت لا تسكاه تسكفيه وجبة واحدة ، وعلم أن عليه أن يخرج للبحث عن صيد ، وأن يدور النباتات الباقية أن تسكفيه عشاء الاياما قليلة . ولم يكن على أي الأحوال يستسعيها ، وما يعتقد أن في استطاعته الحياة عليها إلى أمد طويل .

واستقر رأيه على أن يخرج إلى الصيد بمجرد أن تهدأ العاصفة . وصمم على أن يتجه في بحثه إلى الوجهة التي اقتضتها المرأة عند تركها المأوى . وعارده حيط الأمن ضيلا ياهنا . ترى هل يمكن أن تكون مازالت على قيد الحياة ؟ هل يمكن أن تكون قد تعلبت على البرد ، والظلام ، والوحوش ، والعاصفة ، والجوع ، والسموم ثلاث ليالى ، وأيام يأكلها ؟ وبداهة استعالة الفرص . كلا إنها ماتت ولانتهى أمرها . لكنه مع هذا كان قد عقد العزم على أن يتبع أثرها . وإذا كان لا بد له من الصيد ، والبحث عن فريسة فإن أي اتجاه يتخذه سواء ، فلم لا يأخذ الاتجاه الذي سبقه إليه المرأة ، خاصة وأن هذا سوف يكفيه مونة ترك علامات يهتدى بها عند عودته . وطار حيله إلى الدتب ، والمعلق . تعجب إن كانا لا يزالان على قيد الحياة . إن فرصتهما في الحياة أكبر كثيرا من المرأة . خاصة الدتب . وتساءل في نفسه عما إذا كانا سوف يعودان إلى المأوى . وهلم أيتها إن لم يكونا قد ماتا صوف يعودان بالعزيمة إليه ، حيث الدفء والنور ، والطمانينة .

واتقته من أفكاره على صوت العاصفة . حيل إليه أن الرياح قد هدأت قليلا ، وأن زجرتها قد خمدت عن ذي قبل . اندفع إلى المدخل ، وأطل برأسه منه . أجل لا شك في أن حدة العاصفة قد خمدت وتملكه شعور بالقلق . كان يريد أن يخرج ، لكنه كان لا يعلم إن كانت العاصفة قد انقضت ، أم أنها سوف تعود مرة أخرى . ثم أن النهار قد مضى منه نصفه أو أكثر قليلا . حتى إن هدأت

فصاحبه فسرعان ما سوف يحل الظلام ، وإن يستطيع أن يفعل شيئاً ، بل لعله  
 استطاع أن يحيا في البرد العارس ، وقوته لم تمكث لم بعد . دلف ثانية إلى  
 حصى . وقبض إلى جوار النيران يستدفئ على مصحف .

عدت العاصفة تماماً . ودرغت الشمس باهنة تودع الكون إلى لقاء .  
 خرج الرجل من المأوى ، ومضى يحرك أطرافه . لاحظ أن الجو أقل برودة  
 . تس العاصفة . ومضى بما كد من العلامات التي رآها على الأشجار والتي  
 جعلت المراه لا شك قد عصفها بخصيرها . وبدأ الظلام يحل سريعاً فاضطر  
 العودة إلى المأوى ، ازاح الجليد عن بعض الأغصان المنكسرة ، واستسلم  
 في الداخل يمدى بها النيران حتى تأكد أنها سوف تبقى مشتعلة لمدة طويلة  
 . حتى إلى جاراتها ، وراح في سبات عميق .

استيقظ بعد ساعات والبرد يكاد أن يهرا جسده ، لم يتساقط جليد أثناء المدة  
 التي نامها ، وبقيت فجوة المأوى مفتوحة تدمل الهواء البارد . وخفت حدة  
 ألم ان رويدا رويدا ، وحينما استيقظ الرجل كانت آخر قطعة من الأخشاب  
 تحترق اسرع بلمع النيران بالأخشاب الصغيرة ، وأوراق الأشجار الخافتة .  
 وعد المريب يتناول ، وعاد معه الدفء إلى المأوى . شعر الرجل بنشاط شديد  
 وهراء وقد عادت إليه . فدلف إلى الخارج يستطيع . كان الوقت ما يزال ليلا  
 وقد بزغ القمر في أكل مائه يتلألأ الجليد تحت أشعته ، ووقفت الأشجار رشيقة  
 بأخضر ، وما كان أحد يتصور أن المدود الذي ساد المابة كان منذ ساعات قلائل  
 حرجا لميت عاصفة هوجاء . صار الرجل خطوات ، ثم قفز في الهواء . وشعر  
 أن ساقيه قويتان تحتلان جسده وحركته ، وانه على ما فيه من تحول كان  
 حليا قويا . استمر يؤدي حركات متباينة مدة من الزمن في ضوء القمر حتى  
 تأكد من أن في مكانه الرحيل متى احزم

عاد إلى داخل المأوى ، وراح متلها يقطع الوقت الدافئ قبل ظهور طلائع  
 النهار في إعداد وجبة دسمة يستهلك فيها كل ما بقي من لحم ، والكثير من جذور  
 النباتات . وما التهم وجبته ، حتى أحمره ورا بقوة إصافيه تدرى في مرونة .  
 ابتدا يلتقي بعض الحباب ، كما تمنطق حديده . وظل النار بكية كبيرة من  
 الأخشاب ، وإن كان يعلم أنه إن تأخر في العودة فسيه أن يقوم بعملية إفاد النار

المصنية . وهداه تفكيره إلى جمع كثير من الأوراق الخفيفة المتساقطة من الأشجار ، فراح يلتقي بعض الأخشاب الجديدة الجافة ويعدّها لإيقاد نار جديدة إذا ما حدث النيران . فمضى يدرى ربما عاد إلى المأوى يحمل رفيفته وهى أسرج ماسكون إلى الدفء . ليجد أن النيران قد انطفأها . ولما أتم جميع استعداداته وتأكد من أن النار لن تطفىء إلا بعد ساعات قادمة أطل برأسه من الفرجة ليرى أن الدور قد بدأ يلوح ، وأن فى استطاعته أن يميز العلامات على الأشجار .

لم يتوان لحظات جمع فيها حاجياته ، وانذفع خارجا من المأوى يتبع آثار المرأة . ومن الغريب أن أملا جديدا حل به . ولو سئى هل هناك أى شئ فى وفاتها ، لما أمكنه إلا أن يجيب بالنفى ، ومع هذا ملا الأمل قلبه . ولم يفسر فى أنها قد ماتت مدفونة تحت الجليد . كان من اليسير عليه أن يقتنى الأمر سريما وقد علم إتجاه العلامات ، ولم يكن يتوقف إلا الضية والأحرى ليتأكد من أن المرأة لم تغير اتجاهها ، فإذا ما اطمأن إلى أنها لازالت تسير به اندفع سريما .

ولجأة توقف . لقد حلت إليه الرياح رائحة إنسان . وحيوان . وحيث اجتمعت الرائحتان فلا بد أن الإنسان وخطر . أم هل هى رائحة العملاق والذئب عاتين ؟ لم يطل تردده ، وأطلق ساقيه يسابقان الرياح . لم يعد يكره العلامات أو غيرها ، وإنما اقتصر تفكيره فى أن إنسانا ، وربما تكون المرأة ، فى خطر الموت . واشتدت الرائحة كلما اقترب ، فأيقن أنه يسير فى الاتجاه الصحيح . وتفتح حيت العابة صرخة حالية . كانت صرخة تحمل كل معانى الحزن والمزعج . ولم يلبث لدى الرجل أدنى شك فى أن الصرخة صدرت من رفيقته . وأنها فى خطر قاتل ضاعف من مرعته . ولم يأبه للانصاف المتكسره على الأرض حتى أن أحدهم جرحه وهو يجرى فحشر .

رأى من بين الأشجار مطرا كاد أن يعقده شعوره . كانت المرأة تجرى بأقصى سرعتها ، متجهة إلى ماحيته ، فى حين اندفع وراءها جبل أبيض . وب للرجل بوصوح أن الوحش أسرع كثيرا من المرأة إذا كان على ضخماته جسمه يتحرك بحجة لامتثال لها ، بنظرة واحدة رأى أن المرأة مائة لاهالة إذا لم يتدخل كانت المسافة بينها وبينه تزيد على عشرين خطوة ، فى حين كان بينها وبين الدب

أقل من عشر خطوات . ولن تنقص لحظات إلا ويكون قد أظن عليها .  
ثم تراء المرأة وهي تمدفع في ذعر ، كما لم يظهر على الدب أنه قد رآه . قمت  
يده على إحدى الحربتين معه ، وألقاها بكل ما أوتي من قوة من فوق رأس المرأة .  
كانت المسافة أقرب إلى ثلاثين خطوة . وكان يعلم أن الحربة ، حتى أن أصابت  
الدب فلم يكن لها أثر فمال . لكن كل أمله كان أن يستقر الدب عن المراء ، لوجه  
إليه هو الهجوم . أصابت الحربة كذب الدب ، ثم وقعت على الأرض . لم يكن  
خضبة من القوة بحيث توقف هجومه ، أو أثر في قوته ، ومع هذا فإنه يسر  
أبها قد آلمته إذ توقف عن متابعة المراء لتستقر عينه على الرجل ، واندهش نحوه .

لم يتوقف الرجل بعد أن أتى ربحه الأول . استمر في اندفاعه تجاه الدب  
مشيرا الحربة الثانية ، وحينما أصبح على قيد خطوات قليلة منه دهمها بكل قوته  
تستقر في السكتف وتبقى ، ثم عرج في طريقه مبتعدة عن اللطاحة القوية التي  
سددها الوحش إليه . كان الرجل يهدف إلى أن تستقر الحربة بين عيني الدب ،  
تكون الصربة قاتلة . لكنه في اندفاعه وسرعته ، أخطأ التقدير لحادث الحربة  
تستقر في السكتف . وتدت من الدب صرخة وحشية . وتوقف لحظة ضربه  
فيها الحربة بإحدى قدميه الأماميتين انقع على الأرض . انتهر الرجل العزيمة .  
ولم يترك الوحش وقتا يستجمع فيه تفكيره بل اندفع بأقصى ما لديه أن تقابل إحدى  
حرباته ، واعتلاه ليدفع حنجره في جسده مرات .

صرخ الوحش من الألم والغضب . لم يكن مثل هذا الحشر ليؤثر فيه ، ولا مثل  
هذه الطعرات لتثقل من حركته ، أو تضعف من قوته . هي حركة مهاجمة ، لا تدافع  
متوسدا طوره لينقى الرجل على الأرض ، وبسرعة مذهلة إرفقت إحدى قدميه  
كالميتين لتهدم على الجسد الملقى في ضربة لو أنها أصابت الرجل  
لكانت فيها حتما بوايه . لكن الرجل لم يكن في المكان الذي مبطت فيه قدم  
تدب . على قدر ما كان الوحش سريعا ، كان هو أسرع إذ تدحرج على الجليد  
متحدا من الخفاف الحادة ، والأرجل القوية .

توقفت المرأة عن العذر حينما سمعت صوت العراك ، وحينما علمت صرخة الدب  
تسببت من الخصم الذي تجرأ أن يجابه مثل هذا العذر . كانت في عدوها المذمور  
( م ١٢ — حادثة الأسلاف )



م تحفظ الرجل وهو يقذف الرمح ، كما أصبحت المسافة بينها ، وبين موقع القتال بعيدة بحيث أخفت الأشجار المتقاتلين . أصاحت السمع رعدة ، ولمس لم يصلها أى صوت آخر سوى زعجرة الوحش كادت أن تسكن عدوها إلى الدأوى ، لكن دسة خفيفة حملت إليها رائحة الرجل مخلطة برائحة الوحش .

تمسكها ذعر حقيق أطاش صوابها ، ودفعها إلى أن تمود أدراجها عدوا كالجمونة . تسارعت الأفكار تسابق قدمها . أمها تعلم أن الرجل كان مارال صديقا ، ما كاد يدل من مرضه . وهى أحسن الأحوال لا يمكن أن نتصور أن فى استطاعته مغالبة الوحش الضخم الذى رآته . كاد عقلها أن يظهر حبيبا تصورت أن كل ما فعلته من أجل الرجل سوف يذهب هباء فى ضربة واحدة عادية . لقد حكشت ثلاثة أيام وليالى فى هذا الجحيم البارد تصارع الوحش . والطبيعة . لتعود إليه بما يقيم أروده . ثم ما كادت أن تسكون قلب قد حين إلا لواء يهاجم وحشا ضخما لا بد أن ينقض عليه ، مصحيا بنفسه لكي يعطيها فرصة النهاية وظهر المنظر المرعب أمامها .

كان الدب يقف على حافتيه وقد استقر عجزه على الأرض فى حين راح يطوح بقدميه الأماميتين فى الهواء فى حركات عامسة . وعلى بعد يسير وقف الرجل ، قابضا على حذيره الخفيف مهددا ومتحذرا . بدا صليلا بالذلة إلى الوحش أمامه ، فكأنه طفل يصارع عملاقا . ولحقها الرشح بطرف عينييه . فأشار لها بيده صارعا أن ابتعدى ، . فى هذه اللحظة اعتدل الدب وقفر عليه . كانت خوفته حبيبة لا يمكن أن تصورها . مثل هذا الجسد الضخم . وكادت تلك الذئبية التى اقسم فيها انتقاء الرجل أن تسكون القاصبة إذ أصابته ضربة قوية ألقت به عدة أمتار وصرحت المرأة من الرعب حينئذ أنه ملقى على الأرض والدماء تسيل بفراوة منه . لم تسكن تدري من أين تبرز الدماء . لكنها سرعان ما كسبت الجسد وكأنما قد تسربل جسمه بالقوى الفائقة .

كان الرجل قد رأى أدب وهو يحجم ، وحاول أن يتحدى القبضة القوية ، والمحالب الحادة ، فتد لك ببرعة شديدة لكنها لم تسكن كفية . شعر بكتفه كآء قد حلق من مكانه . مست جلده أسياخ من نار ، ثم اندفعت الدماء من أكثر من مكان كأنما هى . ارسياط تمرقه . أحس بنفسه يرتفع عن الأرض ،

ليطير في الهواء ثم صعدت الأرض إليه ، أو هبط هو إليها ، ليمس الماء بينهما .  
سكنه لغاء أليم رخص ضلوعه في كتفه .

أذهلته الضربة ، وأخذته المدمة بعض شعوره الحفظات ، كان من حسن حظ  
أن قوة الضربة الملقه بعيداً ، وأن الدب كان يتدفع إلى الناحية الأخرى ولم يشراف  
إلا بعد أن قطع مسافة قصيرة . حينئذ ارتد ، وانجم مرة ثانية إلى الرجل كان  
هذا واقفاً ، متصبهاً ينتظره . لم يتمهل الدب في هجمته التالية ، وكأما قد اطمأن  
من أسب الضربة التي أصابت خصمه كانت تسكنه لإيهام الحركة . ولم يعد يفكر في قتال ،  
ولما في التهام الفريسة ، ووقف الرجل متأهباً . كان حفره قد سقط منه أثناء  
الضربة التي أطاحت به ، وبذلك تجرد من كل سلاح ، ومع هذا فلم يتملكه  
ترعب ، بل ربما كان تمالكة لأصابه أشد . وصح له تماماً تفوق خصمه  
فاحت على القوة ، وسحق مع وجود الحصى أو الرمح لم يكن هناك أمل ،  
وكان عليه أن يستعمل السلاح الوحيد الذي نفي له ألا وهو عقله .

راح تفكيره يسابق الموت المتقدم ، إن الدب قد أصيب بعدة طعنات ، وهي  
تؤثر فيه قطعاً ، لكن الدماء دائر الازداف من بعضها ، حصة طعنة الرمح  
في الكتف ، لاحظ أن الوحش يكاد ألا يضع قدمه ، أدنى السكت المجرع ، على  
الأرض . ولم يكن الرجل بأحسن حالاً كثيراً فإنه قد أبل لتوه من مرضه ، ولم  
سدد قوته تماماً ، كما أن ضربة الدب قد مرتك هجمات كثيفة الأيمن وأسالة  
تبرام الدماء . أحسن بأنه لا يكاد يستطيع تحريك ذراعه ، كما أن الألام تسيطر  
على كل جسده ، ومع هذا فقد كان عليه يقاتل ، ينتظر في مكانه حتى اقترب الدب  
منه كثيراً ، ثم تحرك حركة مفاجئة إلى الجانب الأيسر ، وأطلق ساقه للريح .  
سحق الوحش بالحركة ، ولم ينبه إلى الجرح الغائر في كتفه وهو يحاول أن  
يتحسس يسته ألقى بكل ثقل جسمه على الرجل المصاب . وكانت النتيجة صرخة  
مست ، وألم ، ورائحة الدماء غريزة من الجرح . وكاد هر نفسه أن يثقل توازنه .  
ومع هذا فقد جرى وراء فريسته خطوات ، ثم توقف بلمح جرحه .

وقف أرجل على بعد آمن . ودارت عيناه في أرجاء المكان تبحث عن  
حصه ، لكنه لم يشعر له على أثر وإن رأى رجة الأول ماقي في مكان غير بعيد .  
نات المركة تدور في مساحة خالية قريبا من الأشجار وكأما قد أعدت خصيصاً

القتال . لم يحاول الرجل أن يتهرب فرصة تألم الدب ليهرب ، وإنما انقلب صائداً  
يبنى فريسة . تحرك من مكانه ببطء شديد متجهاً إلى الحربة . ودأبت معه عينا  
الدب ، ولجأة تحرك الوحش مهاجماً ، يجرى على ثلاثة ، ولاسكاد الرابعة أن تلمس  
الأرض . كرر الرجل الحيلة وانحرف الدب . وفي هذه المرة اختل توازنه ، رخاها  
رجلة فوقع على جابه . ولم يتوقف الرجل . إتجه مباشرة إلى الحربة والتغاطا  
ثم احتدل في وقته .

ودون سابق إله ، شعر بدوار ، رأى أشجار الغاية تتراقص أمامه  
وأحس بأن ركبتيه بدأتاه بعدلانه .

قفز قلب المرأة بين صلوعها وهي ترى محاوراه مع هدوء . وقهر مرة أخرى  
وهي تراه يجرى ليلتقط الحربة . لكنه عاد فهبط حبيماً لاحظت أنه يتروح  
في وقته ، وأنه أسند نفسه إلى الحربة . ومن حين الخط يبدو أن الدب قد غير  
رأيه . فلم يعد ينظر إلى الرجل كفريسة ، وإنما اعتدل واتجه إلى جثة الدتب  
في خطوات بطيئة متخاذلة . ومضت لحظات ، وبدأ الدب يمشي في الجثة ويحرقها  
بمعدله العادية . ورأت المرأة أن الرجل قد استعاد توازنه . وحذت أنه سيتهرب  
الفرصة المتاحة له مرة ثانية لينجو بجلده ، لكن الرجل كان يعلم أنه سوف يفقد  
رشه ، وبغيب عن وجهه بعد فترة صغيرة ، وأن تماسكه مؤقت ، ومعنى هذا أنه  
سوف يكون فريسة سهلة للدب ، أو لغيره من الحيوانات الجائعة أن لم يفص  
عليه فوراً . ولن تستطيع المرأة بمفردها أن تجره أو تمحله إلى المسأوى .  
وتعثر على الطعام السليم ما . كان عليه بقتل الدب .

اتجه في خطوات مترنحة إلى حيث يجثم الوحش ، وجاهد أن يركز عينيه  
على الجسد الضخم .

لم يمه الدب لئتماناً في مبدأ الأمر ، واكتفى بأن أرسل زجيرة لإبذار ، ومصو  
بألتهم اللحم . لكن الرجل لم يتوقف في سيره واستمر يتقدم نحوه . نظر  
إليه الدب جانياً وكأنما هو لا يصدق . واستجمع الرجل كل ما بقى من قوته .  
وسدد الحربة في جانب الوحش . علت صرخة غضب وألم ، وترك الدب  
وليته ، واستدار مهاجماً ذلك الذي هجرأ على مقاطعته أثناء طعامه . وجرى الرجل .

جوانبه الدب وقد صمم على قتله ، لم يعد يعنيه الجراح التي أنشأ بها ، ولا الملام الذي يشعر به من جرح كتفه ، أو الحربة المستقرة في بطنه ، لقد أعمى الألم ، فلم يعد أمامه من يأرب إلا أن يقضى على غريمه ، وأطلق الرجل ساقيه مبتعدا عن الموت المعلوم .

ولجأة خذلته ساقاه . لم تعد رجلاه تتحملان ثقل جسمه ، وأطلقت الدنيا أمامه هيبته ، ورأته المرأة يتهاوى في مكانه ، ورأت الدب على قيد خطوات منه يستعد لضربة القاصية . وأطلقت صرخة رعب وأسى .

لم يحل الدب حربه . شاهدت المرأة جسدا يطير في الهواء ليستقر على كتفه ، ولم ير الوحش المهاجم الجديد . لسكنه شعر بخال قوية تمزق قراءه ، وبأبواب حادة تغرس في رقبته . أجهدت المرأة نظرها لتتعرف على المهاجم ، ثم أدت ضحا صبيحة فرح ، لقد كان الذئب الصديق الوفي . وعلت صرخة الدب عالية ألما ، وغضبا على هذا الدخيل الجديد . ولم يستطع كتمه الممركان من أثر الحربتين أن يعادوا قديميه في حفظ توازنه ، فسقط على الأرض ، وبالرغم من أن سقطته قد سمحت للذئب في مكانه في الأبواب الحادة لم تترك الرقبة ، ولا توقفت الخبال القوية عن تمييز العراء والجسد . حاول الدب أن يهوى من كبوته ، ولما لم يستطع إنقلب بجسده الصمم ليدفن تحت الذئب تماما .

وجاءت الذبابة في شكل عملاق يخرج من بين الأشجار حاملا وعلا على كتفيه ، وقابضا على هراوة ضخمة . لم يتوان العملاق في أن يطرح عنه حمله ، ونقدم عدوا إلى حيث يتقلب الدب محاولا أن يرهق روح غريمه بمجرد ثقل جسده . ارتفعت الهراوة الضخمة في الهواء لتتبط على رأس الوحش . سمعت المرأة صوت ارتطام الهراوة بالعظام . وسمعت صرخة يطلقها الدب ، الذي حاول النهوض لمحاربة المهاجم . وارتفعت الهراوة مرة أخرى لتتبط بقسوة على الرأس . ثم ارتفعت وهبطت مرات ، ومرات حتى همدت حركة الدب تماما .

التقى العملاق هراوته جامعا ، وبضوء هرقلية بدأ يرفع الجسد الضخم ليتمكن الذئب من الإفلات . وظهر الذئب يصرخ ويتوسع في مشيته ، متجها إلى حيث يرقد الرجل . لسكن المرأة كانت قد سبقته ، وجشت إلى جانب الرجل فعلا ، ترفع من رأسه وتضمه إلى صدرها . ودنا الذئب ، وراح يعلق بجسد سيده .

حيثما طمعت المرأة إلى أن رجلها لم يمهده حياته ، تحوالت إلى التفكير العملي مباشرة . كانت تعلم أن المأوى لا يسعد كثيراً ، فأشارت إلى العملاق أن يحمل الرجل ، تردد العملاق ، وهو ينظر إلى جثة القرائس الثلاث ، الرجل ، ولدن ، والدب ، وأحمرأ حمل الرجل على كتفيه ، وتناول حرايره ، ثم تقدم من الرجل ليحمله بين يديه كما يحمل الطفل ، وبدأ سوره متجها إلى المأوى في حين أمسكت المرأة بحشفة الدب تجرها وراءها كما كانت تفعل قبل أن يهاجمها الدب . نظر الدب إليهما وهو يمد ، ثم نظر إلى جثة الدب ، وكأما قد عر عليه أن يترك كل هذه الكمية من اللحم ، فأحد ينهش فيها بنهم . وصل العملاق والمرأة إلى المأوى وأدخرا العملاق الرجل ، ثم وضعه برفق إلى جانب النيران ، ولقى إلى جواره بحشفة الرجل ، ثم خرج واحتفى في الغابة .

ذلت المرأة إلى المأوى تجر جثة الدب ، حتى ادخلتها ، ثم نعت إلى النيران وقد كادت تنعم ، فأصرحت بأوراق الشجر الجافة تغذيها ، وبالأحشاب الصغيرة تحمىها . وضعت لمخاطات حشيت فيها أن تكون النيران قد حوت تماماً لكنها لم تدلعت فجأة وعادت ترسل الدفء . كان المأوى قد ازدحم حتى أن الحركة داخله كانت عسيرة ، ومع هذا فقد أُرجأت تربيته حتى تفاعل على الرجل فراحت تكفد من الجروح التي أصابت كتفه من جراء ضربة الدب . لاحظت أن الجدة قد تمزق ، وأن الجروح في بعض الأماكن كانت عائرة ، لكن الدماء توقفت من النزيف . أحست بأن الجروح في الواقع لا أهمية لها ، وأنها سوف تلتشى مع الوقت . أما الضعف الناجم من المرض السابق ، والمجهود الذي بذل ، والدماء التي سالت فهو الذي يجب أن يعالج .

أصرعت في ترتيب المأوى قدر استطاعتها ، واقتطعت أجزاء صغيرة من لحم الرجل ، ومزجتها بالجليد وبدأت في صنع الحساء . وقطعت الرجل وفتحت عينيه ليرى جداره إلى جواربه تحاول أن تقرب الوعاء من فمه . شرب الرجل ، واكل قطعاً صغيرة من اللحم المالح في المياه ، ثم راح في سبات عميق . وأحست المرأة بحركة فأطلت برأسها إلى العملاق يسير بعيداً وهو يجرد وراءه جثة الدب في حين سار حلقه الدب ، وكأما يحرسها من الوحوش . احتارت المرأة أين تضع جثة الدب . لم يكن من الممكن أن تدخلها المأوى المزدحم

صلا ، كالم يكن في الاستطاعة أن تدلهم إلى مأوى العملاق وأدب إذ كان  
نصر من أن يسعها ووقفت تمسك لحظات ، في حين توقف العملاق والذئب  
كأنما ينتظران أوامرها . وبدأت تمصر في الجليد بين المأويين ، وأشارت إلى  
العملاق فبدأ يحفر بدور ، حتى أنما حفره دفنا فيها البعثة ، وأهالا عليها الجعيد حتى  
عليها تماما .

\*\*\*

مضى قرابة شهر على الحوادث السابقة . توالى فيه الأيام على وتيرة واحدة  
تهريما ، ظل الرجل طوال المدة تهريما طريحا لا يقوى على القيام . وعادته  
نحي . لكن قوته الجبارة ، ودأب المرأة على راحاته ، ودفء الغذاء كان لها  
جسما أثرا العملاق في نجاته من الموت . كانت محال لابد قد تركت سدوبا  
واصحة في كتفه ، إلا أنه ما أن ابتداء يبل حتى سار بخطى حثيثة نحو السماء  
الكامل . ولم يحدث حوادث قد كثر في هذه المدة سوى أن دفنا هائما يبدو أنه  
قد شمر رائحة جملة الدب لحول بعثه ، لكن الذئب ، والعملاق طاردا فلم يلبث  
أن احتفى في الغابة .

لكن هذا الشهر أثر بتغيرات واصحة في مجالات أخرى . كان التنهر الأول  
من الإلتفاف المحسوط الذي طرأ على المرأة . فإن أشهر الحمل كانت قد تقدمت ،  
ووصلت إلى الشهر الخامس ، فتقلبت حركتها ، وبدأ تأثرها بالبيئة المحيطة بها جليا .  
كانت في حاجة إلى راحة سلبية ، وإلى عداة أكثر كثرة لها من مجرد الهم ، وإلى  
سكان أكثر اتساعا . صحيح أنها كانت بصم حياتها وبقيتها أقدر على الاحتمال .  
لكن الحمل ، وعدم إعتيادها على الجو ، أو المسكن الذين وجدت فيها ،  
وكذلك عدم تنوع الغذاء ، وخاصة انعدام الحكة ، والبيانات الخضراء ،  
كانت كلها عوامل أكثر فيها تأثيرا سيئا . بدت هريقة بالرغم من انصافها ،  
وتغير لونها ، فأصبحت أكثر شعوبا ، كما اتابتها كآبة وعصية . ومع كل هذا  
بها صكبات تتحمل بصبر دون أن تعرف هي نفسها سببا لما طرأ عليها  
من تغيير .

وبدأ التغيير الثاني على الرجل . فقد أدل تماما من جراحه ، لكن تأثره  
هو أيضا بعدم الحركة ، وعدم تمولده الغذاء الوحيد كان جليا . إزداد نحو لا ،

وشعوبا ، وتبرما ، وأكثر من الآبراد بنفسه كما راح ينظر إلى المرأة ويلاحظ ما هي عليه من ضيق وشعوب . لم يكن بيده حيلة في مبدأ الأمر وهو طريق لا يقوى على الحركة ، لكن ما أن ابتدأ يشمر ببعض القوة حتى نشط تمسكه .

راح يوسع من دائرة حواله ليبحث عن مكان آمن يستطيع أن يحمي فيه المرأة ، والوليد الذي تنتظره .

لكن الذئبة حمله كانت عبارة عن دسعة طبق الأصل تشكرو مفاظرها ، ولا مكان لخصاً آمن . غير من خطته ، وبدلاً من أن يوسع زجواله لإتجه إلى إحدى الأشجار الباسقة وراح يحاول تسلقها . لكنه لم يستطع ، فقد كانت قروعا بعيدة جدا عن الأرض كما كان جلدعما أكبر من أن يحتويه بين يديه . وبعد محاولات عدة أصابه الفشل فيها ونخدش الجلد في مواضع متعددة ، عاد مرة ثالثة إلى حواله . لكنه في هذه المرة كان يبحث عن شجرة يستطيع تسلقها ، وبالرغم من أنه وسع دائرته حتى أنه كان يمشي اليوم بأكله عن ممكنه ، وبالرغم من تعرضه للأشجار أكثر من مرة إذ قبله أكثر من حيوان مفوس كان يهرب منه بطريقة أو بأخرى ، إلا أنه لم يجد يفتيه .

وذات مرة رأى مكانا مقسما خاليا من الأشجار ، ففرح وانه إلىه وتوسطه تماما حتى يمكنه أن ينظر حواله أكثر من بعد ، لكن شاب أمه فقد كانت الأشجار المحيطة بالسكان عالية إلى درجة أنها سدت كل المناظر موارها . كالم تكن الفسحة من الأسراع بدرجة كافية . وفي هذه المرة كاد أن يفقد حياته إذ هاجمه دب وهو في وسط الساحة ، وكان عليه أن يجرى مسافة طويلة إلى حافة الأشجار يفتيه فيها . لكن ساقه الطويلتين وحدة حركته كانتا كفيلتين بالقائه . وقفل هائبا إلى المسكن ، وكله حيلة أمن وبأس .

وكان التعبير الثالث في الطبيعة . ولو كان الرجل عو حيرة بحيوانات المختلفة وطياتها ، وهادانها لا يمكنه أن يعرف أن الدب لا يستيقظ من سباته الشتوي إلا عند نهاية الشتاء ، وإقتراب فصل الربيع . لكنه لم يكن يعلم . والواقع أن العاصفة التي صادفت المرأة كانت هي آخر العواصف الثلجية الجارية في هذا العام صحيح أن الجو استمر باردا ، وأن الثلوج استمرت تساقط ، لكن حدة

هبرد كانت قد انتهت مع مرور الماعصة ، وأبدأت أشعة الشمس تكون أكثر سطوعا ، وأشد حرارة . هلت حلائع الطيور المفردة ، كما ابتدأت الأفرع العليا للأشجار تبدل من منظرها وتبرز هيون الأوراق فيها .

لكن الرجل لم يلحظ من كل هذا سوى بداية الطيور المفردة ، ولما تمكن قليلا من معرفة حتى أنه لم يعرفها في مبدأ الأمر الزفانما . والواقع أن عقله كان مشغولا بالمسئلة التي هو فيها حتى أنه لم يكده يلحظ أي تغيير . كانت الثابة بالنسبة إليه سجننا كبيرا لا يستطيع منه فككا . كانت أشجارها قصانا متتالية لا منفرد منها بعد أن فقد كل شعور بالإتجاه فلم يعد يعرف أي طريق يسلك ، ولا إلى أي هدف يقصد . تسارت جميع الاتجاهات لديه فكها أشجار ، وكما ذات طابع واحد لا تسكاد ان تجد عمه .

وجاء يوم وجد فيه من الثلج لم يقرأ كم عدد مدخل الخيمة كما كان يفعل في الأيام السابقة . لاحظ ان الثلوج التي فوق الخيمة قد ذابت ، ولم يبق منها سكامنها إلا القليل إذ كانت حرارة اليرقان تحمها قد ساعدت في ذوبان الجليد . خرج يستقبل الصباح ، وخرجت معه المرأة فقابلتها أشعة الشمس أقوى مما كانت ، وشدها بحرارة لم يشمها بها في الأشهر السابقة . تنافى إل سمعها أصوات الطيور المفردة . ونظرت الماء إلى السماء ثم اشارت إلى رفيقها فرأى سريا من الطيور يحلق . لبث ينظر إلى السرب حتى احفنه الأشجار ، وسارت المرأة لتجمع بعض الانخسبات ولم يتحرك الرجل من مكانه ، ولا هو ارحى نظره إلى الارض . كان يتساءل من اين أتت هذه الطيور ؟ ولماذا ظهرت فجأة ؟ إن من الجلى انها لم تمكن تعيش في هذه المناطق في الأشهر الماعصة فلا شك إذا انها كانت تعيش في مناطق أخرى أكثر دفئا ، ولا يوجد بها هذا الثلج العميق .

فجأة إستقر رأيه على انه إلى الاتجاه الذي أتت منه الطيور يجب ان يكون الرحيل . ومنذ هذه اللحظة بدأت هجرة ثمانية رجل . بدأ النشاط يذهب في الممسكر ، وإن لم يكن احد من الثلاثة الآخرين قد فهم المغري ، إلا ان ثقتهم في الرجل كانت كاملة بحيث كانوا يطيعون اوامره دون اي تردد .

لم يتجهل الرجل الرحيل لا أكثر من سبب . فأولا كانت لا تزال هناك



كمية صغيرة من الدم لا يستطيع الجراح حملها ، فضلا عن الاحمال الأخرى التي كان يجب ان يأخذها معها ، كما انه رأى انه عدد اصراص الطيور الزائدة كن يرداد يوما عن يوم . وبالإضافة إلى هذا فقد لاحظ ان الجوى بدأ يميل إلى الارتفاع أكثر حتى تناثرت الحشرة في أنحاء العاية . وأخيراً فإن الرجل كان يريد حل مشكلتين . فكان عليه اصابة بعض تحصيلات على مسووم حيراته السابقة . وكذلك كان عليه أن يفكر في أسس طريقة يحمل بها ورفيقه أكبر كمية من الدم ، والأخشاب الصغيرة اللازمة لليراق ، والأوعية المختلفة والجلود .

بدأ عمله فوراً في إبقاء قطعة من حطب الأشجار تصلح لكي تسكون وعاء النار ، فقد أصبحت النار بالنسبة له هي مصدر الأمن والطمانينة . إذ عنى بأن تصيكون القطعة تصلح لعمى وعاء كبير نسبياً بحيث يحفظ على أكبر كمية من الأخشاب المحترقة ، ولا يكون من ناحية أخرى كدهراً بدرجة لا يستطيع المرأة أن تحمله أو يحرقها من الحركة . لإتداء الشاب السيفي يعمل ، ويفضل بمهارة اكتسبت من خبرة سابقة . ولما تم الوعاء طلاه من الداخل بيه من الطين ، ثم وضع فيه قطعة من الحشب المحترق حتى جف تماماً وراح يرقبه مره ، ويأمر المرأة بحمله مرة أخرى ، حتى اقتنع بأنه يوفى بالغرض . كان طوال يومه يفكر في الطريقة التي يسول بها حمل أكبر كمية من الأثقال دون عناء ، ودون أن يفسد الحركة .

لم يطل به التفكير . كان قد سلح فراء الدب ، وملك الوعل ، بحيث يكون كل منهما مسطوحاً . ورأته المرأة وهو يخترق جلد الوعل من الأطراف الأربعة ويعتصمها إلى بعضها ، ثم انشق إحدى الجراب وراح يحرب قوة استقامتها حتى أطمأن إليها ثم جمع الأطراف وأدخل الحربة فيها فإذا بها تسكون خرجاً يمكنه ان يضع فيه الكثير من الاحمال .

ولم يقتنع الرجل بهذا بل انه وضع فيه فعلا كل ما استطاع ، وأدخل الحربة ثانية ، ثم حملها على كتفه ملقياً بالحرج وراء ظهره . وأبتدا تجاربه في السير حاملاً الخرج . وجرب اوصافاً عدة . وفي أحدها انزل الخرج من الحربة

وتتمتعت الاشياء التي بداخله على الارض . أجرى تعديلات أخرى بأن قطع  
 سورا طويلة من الجلد فأدحاها في الحروم ، وعقدتها ، وراح يجربها بطريقة  
 آخر الحرح بما فيه سواء من طريق العربة ، أو السهر الجلدي ، أو الاثنين معا  
 حتى ارتاح إلى الطريقة المثل . وصل في غراء الذب مثلها فهو في جلد الوهل .  
 ولم يمض أسبوع واحد حتى كان الرجل قد أعد عدة من رحيل ، ولم يبق  
 سوى أن يقرر موعده .

---

## شريعة الذئاب

حدد الرجل اليوم التالى لبداية الرحلة . لم يستطع أن ينام بعمق كما كانت عادته ، ولم ينام مكث إلى جوار المرأة مستيقظا يفكر . عادت أفكاره إلى رحلته الأولى . لم تكن رحلة تماما ، وإنما كانت فرارا من الرعب . وصرت هذه حبيبته فى جسده حينما تذكر الرعب . لقد اضطره إلى الهروب مرة ثانية حينما ظهرت آثاره فى المنطقة . ولعل هذا لم يكن فرارا بالمعنى الكامل للكلمة ، وإنما كان يداخله معنى الهجرة . وتوالت على ذهنه الحوادث . لقد ظهر القمر وعاب ، مرات ، ومرت خلال ترعاه فى الغابات . ورأى خلال هذه الفترة الوجيزة نسبيا ما لم يكن قد رآه ، وهو قايح مع هائلته طوال سنوات صباه ، وشبابه المبكر . رأى أنواعا مختلفة من الغابات ، ورأى النار تشتعل فى غابة ، ورأى جبالا لم يكن قد رآها قبل ذلك ، وشاهد أشخاصا من ساكنى المكشوف ، وتعددت عليه الأجواء ، من حر لافح إلى برد قارس .

تعلم الكثير من هجراته أو رحلاته ، كان أهمها كيف يصنع النار ، ويحكم فيها . وتعلم أن العيران يكون أكثر إخلاصا من الإنسان إذا ما استؤتمس . لقد صاحبه الذئب فى عشرات من مقامراته ، وأثبتت المرة تلو الأخرى أنه صديق وفى لا يهاب ، وما كان ليلازد لحظة واحدة أو ليفكر أمام الموت إذا ما رأى صاحبه فى خطر . لم يكن أى ذئب عادى يحرق أن يهاجم بمفرده ، إنما سيقى الثاب ، أو دبا صغما فى أى ظرف من الظروف . لكن صاحبه لم يتوان أمام أيهما حينما كان الرجل يجابه الموت . وهدت بين الإثنين ألفة ضريبة حتى أن الذئب كان يشمر بأحاسيس الرجل ، ورغباته قبل أن يبديها . ولعل أكبر ثقة أولاها الحيوان لرفيقه كانت فى الغابة المشتعلة . لم يكن هنالك حيوان يجابه العيران أو يصير على قربه منها ، ولسماعها ، وحرقتها . إن الحيوانات يتولاها الذعر ، والرعب

لا مرمى إزاء النار ، ومع هذا فقد ظل الذئب مع صاحبه وسط الغابة المحرقة .  
 من هذا الخوف الفريزي ، لم ينل من لفته في صاحبه .

وانتقل تمكبره إلى المرأة . لقد صاحبه بدورها في ظروف قاسية .  
 رسم تتوان أن تواجه البرد ، والحيوانات والموت جوعا في سبيله . كان يمم أنها  
 صامتة ليال طويلة لم تتم فيها إلا غفوات قليلة . كانت تسهر تردقه أثناء  
 حرسه ، وتمسح عرقه ، وتبلل شعته بالمياه ، وتطاوله الطعام . وغمرته موجة  
 من الحب ، والعتاف ، في يده يتحسس برفق جسدها ايمدد إلى جواره في طمأينة ،  
 محذرا أن يوقظها . وتهدملت المرأة قليلا ثم عادت إلى سباتها . ودأبه شعور  
 حبيب بمسئوليته تجاهها . كان عليه أن يجد لها المأوى ، الأس الذي لا تشغل منه ،  
 حيث تستطيع أن تصح طعنها في راحة ولا يخشى عليه البرد ، أو الحيوان . كان  
 حبه أن يوفر لها الطعام والمأوى . لهذا كان يلزم الرحيل من هذا الجحيم البارد ،  
 وحرى أي يضمن الاستقرار في المأوى الجديد الذي يختاره فلا يمكن أن يستمر  
 في تشغل في مكان إلى آخر ومعه امرأة وطفل ، وذئب وعلاق .

استقر رأيه على مبدأ البحث عن المأوى . راح يصور في مخيلته الشروط التي  
 يجب توافرها فيه . يجب ألا أن يختار المنطقة ، ولو اختاره الأمر إلى الرحيل  
 ليما وشهورا . فالمطقة يجب أن يكون جوها معتدلا لا ألوح فيها ولا برد شديد .  
 - برى أن تكون كثيرة الأشجار ، متنوعة الثمار ، والخضروات ، وفيرة الصيد .  
 - المأوى فيجب أن يكون صغريا إذ هو التجمع الوحيد الذي يمكن أن يكتب له  
 النجاة . والذي يمكن الدفاع عنه بسهولة ، كما يضمن الحماية والوقاية على قاطنيه .  
 يجب أن تكون المياه قريبة منه ، وأن تكون الثمار على مسافة ليست بعيدة .  
 ويلزم أن يكون متسحا يكفي لأن يعضه وحائلته الصغيرة ، وأن يتبقى بعد ذلك  
 مكان يمكن فيه تخزين الاحتياطي اللازمة النار ، وموئن تكفي إخماع مدة طويلة  
 من حاصرها أحد الوحوش .

كان هذا حق الإنسان يضع أهدافا للمستقبل ، ويفكر فيها ، ويدبر تخطيطها ،  
 ويسعى على تنفيذها . لم يكن الرجل يبرد حيوان يعيش اليوم ، ويقنع بقوته  
 بما امتلاكه بطنه ، ويخفى في أي وكرا إذا ما احتاج إلى صقوة . واطمأن  
 الرجل إلى ما انتهى إليه من قرار ، فألقى نظرة أشيرة بطنها على النار ،

ولما ألقاها تحتاج إلى أخشاب قام من مكانه وغذاها ، ثم عاد يمد جسده إلى جوار رفيقته ، ويفلق عيبيه لينام في راحة ، وطماينة وصورة المأوى في بنة عدن تداعب خياله .

مع أن الرجل قد تأخر في نومه عن مادته إلا أنه استيقظ قبل أن يقوم أحد من الجماعة . كان كالطفل الصغير يتلمذ على تجربة ثيابه البديده في صبيحة عيد . لم يحاول إيقاف المرأة من مباتها . وإنما دلف إلى خارج المأوى ليلتقي بالجو المحش البارد . لم تكن الشمس قد برزت بعد ، لكن القمر كان ما يزال يرسل ضوءه الضئيل من خلال الأشجار أنظف العاية في أبهى صورها . وعم السكون فكأنما قد توقفت الطبيعة لثقلتها أنفاسها حتى الذئاب كانت قد توقفت عن إرسال نداءاتها المرعبة . كان الصمت كاملاً يكاد امرء أن يشعسه متجسداً . ولم يمتص لظنات إلا و رأى الرجل أن الذئب قد دلف بدوره خارجاً من مأواه المشوك . وتحرك الذئب تتكاسل ظاهر نحر سيده . والعن جسده في رجله ، وكأبدا هو يشعر بالحدة لمرده عنه . وربت الرجل على ظهره بخناك ، وأخذ يداخه ويتحلى فرأه بأصابه القرية ، ووقف الذئب مستكيناً سعيداً .

لجأة وبدون سبب طاهر شعر الرجل أن عضلات رفيقه قد تصلبت ، وارتفع أنفه إلى السماء قليلاً ، وأخذ يلتقط الروائح من العاية . تدب الرجل ، وسأل أن يلتقط الروائح بدوره ، لكنه لم يفهم شيئاً ، فحول إلى حاسة سمعه ، دون أن يصل إلى أذنيه صوته . ازداد نصته ، وأجهد باطر به يلتصق أشباح العاية ، لكنه مالم ير ما يمكن أن يرب . وحول عيبيه إلى الذئب . كان يعلم من طباعه وعاداً ما يكفي لأن يقدر مدى قوة حواسه ، فلم يكن من اليسير أن ي طرح جوار ماله من عضلاته ، وأرسال أنفه إلى الهواء وأرهاق سمعه . لم يتحرك الذئب من مكانه ، وإنما بقي على تصلب رقبته وكأبدا قد تحول إلى صنم من حجارة . واستمر الرجل بدوره ينتظر بصبر ما سيفعله الذئب . وطال الانتظار دقائق ، ثم راحت عضلات الحيوان ، وعاد سيرته الأولى .

طرح الرجل ، ساوئة جواباً ، فلعل الذئب قد اشتد رائحة عدو من مسافة بعيدة ، فانتبه حواسه ، ولم يقترح إلا بعد أن انصرف العدو . وعادوه

التشكير في أن يوقظ المرأة، والعلاقة ليبدأ الجميع في الإعداد للرحيل دخل إلى حيمة العلاقة أولا لتقابلتي العيانتان مستعمتين . لاحظ الرجل ان العلاقة يذهب على هراوته بيده . فكانه لم يترك هذه المادة في اية لحظة من حياتها . اشار إليه الرجل متمتعا كمادته بأصوات غير مقبوضة ، لكن المعنى كان واضحا . وقام العلاقة بتناقض ، ليخرج الإنسان من الحيمة

ويبدو أن الحركة أيقظت المرأة ، إذ رأها الإنسان واقعة في الفرا . تنظرهما . وبأشارات من الرجل بدأ الجميع في العمل ، أول الرجل هنايت الأول إلى البار حتى اعطى إلى أن المرأة قد همت دورها تماما ، ثم انصرف يجمع الأشياء ليضعها في الخرجين بمثابة قاذفة . ولما فرغ أحكم إغلاق كل خرج داسير الجلدي . واول العلاقة أحدهما وحل الأمر ، ولم يند على العلاقة أي اهتمام سير الأمور ، فهو يؤدي ما يطلبه منه الرجل دون أي اعتراض أو استعظام ، بعد علم أن الرجل يجمع للرحيل ، لكنه لم يحاول أن يتساءل عن السبب . لعله تعجب في قرارة نفسه خاصة وأن القنءاء وفهم ، وقد بدأ الجو في الاعتدال . ومع هذا فقد استمر يؤدي ما يطلب منه دون أن يبدو على وجهه أية علامة تنبئ عن تعجبه .

سار الركب العجيب ، امرأة تحمل إناث من فخار به نار موقدة تغذيها بين الحين والآخر بتقطع صغيرة من أشناب حلتها في حرج صغير معها . وعملق يحمل خرما ضخما ، وهراوة ضخمة ، يشوه بحملها رجلا ، ومع هذا فقد كان يسير كأنما هو لا يشعر بثقل حمله . ورجل كامل الرجولة يحمل بدوره خرجا ضخما ، ويتمطق بنوع حصاد من ثياب الفراء ، ويمسك بحربة خشبية قد ديب طرفها إلى أقصى حد . ولج جوار كل هؤلاء ينطربض ضمير قلق في سيره ويلتفت يمينه وبصرة ، ثم يرفع أذنه في الهواء يلتفت الروائح من التفسير ليلقي بعدها عواء طويلا موحشا .

رأى الرجل السير بحيث يكون في المقدمة تليه المرأة ، ثم للعلاقة ، في حين ترك الدب يجرى على هواء . واتجه في سوره إلى حيث رأى الطيور المهاجرة تظهر ولم يغير اتجاهه إلا بين الحين والآخر حينما كان يرى صربا آخر ، فكان يعدل قليلا ليتبع الطريق الذي أتت منه . لاحظ في سوره أن الشمس كانت دائما

على يساره عند الصباح لتكون شبه عمودية عليه عندما ينتصف النهار ، ثم تميل  
بميلة عند الغروب ، مراح يوفق بين سير الطيور وما لاحظته . ولم يدرك الرجل أنه  
قد أرسى أول قواعد الملاحة . كانت هجرة الجحافات قبل هذا هروبا إجباريا ،  
أو اتغالا عشوائيا ، بحثا عن منطقة جديدة ، أو أماكن ثمار وفيرة . لم  
يكن الرجل الأول ليهتم بالاتجاه الذي يأخذه طالما وجد تغذية ، ولهذا فلم ينصرف  
تفكيره إلى السماء يتخذ من مصابيحها هديا في رحلته ، وإنما أحصر نظره  
إلى الأرض ، وما تنحويه من غذاء ، أو تملأ به من سدوان .

توالت الأيام والركب سار في طريقه يحترق الغاية ، ولم تحدث في الأيام  
الأولى حوادث تذكر ، فلم يكونوا يتوقفون سوى لتناول الطعام ، أو لقضاء  
حاجة ، أو عند النوم ، أو لمنع الأخشاب لتغذية الديران . لم يكونوا في حاجة ،  
إلى الصيد ، إذ أن كيات اللحم التي حملوها كانت كافية لإشباعهم ، كما أن الحيوانات  
المؤنسة لم تعرض طريقهم ، ربما لأن منظر الركب كان مرعبا ، المملاق بهرارته  
الضخمة ، والرجل برعته الطويل ، والذئب بوحشيته وثراسته الهادية ،  
ورما كانت رائحة النار بمعدنها تبعث رعبا قوسوش .

كان التحمر محسوسا في الجو كلما أدخلوا في السير ، من ناحية كان سيرهم  
صوب الجنوب ، والجرا الذي . ومن ناحية أخرى كان الشتاء قد ولى تماما ودخل  
الربيع . بدأت علامات التغير تظهر بوضوح تام في البصرة المتناثرة ، وانقطاع  
مقوط الجبال ، وبهذه ذوبانها على الأرض حتى تكونت هنا وهناك قمات  
مائية صغيرة ، وصارت الأرض طيبة في أماكن كثيرة . أضحى من الصبر عليهم  
أن يجدوا مكانا جافا ينامون عليه فاستطروا إلى اقتراش الجلود ، وتذرت  
الأخشاب الجافة التي تصلح غذاء للبار .

وبالرغم من هذه المضايقات الديدة فإن الخلع كان سعيدا . فالرجل سعيد  
إذ لاحظ تغير الجو كلما مضى في السير ، ولأنه يعلم أن كل يوم يمضي  
يقربه من هدفه . والمرأة سعيدة بجوار رجلها ، ولأنه أضحى لا يضيح صعبا  
وراء الغذاء تاركا إياها تمها للوساوس والحوف . والمملاق سعيد إذ كان  
غذاؤه متوفرا ، كما استمرت زمالة الرجل الذي أولاه حبه . كان الجميع سعداء .

بعد الدّنب ، لاحظ الرجل أنه كان دائم القلق ، يتعسس الروائح في الجو ، تنعت قلعا في كل اتجاه ، وكثيرا ما كان يسهر الليل ليرسل بين الغنية والآخرى غيرة ضويلا وحشا ، فيه إثبات وجود ، وفيه تمجد . حاول الرجل أكثر من مرة أن يعرف سبب ما يعترى رفيقه . وأجهد ناخريه بحثا بين الأشجار ، لكنه استطاع أن يرى شيئا ، تحسست أنفه الروائح فلم يشم سوى روائح قديمة طبيعية . في كل مرة كان يطرح عنه الهواجس ، ويقتفى بأن يربط على سبب الدّنب في محاولة لتمذنته دون جدوى .

وبلا سابق انذار وقعت الكارثة . كان الوقت حوالى الظهيرة ، وكاوا عيون مدمعة حالية تماما من الأشجار ، ويمدوا أن حلوها من الشجر أعطى كس مرة أكثر لتدبيب الجليد ، فسكات الأرض طينية رطبة . فجأة زلت قدم المرأة ، فأسكتها على وجهها ، وطان وعاء الدّرب من يديها . وتأثرت حديدته . وبدت من هم المرأة صرخة أوقعت تقدم الرجل وبطيرة واحدة حوى الحمامة التي لحقتهم . تبعثرت الأحشاش الصغيرة المحترقة على الأرض لصبة المثلثة ، وعث حاول الرجل أن يجد قطعة واحدة يستطيع أن يستعملها في سرعة إشعال نار حديده فقد إلتفت جميع القطع بلا استثناء ، كما احتوى العين حسب فاصحت بلا فائدة . وفي اللحظة التالية هرف الرجل أن الصبارة لم تقف صدمتها الحد ، حد فهدم النار ، سمع صرخة مكتومة أخرى من المرأة حينما حررت الثوب من إذا أن كاحها الأيمن قد إلتوى تحت أناء إنزلاها . في لحظة حده حرمت الجماعة من الدار وما تضمنيه من حماية ، وأمن ، ودفع ، وهور فاحصى أحد أفرادها عاجرا لا يستطيع مواصلة السير بمفرده دون معونة . وفب الرجل ينظر إلى المرأة بحق غير معقول . كان يعلم أهمية النار حسية إليهم ، كما يعلم أنه لن يستطيع في هذا الجو الرطب أن يثر على أخشاب صلبة لكي يتمكن من إيقاد نار أخرى ، وحتى إن وجد الأخشاب فلن يجد في لشجر الجافة التي تنقطع النيران بسرعة .

لست المرأة في الأرض تنظر إلى الرجل بخوف قاتل ووجاه . وفي كل هذا رغب العملاق مكانه كأيما الأمر لا يعنيه ، أو كأنه ينتظر أن يستأذن أركب



صيره كما كان قديما . ولعل الرجل كان قد سمع من حنيفة أن يضرب المرأة . أو لعله قد خطر في باله أن يتوكل عليها للوحوش لولا أنه قد اضطرب أن يحول تمسكه ، وناعريه عن وراء النخيل ليرقب تصرفات الذئب .

بدأ الذئب كدما قد ألم به من . كان يجري في كل اتجاه وهو يزجر متحمدا . انفتحت الرجل إلى الأشجار ، وفي هذه المرة رأى السبب في أصحاب رفيقه من لؤثة . بلا صوت ، وكأما باقعاتي سابق ، ظهرت عشرات للذئاب من وراء الأشجار ، وتقدمت في تودة الواثق نحو الجماعة . ألقى الرجل حمله على الأرض ، وثقلت حواليه . وفي اللحظة التالية علم مدى الخطر الذي يحيط بهم . من كل جانب ، ومن كل اتجاه كانت الذئاب تتقدم وقد أحاطت بهم تماما ، تحول بينهم وبين الحرب ، أو حتى الاحتيا . خلف بعض الأشجار . صرخت المرأة في رعب . وثقلت العملاق حوله كأيما قد أطلق لثوره من نوم عميق . ثم ألقى حمله على الأرض ، وقبض على هراوته بيديه كليهما ووقف متحمدا . وكأما كان القتال عمله الوحيد ، زالت من عيذه نظرة السأم والبلاهة التي كانت دائما مرتسمة عليهما لتحل محلها نظرة حبيثة فيها وحشية ، وفيها تحفز ، ول لعل فيها السرور لقتال غير متكافئ .

كانت عينا الرجل قد ألقت في لحظات الموقف الموق الذي انتهى وجماعته إليه . وبدأ عقله يعمل بسرعة تفوق سرعة البرق . رأى أنهم في موقفهم هذا لا أمل لهم مطلقا في النجاة أو في قتال الذئاب . قد يقتلوا بسعة ذئاب ، لكن ، دون حماية الأشجار ، لن يمكنوا أكثر من برهة يسيرة . كان عليهم يهاجموا أقرب الذئاب إلى الأشجار ليحاولوا احتراق العصار قبل أن يطبق عليهم باقي القطيع ، ثم ليحتموا في العابة بعد ذلك . وهناك لعل الأمل في نجاتهم أو نجاة بعضهم يكون أكثر . لكن كان دون خطئته عائق كبير ، هو هجر المرأة عن السير ، بل العدو . لم يدر في حله أن يتركها مع أنه كان يعلم أن فرصته في النجاة تكون أكبر كثيرا لو فعل . واستقر رأيه على أن يحملها على كتفه . كان التمكيد بالنسبة إليه ضروريا للحمل والتنفيذ . مديده إلى المرأة ولصتها تمسكت . لقد أدركت ، كما أدرك ، أن فرصته في النجاة على قدر صا لها سوف تهبط إلى النصف

أو احتسبها معه ، وأنه على العكس لو تركها فربما أُلْهِى ذلك بعض الذئاب على متابعتها فزيد العرصة ، فأبت أن تطيعه كيلا تكون عبئا لإصافيا عليه .

لم يكن لدى الرجل وقت ليصيهه ، فأشار إلى العملاق أن يحمل الخرجين ، واعتزها من الأرض لارتعا ليلقي بها على كتفه . انظر إليه العملاق في دهشة ، كيف يمكن أن يأمره بحمل الخرجين الثقيلين وهو مقدم على قتال يحتاج فيه إلى كل قوته ، وكل سهولة الحركة . لكنه كان قد اعتاد أن بطيع الرجل طاعة عمياء . على الرغم من عدم اقتناعه . تناول أحد الخرجين وألقاه وراء ظهره وأمسك الثاني في يده دون أن يدع هراوته المخبوءة ، ووقف ينظر بحمليه منتظرا زوامر صديقه .

لم يأخذ هذا أكثر من دقيقة ، لكن حينما ابتدأ الرجل يتعدى ما استقر رأيه عليه ، توقف متحسبا لما يرى . ويسمع . كان الذئب قد انفصل عنهم ، وتقدم إلى وسط المسافة التي تفصلهم عن القطيع ، وأرسل عواء موحشا عاليا أتبعه بهجرات محمد ، وهو يحول بإطاريه في أبناء جلده .

توقفت الذئاب عن التقدم ، والحطت لم يحدث شيء . ثم انفصل عن القطيع ذئب أشعث ضخم ، رفع عقيرته بالعواء أتبعه بهجرات محمد وأصاحبه . وبسرعة لم يمدفع الذئبان يلتقيان في قتال الموت . دون أي مجهود بدأ الثلاثة يطيا صهيل الذئب . لقد أرسل محمد إلى زعيم القطيع في قتال على الزعامة . قتال من ينتهي إلا بموت أحدهما . كان في استطاعته أن يتجوز بجلده ، فلم تكن الذئاب تتفقه . بل لعله كان في استطاعته أن يشترك في اللعبة ويهاجم أصحابه . لكنه لم يفعل ، وآثر القتال وهو يعلم أنه لا يخرج له منه إلا الانتصار على غريمه ، أو الموت .

الذئب حيوان شرس ، يحب القتال بطبيعته ، إذا قاتل فإن قتاله يتسم بتوحشية التي لا رحمة فيها ، ولا هو ينتظر الرحمة من غريمه . لهذا كان القتال بينه وبين وحشياوة ويأمنذ المعضة التي بدأ فيها . كان زعيم القطيع صهوا هائل الحجم عرق في حجمه ووزنه رفيق الحافة . لكن الأخير ، كان أحب حركة ، وأجبت في التنسكير . لمن عشرته الطويلة للسان قد اكتسبته فعلا كبح قليلا من إندفاع وحشيته الطبيعية ، أو لعل قتاله عشرات المرات إلى جوار رفيقه قد منعه مرارا

على أى حال فقد كان من الواضح منذ الوهلة الأولى أن ذعيم القطيع كان يتمتع  
كافية على قوته البدنية التفرق ، وجسمه المصنم ، فى حين كان الذئب يحاول  
ألا يقف أمامه موقف البند المد . كان كلما اصطدمه الموقف إلى ذلك تخلص منه  
بوسيلة أو بأخرى ، وببقاءه الحصان قليلا ليلتقطا أحدهما وهما بدوران  
حول بعضيهما ، كل يحاول أن يفتر فرصة من عريته لينقض عليه ، ويبدأ القتل  
على أشده ما يكون مرة أخرى . قتال لإرحمة فيه ولا هوادة تستعمل فيه إلا ياب ،  
والخالب ، وتسميل فيه الدماء جهرا قابله .

راح لآدميوس الثلاثة يرقعون القتال ، ويرفهم أحاسيس شق . كانت المراء  
مارات مطروحة هي كتب الرجل ، وكأما هي ريشة لا يشعر بحملها ، ثبت  
رقبتها وراحات تنظر مهددة إلى القتال بلوحى أسائر وقد امتلأ قلبها رعبا .  
ولم يطرح الأعمال حمله الثقيلين . لكنه وقف بدوره ينظر بلادة إلى اللذين ،  
وكأنه لا يهتم من القتال أسائر إلا مجرد الاستمتاع بمشاهدته . كان عقل الرجل  
يعمل دون هوادة إلى الذئب الذى لا بد أن تنتهى فيه حياة أحد الفريقين ، فكل  
رفيقه هو الفائز فلن يحتاج إلى مساعدة ، أما إذا درت أدائرة عييه فسوف  
يكون فى نهايته لم يهتم هم أيضا وإن يكون هناك أيهما مجال للمساعدة وإذا فلا فائدة  
التفكير فى الذئب الآن ، وعليه أن يدرك نفسه ، والإثنين الذين معه لو أمكنه فقط  
أن يستعمل الموقف الحاد المتجه لتجسدين مركزهم ولو قليلا لكان هذا أوفى .  
إنتقلت عيناه تنفذ من قطع الذئب . كانت جميعا تنظر إلى القتال  
الدائر مستطرة النتيجة . إذا كان عييه أن يتحرك ، فيزعم أن يكون الآن قبل  
أن ينتهى القتال وتنتبه لم يهتم الذئب كان عليه أن يتحرك صريحا . لكن فى أى اتجاه ؟  
كانت المسألة بينهم وبين أقرب الذئب تربى على ثلاثين مترا ، فى حين لم يكن  
المتقاتلان بعدان بأكثر من عشرة أمتار . وقرر أن يكون اتجاهه أولا بعيدا  
عن المتقاتلين حتى لا يلتفت نظر الذئب الأخرى إليه ، وسوى لانتظر الذئب  
أبه يقدم لمساعدة رفيقه فلو حطرت فى بانها هذا لكان فيه القصاص المحتم السريع  
عليه ، وعلى رفيقه .

احتار أقرب الذئب فى الاتجاه الذى حددته ، بعيدا عن المتقاتلين . وتحرك  
خطوات . وفى الحال بدأت من الذئب المواجهة له زمجرة . لاحظ أنها كشرت

هي أنيابها مستعدة للهجوم ، ومماست تماماً القتال الدائر . وتوقف الرجل في الحركة . كان يظن أن الذئاب قد نسيتهن مؤقتاً ، لكن يبدو أنه كان واحداً . شرد إلى العملاق أن يتقدم خطوات ، وحينما علا صوت الزمجرات مرة أخرى وقف العملاق . كانت الذئاب قلقة ، ولم يوقفها عن الهجوم إلا أنها تعمل كجماعة ، وهي تنظر أحر زعيمها المقبل ، أيا كان ، وثقتها في أن الفرائس لم تفلت من براثنها . لكن أية حركة ، أو أية حشية من صياغ غذائها سوف تدفعها حتماً إلى الهجوم . تصنع الرجل عدم الاستكثار ، وحول نظره من الوحوش الخائفة إلى الذئبين المتقاعلين .

لم تكن قد مضت أكثر من خمس دقائق على بداية الصراع ، ومع هذا فقد كان من الجلي أن الذئبين قد استعدوا قدرأ كبيراً من طاقتها ، كانت ادماء مختلطة بلطين قد كست هرايبها ، وكانت حركاتها أبطأ ، وأكثر حذراً ، وإن لم تكن نفس وحشية وشراسة ، كما يبدو ان حول بعضها في دائرة ضيقة وقد كثرنا عن أنيابها . ولاحظ الرجل أن رفيقه به عرج خفيف ، وأصابه إكتئاب شديد ان معنى هذا أن أنياب الذئب الزعيم قد نالت من إحدى أرجل رفيقه ، وأنه بالتالي قد فقد إحدى ميزاته ، وهي الحركة . كان يبدو الناظر أن المعركة تكاد أن تكون في حكم المدهنية ، بل أن الذئب نفسه أدرك هذا فشكل يتعاشى هجمات لأحر دون أن يباده هجمة بأخرى . كان أقرب إلى الدفاع عن نفسه ، يحاول أن يبعد مخالف غريمه وأنيابه عن جسده .

وقبالة قفز زعيم الذئاب في الهواء قفزة قوية حملته المسافة الصغيرة التي تحصله عن غريمه . ارتطم الجسدان ببعضهما ، وفي اللحظة التالية كان جسد رفيق الرجل ملقى على الأرض ، وقد أغرست الأنياب الحادة في جانب رقبته . صرحت المرافة رهيباً ، وأشاحت بوجهها عن المعركة ، وقد ظنت أن الذئب قد قضى عليه . لكن لم بعد وقت طويل حتى كان الذئب قد برهن على أن القتال لم يكن قد انتهى . تحركت قدماء الأماميتين لتشق المحالب طريقتها في وجه غريمه ، وصادقت أحدها عيناه فأمالتها . وصرخ الذئب الزعيم وتراجع مذعوراً مثلاً . وبسرعة البرق كان غريمه قد اعتدل مهاجماً بلا هوادة وأورحة ومنذ هذه اللحظة انقلب سير القتال تماماً وأصبح الذئب الزعيم تحت رحمة غريمه

يحاول أن يخلص منه دون جدوى فحينما يتجه كانت تقاليد الخالب الحادة تقطع في قرانه لتصل إلى جسده تمزقه ،

ثم كانت النهاية المحتمة السريعة . في محاولة لتفادي ضربات غريمه زلت قدم الذئب المعجوز ففقد توازنه العظمت . وقبل أن يتمالك نفسه كانت لأبياب الحادة قد امرست تماماً في رقبته . وهنا حاول أن يتخلص منها ، وعيشاً حاول أن يمرى جسده غريمه بمخالبه ، فلم يفلح أكثر من أن يسبب بعض الجراح التي لا قيمة لها ، في حين استمر المكان القويان مطلقين على الرقبة وهما يدفعان الجسم المشنق بالجراح . وأخيراً انفصلت القصبة الهوائية ، وسكن الجسد الضخم هدوءاً لا حراك له . تراجع الذئب والدماء تسيل من كل جرح فيه وأطلق زمره مواجهها بها الفطيع ، لقد انصر على الإهيم ، وحقت له الزخامة قبل ذلك متعدد آخر ؟

لاحظ الرجل أن ذئباً يبدو عليه الشراسة أكثر من الباقيين بدأ عليه الضرب وهو يحاول أن يستقر على رأى . كان على يقين من أن رقيقه ليس في حالة تمكنه من منازلة ذئب آخر ، فاشتدت قبضته على الرمح استعداداً ، لكن الذئاب كانت جائعة تنتظر فرانسها بفارغ الصبر أما وقد انتهت معركة الرعامة ، فليتوجه إلى امر الجديد إلى الفرائس . لم تتمالك بعض الذئاب بعضها فاندفعت إلى جثة زئيب الأسبق تعرقها وتلثم ما تستطيع ، في حين أطبق الباقيون على الأديميين الثلاثة متدفقين في سرعة رهيبية .

بالرغم مما كان يمايه الذئب فإن حركته كانت سريعة إلى حد مذهل . في لمح البصر اضعى بقف أمام قطيع الذئاب مزججراً متعدياً حائلاً دونهم والحيطة وترددت الذئاب مكشوفة أنيابها في حين استمرت الفتنة المهاجمة من الخلف و هجومها . وبحركة سريعة التي الصلاقي حمله على الأرض ، وطوح مراونه في الهواء فأطاح برأس أحد الذئاب المهاجمة . وصرخ الذئب صرخة الملم تكتمل . والتوى على عتب ليسقط على الأرض وقد تهشمت جمجمته . وأثقل به بعض الذئاب على حث تلثمها بينما استمر الباقيون في هجومهم . لكن البراوة الضخمة لم تكن تسبب مجالا عند أحدها للاقتراب من الرجل والمرأة .

لم يطل تردد الفتنة المقاتلة طويلا إذ قهر الدئب الذى كان يريد التحدى للزعامة وقطع المسافة القصيرة فى ثوانى معدودة وحارب فى الهواء قاصد رقبة الرجل . ولم تكتمل القهرة إذ التقى بحربه طويلا فى صدره الفتنة على الارض مضرجا بدمايته . وهى اللحظة التالية كانت مجموعة من أحمراته تلتمهه ومارالت فيه بمية من الحياة . ووضع الرجل المرأة على الارض ثم تناول اللحم من أحد الخرجين وألقى به الى باقى الدئب المهاجمة . وتوقف للوجوم لتتقاتل الدئاب فيما بينها على اللحم الطرى . وبأسرع مايسمح تناول باقى اللحم من العرج الثانى ليلقى الى الدئاب التى كان بعضهم مار لديها العملاق بالرغم من العقاب الشديد الذى كانت تنزله الهراوة بكل من اقترب . وصرحت امرأة . والتمت الرجل ليرى أن أحد الدئاب قد طرحتها أرضا وفى حين كانت حاله تعمل فى الغراء الذى تتدثر به كان يحاول بانيا به أن يقسم رقبتها وهى تعمل جاهده على إبعاد الوجه الشرس بيديه الضعيفتين . وأنس الضجر الحاد ليهدئ على الدئب الغايح بضربتين متتاليتين . وصرح الدئب وارتد إلى الوراء ليكون رية سهلة لباقى الدئاب .

توقف الوجوم على إحاطة لحظات كانت الدئاب تتقاتل فيما على العرائس المتعددة . والتمت الرجل إلى العملاق قرأه مازال واقفا وهو قاص على الهراوة والدماء تنرف من أكثر من موضع فى جسده . بسرعة اشار اليه إلى ناحية التى يريد أن يتجه إليها . ومد يده لينقطع المرأة من الارض ويلقيها على كنفه . جرى العملاق أمامه بلوح بهراوته مهدداً فى حين وقف الدئب يحمى الانحجاب ولم تحاول بقية الدئاب قطع طريقهم فى هذا المرة . لا ذنباً واحداً لقي جراحه السريع من هراوة العملاق وراح بدوره لقمة سائمة لباقى افراد القطيع .

لو ان احداً كان يقف من المساحة موقف المنفرح لرأى منظرا داميا غريبا . بمحطات متعددة من الدئاب تتشاجن مع بعضها على جثث افراد منها وبعض اللحم العلقى ، وقد اكتست جميعها بدرجة أو أخرى بخليط من الطين ، والدماء ، وعلاق صمغ تسيل منه الدماء يجرى مطوحا بهراوته فى الهواء كأنها به من ، ويجا به رجل صمغ يحمل امرأة على كنفه ، ويحمل حنجراً مارا يقطر منه الدماء ويأبى فى المؤخرة دئب وجيد انحنى الجراح يعدو وهو يهرج . ولم

يتوقع الأمر عند هذا وإنما كانت هنا لك أيضاً ذئمة، تعود إلى جانب الذئب وكما زعم الأحرار، توقفت قليلاً لتدعه حيثما ينسأها ويتعده.

أحراراً وصلت الجماعة إلى حمية الأشجار. ولم يتوقف العملاق وإنما استمر حتى عدوه يليه الرجل حاملاً المرأة. وتوغلوا في الغابة. ومضت الدقائق تنوأل إلى سرعان حتى أحس الرجل أن صدره ينفجر، وأن ثقل المرأة على كتفه قد تصاعف مرات، ولم تعد قدماه تستطيع حمل جسده، فأصدر صوتاً رقيقاً له العملاق، ثم التقى جذع شجرة ضخمة ليصبح المرأة إلى جوارده ويرتفع بدوره على الأرض لاهثاً بالنقطة أمامه بصممة. وبقيت العملاق راحه ينظر إلى رفيقه، ثم جلس على الأرض وراح صدره الضخم يعالو ويهبط بانتظام.

كانت العادة حولهم صامتة سكوناً لا صوت فيها إلا حفيف أرياح الخفيف يداعب فيه الأشجار إليه، ودهش أصوات الطيور المفردة أطلتها فرجة مرحة لكن ثلاثة كواكب في ساحة يرش لها من السماء. هارئة كانت كأبداً قد أصيبت بالذهول، فهي قائمة لا تدرى ما تفعل، وقد تمزق الأمراء حول صدرها، وقاطعت بالطين وبالدماء التي تنرف من كتفها، ومع ذلك فقد كانت تنهض بانتظام ويسر وهي تجبل بطرها في اتجاه الغابة لتلتقط أية حركة قد تهددهم.

كانت حالة العملاق هي أسوأ الثلاثة. فبالرغم من قوته المرفلية، وقدرته الخارقة على الاحتياك إلا أن الحزوح التي أصابته من محالبات الذئاب كان بهصا غائراً تنرف منه الدماء كما أن العدو السريع الذي أعقبه العدو كثر زاد من حالته سوءاً. لم تصدر منه أية ألم، ولم يبد عليه أى أنواع التعبد، ولو أن الرجل سلب منه أن يبدأ العدو ثانية لفضل، لكن الواقع أن رأسه كان يدور، وأنه كان يرى دوائر حمراء أمام عينيه تعجب عنه الرقيا بالسكامل.

بالرغم من أن صدر الرجل كان يكاد أن ينفجر، وكان ما يزال يعالو ويهبط بشدة كما أصابه دوار إلا أنه أحسن الثلاثة حالاً. فلم يكن قد أصابته جروح. كانت آلامه سطحية جميعها لا تتعدى الأرهاق الشديد، ولهذا فلم يهض وقت طويل حتى كان قد استعاد قوته، ورجع إلى حاله الطبيعية، وبجرد أن أطاق كانت عيناه قد التتا بكل ما حوله، وكان عقله يعمل ويرى الموقف بدقة. لاحظ حال العملاق، فاعترفت يده في العنق حوله، واتجه إليه ليضعه على الجراح الفائرة

التي كانت تنوف . وانظر إليه العملاق فأشار عليه بالاحتراك وجره من كتفه  
يسنده إلى جذع الشجرة إلى جوار المرأة . وفي لحظات كان قد استسلم للنوم  
وهو مازال قابضاً على هراوته . وتبين له أن الذئب لم يكن له أثر ، لكن  
تفكيره فيه لم يطل إذ علم أنه وقد أصبح زعيماً لطبع من الذئاب أصبحت عليه  
مستوليات يجب أن يواجهها ، على الأقل إلى حين . وربما تعتمد الذئاب البقاء  
مع القطيع ليعتمد به عن رفيقه وصحبه .

دارت عينا الرجل في أرجاء العابة ، ثم تطلع إلى السماء . كانت الشمس  
ما تزال عالية في الظهيرة . ولو أن الرجل كان يعلم لأدركه أن جميع ما حدث منذ  
زات قدما المرأة حتى هذه اللحظة لم يرد كثيراً عن الساعة . أسرع  
ينتقى بعض الأفرع الساقطة ليغرسها حول رفيقه والعملاق ، وقد اتخذ من  
جذع الشجرة جداراً يدور حوله بالأفرع الطويلة . كان قد علم بناءً على هذا  
المأوى المؤقت سابقاً فكان يعمل بسرعة واتقان . لم يكن يهتم بالراحة قدر اهتمامه  
بأن يوفر أقصى قدر من الأمان للثنتين العاجزين ، في أسرع وقت مستطاع قبل  
أن يحين الليل . لهذا قام بول السقف تفكيره ، ولا هواهم بأن يحمل السياج  
مترابطاً بحيث لا تتخلله رياح الليل الباردة ، وإنما راح ينتقى من الأفرع  
أقواها ثم يقوم باستعمال خنجره ليحفر عميقة في الأرض يغرسها فيها .  
ولم يكد الظلام يحمل حتى كان قد أتم سياجاً كاملاً دوراً من هذا ، حتى ولا فرجة  
للبواب .

لم يتوقف الرجل عن العمل حتى بعد أن حل الظلام . على ضوء القمر ، جلس  
على الأرض مستنداً إلى الحاجز الذي بناه ، ومضى يصنع بخنجره حراباً مختلفة ،  
ناول بعضها إلى المرأة . ولا هو توقف بعد أن صنع خمساً أو ستاً منها ، وإنما  
بدأ في بطء عمل الشرائط التي تتحلل السياج بأفرع لم يمتد تماماً بأن تكون في  
قوة ومثانة سابقة ، ولا حتى في طولها كان كل ما يجهه هو أن يصنع ساتراً يحصن  
رفيقه ، والعملاق من تيارات الهواء البارد . أخيراً ، وقد مضى من الليل أكثره  
أسلم هيناً أسباب عमित . ومع هذا فقد كانت جميع احساساته مرهقة لثناطة  
أية حركة قد تهدده وصحبه بالخطر .

مع بزوغ الشمس استيقظ الرجل . شعر بأن كل عضلاته قد توفقت من



الحركة . لكن هذا الشعور لم يدم طويلا . سرعان ما ذهب من إصطحابه لينظر من حلال فرجة عالية إلى العاجزة والمرضى . كانا معا يزالان نائمين وإن كان يبدو على العملاق القلق أثناء نومه . رأى الرجل أن المشجوب قد علا الوجه القبيح ، لأول مرة بدت عليه بعض آثار الضعف من كثرة الارهاق وما انرف من دماء لكن الرجل كان قد اطمأن مؤقتا ، وكان عليه ان يولى عنايته مائة . أخرى لا محتمل البطء . لم يكن من شك في أن هذا المسكين سوف يصبح ، أو اهم المؤقت لغيره من الرض قد تطول ، أو تقصر تبعاً للسرعة التي يتمكن بها العملاق من استرداد قوته ، ولهذا فقد كان على الرجل أن يجعل المسكين مريحا قدر استطاعته كما أن عليه أن يجد الغذاء له وللعاجزة ، وأخيرا ، فإن استطاع أن يمشي على قاعدتين من الخشب النحيف يمكنه من أن يصنع نارا فإن الوقت الذي سوف ينفقونه في المأوى المؤقت لن يكون قد ضاع هباء .

بدأ بأهم الأشياء الثلاثة ، الغذاء . كانت قد وصلت على الجاعة أربع وعشرون ساعة دون أن يتذوقوا قطعة لحم أو أى شيء آخر ، ولم يكن لدى من يوما عاديا ، بل كائن مرهقا من جميع الوجوه بما ضاعف من احتياجهم للغذاء . أصدر صوتا اسقيظت له المرأة فأشار إليها بأنه سوف يذهب للبحث عن الغذاء ، وأن عليها ألا تتحرك من مكانها حتى يعود . وكأنما أراد القدر أن يهادن الجاعة بعد أن أفقدها بضربة واحدة الأمن ، والغذاء فصلا عن إصابة الاثنين واحتواء الداء ، فإن الرجل ما كاد أن يتبعد قليلا حتى صادفه وعن صغير شارد . بضربة واحدة من إحدى الرماح التي يحملها سقط الحيوان مضرجا بدماؤه ، وفي اللحظة التالية كان الرجل فوقه يحجز عليه .

لم ينتظر بعد ذلك وإنما حمل الوعل حتى كسفه وسار عائدا إلى المأوى حيث بدأ في سلاح الجلد الثمين ، واقتطاع أطايب الجلطة لا يطعمها إلى المرأة والعملاق ثم أخذ لنفسه قطعة من اللحم فمضى ينوشها في لهم . تناوات المرأة قطعة أخرى ، وبدأت تأكل اسكن العملاق كان ما يزال نائما يهذى ، ومشأت جميع محاولات المرأة في إيقاظه ، فاحتفظت ببقى اللحم ، والأطاييب لوليمة أخرى . وشاهدت الرجل وهو يتعد ليعود بعد مدة حاملا كمية أخرى من الأفرع الطويلة يضعها على الأرض إلى جوار المأوى . وكرر العملية مرات حتى تجمع لديه كمية لا بأس بها ، ثم راح يرصها إلى جوار بعضها فوق سياج المأوى .

حاولت المرأة أكثر من مرة أن تنمض من مكانها ، لكن قدمها كانت مائتال  
تؤلمها ، فوقعت على الأرض يائسة . كان الرجل قد ارتزع بضعة أعصان من  
السياج ، وأبعدھا قليلا بحيث يمكن الولوح بصعوبة إلى داحل المأوى ، وراعى  
في ذلك اتجاه الرياح وأن تصل إلى القاطنين رائحة الراعدين دون أن تحمل لرياح  
رائحتهم ، ولما شاهد قنوط المرأة باولھا جلد الوعل مطالب ، يابھا أن تقطع منه  
سيورا رفيعة ، كما أراد بذلك أن يشمرھا بالمشاركة . لكن الجلد كان حارال  
طريا ، وبالرغم من أن المرأة أسدته إلى أحد الأفرع ، كما أن نفس الخنجر  
كان حادا إلا أن العملية كانت شاقة . وهبط عليهم الظلام ولم تسكن قد يطلب  
إلا جزءا صغيرا من الجلد .

كف الرجل عن العمل بعد أن اكتمل السقف ، وأصغى المأوى أشد طلقة  
من الخارج لا ينهره سوى بصيص ضئيل يصل من ضوء القمر خلال فرجات رفيعة  
متباعدة في السياج .

تناول الإنسان وجبة من لحم الوعل ، لكن العملاق استمر على حاله ،  
بل لها إزدادت صواء . ابتأته الحمى فراح يصيح صيحات الحرب ، ويهطوح  
ببراقته ، حتى اصطبأ الرجل أن ينتزعها منه بالقوة . وأخيرا أجهده  
الحرارة فاستلقى على الأرض مجهدا ، والعرق ينصب من جميع أجزاء جسده ،  
ولم يدرك الرجل كيف يستطيع أن يساعد العملاق ، فقد مضى عليه أكثر من  
سنة وثلاثين ساعة دون طعام أو شراب ، كما أن الأرض كانت رطبة ، والجلد  
الذى يندثر به قد تمزق حتى أصغى احتمالا لا تغنى . نزع الرجل رداءه . وبعد  
لاى استطاع أن يلبسه للعملاق ، ثم تدثر هو بما بقى من جلد الوعل .

نام ليلته نوما متقطعا قلعا ، يستمع إلى عواء الذئاب ، وصرخات الوحوش  
وطيور الليل . واستيقظ قبل أن يظهر نور الصباح على صوت قطرات المطر  
تتهمر لتضرب بشدة على السقف الخشبي . وتساقطت المياه على النائم . وكان  
أول تفكيره أن العملاق لن يتحمل البرد إذا ما استمر مطول الأمطار ،  
وسقوط المياه عليه . فهرع إلى الخارج ليلتقط بضعة أعواد من الخشب  
يسد بها ما أمكن من ثغرات في السقف ، ولم ينته إلا بعد أن تأكد

أن الجزء الذي ينال فيه العملاق قد امتنع سقوط المياه فيه تماما ، وخرجت الأرواح  
من المأوى تساهداً رجل ونفقه ما هرج حفيف ، وبدأ السياج يتن من ثقله وضع  
عليه من احشاش فتوقفت الاثنان عن العمل ، ودلفا إلى المأوى بحسب  
من الامطار .

كان نور الصباح قد انبج ، وعلى صوته رأى الرجل أن العملاق مستيقظ .  
وأنه ينظر إليه كأما يتدبر عما لم به ، وعن هجره عن مساعدته لا حسم  
شعق الرجل شبه لإنشامة قهاترسيت ، وأخرج حنجره ليقطع من اللحم ويعطى  
المريض ، لكنه أشج . حبه وركن رأسه إلى حنجر الحنجر وأغمض عينيه  
في حوس راح جسده يتفحص بشده . وخرج الرجل ما يسترحمه من ثقباً حبه  
الوعن ليضعه على الحسد المحرم . لكن دون جدوى .

داحله احساس عريب ، وعمل ثوانه فقط حشر على قطعة واحدة من الخشب  
الجاف إذا لامكه أن يحول المأوى لوط إلى دفة وأمن ولا يمكن طبع بعض  
الحدود في هذه ليتمها اعرى . لكن أتى له أن يجد الخشب الجاف . حشر  
في ياله أن يحسن بعض الاحشاش على الأقل من المطر المنهمر ، فخرج إلى الخارج  
وتناول أكثر الأفرع حفاطاً ودلف بها إلى الداخل ليضعها فوق بعضها في ركن  
من مأوى الرطب . وسهل الركن والمرأه افطارها بهذر . قطعة صغيرة من  
اللحم لكل منهم . ومكثا ينتظران أن تتوقف الامطار . ومن حوس الحيطان سقوط  
الامطار لم يمكث طويلا . وسطعت الشمس تلقى بأشعة الدافئة على العابة الرطبة  
ولم يتعمل الركن أخرج أكثر الاغصان حفاطاً من المأوى ، وأزال لحشاها  
الخارجي ليعر من اللحاء لأشعة الشمس ، ثم بدأ يعمل بفتح حنجره في الخشب الداخلي  
لاحظ أن الخشب من الداخل أقل رطوبة مما ظن فتعمق في حفره وتركه ممرصا  
بدوره لأشعة الشمس . ومرت ثمانية دخل إلى المأوى لينخرج غصنا آخر  
يعمل فيه مثل ما فعل لسابقة . ثم تناول هذه الأغصان رفيعة أزال لحاءها وأخذ  
يكسرها إلى قطع صغيرة وضعها جميعا تحت الأشعة .

ولجأ حمار في ياله شيء . أشار إلى المرأة بالدخول إلى المأوى ، وأعطاهما  
رمحاً وحذرها من الخروج ، ثم غرس بعض الاغصان ليعلق الباب تماما .

لا تحطى . راح يدور تجاه المسحة التي كانت مسرحاً لمركبة الدثاب .  
 حين يشق في هذه المرة أى حمل ، ولذلك قطع المسافة بسرعة دون أن يشعر  
 بمحس حتى باتت المسحة أمامه من خلال الأشجار . توقف عن العدو  
 صرعه على استعداد ، وراحت عيناه تجوسان خلال المنظر أمامه . كان  
 من هذه المسحات الخالية ، ويجارى المياه ، هي أحسن الأماكن التي  
 في الوحوش انتظاراً لعرائسها ، ولهذا صاعق من حذره قبل أن يتجرأ  
 يدها .

حالت عيناه في الأرض لثريا الحرجين ملفين على بعد لا يزيد عن عشرين  
 متراً . ومع هذا فلم يتجمل فقط حيناً رأى وعلا يسير على مهل في الناحية  
 الأخرى من المسحة ، سمح لنفسه أن يظهر . لكنه لم يتجمل عن حذره . جرى  
 صم ما يستطيع من سرعة لينقط الحرجين ، ويمسك على عقبه بالسرعة نفسها .  
 ونوى في هدوه بين الأشجار مدة يسيرة ولم يقف لينتظر أفعاله إلا بعد أن  
 تأكد من عدم وجود أى من وحوش العانة . كان قلبه ينبض من السعادة  
 فخر حان كما من الجلد ، ومعنى هذا يريد من أدب للرجل والعلاق والمرأة ،  
 وكان بهما بعض الأدوات ، حاسر خشبية ، وأوعية وغيرها ، ولم يكن يكذب  
 بطيب الصبر حتى يعود إلى المأوى ليعلم تماماً ما يحتويان ، لكنه أيضاً لم يكن  
 من العدة بحيث يعتقد أن في مكنته أن يجلس في العراء وحيداً يبحث ، وينقب  
 دون أن يمرض منه لاشد الاخطار .

وصل إلى المأوى ، وأزال الأعنان التي وضعا لتسد فجوة الباب ، ثم دلف  
 لتلفاء المرأة باسمة وقد مدت يدها ببعض جذور الشجر . وأبى الرجل في  
 حماسه ورغبته في التأكّد مما في الحرجين أن يتناول شيئاً . حانت منه التفاتة  
 إلى العملاق . ولم يكن في حاجة إلى نظرة ثانية ليعلم أن حالته قد ازدادت  
 سوءاً . بسرعة ، وضع الحرجين على الأرض ، وفتح الأول لتسدى من فيه صيحة  
 مرجح . كانت ببعض الألوان والأوعية ، سليمة لم تمسها المياه . وكان به بعض  
 الحناجر الخشبية جافة وقادراً الجلك من الرطوبة .

وبلغة فتح الخرج الثاني ليزداد فرحة حيناً وجد قطعاً صغيرة من الأحشاب

وقد علق ببعض أوراق الشجر الجافة . وقد أخذ العرجين ليضع عليه هذا  
الكثير اثنين ، وأخذ فراء الدب السمين ليضعه تحت العملاق المريض بقية به  
من رطوبة الأرض . ثم خرج من الخاوي ليمود ببعض الحباء الذي كان قد عرصه  
لأشعة الشمس ليجد أنه بدور قد جف أو كاد . واكتسبت لديه بذلك جميع  
المصاص التي يريدونها . ومنذ هذه اللحظة لم يتوقف عن العمل حتى أمكنت  
التي إن في أوراق الشجر العذبة تنتقل بها إلى الحباء ثم إلى الأحشاب الجافة  
في الوطاء .

واسمحات أحياء مرة ثانية من برد إلى دفء ، ومن رطوبة إلى جفافه ،  
ومن خوف إلى أمن ، ومن جوع إلى شبع ، ومن مرض إلى صحة ، ومن ظلام  
إلى نور ، ومن دحشية وبربرية إلى أم حطرات نحو المدنية .

—————

## عودة الذئب

ترافقت السنة النيران في المساوى جذلة مسرورة ، وحول العملاق رأسه  
 رجا ومضى ينظر كأما هو يدكر . والواقع أن عقله كان لا يفكر فعلا ،  
 ربما يتذكر . لقد درج في طعوانه ، وصباه ، وشبابه ، هل للخوف من النيران ،  
 وماهى الآن تصنع له ذلك الشراب الساخن ، الذى تقدمه له المرأة ليندفع من جوفه ،  
 وأوصاله ، ويرسل القوة في أنحاء جسمه . كانت المرأة قد طورت الحياء فوضعت  
 فيه إلى جانب جذور النباتات قطعاً من اللحم وتركت لماء يملئ حتى كادت  
 الجذور واللحم لا يبيضان في الماء ، فخرج عن هذا المزيج البسيط غذاء سهل لإقامه  
 له وهو مريض . لقد تغير الحال مرة ثانية منذ اندلاع النار . فبهاما الرجل  
 وامرأة يخرجان للصيد وقد تركاء منفردا يغذى النار دون خشية عليه من الوحوش  
 الخائفة مع أنه كان ما يزال من الضعف بحيث لا يستطيع الدفاع عن نفسه .

تذكر العملاق أن الرجل قد توسع في بناء المساوى بأن أكل حجرة خارجية  
 أخرى ليصل إلى شجرة ثانية كانت تبعد عن الأولى بأكثر من أربعة أمتار .  
 لقد ترك الحجرة الأولى كما هى ، واتخذ من أحد جوابها باباً للحجرة الثانية تصل  
 ما بين شجرتين واستعمل الطين ليسد جواب السياج ، وليضع متعين لجحوات السقف  
 حتى إذا ما هضمت الأمطار لم يسقط في المساوى إلا القليل من الماء . وتذكر أن  
 الرجل أصبح يسير دائماً وقد تدلى من وسطه جراب جلدى كبير إلى حد ما ،  
 يبدو أنه قد وضع فيه أدوات صحرية ، ولم يعلم العملاق أن الرجل قد تلقى درساً  
 من الحوادث الماضية فاستطاع صنع جراباً يضع فيه دائماً طعنتين جافتين من الخشب  
 إلى جانب بعض القحاء الجفاف ، وأخشاباً صغيرة أخرى ، هي أدوات النيران ،  
 حتى إذا ما وقعت كارثة أخرى . وما أكثر الكوارث في حياته ، أمكنه في ساعات  
 قلائل أن يوقد النار . لقد تعلم الرجل أن المياه هي العدو الأول للنار ،

وأن الشبب عذاقها ، فكان يحسن منه دائما جرأبا من أجل أحكم علاقه  
 (يحمي النار ، ويعلمها .

توالت الأيام دون حوادث غير مألوفة ، وفي كل يوم كانت صحة العملاق  
 في تحسن وضطرب . لقد تركت أثواب البدنات ومعالجتها على جسدته آثارها التي  
 لن يتعورها الزمن ، لكن هذا لم يكن يذو بال فكم سبى أن تركت الممارك  
 من أمثال تلك الكثير من التدوير ، وما كان الحمل إحسب ميزاته على أى الأحوال ،  
 كان قد استمداد الكثير من قوته التي أكتسبها الحى ، بل كان يستطيع أن يقتل  
 من مكان إلى آخر ، لكن الرجز كان يأمره دائما بملازمة المعجزة الداخلية  
 من المأوى ، ومراقبة الثيران حتى يعود والمرأة محالين بما يصادفهما من صيد ،  
 وبعد أن يأكل الجميع كان يسمح له بالفرص حرج المأوى . لكن الرجل  
 عندما كان دائما معه لا يتركه ، ولم يزدد حرج العملاق إلى هراوته بصوبة يطوحها  
 في الهواء ويتخيل أن عدواً أمامه يشتم بهارأسه ، وأنه يهبط بها في حيوان مفرس  
 يقصم ظهره . بدأت الحيوية تدب فيه . وكانت باللبسة إليه صنوا لاستعمال القوة .

عسى قرابة شهر كان قد استودع به قوته تماما . ولم يبق من آثار تلك  
 الممركة الرهيبة إلا الذكريات . وتغير السكون في هذه المدة غير اكتمالا فأصحت  
 العادة خصره حيلة ، ودت الحيرة في أرجائها ، وخرجت الأراذل ، وسائر  
 الصيوانات الصديرة من جهورها ، وسكائرت قطعان نوعول ، وتناثرت الجداول  
 الصغيرة في أماكن متفرقة تجري لكن تتجمع ، وتنتشر في أنهار صاخبة ، وفيها هذا  
 هذه الجداول بدأت الأرض تحف تحت أشعة الشمس

ودات يوم عاد الرجل والمرأة من الصيد ليجدا جثتين أرجالين عاروجتين  
 في الغراء وقد تهشمتا الجحمتان ، وتدل الآثار على أن الملح قد استخرج من كل  
 جمجمة ، وفقر قلب الرجل رجسا : خوفا على صديقه الذي يعتقد أنه لم يسدد كامل  
 قواه . صرح متناديا ومضيفا السمع في الغابة ، وما أم يسمح شيئا لاستدرا  
 هو والمرأة ليريا العملاق واقفا على باب المأوى مسكلا بهراوته الضخمة ، وهو  
 ينظر إليهما مستعمرا في برادة طفولية .

طغت على الرجز راحة بغسية فداقنى على الأرض بفتنير برى صفيح  
 كان يحمله ، وتقدم من العملاق ليمسك ذراعه في حركة لم يعرفها المتوحش من قبل .

ولم يطل شعور الرجل بالراحة إذ علم أن في هذه البقعة رجلاً آخرى ، وأنه  
أضيق لا مقدم فيه فيها بعد اليوم . سرعه أشار إلى رفيقه ، وأخذ يجمع  
أشياءهم في الخرجين . لقد قرر أنه لا عدل للميت في المأوى بعد اليوم ، وأهم  
كلها أسرهوا في الإبتعاد عنه ظناً كان ذلك أكثر أمناً من تبص ساعته حتى كان  
الرجل قد صالح الخنزير ، وأخذ لحمه ، وأطاييه كما كانت امرأته والملاق قد انتهيا  
من جمع باقي الأدوات التي يريدانها . بالإضافة إلى ملء حرج كل من الأحدث  
الصغيرة الحقة تيمناً لأمر الرجل ، وجبها انتهى كل شيء . كانت الشمس قد  
أرسلت على الغروب .

لم يقم الرجل اشارات رفيقه بالانتظار إلى الصباح التالي ، لكنه بدأ  
الرجل فوراً ، ولم يتوقف حين من الظلام مباشرة . وإنما أراد أن يغتفر  
عن المأوى . أخيراً أخط الجميع وحلهم ، وباتت امرأة بجهد وفقد تدثرت لتدأ ،  
وقاوت الرجل الخراسه ومذبة الخيل المتدله في الوعاء الكبير . كانت  
امرأته في أواخر شهرها السابع ، وورداد صاع . كانت تدثرت حركتها ، وأصبحت  
أقرب إلى التعب والبطء ، لكن الرجل لم يكن يمر ذلك التفان فقد كان اهتمامه  
بمنحصر في أن يصنع أكبر مسافة بينه وبين الرجل . الذين عروا وكرم .

فل بزوع الشمس كان الرجل قد أبطأ سرعه . والملاق وبعد تناول  
وجبه سرعه بدأ السير دائماً في الاتجاه نفسه . نحو الجنوب . لم يعد يحتاج  
إلى الطيور في مجراتها حتى ترشده ، وإنما لم يجد مسار الشمس له دليلاً ، وفي  
المساء ، حين نحن نوبته في الحراسة صار يربط السحوم والكواكب . كان يلاحظ  
مسار أكبرها بريقاً ، ويحدد لاشموري مكانه في السماء ، وفي نوبته التالية من  
الحراسة كان يحاول أن يكشف موقعه . ولم يكن يدري أنه بذلك قد وضع  
أسس علم الفلك .

مرت الأيام مراراً ، والرجل يسوق الجماعه ملاهراة . وبالرغم من التعب  
والآلام التي كانت تعذيبها لمرة في كل محاول ألا تكون عقبه في سيرهم ،  
أو أن يشعر الرجل بد قهاريه . لكن لم تمس عشرة أيام إلا وكان الاجهاد قد  
تأله . ولم استطع أن تكمل السير ، فسقطت على الأرض اعياء . توقفت



الرجل عن السير ، ونظر أولا إليها بنصب ، لكنه حينما رأى النظرة المستكنة في عينيها ، وكأنيما تنظر عن أعينها ، راب غصه فجأة كما جاء ، وانحنى عليها لينتقلها ببر ذراعيه . ويسير بها ناحيا من مكان يصح ماوى يعطيهم أكثر مما يمكن من أمن .

كانت طبيعة الغابة قد تغيرت خاصة في الأيام الأخيرة من سيرهم . لاحظ الرجل هذا التغير ، لكنه لم يهره لهما حقيقيا . كانت الأشجار تبدو أضخم ، وتباعثت المسافات بينها ، وهبطت أفرعها ، وأغصانها ، فلم تكن الساق ملساء لا أترفيها للأفرع . وتنوعت أشكالها ، وكثرت الثمر البرية التي صكتهم من الإقتصاد في اللحم المبقى معهم ، ولم تضطرم إلى الثوب الصيد وطلب الغذاء . تغيرت أيضا طبيعة الأرض فلم تكن طينية خشب ، أبدا ظهرت فيها قطع من الحجارة ، والحصى الصغيرة التي كثيرا ما صايفتهم أثناء سيرهم ، ولولا الأسدية الحديدة للاق صحتها المرأة لاضحت عافيا حقيقيا يعرفون تقدمهم السريع . كثرت أيضا الجداول الصغيرة التي تنساب فيها المياه بسرعة مستهدفة وجهة واحدة كأنما لتجتمع بعد ذلك في مجرى واحد يضمها جميعا .

لا تقي الرجل شجرة ضخمة الساق ووضع رقيقته برفق على الأرض ، ثم راح يلتقط الحصى والحجارة ليأقيا بيديا . اصطاحته المرأة مسندة إلى جذع الشجرة وصدرت منها تنفيدة راحة . وجلس الرجل والعملاق إلى جوارها بعد أن وضعها عنهما محبوسا . كان الوقت ما يزال في الظيرة ولم يكن الرجل يفتوى البقاء إلا لفترة صغيرة حتى تسترد المرأة أماسها ، لكنه حينما أراد أن يأكل وجد أن اللحم المتبقى لا يكاد يكفي ثلاثتهم ليومين بالرغم من الكميات الضئيلة التي كان يوزعها ، وبالرغم من استعانهم بالثمر البرية . وعند الرجل من رأيه ، فأشار إلى العملاق بالبقاء إلى جانب المرأة ، وحس بعض لرمح ولم يلبث أن اختفى في الغابة .

ناولت المرأة قطعة من اللحم إلى العملاق الذي كان ما يزال يفضل أن يأكله نيتا في حين اقتطعت لنفسها جزءا صغيرا ، وراحت تشويه على النار . ولما أتم الاثنان غذاءهما أغمدت عينيها واستسلمت النوم ، بينما قبع العملاق في مكانه لا يتحرك إلا ليفذي النيران بين الخين والأخضر .

مضت ساعات . واستيقظت المرأة من نومها لتجد أن الشمس قد شافت

على الخبيب . تلفت حولها مستعجلاً من العملاق القابع فقابل بظرتها بنظرة  
جواء لا معنى شيئاً جاءت بعينها في أرجاء العابة حولها دون أن ترى أثراً لرفيتها .  
لم يكن هنالك داع للقلق ، فكم تعيب الرجل أياها وهو في رحلات الصيد ،  
وراحت تسلي نفسها بانتقاء بعض الحصى والقائما بعيداً . وهنا وقعت إحدى  
تلك المصادفات التي غيرت من مجرى الحياة الانسانية .

اصطدمت إحدى الحصى معصاة أخرى على الارض ، وانبعث شرارة  
صغيرة . كان من الممكن ألا تراها المرأة ، لولا أن الضوء الخافت ساعد على  
الرؤية . وكان من الممكن أيضاً أن تراها ، وإن تموتوا أهميتها ، لكنها سرعان  
ما استقامت قيمة لاكتشافها . كان رجلها يعض ساعدها في عملية توليد النار من  
احتكاك الخشب الخاف . وما هي حصوه تلجها في لمح البصر . راقبها العملاق  
في تعجب وهو تبحث في الارض عن الحصوة التي أفتتها حتى عثرت عليها .  
وعلى الحصوة الأخرى . رآها وهي تضربهما بكلا يديها في بعضيهما ، لكن  
لم تبعث أية شرارة . ولم تياس المرأة . راحت تجرب الصرب في شتى  
جوانب الحصونين . ولجأت اليه شرارة المرجوة . كررت المحاولة وانبعثت  
الشرارة مرة أخرى ، الثالثة ، رابعة . كادت تبجن مرحاً حتى أها ذهبت إلى العملاق  
تريه اكتشافها الجديد . ونظر إليها ببلاهة من أم يفهم أهمية ما يرى  
فانصرفت عنه .

انتظرت المرأة في لحظة عودة رفيقها لتطالعها على اكتشافها فهو ولا شك  
يقدر أهميته . وحل اللام قبيل أن يعود الرجل حاملاً على كتفيه غزالاً صغيراً .  
لم يات له إلا حر كائنها وهو يبقيه على الارض ويبدأ في سلخ جلده ، واقتطاع  
أطبايه . وصبرت المرأة وهي على آخر من الحجر حتى انتهى ، ثم أرادت أن تريه  
اكتشافها ، لكنها اقتطع من اللحم ليعطى العملاق ويعطيها ثم جلس إلى النار  
يشوى قطعته ، وبدأ كل منهما في تذوق ظاهره .

تمالك المرأة أعصابها حتى انتهى من غذائه . لكنه حين أراد أن  
يستلق لينام أمسكته من ذراعه ، وصدر منها صوت صاحب الإشارة بأن ينظر .  
نظر الرجل إليها أولاً في سأم المنع ، الذي يبغى النوم ، ولا يريد أن يحول بينه  
وبين راحته حائل ، لكنه سرعان ما اعتدل في إصطجاعه حين رأى شرارة النار

تبعث مرة تلو الأخرى تناول الحصى من المرأة ومضى يجرهما حسبما دلته المرأة . وانشقت الشرارات تنلوصه بها .

وصح الرجل الحصى في جرابه إلى جانب الأحشاب الجافة وأشار إلى العملاق أن يبدأ فوبة حراسته ، ثم امتلأ إلى جانب المرأة اينام في لحظات . في الصباح لم يتمجد ايقاظ المرأة ، والعملاق كما دقه وحينما عمل كان ضوء النهار قد سطع . وبعد لأفطار لم يتبعن أيضا الرحلة والرعم من أن المرأة كانت قد استردت قوتها ، ونشاطها ثم ما ، بدلا من ذلك أخرج من جرابه الحصى وأرأه للعملاق ، مراد ونار إليهما أن يمشيا عن مثيلتهما ، وبدأ هو أيضا في البحث . كان يريد أن يعرف ما إذا كانت الشرارات تدلع من أى حصى أم أن هاتين فقط لهما خاصية معينة دون سائر الحصى ؟ ولم يمض وقت طويل حتى كان قد جمع له عدد كبير من الحصى المشابهة .

جلس الرجل والمرأة على الأرض يجران الحصى في أداة وصبر بينهما اختفى العملاق في الغابة . أخيرا علم الرجل أن لبعثات الشرارات ليست خاصة فريدة في هاتين الحصى . لكن من ناحية أخرى لا تتمتع كل الحصى بها . وانتهى به الأمر إلى انتقاء أحسنها ووضعها في جرابه . ولما لم يكن العملاق قد عاد بعد فوزه سألنى مسترحيا تحت أشعة الشمس .

لأنصف النهار وجدت المرأة بعض الثمار البنية ، وتناولوا وجبتيهما ، وعاد العملاق . كانت المرأة هي أول من رآته ، وجرت مناداة رفيقها . هب الرجل من استرخائه لينظر إلى الناحية التي أشارت إليها . كان رفيقه يسير بخطء البصيرة الثابتة ، وهو يحسن على كشفه جسدا ما يزال يتحرك ويقاوم ، ولما كان العملاق لا يبدو عليه أنه يشعر بالمقاومة ، ألقي بحمله على الأرض أمام الرجل والمرأة ليطرا في دهشة إلى الجسد العاري لامرأة شابة تنأوه من ألم الرصوص لأثر ارتطامها بالأرض . فطر الاثنان إلى العملاق مستعصرين ليشير إليهما ببديه إشارة مبهمه نحو العاية ثم إلى هراوته الضخمة التي كانت ما تزال ملوثة بالدماء . ورفعت الغربة رأسها من الأرض لتنظر إلى الاثنان بدهشة وهتول . لكن النظرة لم تكن تخلو من وحشية وتحدى . كانت نظرة حيوان جبيس يرى الموت مقبلا عليه ، ولا يستطيع منه هسكا . فأعلنت المرأة مفيا وردت الخ

الظفرة . كانت بيضاء اللون كشأبها ، لكنهما أطول قامة من المرأة ، وانسدلت شعرها الأسود القاحم على كتفيها شكل وحش أشعث أما عيها فقد كانتا سوداوين واسعتين معلومتين وحوش كثة . ويتوسط الوجه الأملس أنفلم يستكمل استقامته وفهم واسع على الشبهتين . رأت الميتين القلبيين تنحدران منها إلى العملاق الواقف مرتكزا على هراوته ، وفقر الرعب إلى الظفرة الوحشية ، واستكشر الجسد الطويل خوفا .

لقد كانت مع رجل من قومها ، ومبط عليهم هذا العملاق مطوحا بهراوته الرهيبة ليستقط ثلاثة رجال مبهمين الرقوس ، ويفر اليقون متفرقين في أنحاء الغابة وابعث لسانها وشلت حركتها . وفكر أن تلحق برفاقها ورفيقاتها كانت يدهن حديد قد أمسكنها من شعرها . حيثما حاولت أن تضرب الجسد الراس أو أن تضدشه بأطرافها . سحبها من شعرها ، وركبها على الأرض ، ثم جلس إلى جوانبها يلتهم منح سحبها يده . حاولت مرة أن تلوذ بالفرار لكن ضربة من قبضة يده أفقدتها الرشيد ، ولم تنق إلا وهي محمولة على الكتف الهزلي . وسار بها العملاق . حاولت طوال الطريق أن تقاومه أو تملت من يده ، لكن لم يبد عليه أنه قد شعر بها بل استمر في سيره حتى ألقاها أمام هذين الإثنين .

لم يتحرك العملاق من مكانه . وظل لا يحول النظر عن الرجل . وفهم الأخير ما يصيبه . كانت المرأة بالنسبة للعملاق فريسة شأن أية فريسة أخرى اصطادها سونيا ، فإن أرادها الرجل فهي له . وإن لم يرددها أخذها . وهز الرجل رأسه نعيًا ، قد العملاق يده ليقبض على شعر الغريبة المرحس ويجرها منتعيا بها مكانا بعيدا عنها .

ooo

لم يتحرك للركب إلا في صبيحه اليوم التالي . وبالرغم من أن الرجل لم يتعجل السير إلا أنه كان قلقا بقلبك في كل ناحية من الغابة . أضحت حواسه تنشط أي صوت ، أو أي رائحة ، لقد علم أن الإنسان حوله في كل مكان ، ولم يكن هنالك مجال للشك في ذلك وهم نحو وجود أغراب عنهم في المنطقة . أصبح الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يخاف منه الرجل ، وذلك الرعب الذي ترك غايته العديدة فرارا منه . لم تكن لهم حماية حقيقية إلا بالذار

لكن النار كانت لها أيضا مثالب ، فإيها تدل على مكانهم براحتها . ويريقها من مسافات بعيدة . ولما لم يكن هناك غيرهم يعرفها فكان من اليسير التعرف عليهم عن طريقها . راح يرقب شعور المرأة الغريبة ، رفيقه العملاق حيدل البار . كانت تنظر إليها في بلاءة وخوف ، بل كانت تنظر إلى رفيقة الرجل نظراتها إلى شيء غارق القوة يخضع الطبيعة لإرادته .

ثم تتعلب على سوءها من السر رغم مرور بضعة أيام على انضمامها للجماعة ، ولما حاولت المرأة أن تجعلها تعتاد عليها منعها الرجل بإشارة منه صحتها صوت فهمته .

كان التفاهم بين الإثنين ، الرجل والمرأة ، يرداد من طريق تنوع الصوت ، أكثر من الإشاره بمفردهما ، بل لمن بعض الكلمات الآخرة ، والناهيه كانت قد استقرت لها ألعاط عديدة . إستيقظي ، أريد غذاء ، أريد ماء ، سيرى ، قفي ، وهلم جرا . من البدهي أنه لم تكن هناك لغة كاملة يستطيع الإنسان بها أن يتعام ، لكن تسكوت بعض الكلمات التي تكفي الحياة اليومية ، والتحذير من الخطر . كانت كلمات جميعها ذات مقطع واحد مثل أوم ، وأر ، وأيا ، وماشابه . كلمات بسيطة لاتعقيد فيها ولاتركيب ، لكنها تؤدي المعنى الذي يريده أيها في هذه الحياة البدائية حتى أن الإشاره فيها لم تصبح أساسية ، فكان أن ما يستطيع أن يفهم ما يريد الآخر ولولم يكن ينظر إليه .

ولعل أهم ما توصل إليه الإثنين هو اطلاق اسم لكل منها يعرفه الآخر عند النداء . ذلك أن العملاق ورفيقته كانا يلتفتان إليها عند صدور أى صوت من أيها ، ولهذا اضطر الرجل أن يكرر كلمة واحدة في كل مرة يريد أن يخاطب بها المرأة وكانت أقرب الكلمات إلى لسانه هو لعط و تاء ومع مرور الوقت اعتادت المرأة عليه ، وأصغى علما عليها . وقلته المرأة بدورها فأطلقت عليه اسم « بوء » كما أطلقت على العملاق « بوء » ورفيقته « بوء » ولعلها كانت المرة الأولى في تاريخ البشرية التي أطلقت فيها الأسماء على الأفراد . فكان لكل منهم شخصيته الذاتية التي يعرف بها ، في حال غيبته .

سار الراكب يتبع « بوء » الذي لم يزايله قلقه لحظة واحدة فكان يصبر على أن يتناوب كل منهم الحراسة في المساء أو حين يحلدون إلى الراحة . كان دائم التطلع

في كل اتجاهات ، بفقر لاية حركة عريية ، ويتأكد من كل ظل شجرة . وكل افقد المذهب الذي طالما كفه مثوبة الحذر والقلق . وكل شعر اوحشة لغيايه . وامله كان مايرال يأمل أن يعود إليه فلم يكن يصدق أن رفيقه الذي صاحبه في هشرات المغامرات يمكن أن يتركه ولا يراه ثانية . لكن الأيام كانت تمر دون أن يطر له أثر .

و ذات يوم توقفت « تا » عن السير ، وأصاحت السمع ثم نادى على رجلها وأشارت إليه أن يستمع . ووقف أركب ، ووصل إلى « ذاهم صوت منتظم يأتي من بعد . لم يكن صوتا مألوما ، لكنه أيضا لم يكن غريبا تماما . اجهد الرجل نفسه ليتبين ماهيته ، وأخيرا استطاع التمييز . علم أنه هدير مياه يأتي من مسافة بعيدة ، فأشار إلى رفاقه بالاستمرار في اتجاههم .

معنى يوم آخر قبل أن يروا النهر العظيم . كان نهرا واسعا تتجمع فيه الجداول والنهيرات ، لتعري مياهه سريعة تلاطم أمواجه لتكون دوامات رهيبية ، تقفز فيها الاسماك لتتلاذذ تحت أشعة الشمس المرافقة . كان صوت تلاطم الأمواج بعضها فظيما ، ويبدو أن النهر كان يجري إلى متخص لجرت مياهه سريعة غيغ ، اسكن لم تكن تعترض مجراه الصخور ، بل إن شاطئيه كانا طيبين بالرغم من وجود الحصى ، والحجارة ، المتناثرة . ووقفت الجماعة تنظر إليه . كانت أقرب الأشجار تبعد عنه حوالي عشرة أمتار ومع هذا فإنهم شاهدوا الكثير من الأفرع والأعصان تتلاعب بها المياه . ربما أتى بها النهر من حيث منعه ، وربما جرفها بعض الجداول أو النهيرات التي تصب فيه .

إطمأن الرجل بعد مدة إلى أنه لا يوجد عدو قريب فألقى بمرجه ، وسار بحذر إلى الضفة القريبة ، وغاص قليلا في المياه ، في حين أشار إلى باقي رفاقه أن يلبثوا مكانهم في حياه الأشجار . رأوه يقف جامدا فترة ، وهو تمسك برعنه كئاما ليطن هدوا يرقد في المياه . ولجأة هبط الرمح بسرعة ليخرج ثانية من المياه وفي نهايته سمكة قذف بها بعيدا عن الضفة . وتكررت العملية بضعة مرات ، كانت حصيبتها ست سمكات متوسطة الحجم ، وبأدى الرجل المرأة لتساعده في حمل السمكات التي كان بعضها مازال يقفز على الأرض ، ثم اتجه الاثنان

إلى ريفيغيمها وبدأ الجميع يأكلون وجبة شهية . ومنذ ذلك الوقت بدأ سيرهم في محاذاة النهر ، وفي إنتاج جريان مياهه . ساروا بين الأشجار ، لكن الرجل كان دائماً يحس أنها أن يكونوا قريبين من النهر ، فأمر بذلك أحد الاتجاهات إذ لم يكن عدو ليكشف عن نفسه بالنهر في المنطقة المكشوفة بين الأشجار والنهر ، كما كان لهم منه غذاء وفقر بين القيمة والأحرى .

استمرت الطبيعة تغير مناظرها كلما أوغلوا في التقدم . حلت الأشجار إلى درجة كبيرة حتى أنها أصبحت متباعدة في حين ارتفعت الحشائش لتكسو الأرض جميعها ، وتصل حتى قرب صفة النهر . واتسعت الأرض أمام الجماعة مدسية خضراء في رقعة واحدة لا يقطعها سوى بصمة أشجار متناثرة في الحوض الأخضر . واتسع الأفق أمام أنظارهم فلم يعد يجمع الرؤيا شؤم . وبدا لهم في الأفق البعيد صحابة غاية يسبوا ، أنها جميل يمتد عبر الأفق جميعه .

وكما ميرت لمسرح مفرق أبيض لحياة الحيوانات . لمحت الجماعة بعض الرواحف ، وغرت على بصها ، وبيض الطيور ، كانوا نمرأ سيفي الشاب يرتوي عند صفة النهر . وشاهدوا ذكرى عزال يتفانلان ولا بد أن الإناث كانت على مقربة ، فتنط المائر إذ سعيها حاولوا الاقتراب لإطلاق من بين الأشجار قطيع صغير سرعان ما لحقه المتفانلان ليحتق الجميع بعد برهة بين الحشائش الطويلة . تمكن الرجل تمكن من التوبص بقطيع آخر ، وانقض بحريته على أحد أفرادها وسرعان ما عاد الجماعة يحمله على كتفيه .

أصبح السير بين الأعشاب مشكلة معقدة بالفنية للرأفة وهي تحمل النيران ، كما أن العرجين كانوا يعوقان تقدم الرجل والعلاق . واصطط الرجل أن يأمر الجماعة بالسير في محاذاة النهر ، فإن ذلك كان أكثر أمنا . صحيح أن أي عدو يمكن أن يره من مسافة بعيدة ، لكنه كان يمكنه أيضا أن يرى أعداده . ولم يكن ثمة مكان مهاجم منه أحد سوى من ناحية الحشائش التي كانت حائل تبعد بصمة أمتار ، وربما أصطط هذه المسافة فبعدة من الوقت تعدم قوة المفاجئة . وظهرت للجماعة من ناحية أخرى مضايقات لم تكن في الحسبان ، إلا وهي الحصى الصغيرة ، والحجارة المتناثرة التي تقطع في أقدامهم رعا عن الإحذية الجلدية ، يمكن لم يكن في الاستطاعة تهادى هذه المضايقة فاستمروا في سيرهم .

وقى أثناء محاولاته قطع الأشجار والحشائش مواد لاستعمالها لقوم أو تغذية  
النيران ، وبعد الرجوع أن الحرج ، وسائر الأدوات التي معه سلاح ضعيف حتى  
أنه كان يقضي وقت طويلا ليخرج بنتيجة غير مشكافية مع الجهود .

وحدث مرة أن عثر على حجر صلب حاد الحواف ، وحجبا استعماله بعد أن عثر على  
ييسر يقوى الحنجرة فاحتفظ به ، ودارت عيناه في أثناء النهار تبحث في الأرض  
عن حجر أو حصة تكون ذات أصل حاد ، وعثر على الكثير ، فاعطى بعضه لـ  
بالأدوات البدائية ، فأدق منها أربعة احتفظ بأحدها ، وأعطى كل من رفاقه حجر  
أراه كيف يستعمله .

وإذا كان السير قد أصبح مشكلة فإن تغذية النيران أصبحت بدورها مشكلة  
أخرى . كانوا في الغابة ، أو حيثما توجد الأشجار يحدون الحطب بسهولة ،  
حتى ولو كانت به بعض رطوبة إلا أن الرجل وجد أنه لو قطعها إلى أجزاء صغيرة  
فإنه يحترق ، وإن كانت يرانها تغطي دخانا شديدا كثيرا ما سبب مصائب  
للرأه . أما الآن وقد إمددت الأشجار تقريبا ، فقد إمددت معها الأحشاب  
أو كادت . صحيح أن الحديقة كانت ، شربس الحرج والآخر على قطع متفرقة على  
ضفة النهر . لكن هذه القطع كانت إلى جانب رطوبتها الشديدة . نادره ، اضطر  
للرجل أكثر من مرة إلى المجازفة بدحوه إلى بعض مزالق النهر ليصيد غصا  
من المجرى . كادت قدمه أن تنزلق أكثر من مرة لكنه كان يفلح  
في حفظ توازنه .

إضطر الرجل بالرغم من هذا إلى الإقتصاد الشديد في استعمال البقية القليلة  
من الأحشاب الجيدة التي كان ما يزال هو والعملاق يحتفظان بكمية منها ، واضطر  
بالتالي إلى استعمال بعض الحشائش . كان يقطع من أعرافه ، أي يذوق النار خاصة  
أثناء الليل . وجد أنها كانت تحرق أسرع من الأحشاب الرطبة ، وإن كان يحرقه  
على القشع كيات كبيرة منها . ولم يعد يبالي بعد ذلك بالدخان ، أول ربا كان  
يرى فيه الحياة إذ أن الحيوانات المعقوسة كانت تلتقط رائحته من مسافات بعيدة  
فلا تقرب من المنطقة .

وإذا كان السير ، وكانت تغذية النيران قد أضجبا مشكلتين فإن النوم أضجبا  
مشكلة المشاكل . فوالى جانب النهر كانت الأرض شديدة الرطوبة حملاوة



على الجحش ، والاحجار التي تسكثرت حتى أصبح من شبه المستحيل أن يذو مساحة كافية لزوم الجماعة ، واضطر الرجل بعد تفكير طويل إلى أن يقسم الجماعة إلى قسمين ، ينام إثنان منهما على العشائش التي كان يمكن أن تكون فراشا مريحا إذا ما عالمت على الأرض ، في حين يبقى الاثنان الآخران في حراستهما وتعذيبه النيران . وكان من نتيجة هذا أن أصبح لم يكرهوا بالون قسما كافيا من النوم . لكن لم تكن هناك حيلة يتعاضد بها ذلك .

وبعد أن رائحة الدخان قد أصبحت الحيوانات من الجماعة إذا أنهم ساروا أيها لم يصادفوا حلالها حتى مجرد ظي . ولهذا انحصر معظم غذائهم في الاشجار التي كانت متوافرة بكثرة على صفة النهر الهائلة سديا . كانوا يدورون معظم ساعات النهار لا يقطعون السير إلا عند الظهيرة عندما يضطاد الرجل بعض الاشجار يتخذون بحره منها ، ويحتفظون بحره آخر لليوم وسباحتهم ، أما في الليل فقد اعتادوا على أن يقطعوا بعض الاعشاب الطويلة عند حافة النهر ، ويفرشها ثلاثة منهم على أن يتناوب الرجلان الحراسة ، ولم يظن الرجل مطلقا في كل الوقت الذي مضى على أن أفراد قبيلة الفتاة قد سوزم . لاحظ أكثر من مرة أن الاعشاب كانت تتأرجح على مسافة بعيدة منهم ، وحاول جاهدا أن يتعرف على السب ، لكنه لم يستطع أن يتبين شيئا نظرا لطول العشائش التي كانت تعطي قامة الرجل إذا انحنى قليلا .

لم يعب الرجل الجماعة أية راحة حلال هذه اعدة إذا أن قلقه ظل مستمرا . كان يعلم أنه لن يشعر ببعض الأمان الحقيقي إلا عندما يباح الجبل الذي بدا الآن ، وقد اقتربوا منه ، كغيرا غالبا ، شاعرا ، يطاؤون السماء ، ولاح له أن النهر لما يجري رأسا إلى باطن الجبل يلتقي عند سفحه تماما .

والمره الثانية في رحلة هجرتهم ، ودون سابق لإذار ، ضربهم القدر ضربة قاسية . كان الوقت عند الظهيرة . توقف الركب ، وراح الرجل يعاوس صيد السمك كمعادته التي استقرت منذ أيام بعد أن دخلوا منطقة المراعي ولا بد أن العدو قد راقبهم لأيام وعرف حركاتهم تماما فاحتار الوقت الذي تسكون فيه جميع حواس الرجل منتبهة إلى الصيد ، وحين يواجه النهر بالضرورة فلا يستطيع الالتفات إلى فاحية الاعشاب ، والعشائش .

جست رفيقة الرجل على الارض تستريح من التعب الذى حل بها من جراح سيرها فى الصحاح ، ووصعت إلى جوارها الوعاء الذى يحتوى على الخبز والى جوارها أيضاً جلست رفيقة العملاق (بى) تنظر باصجاب إلى مهاره الرجل التى يبدىها فى الصيد . وعلى بعد بضعة خطوات منها جلس العملاق وقد بدا عليه كأمناً هو نائم ، ومع هذا فقد كان هو أول من انتبه إلى الخطر الداهم فهب واقفاً مطوحاً بهراوته ، بعد أن أطلق صيحه اذار ، وتحذير .

فى ثوان اقبلت الساحة رأساً على عقب . خرج من بين الاحراش اكثر من عشرين رجلاً قسموا انفسهم إلى قسمين اندفع فريق منهم يصرخون ويطوحون هراواتهم نحو العملاق ، واندفع القسم الثانى إلى حيث يقف الرجل عند حافة النهر . كان توقيت الجماعة المهاجمة دقيقاً إلى درجة أنه لم تكن هناك فرصة من الوقت لأن لينضم الرجل إلى العملاق اذ تعتمد المهاجمون فصلها عن بعضها ، واحاطه كل واحد منها بحاطة تامه .

لم يتم انقادون بالمرأى ، فلم يتجه اليها أى واحد منهم . ومع هذا فقد اندفعت رفيقة العملاق على أقرهم ، وراحت تقطع وجبة وجلده يا صارها حتى اضطرت أن يضربها بهراوته . تنقت ادراء الهراوة فى جبهتها فالتفت النداء متدفقة ، وهوت على الارض متهاككة لا تتحرك . واتجه المهاجم نحو المرأة الاخرى يريد أن يضربها بدورها ، لكنها أمسكت يأسد الريح إلى جوارها وقذفته بكل ما أوتيت من قوة فى صدره . نظر إليها المهاجم غير مصدق لما حدث ثم حول نظره ببلاهة إلى الرمح المستقر فى صدره والنداء تسيل منه ، وسقطت من يده الهراوة وبدأ كأمناً هو يحاول أن يخرج الرمح ، لكنه سقط على الارض يرفس بقدميه .

رأت المرأة نفسها حرة غير مراقبة فالتفت تنظر بهلج إلى المدركة الدائرة بين رجلها والمهاجمين . كان الرجل فى سياق دفع رمحه ليصيد سمكة أخرى حينما سمع صيحه العملاق . وبمركة آليه سريعة التفت وراءه ليرى اكثر من عشرة اشخاص يهاجمون بالهراوات ، كان المهاجمون على قيد حطرات منه ، فلم يكن لديه الوقت الكافى ليلقى عليهم برمحه ، أو أن يخرج خنجره من جرابه . بسرعة يديه مذهلة انقلب استعمال الرمح فى يده إلى عصا غليظة طويلة طوحت

يأقرب المهاجم إليه إثر ضربة أصابته في صدغه ، ثم راحت توقع بال اثنين صفيا صاندا .

لم يكن الرمح ممدا أصالة ليكون هراوة . لهذا فلم يكن تأثيره قويا سوى الاجساد القوية المقاومة ، فهو وأن كان قد أوقف تقدمهم مؤقتا ، لكنه من ناحية أخرى لم يكن فعالا بدرجة تكفي لأن تنهي قتال من أصابه ، إلا إذا كانت الإصابة في مواضع معينة من الجسم . وما كان لدى الرجل الوقت الكافي ليمتطي المواضع . وانتهز فرصة توقف المهاجم عند حدود معين ليقدر موقفه

كان النمر وراءه ، بصوته الهادر وجريانه السريع بمعنى الموت هرفا لو تولفت قدما الرجل ، أو فققر سطود أو سطورتين في حين كان المهاجمون يحيطون به من كل جانب آخر . وجاءت منه امته بجانده فرأى أن عددا كبيرا من الرجال يحيطون بالمحلاق وقد بدأ رأسه عاليا بينهم وهو يطوح بهراوته الصدمية . ولم يعب الوقت الرجل لكن يتأكد من حقيقة موقف زميله وإن كان قد قطع بأنه لا فائدة ترمى من التماس المعاودة منه . ولم يرا أيا من المرائس ، وعلى أي الاحوال فلم يخط في به . تظن أنه مساعده حتى صلبا .

حاول أحد المهاجمين الالتصاف حول الرجل من ناحية النمر ، لكن ضربة سريعة من البحرية جعلت قدمه تنزلق إلى المياه الجارفة ، التي كثمت صرعة اطمعها وهو يهوى . ولم يحاول بعد هذا أحد من رفاقه أن يتحد السيل بنفسه .

لعل كثره عدد المهاجمين كانت هي في حد ذاتها من هوامل تأخير النتيجة الحتمية ، خاصة وأن المكان الذي كان يقف فيه زلق بطبيعته ولم يكن واسع لا كثر من ثلاثة أشخاص ، أو أربعة وإذا أمكنه اندفاع عن نفسه فقه أطول لو كانت الظروف مغايرة . استمر الرمح يدور بوقع عقوبته الصارمة . أمكن الهراوت ايضا كانت تهبط على الرجل ، ومع أن أيا منها لم يصيب عظامه أو رأسه إلا أنه بالرغم من هذا كان يلتقي صدمات قوية اضطرته إلى التراجع نحو النمر قليلا . وعلى حين غرة نفذ أحد المهاجمين الرجل بهراوته ، وطارت الهراوة في الهواء لتصيب جبهته أصابة شديدة . انفشقت الدماء من جرح كئيب ، وشعر الرجل كما ارتدت رأسه إلى الخلف فاصطلت عن جسده . بينما أصابته صدمة هنيئة من ارتطام هراوة أخرى في كتفه . وبدأ الكلال يصيب هيئته ، أحسن كأما قد ماتت رجلاه بثقل جسمه . وأيض أنه لم يستطيع الصمود طويلا ومع هذه فرب الرمح لم يثوقه عن الدوران يطيح بأي من أعدائه يفكر في الاقتراب .

لم يلاحظ الرجب وهو منهك في قتاله أن واحداً من المهاجرين قد بدأ يتسلل ببطء وحذر نحو النمر يريد أن يأخذه على حين غرة من الخلف ، أو على الأقل يضطره أن يلتفت إليه فيعطى باقي رفاقه فرصة للهجوم الجماعي والضماء عليه . مصى المهاجم يفتق موطئ قدميه بين الحصى والأحجار بحذر حثيث إلا لاق . واقرب من الرجل حتى لم يعد يوصله عنه أكثر من خطوتين أو ثلاث . ورفع هراوته يريد أن يزل بها على رأس خصمه بضربة لو أصابته لكادت القاصبة . وفي هذه اللحظة طار شيء في الهواء ليستقر في صدر المهاجم . أمسك الشمس بالحربة التي قذفها المرء يريد أن يتزعمها من صدره ، وابتلعت قدمه لتجرفه ألياء في تيرها .

لكن هذا الانقاذ المؤقت لم يدم إلا اللحظات ، فإن الرجب كان قد سمع نهاية إحتياله . ولا حظ المهاجمون أن الثعب قد أهدته . وأن ضربات الريمع ودوراته قد صعدت عشدوا عجرهم . وصارت النهاية حسمها امسكر الريمع أثر إحدى الضربات . تراجع الرجب وهو يرفع يديه نحو الهراوات المتأينة التي تسقطت عليه . وابتلعت قدمه . وعادت صرخة رعب قاتل من المرء ، وابتلعت المياه الجردفة .

تردع باقي المهاجرين هيبه ثم استداروا إلى حيث كان القتال ما يزال دائرا بين العملاق ورفاقهم . وشاهدوا منظر أروعهم اللحظات . كان العملاق واقفاً يطوح بهراوته في حين ابتعد المهاجمون قليلا عنه وهم يحيطونه فيما يشبه الدائرة السكامة ، لكن أحدا لم يكن يجرؤ على الاقتراب . وعلى الأرض تمددت أربع جثث حطمتها البرادة الرهيبة ، وقد نهضت جماعها تماما وتناثر المنيح من كل منها غثاظا باندهاء . وبدأ على العملاق أنه كان صعيدا متلذذا بالقتال . كان رائعا في وقفته ، ماردا بين أقرام .

لجأة حمل العملاق على المهاجرين حمة صادقة صارخا بصوت مرعب . وفر الجميع من أمامه . لكن أحدا منهم من خلعه هاجموا ، وأصابته ضربات قاسية من هراوات عديده . ولم يد على أنه تأثر بها . وسبنا استدار ليلقاهم استقطت البرادة رجلا خامسا مشم الرأس . كانت طربة واحدة من البرادة كافية لأن تقضى على عدوه ، بينما كان هو يتعامل عشرات الضربات وكأن جسده قد صنع

من حديد . سالت الدماء من أكثر من موضع فيه ، كما بدأت تظهر آثار الضربات واضحة في أجزاء كثيرة من بدنه ، ومع هذا فكأنما هي ضربات أطفال أصابته .

ويبدو أن واحداً من بقوا على قيد الحياة من مهاجمي الرجل كان أكثر دهاء من إخوانه ، حينما شاهد ما تحدثه هراوة العملاق من رهب أوقف زملاءه عن الانضمام إلى المهاجمين ، وأشار إليهم يفتقوا حجارة وحصيا من الأرض . وفي لحظات بدأت الحجارة تطير في الهواء لتقطع بالجسد العملاق . واندفعت الدماء عريرة من الرأس والجهة ، وسائر أعضاء الجسد .

صرح العملاق صرخة عالية واندفع نحو مهاجميه غير عابئ بالحجارة قذفها عليه . وسالت الدماء من جيبته لتغطي هيذه وتسدل ستاره حمراء على بصره . ومع هذا فإن الهراوة الرهيبة كانت قد بدأت ضرباتها القاتلة ، وسقط رجلان آخران . لكن السابقين انضموا إلى رفاقتهم في القتال وبدأ كأن النهاية الحتمية قد أضحت قريبة .

وجاءت النجدة من حيث لم يحتسب أحد . من وسط الحشائش الطويلة اندفع جسدان ، ذئب وذئبة ، طار الجسدان القويان في الهواء ليستقعا على الأجسام البشرية المتراصة حول العملاق ، وأصممت الخنايب والانياب عندها حيثما التقت مع لحم بشري ، وتعالب صيحات الألم والرعب ، وفي اللحظة التالية انطلقت اصماعة البقية هراوا من الوحشين .

كما قد تلقوا هجاباً قاسياً من الرجل ، وأعملت فيهم هراوة العملاق القتل وحينما ظفوا أنهم قد تعلموا عليه ، ظهر لهم وحشان من حيث لا يعلون . وكان في هذا السكماية ، فقد كان من الجلى أنهم لن يصيبوا بعينهم في هذا اليوم على الأقل ، فاطفوا هاربين .

أحسن العملاق لجأة بأن الضربات قد توفقت ، وسمع صرخات المهاجمين ورجمة الذئبين ، فوقف مستنداً على هراوته يقاوم الأعداء الذي دامه . ومع اندماء من عينيه حتى يتمكن من الرؤية ، وفي اللحظة التالية شاهد ذئبة مضخة تدفع في الهواء نحو رقبته . لم تكن الذئبة تعرفه ، فهي قد رأت رفيقها يندفع

في الهواء وهو الرجل ، فأدركت وراءه ، وما كان العملاق بالنسبة لها سوى مجرد واحد من هؤلاء .

لم يكن لدى العملاق وقت كاف لئلا يتلو أدبية بوراوتيه . ولا أن يحيد عن هجمتها ، لكنه رفع يده بسرعة ليضربها وهي في الهواء . ولقيها بعيدا عنه . وفي أقل من لمح البصر كانت الأدبية قد استهدفت نزعها وأدركت إليه مرة ثانية قبل أن يستطيع الاعتدال في رفقته . كان الأحياء قد حل به . وعادت الدعاء مرة ثانية لتكون ستارة حجر . أمام خاطره فلم يعد في استطاعته الدفاع عن نفسه .

كان من الممكن أن يصير العملاق فريسة سهلة للدببة لولا أن الدبب ، كان قد عاد من مطاردة المهاجرين بعد أن أفتتح بأهم قدره ولم يهودوا يكدون بخطرا على أصغابه . وكما طارت الأدبية مرة ثانية في الهواء تسمى رقبة العملاق ، طار الدب ليتناول الجسدان فيظهر ظلمان بينهما ويقع على الأرض . ويرجرج الأدبية ، ويرجرج الدب مهدية ، وأخير سكبت الأدبية وراحت تنظر إلى جثث الموتى . وبدأت وليعة هظيمة .

تلقت الدبب حوله باحثا عن صاحبه ، ولما لم يره بدأ يتحسس جثث الموتى بأفنه دون طائل ، وأخيرا رأى المارئة واقفة تولول عند النور فانتهز إليها وينظر حاسنا . وكأنها فهم ، فوقف عند الحافة ينظر بعرب إلى أميائه الداغقة ، وأطلق عواء موحشا طويلا ينمى به رفيق حياته .

## تحت الجبل

لو كان قد قدر في ذلك أصيل اليوم لأحد أن يطل من علياء على تلك البقعة من الأرض بين الحشائش الطويلة والنهر الجارف لرأى وسمع عجا ، ورفيقة العملاق في كتاب قد بدأت تبتلع من العربة التي أصابها ، وراحت تنظر في تعجب حولها تحاول أن تتخيل أن تتخيل الموقف .

وجلس العملاق على الأرض يمسح الدماء التي كانت ماتزال تقطر عن جبينه ، وقد بدأ عليه الدهول ، والاعياء من أثر هائل من صربات المراكبات ، وما أصابه من حجارة وحصى . راحت عيناه الصفتان ، تجولان في بلاهة حول حوله حتى استقرتا على رفيقته التي كانت قد تمللت تفبق من غيبوبتها ، ورأى إلى جوارها وعاء النار وقد بدأت نحمده قد يده بحركة آلية اعتدها لينخرج من العرجلين بعض الأخشاب ويغذيها بها .

ترجع في مشيته تلك المسافة القصيرة نحو الوعاء ، ولاحت حدث الغنى متائرة على الأرض ، وسمع راحة الدابة تعذره من الاقتراب وهي تلمش جثة أحدهم في أهم . لكنه لم يعرفها التفتا وأمكن نفيته . ثم وقف يحاول الاستقرار على الخطوة التالية ، أحير توجه إلى النهر يمسح الدماء المتجمدة على وجهه وجسده ويبحث منه ليرتوي .

وأطاعت رفيقة العملاق لتري امرأة تولول على ضفة النهر في حين مضى الذئب يجري بمحاذاة جبهة ودعابا ، وعيناه لا تمارقان المياه الجارية ، ويتوقف بين الفينة الأخرى ليرسل عواء طويلا هو بين النداء والتعجب . قامت دابة من مكانها متجهة إلى دابة رفيقة الرجل ، وأمسكت كتفيها برافق ، لكن بحرم ، وأدارت وجهها الباكى عن النهر ثم قادتها إلى ناحية الأحراش حيث استأنها إلى جوار النار .

فرع العملاق من هب الماء واعتساله . وأحسن أنه أحسن حالا ، وإن كان جسده قد تورم في مواضع كثيرة ، كما أصابته جروح بدا أكثرها حيثما ذلك الذي في جيبته ، وآخر عند كتفه الأيسر . لكن هذه الأورام ، والجروح ، لم تكن بالفسه له شيء يذكر إذ هي جزء من حياته اليومية . لم يكن يبدو عليه من ناحية أخرى أى تأثير لموت الرجل ، أو على الأقل بدا أن هذا هو الحال في الظاهر ، ولم كان حربه لمراق رفيقه لم يكن يقل من حزن المرأة . لكنه لم يكن يعرف كيف يطهره ، إذ توقف عقله في بلاهة لا يعنى تماماً ما حدث . فأحياء بالنسبة له هي الغذاء ، والنوم ، والقتل ، أما الموت فهو مجرد الغياب . لقد علم أنه لن يرى صديقه بعد اليوم ، فقد ذهب أصدقاؤه آخرون كما ذهب الرجل ، ولم يعد دبرا ، وهذا هو كل ما في الأمر .

عاد العملاق من الصبح وجلس بجوار المأوى الأربع جسده المكدود . راح بداعب الطير تحت قدميه برأس مرارته الصخمة . وكان على رفيقه العملاق أن تكون عملية فارسل له يدي بالسهة لما شيء . في سير كان العملاق هو سيدها . أما المرأة الأخرى فهي حمر ، ولا مومة غريزة في النساء ، ولذا كان عليها أن تساعدنا . انضمت دى ، إحدى الجثث ، وأحرقت منها المنح لتقدمه إلى العملاق الذى تناوله ، والتهمة بسرعة . وفعلت هذا في جثة أخرى ، تقدم بها إلى المرأة التى أسترقت الطعام ، رغم الإلحاح الشديد . ومع العملاق يده ليندعه منها قبل أن يصل إلى قها .

لكن العداء كان كثيراً ، وكانت لذاته قد فرغت من تناول طعامها حتى انضمت فاستلقت على لأرض شبه دائمة . وهى ترقب رفيقها من جانب ، والرافاق الثلاثة من جانب آخر . وتعادى المرأة ، دى ، الدئبة وهى تنفق جثة برجل خر . ويبدو أن العملاق كان قد استقر على أنه أخذ كفايته من المنح فأخرج سكينه الحجرى وراح يقطع أجزاء من اللحم يلتهمها . وحذت دى ، رفيقته حذوه . ولم يلتفت الاثنان إلى دتا ، رفيقه الرجل ، الذى كانت ولواتها قد تسوات إلى نجيب صامت مستمر .



فرع العملاق من طعامه فأشرب إلى دنى ، أنه يريد الشراب . وقامت المرأة فتنازلات أحد الأربعة وذهبت إلى الصفة لماء ، وفي سيرها عثرت على بضعة سمكات كما الأرجل قد اضطادها قبل ابتداء المعركة فالتفتن لها . وناولت العملاق الوعاء ثم عرضت السمكات على المرأة ، فلما أبت ومنعتها أهدم ، وانصهبت لتلقى بجسدها إلى جوار سيدها .

من الليل ، وقامت دنا ، وإليها ، وقاما وتناوب دنا ، والعملاق ، ورفيقته . إن تغذية اليربان كما علمها الرجل . وحل الصباح ، واحتيقظت دنا ، أقرى أن الذئب كان ما يزال على عهد رابعته إلى جوار الصفة ، قلقا لا يستقر ، تصاممت على نفسها و تحمت إليه لاضح يدها على رأسه . وزجر الوحش لسكرته عاد غهدا وارتمع وجهه إليها كأنها يريد أن يقول شيئا ثم ابتعد عنها وهو يمدو يدها إذا الدور ، وتوقف ليطيئ ، ليوم النظر ، ويعطى عواء حاد طويلا لم يكن قد كف عنه طوال الليل .

تحدثت المرأة ، ولم تنس ماذا يريد للذئب ، بينما استمر يكرر فعلته ، فيمدد ليطيئ إليها ويبتعد ، ويرسل عواده الموحش لطويين . وأخيرا أعيانها فهم ما يريد إليه فاصهبت على المياه تبذل وجوها وتشرى . أحست بجوع شديد فمادت إلى حيث السمكات فالتفتن لها وبدأت تأكل .

كانت دنى ، مستيقظة تغذى اليربان وقد اقتطعت لنفسها وجبة من إحدى الجثث تأكلها ، كما اقتطعت أخرى ومنعتها إلى جوار دنا ، ، العملاق الذئب . وشاهدت دنا ، والذئبة تنهش بقية الجثة التي كانت تأكل منها في الليلة الماضية ولا حظت أن الذئب لم يلقى طعاما فركت ما تبقى من سمكاتها ، واقتطعت بعض اللحم وقدمته إليه .

والليرة الثانية تعرف الذئب تصرفه العجيب . رفض اللحم ونظر إليها ، وأعد حركته التي قام بها منذ قليل . واحتارت المرأة . لقد فهمت أنه يريد منها أن تقبضه بخذاء الدور ، لسكرتها لم تنهم السبب فلم يكن يصطلي في يدها أن رجلها ما يزال على قيد الحياة . لقد رآه وهو يتراق في المياه المروعة الجارفة ، ورات يديه متجسطن بلا فائدة على سطح النهر ، ورات كدلة صاعدة من الخشب يحملها

النهار ترتطم به بشدة لتجرفها المياه الهادرة . ولم تعد بعدها ترى شيئاً .

أثقت المرأة قطعة اللحم أمام الذئب وعادت إلى مكانها بجوار البيران فأكل ما تبقى لها من السمكات ، وترغب العملاق وقد استيقظ بانهم ما قدمته له . وبني من اللحم ، فرأت « تا » من غنائها وسرحت بعصرها إلى الذئب ، ومن ورائه النهر ، بينما بدأ عقلها يعمل . إن فقدانهم الرجل كان ضربة قاصمة على سائر الجماعة . فالعملاق قانع بحياته لا يفكر طامحاً أنه يأكل ، وبشر ، وبنام « وني » قاعة بحياتها إلى جواره ، فما كان يجمها أين يقينان ، وأين ينمان ، فكل الأمان كان بالنسبة لها سواء . لسكنها كانت في وضع آخر تحمل في أحشائها جنيناً أو شئك على الظهور إلى الدنيا ، ويلزم أن يكون له مكان آمن يستقر فيه . هل كان هذا ما يغيه « بو » رجلاً من الرحلة التي بدت لا هدف لها ؟ هل كان رجلاً يبحث عن مأوى يكمل لها ولوليدها أكبر قسط من الأمان ؟

فمرت الأفكار تتتالي في رأسها . هل كان الذئب يعلم هذا ببريقه الغريبة وبانصافه الدائم برجلها ؟ هل يريد منها أن تتبعه إلى حيث الأمان لها ولوليدها . إن بقاء الجماعة حيث هم أن يؤدي إلى شيبه ، ولن يفكر الإنسان في الترحال بل ربما عادت الجماعة المهاجرة بعدد أكبر أو مفاجأة غير متوقعة وأن يفتنوا منهم في هذه المرة . كان رجلاً يتبع جربان النهر متوجهاً إلى الجبل فلتنقل هي هذا أيضاً .

هبت من مجلسها ، وحملت معها وعاء النار ، وإحدى الحرايب . أشارت إلى العملاق ونهرأه « وني » أنها يحملها سائر الأدوات ، والحرايب ويضعها . لم يكن العملاق قد فرغ من تناول طعامه فنظر إليها في إلهامه ولم يتحرك من مكانه ، واستمر يأكل منهم ، ورأت « وني » أن سيدها لم يتحرك . فلم تهر المرأة التمتعاً ، وبقيت في مكانها .

حارات « تا » جاهدة أن تعزم العملاق بالإشارة إلى احتمال هودة أمدانهم . وهبت « وني » ، ولم يعمد « بو » ، ففدت « تا » أحضانها ، فقد شمعت فجأة بسطوة توقف ، وحتمية الابتعاد سريعاً عن هذه المنطقة ، بحركة سريعة وصمت وعاء النار على الأرض ، ومدت يدها بالرمح تنغزه العملاق . لذت صيحة غضب منه ، وأمدت يداها الرهيبة ، وفي اللحظة التالية كان الذئب واقفاً إلى جوار المرأة يزجر ، ويكشر عن أنيابه ، وإلى جوارها أيضاً وقفت الدمية .

زحفت وىء مرادة بعيدا عن الوحشين ، وبقى العملاق فى مجلسه تلتفت  
عياه بحيث يرى الثلاثة وكأه يقدر مدى مكائياه أمام الوحشين والرمح . ويدو  
أنه اقتنع أخيرا بعدم جدوى القتل فقام من مكانه متثاقلا يحمل هراوته وهو  
ما يزال يقضم فى اللحم الذى .

زحجر الذهب ، وكثرت الدفءة عن أيديها . لكن العملاق كان قد سى  
الوافعة تماما . كان كالطفل ، سريع العضب ، سريع الديان . وم تلمس دقا  
عن صدره وهى تشير إليه بحمل العرجين معا ، ولا وهى تأمره بىء أن يحمل  
بعض الحراب . توقف للعملاق قليلا كأنه يصكر ، ثم تمارل سكينه ، وابتدأ  
يقطع من الجشت أماءه أطايبها ليأقى بالحم فى العرجين .

عن العملاق أحد العرجين وقد امتلا ، ثم أشار إلى دىء ، يحمل المرح  
الآخر ، وحاولت وىء فلم تستطع أن تحركه ، ورفع العملاق هراوته مهدد ،  
لكن دقا تدخلت وأفرعها بعض اللحم من العرجين حتى استطاعت المارة  
أن تحمله مكرهة .

عما حدث شيء عجيب آخر فقد انفض الذهب على اللحم يقضمه . هو الذى  
دق ليكنه وجرا من صباحه ، يأى أن يتناول الطعام . صار الركب العجيب ،  
تقدمه دقا ، والدئين ليدتن بالعملاق . كانت حركات الذهب عطاء للدهشة ،  
وديد كن تلمسك الفلق ، بين وسنجه للطرب ، فكان يجرى أمام المدعة إلى  
مسافة بعيدة ، ثم يعود وكأنه يستحشم على الإسراع .

لم تكن دقا ، تستطيع فى الواقع أن تشير بسرعة ، بل إلى مجرد السهر مدة  
طويلة كان فوه لمرق شديد عليها وهى فى شوحها السابح حاملة وطا النار بكما  
يديها بينما تأبطت وعها . كانت تشير مثاقلة ، بطيئة . ولم تكن دقا ، أحسن منها  
سدا ، فإن المرح الذى كانت تحمله كان لم يول ثقيلًا عليها بالرغم من كمية اللحم  
الذى ألقته دقا ، خارجة . وما زاد الطين بلة أن الحصى ، والحجارة تكاثرت حتى  
تكاد أن تغطى الأرض جميعها وتغطت ، لاجدة الجدية ، فكان من العسير عليها  
السهر ، خاصة وهى لا ترى موطىء قدجها . تخرجت أقدام المرأتين ، ولولا  
حشية دقا ، من عردة أقدامهم ، وخوف دقا ، من هراوة العملاق اتوقفنا عن

السير ، أما ، مو ، فقد كان الوحيد بينهم الذى لم يبد عليه أى أثر لتعبه ، بالرغم من العقوبة التى وقعت عليها المم ، جهون فى ظهيرة اليوم السابق .

لأن نصف النهار وهم ما يزالون سائرين ، وبدأت صفة النهر ترتفع ، وازداد هدير المياه كما ازدادت سرعة جريانها . ولاحظت ، ما ، أن الأرض فى ارتفاع مستمر . نظرت أمامها ل ترى أن سلسلة الجبال أصبحت أعلى كثيراً عما ظنت . بدت القمم شاهقة تطاول السماء ، وانعكست أشعة الشمس على الجليد . وبشت ، ق ، المظهر المرحس الساحر أمامها . وحار قلبها فيما إذا كان رجلاً يهدف إلى تسلق هذا الجبل الهائل . وأيقنت فى نفسها أنه ، إن تستطيع مواصلة التسلق إلى القمة فقد لاح أن الجبل قد من صخور ممتدة لمساء لا منفذ منها ولا ممرات .

أحسنت بذهب شديد ، وبأنها لن تستطيع الاستمرار فى التقدم دون أن تأخذ راحة كافية فتوقفت عن السير ، وأشارت إلى الجماعة بالتوقف ، ثم جالت بنظرها فيما حوطا ببعضى مكانا تستطيع أن ترتاح فيه . كانت الأرض قد تغيرت طبيعتها ، واشتد انحدارها . قصرت الحشائش ، وتناثرت فى أماكن متفرقة بينما ظهرت بعض الأشجار . لم يكن طبيعة الأرض كانت قد انحوت تماماً من طبيعة إلى صحيرية ، وأصبحت الصحور هى الغالبة بينما كانت المساحات الطينية وتما عدى . وأثناء صوت هدير المياه هأأفت بصورها إلى النهر لتجد أنه أهدى يجرى على حافتين من الصخور ، يزداد ارتفاعها كلما القرب النهر من يمان الجبل .

راحت تنظر إلى المياه السريعة المتدفقة ، وامتد بصورها ل ترى أن النهر يستمر فى جريانه بين حائطى الصخور حتى يرتطم بجسم الجبل ثم يبدو أنه يفوس فى أحفائه إلى حيث لا يعلم له مستقر . لاحظت أن الجدارين الصخريين لم يكونا دائما مرتفعين وإنما كانت هنالك أماكن يمكن منها الحوط بهيس إلى مجرى النهر ، وفى هذه المواضع كانت توجد غيصات بها بعض الأشجار فكبرت فى أن تهبط من إحدى هذه الفتحات ، لمكنها كانت تعلم أن عليها أن تعود ثانية لتصل الجبل . أخيراً لمستقر رأيا على أن تسلق الجماعة فى ظل إحدى الأشجار جلسوا على الأرض متهاكئين .

لم تستطع ، ق ، أن تواصل السير بقية النهار ، فى حين لم يكن العملاق يأبه لأى من المعاتير ، واستنكت ، فى ، سعيدة إلى جواره . أحرجت ، ق ، بعض

البحر ، وألفته بين الدفنين فاقصت الذئبة عليه بينما بدا التفق واصحعا على الذئب وهو يأكل . كان يد أن يشمر في صعود الجبل ولا يرى في التواء قبل أن تغيب الشمس داعيا . راقبته وهو يأكل ثم يترك البحر ليجري صاعدا الجبل ثم ليحتق عن ناظرها بعد قليل .

وحامد مو ، و ، و ، و ، من البحر البشري ، وطافت نفس ، و ، أن يقربه ، فقد رأت رجلها يتهدد عنه لسبب لا تدريه ، وربما أيضا لم يكن هو يدريه . لكن الجرح كان قد أخذ منها ، فلم تكن بضعة سمكات أكلتها في الصباح فكيفها وفي أحشائها جنين . مكثت بعض الوقت في مسكانها مرعقة ، ثم تسدت حاملة حريتها واجتمعت إلى إحدى الأجمات القريبة عصاها تجد بعض الثمار البرية ولم تجد ثمارا ، لكنها وجدت الكثير من الأخشاب الجافة المنساقطة من أفرع أغصان . رعب الفرح فوضعت رعبها ، بجانبها وضعت تنطق ما تستطيع حمله منها إذ كانت السكينة التي بقيت من الأخشاب قد تناقصت إلى حد خفيف . واعتزعت أن تمود بالعلاقة ليحصل بعض الأخشاب بدورها ليكون لديهم رصيده كاف منها .

لجأة تاهى إلى سمها أصوات ما أن تينتها حتى حل الرعب في قلبها ، ألفت مافي يديها وأسرعت إلى رعبها لتتفقه . كان الأصوات غير بعيدة عنها فانجمت إلى مصدرها لترى الذئب وقد حاصره أسد جبلي وقد استعد الهجوم . كانت تقف على صخرة تعلو الذئب تماما وفي مواجهته كان يقف الأسد وقد بدت أياها الحادة ، وعيناه المربعتان . وقفز الأسد في الهواء ، وصرخت المرأة متهددة ، وألفقت رعبا بكل قوة ليستقر في كتف الوحش . سقط الأسد على الأرض يراو زيرا بخيفا ، واندفع من وسط الأجمة القريبة جسم آخر يقع على ظهره . تبينت ، تاء ، الذئبة ، وقد لعنت الأسد غاررة أنيابها وغالبها فيه . ولم يقف الذئب بدوره بل قفز محاولا أن يعتق بدوره ظهر الأسد .

لكن ما كان ذنبان مهمابلقت قوتها ليسكونا بدأ الأسد ، حتى إن كان مصابا بطلعة رشح في كتفه . شاهدت المرأة في وقتها صراعا وحشيا يدور بين الحيوانات الثلاثة . كانت الدماء تنزف من كتف الأسد الجريح ، لكن الرشح لم يكن قد قد التي بقوة كافية لكي يستقر في مكانه ، ولالكي تكون الإصابة شديدة .

ولعل أياها الذئبة وغالبها كانت أشد ليلا ، وأبعد أمرا من الإصا به التي ألحقتها  
بها المرأة . كان الأسد حفيف الحركة إلى درجة أدهشت المرأة . انقلب على ظهره  
طس طرأت ادثمة إلى القمر بعيدا عنه ، ونال الذئب ضربة من السكف الضخم طرسته ،  
وأثقت به على الأرض ، وقد انبشفت الدماء منه .

والنعت الأسد إلى الذئبة يريد أن يلحقها برفيقها ، لسكنها أفلتت منه ، في حين  
يدفع الذئب ليقفز بدوره على ظهره ، ويشب بحالة تقطع في الجلد ، ويفرس  
أنيابه بقوة . وزأر الحيوان من الألم وكرر صيخته الأولى ، وأعلت الذئب قبل  
أن يقلب عليه الجسد الضخم . وانتهرت الذئبة الفرصة لشدهض على الرقبة الضخمة  
وتعرس أياها فيها . صرح الحيوان وهب واقفا ، وبضربة أخرى أطاح بالذئبة  
لتقع على الأرض مضطربة بالدماء ، ولا تنحرك من مكانها .

فقر الوحش على الذئب ، ونظرت المرأة حولها في لحظة باعثة عن شيء  
تستطيع أن تدفع الأسد به ، لسكنها لم تجد سوى بعض الحجارة التي لافية لها .  
وجاءت لمساعدته من حيث لا تدري ، كان المودع قد عاد إلى ما كان عليه .  
وحوصر الذئب وراء الصحراء التي تنفد عليها المرأة . أرسل الأسد زميره  
المرهب متعديا ، ومستعدا لفرزته لأجيرة القتلة ، بينما أذكش الذئب مرعرا .  
ومن الأحراش القريبة شاهدت المرأة الدملق يتدفع نحو الأسد يطوح هراوته  
بكلتا يديه .

هبطت الهراوة بقوة هرقية على الرأس الضخم . وسجعت المرأة صوت العظام  
وهي تشكر . وصرخ الأسد ، وذال حول نفسه واجها عدو جديد . واندفع  
الذئب من فركه بعثليه ، ويشب فيه بحاله وأنيابه . وللمرة الثانية هبطت الهراوة  
بسرعة عجيبة لرتظام بجبهة الحيوان المذقرس وعاد الأسد يدور حول نفسه .  
لكنه في هذه المرة لم يكن يدور ليواجه عدوه ، وإنما كان دوراه  
كس أصابه خبال دوران لاهدق له ولا عاية .

وسقط الذئب على الأرض ، وارتفعت الهراوة لتثقل على ظهر الأسد ،  
وقفز الحيوان النعس . وتناالت الصرعات بلا توقف . حاول الوحش أن يهرب  
منها ، لكن أقدامه لم تكن تستطيع أن تجعله . وهاجمه الذئب ليقطع

من جده ، ولم يوقف البرارة الرهيبه في الارنظام به ، أخيرا جعلت حركة  
الجسد القوي تماما .

شارت برأة على مر هبطت فيه إل حيث وجدت العملاق يسطر في بلاهة  
إلى الجسد المسحوق ، في حين ذهب الذئب يبعق رقيقته التي بد ، أنها قد فقدت  
الحياة . ونظرت المرأة حولها . كان هذا المكان أقرب ما يمكن إلى الأمان .  
أحاطت به الصخور من ثلاثة جوانب لتترك مساحة بينم تمكنني لأن تستقر بها  
الخواء صعبة أيام منزعج فيها . أشارت إلى العملاق أن يتبعها ، وعادت به  
إلى حيث كانت تذهب . وحسن لأن لا يرحب ، وحملت المرأة وعاء البراء بعد  
أن عدها بما بقي لديها من أحشاش فقد علمت أنها يمكنها أن تجمع كمية  
كبيرة منها .

صار الخرج إل مأوى الحديد ، ولم تتوقف المرأة ، وإنما كانت كأنما  
قد وجدت قوة مده . وحدثت بالإثنين إلى الأجمة القريبة لتجتمع الأحشاش  
وترجع بها ثانية تحمل بأ كبير كمية منطاعة . حاولت المرأة أن تخرجها وأمرتها  
أن تبدأ في انطباع أحدها . يب لاسد وحده ، في حين أتجهت إلى حيث كان الذئب  
يربض إلى جانب رقيقته من الهبة والآخرى ، وهو يرسل صوتا حفيفا أغرب  
إلى الحاجة .

علمت المرأة أن الذئبة لم تبت . ولم كانت قد أصبحت في كنفها إصابة بالهبة  
مرقت عملاتها ، وأحالت لدماء عنها . رأت أن الذئبة سوف تبحث إل ماء  
تسمح به جرحها وترطب رأسها . ولم يكن الماء قريب إلا أن مصدره الوحيد  
الذي كانت تعرفه هو النهر . طارت إل السماء تفكر ، كانت الشمس قد غابت  
صدمدة وراء الجبل ، لكن الغسق كان ما يزال قويا . وقدرت المرأة أنها  
تستطيع الذهاب إلى النهر ، والهبوط من إحدى الممرات التي رأتها وتعود قبل  
أن يمل الظلام تماما .

لم تتردد . أشارت إلى العملاق أن يحمل الذئبة ، وبضعها إلى جانب النهر  
التي بدأ وهيجه يماري بعد أن غلبها دس ، ببعض الأحشاش . وابتعدت وعاء  
شارت به في طريق النهر . تبعها الذئب بعد تردد يسير . وعاد الإثنين قبل أن يمل

ظلام تماماً لتبدأ المرأة في استعمال بعض أوراق الشجر تباً لها ، وتضعها على موضع إصابة الذئبة ، وترصب بها فيها . وتملكت الذئبة قليلاً ، وفجعت عينها وانظر إلى أدراء . صدرت منها في بادئ الأمر زمجرة عاصبة وحاولت أن تمض من رقتها ، لكنها ، عادت وألقت برأسها على الأرض في استكانة وألم . أبدت راحة النحاس الحيوانات الهائمة عن المنطقة ، فأعطتهم ، وصروا . وظلت المرأة أن مأواهم الجديد فيه الحماية السكافية فبدأت تمض عن أن تكون أقامتهم فيه مريحة لمدة طويلة . ومرت أيام استطاعت فيها الذئبة أن تمض من رقتها ، لكنها لم تبعد عن المأوى . كما أمنت إلى المرأة فكانت تسير حيثما سارت .

بارغم من أن اللحم كان ما يزال كثيراً فإن الذئب كان يتغيب كل يوم عادة مرة وفي فمه أربع برى . وفي مرة أخرى أحد يقوم بحركات هوسية أمام المرأة ، وتأ ، حتى تمته ، وبعد مسيرة أقل من ربع ساعة شاهدت جثة قرال صغير تمكنت بعد تعب يسير أن تحضرها إلى المأوى .

ولم يتعد الصلح ورفيقته كثيراً ، فكانا يقضيان معظم ساعات النهار ومهما يأكلان ، أو يجلسان . اعتاد الصلح أن يجلس على الأرض مرتكزاً إلى أحد الجدران الصخرية ، وفي يده مرآة الخبيثة التي لم تكن تمارقه ، في حين تجلس إلى جواره المرأة (ق) رفيقته ، ولا يتحرك الاثنتان ساعات واعتادت (ق) أن تدب معه إلى النهر ليعودا بعد عدة حاملين وعادين وملوئين باماء .

وابدأت المرأة (تا) توسع من دائرة حركتها لتتعرف على المنطقة ثمبها الذئبة . وذات مرة لاقت من جهة لم تكن سارت فيها من قبل . وشاهدت إلى أهل جزءاً عظيماً من الجبل عذب أنه مدخل الكهف ، اذكروها بالكهف الذي بدأت فيه مع قومها وأسعدتها الاكتشاف حتى أن شعورها لأول مرة كان يدفعها إلى الصمود وارتقاء الجبل . لكنها كانت تعلم سابق خبرتها أن بعض هذه الكهوف تشتهد بالحيوانات المفترسة مأوى لها ولا طعامها فامتنعت عن الدخول ، وعادت مسرعة إلى المأوى ، حيث كان الصلح ورفيقته والذئب .

لم يدم الصلح السبب في انتقامهم إلى ، لكنه كان قد اعتاد اطاعة المرأة



فحمل أحد الخربين ، واعطى الآخر رفيقته ، وسار الاثنان متهمين حمله المرأة حاملة النار . ولم يمض وقت طويل حتى كان الجميع قد وصل إلى الكهف .

توقفت امرأة عند المدخل ، لكنهما لم تسمع أى صوت من الداخل فذا أن الدئبين لم تبد عليهما أية إشارة تم عن القلق ، أو أيهما اشهر را الحة شربة صادرة من الكهف . لم يطل تردد المرأة ودأبت إلى الداخل .

لم يكن لظلام في الخارج قد حل ، أما في الداخل فلم يكن المدخل من الاضلاع ليسمح لضوء العروب الماهت أن يترى . وبالرغم من أن النار كانت مشتعلة ألا أن ضوءها لم يكن يصل إلى كل العدران المجرية مما أعطى المسكن رهبة ، واحساسا بالاضلاع . اقتنعت المرأة بأن تشير إلى المعلق ورهبة أنه بأن يضما حملهما على الارض إلى العدران بجوار المدخل وجاست بدورها إلى جوارها وبهذه الوجبة العشاء ، في حين أخذ كل من الدئبين نصيبه ، ورضا عند المدخل ينتهانه ، وبقيت هي تنكر في رجلاها ( بو ) الذي ابتلعه النيار ، والذي كانت تظن أنها ان نراه بعد ذلك

• • •

في ثوان قليلة تنازعت الرجل و بو ، ثلاثة أحاسيس شعر بعرودة شديدة تسرى في جميع أنحاء جسده ، وبأن الهواء حوله قد إستحال إلى ماء يحيط به من كل جانب ، وأن ماردا جبارا راح يلمب به فيطويه بين أصابعه يحطبه ويحطم عظامه ، ثم يفلد به مصافة بعيدة من يد إلى أخرى وفي الثواني التالية زال الإحساس به بالبرودة ، وضعف شعوره بالمارد ، وتضاءل شعوره بالماء مرات . توقفت تفكيره تماما من كل شيء إلا من كمية المياه الهائلة التي ملأت العالم فجأة لتعيط به من كل جانب . وبشعور غريزي حاول التخلص من هذا العدو ، فأخذ يضرب يديه كأنا ليبيده عنه . وفي لحظات ظن أنه أفلح ، إذا ارتفعت رأسه قليلا ، لكن في اللحظة التالية كان هذا العدو الناعم المتفكك قد ملا عليه ديباه ثانية .

وما كان لهذه الحياة الدافئة في مثل هذا الرجل أن تستكين بسهولة . راحت يداه تضربان هدوء بأفعى ماتمطيحان من قوة . ويلين بسيط كانت اليدين فغوصان في الجسد الذي ملا السكون من حوله . ولذرة الثانية ظن أنه أفلح

في أن يهزم خصمه ارتفع الرأس فوق الماء لحظة ، جرف بعدها بسهولة  
و يسر لاحتويه أحضان الماء . ولم يكف الرجل ثمانية عن الضرب في خصمه ،  
ولم يمد من الخصم أى أثر للضربات المبالغة عليه . لم يحاول أن يرد هليبا ،  
ولما برق قائل كان محتويه .

شعر الرجل بأن صدره يكاد أن ينفجر . لم يحاول خصمه أن يضغط  
عليه ، ولكنة ملا حيتيه ، وأذيتيه ، وفه ، فمع هذه الرؤية ، والسمع ، والموه  
وفجأ بدأ عقله يعمل ثانية . لم يكن ذلك الجزء المفكر هو الذى يعمل ، وإنما  
الجزء الذى يتذكر . رأى المرأه ، والملاق ، والدبيب ، والرعب ، وغايته  
الحبيبة ، ن ورأى أمهه وقبيلته لى أهماها للعرب . رأى حريق الغابة ،  
والحيوانات التى تجري عثرفة ، والقردة ، تقهر واليران مشتملة فيه . رأى  
الثلوج المتراكمة ، والماء موت ، وممر كه للذئاب .

كانت المظاهر ثلثا لسرعه عجيبة لا إرسلط بينها ، لكنها كانت واضحة  
جليه كأنما تسيب نهما . ولم يمد شعوره بخصمه بملأ عليه حياته . لكن  
بدأ أنه تسيب تماما . استكان إليه وشعر بالراحه بين أحصائه . لم يعد فى حرجه  
إلى هذا الفراغ الهائل الذى تسيبه الهواء ، ولم يعد يشعر بأن ماء يداؤه وبأفاته  
يريد التخلص منه ، بل لم يعد يشعر بوجوده أصلا .

وبدأت الصور تتلاشى حتى توفقت تماما . وأحس المدة هائلة لم يشعر  
بمثلا طوأل حياته . لم يعد هناك خوف ، أو جوع ، أو عطش ، وإدم  
داخلته استكانة لديدة ، واسترحاء دون شعوره بالجد لم يكن قد فقد  
إحساسه بداتيه كلية . استكن بدا له إنه قد بدأ ينطق من سجن صيق إلى أفق  
واسع . كله أصوات وآلوان . ليس فيه أرض ، وليس فيه سما . مجرد أصوات  
والوان . عام لا شكل له ولا حد ، أصحى هو جبرأ منه .

وفجأة إحسانه ضربة قاسية على رأسه . وتحركت يده اثضربان هدوه  
الرهيب الذى ملا الدنيا عليه ومنع منه الهواء . وقبضت إحدى يديه على شيء  
صلب يتحرك بسرعة هائلة . وانحصرت المياه عن أنفه وفه . وام تترك  
يده الشيء الصلب الذى قبضت عليه ، وادفع الهواء إلى فم مختلطاً بالماء بشدة .  
وهزينة لا تمنعها أم يترك ما هو يمسك به .

كانت تطلعه ضئيلة من شجرة جرفتها المياه قد أصابته في رأسه ، فعادت إليه رشده - وأمسك يده بشوكة كبر فيمده ، أمسكه كان فرعاً قد كسر ، فأعانته هل أن يرفع رأسه عن سطح المياه . وذهبت لحظات ، وهو يسأل وسطه شديد رجوع إليه تفكيره . كان التيار من حوله جارفاً قوياً تملأه أمواجه ، لكنه استطاع أن يتفادى المياه المتوانة وكما دحرج الهواء . إدراكه بقياً غير عفاة بآلية كماله شعوره ، بمودة التفكير السليم إليه .

أحدث يده الأخرى تحيط بمذبح الشجرة وترمه قليلاً من المياه المتوانة وطر حوله ليرى أن التيار كان يحمله به عنه رهبة ، رأسه في الساعات التي مضت ، أو لعلها مضت قد استمدح من موقع رفاهه ، وبلا شعور أطلق صبيحة استجد صمت وسط صوت هدير المياه ، وما كان في استناده رفاهه لو أنهم سمعوه أن رعدوه ، هو به . بداله جلياً أنه إن كان سوف ينجو من هذا الوحش المائع فلا اعتداله إلا على نفسه ، وتفكيره الهادي .

كانت أعضائه الثرية مرهوبة ، وراح ينظر إلى ضمة النور وقد بدت له وكأنه على مسافة أميال عنه . كان يعلم أنه لو ترك الجذع لحظة فإن ذلك سوف يحكمه حياته لم يكن أمامه إذا إلا أن يتصكك به وأن يتوك مصيره إلى حيث يتيه .

بدأ إحساسه بجسده يبرد . كانت رأسه قد أصيبت بضربة قوية من الشجرة ولم يداحه الألم حينها أصيب ، لكنه أحس الآن بألم شديد فيها ، شعر بأن شيئاً أرحب يسيل منها ليحتضه بشرة فعم أن الدماء تنزف منه . ودافعه دور حفيف راح يقوده بكل ما أوتي من إرادة . وراودته الآلام في شق أنحاء جسمه من أثر المرات التي إلهالت هل كسبه وذراعه . لكن أكثرها ألماً كان في العنق العنقبة . كانت أذياله المنيعة قد ثقت تماماً ، وكادت تكسرها .

وكانما حصى أن يغلبه الدور ، أو تهزمه الآلام فتدق قبضته على الجذع حوافاً وحدراً . وسرعان ما تأمك نفسه وبدأ تفكيره الهادي . ثانية إن الجذع يدفعه التيار في وسط النهر تماماً . وهو لا يستطيع أن يتركه أفلاً يمكنه إذا أن يعبر من مساره ؟ حاول أن يهركه أو يوجهه إلى أحد الاتجاهين ، لكن

التيار كان سريعا وقويا إلى درجة جعلت محاولاته العديدة تذهب أدراج  
الريح ، بل أن الدرامات المائية هددته أكثر من مرة بأن يغرق الجذع من يديه ،  
لكنه طال متشبثا به ، واقنع أخيرا بأن يظل متعلقا ينتظر مصيره .

كان التيار يدفعه بسرعة معينة لم يكن يعتقد أن هناك ما يداينها ، ومرت  
ساعة أو أكثر ، ولاحظ أن الضفة ترفد بدأنا في الارتفاع حتى أخذت تسكون  
جدران صخرية وأصابه الخلع حينما وجد أن المياه تدفعه بسرعة البهائم نحو  
الحل الذي بدا ممعا سيئا . تأكد أنه لو ارتطمت الكتلة الخشبية بالجبل وهي  
تدفع بهذه السرعة فإنها لا محالة سوف تتفتت أو أنه على الأقل لن يستطيع  
أن يستمر في التمسك بها . ولا مخلص بعد ذلك من موته غرقا .

مضى في اهتة ، وقلبي مترابدين ينظر حوله باحث عن مخرج لنسلك التيار  
لم يحرف من مسرته ، ولم يقل سطورة الدرامات المائية . بدأ السكالك يصيب  
عضلات يديه ، كما أنه ، نتج كميات كبيرة من المياه بالرغم من محاولاته المستمرة  
في أن يبقى رأسه مرتفعا فوقها . كان الجذع على صاعدته لا يزيد عن مجرد  
ألوية في يد المارد يحركها ، ويدفعها كيما شاء ، واضطر الرجل كثيرا إلى تغيير  
موضعه . إنقلب الكتلة الخشبية مرات فوقه ، ووجد نفسه تحتها يعطيه الماء ،  
ومع هذا فقد ساعدته قوته الفائقة أن يستمر في تمسكه بها ، وأن يعتدل المرة  
تلو الأخرى .

مرت ساعة أخرى . وبدأت الشمس تميل إلى الغروب . أحس الرجل  
بأن عضلات يديه وأكتافه تفرق ، وبأنه لن يستطيع المقاومة طويلا على هذه  
الحال ، ومع ذلك فإن التيار لم يخف من قوته أو مسرته . لاحظ في ملح أن  
الجبل بدأ وكأنه يتدفع نحوه صاعدا شامخا . تضاعفت المسافة بينهم حتى أصبحت  
مسألة ثوان ترتطم الكتلة الخشبية بها بالجدران الصلد ، وبكل ما بقي من قوة  
إزداد تشبثه بالكتلة . وأغمض عينيه . متوقفا الصدام المروع في اللحظة  
التالية .

لكن الصدام لم يحدث . ومرت لحظات ، ومع هذا فقد استمر الحال على  
ما هو عليه . وإزداد صوت ارتطام المياه . بالجدران حتى أضفى هدرا يصم  
الأذان . وفتح الرجل عينيه . لم ير شيئا . كان للظلام الدامس يحوطه من كل

جانب . اثابت الرجل الحيرة ، وبدأ الصمط على أعضائه يشد ، وهو يحاول أن يوسع صدقته عسى أن يرى شيء . لكن الظلام كان تاما حتى أنه لم يكن في استطاعته أن يرى الكتلة العشبية التي ينشبت بها إزداد اضطراب أعضائه ، وأحسن كائنا قد إزدادت برودة الماء . وبأنه قد إنتقل إلى عالم آخر من الأرواح ، عالم مهيمن من الظلام ليس فيه كائن سواء .

اثبتته أفعاك سوداء ، في مثل الظلام الذي يحتويه . لقد علم أنه الآن تحت العيون ، وبأن جده قد شقت لنفسه طريقا في الصخور . لكن إلى أين يؤدي هذا الطريق ؟ يبدو أنه سينفض في هذا الظلام إلى أهد الآسين . وأن في هذا ولا شك سوف تكون نهايته . فلم يجد لديه القوة الكافية للاستمرار في المقاومة .

ولجأة ارتطمت الكتلة العشبية بقوة هائلة بحاجر صخري واللمظات أفلتت يديه فملا ، لكنه سرعان ما أهدأ أمسكه بها .

حيل الرجل أن الجذع قد غمر من اتجاهه ، وإذ قد أصبح مستمر صدق التيار ، وأنه موقف تماما من الاندفاع . وحلت المياه تضرب بشدة في الكتلة العشبية . وبقيت هي تعيد الإرتطام بالحاجر دون أن تتحرك إلى الأمام . واثابت الرجل هلع متزايد جاد في خاطره أن هنا ينشئ النهر ، وأنه قد قضى عليه نهائيا بالبقاء مكانه حتى يحور قواء تماما ويدع نفسه للوث .

خطر في باله أنه لا يمكن أن يكون قد اقتفى لنهر عند هذا الحد فزالته المياه تجري من حوله ، ومن تحته ، ويحاول التيار أن يتزعج جسده ويجرف به . احتاج إلى قوته كلها ليتمكن من البقاء في مكانه متشبثا بالكتلة التي كانت ما تزال في مكانها ترتطم من وقت لآخر بالحاجر غير المرئي أمامها . اندفعت المياه بعنف . وانقلب الكتلة من أثر الصدمة ، وانقلب معها وضع الرجل ، وعاد إحساسه بعالم آخر من المياه يحيط به من كل جانب . لم يقد عقله في هذه المرة . فلم يترك الكتلة العشبية تملت من يديه . وإنما حاول أن يمدل من رأسه فوق المياه الجارية .

في اللحظة التالية ارتطم رأسه بشيء صلب . كانت الصدمة من الشدة لدرجة أنه كاد أن يفقد شعوره ، لكن غريزة الحياة كانت ما تزال قوية فيه

طار داد مسكه الجذع . ومضت لحظات وهو في شبه عيبوبة وذهول لا يدري  
ماذا حدث . ثم ساوره خاطره . وازداد من تمسكه بالكتلة بيد واحدة ،  
ورفع يده الثانية إلى أعلى . ثانية واحدة كانت تسكني **لأن** تنسره  
كل ما حدث .

أدرك هذه أن سقف البحري المائي قد هبط حتى لم يعد يعد بينه وبين المياه  
أكثر من نصف ذراعاه ، وإذا ارتطمت به الكتلة الخشبية إذ أنها من الضخامة  
بحيث أم تمكن من الدور ، امتعرت في موقعها تنلق صدوات المياه من التيار  
من ناحية ، وصدوات السقف البحري من ناحية أخرى ،

إنتاب الرجاء وهب قاتل . ان معنى هذه أن الخرج سوف يبقى في مكانه  
لا يتحرك حتى يتمت من أثر رطوبة المياه واصطدامه بالسقف ، وقد يستغرق  
هذا أياما أو حتى أسابيع في حين أنه ان يستطيع البقاء على هذا الحال ساعات  
قليلة ، ومعنى هذا بالمقابل أنه قد قضى عليه بالموت حيث هو .

لمكن الاضطراب كانت صفو الرجل ، زاملته في كل مراحل حياته . كانت رفيقته  
في كل يوم ، وكل لحظة ، وقد خرج مما جميعا منتصرا بتفكيره الوادي ، وتصرفه  
الهديم . ولسبب غريب رجعت ذاكرته إلى الوراء ، إلى حريق الغابة . كان يتمنى  
وقتها على قطرات ماء من السماء لتطفئ الغليب المستعر ، وها هو الآن وعالمه كله  
ماء ، ولا شيء غير الماء ، سوى الصخر الصلب ، والاضلام الدامس .

كما فعل في حريق الغابة ، فعل الآن . بدأ في هدوء يتدر موقعه والظروف  
المحيطة به . ويتناسل الرسائل الخروج من المنازق . لم يمكن يرى شيئا مما حوله . لكنه  
أيضا لم يكن يستطيع أن يرى والنهر ان تحيط به الغابة . على الأقل يمكنه هنا ان  
يتحسس موقعه . وبدأت يذاه تمللان بدلا من هيبه . فأقل مدرة قد تؤدي  
إلى أن يحرقه التيار وتفلت من يده الكتلة الخشبية ، ولهذا لم يحاول أن يتعجل .

راح يتحسس السقف البحري ويتدر حوله من المياه تماما . أحذ يقارن بين  
هذا الدور ، وارتجاع الكتلة عن سطح الماء ، وأدركه أن المسافة لا تتجاوز نصف

راحة اليد. إنه يستطيع أن يضغط على الكتلة أو على الأرض عن مقدمتها لنهبط بالقدر المناسب، وسوف يدفعها التيار بعدئذ في سبيله. وتراجعت الأسئلة في رأسه. همه فعل ذلك، واستطاع أن يهبط بالكتلة بالقدر المناسب، فمن يضمن له أن السقف الحجري سوف يستمر على هذا النحو من سطح الماء؟ ألا يجوز أن يزداد اقترابا حتى تصبح حركة الجذع مستحيلة، ولا سبيل أمامه إلا الرجوع عند التيار للجارف؟ واستعد للرجل تقدير موقفه. ان قواه ان تستطيع احتمال الموقف الذي هو فيه، فابقاء حيث هو معناه الموت حتما. قد يكون بعد ساعة أو أقل أو أكثر قليلا، لكنه ان يملأ وهو لا يستطيع الرجوع، كما لا يستطيع أن يترك الكتلة الحشوية، وبذلك فلا أمل له في النجاة إلا ذلك الاحتمال الضئيف وهو أن يستمر على السقف كما هو أو، أن يزداد ارتفاعها، فإن يهبط قليلا كان معناه الموت له.

بدأ مدور به فور استمرار رآيه. كان أول ما قمه أن يحسس ثمما طول الجذع، وراح يجرب أحسن الطرق التي يستطيع بها أن يجره من فوقه. لم تكن أية حركة بأليها من الفيل التيار كان قويا جارفا كثيرا أدوات، كما أنه هو لم يكن في أحسن حاله البدنية، فقد أفقده قتاله مع مهاجميه، وصراعه مع المياه، والتيار، والصدمة التي ألقتها في رأسه مرفق الكثير من قوته، وجيوبته حتى أن كل جره من جسمه كان يشكى من الألم. بن أن ذراعيه قد كلتا من التشنج بالجذع، ومقاومة التيار. لكنه من ناحية أخرى كان يعلم أن هذه هي الفرصة الوحيدة في النجاة، وأعطاه هذا العلم دفعة قوية جعلته يتنامى لإرهاقه وضعفه وآلامه.

كانت الكتلة مستعرضة للتيار فكان عليه أن يعيدها، ولو جزئيا، لئلا يتدفع طولها، استطاع. أخذ يجرب الضغط في كل جره من الكتلة واضطرق كل مرة يضغط فيها أن يفوس برأسه في الماء. ولم تكن به حيلة في هذا فان مجرد الضغط بآيد لم يكن يكفي، فكان عليه أن يساعد بكل ثقل جسمه. ودون سابق انذار دارت الكتلة في دوامة مائية، وغطت معه إلى الحد المطلوب، واندمجت بقوة هائلة مع مجرى النهر، كأنها تعرض ما فاتها من وقتها. وعدت المياه تملأ حياة الرجل وتنفذ به من كل جانب. راحت الكتلة

توقفهم من لحظة إلى أخرى بالسقف الحجري وسحب إليه أن ارتفاعها قد إزداد وكما صبح البصر جال في عتاطره أن معنى هذا أن السقف يصل إلى الارتفاع فتحت له طلع كاد أن يفقده أعصابه .

تقلب السكتلة في اندفاعها مع التيار . وارتطفت إحدى يدي الرجل بالسقف الحجري فأحس بأن جلده قد ساح ، وأن عظام أصابعه قد تمزقت . اندفع الألم من يديه إلى رأسه صارخا ، لكنه لم يدع الكتلة الحظيئة تهلت منه . مصت الثواني سراعا ، وألح عليه شعوره بضرورة التمسك في يجرج رأسه من الماء . السكتلة الارتطامات النهائية للسكتلة الخشبية بالسقف الحجري كانت تعذره . بدا له أن السكتلة قد إزداد عوجها في الماء حتى أنها كادت تنحني بومتها فيه . حين أنه سمع صوت ارتطام المياه نفسها بالسقف الحجري ، السكتلة كانت مائلا في ارتفاعها المريع مع التيار .

أحس برغبتة تكاد أن تدفع طلبا للهواء . ودأبه دراز واندفع الماء في له ، ويتابع كيات كبيرة منه . ومع هذا أنه ، لم يقد تفكيره أو توازنه مضت الثواني ثقيلة طويلة ، وشعر الرجل أنه لن يستطيع المقاومة ، وأن عليه أن يحارل التمسك حتى إن كان في ذلك تمهيش رأسه .

أرسل من صمطة على السكتلة ورفع رأسه فوق سطح الماء . وادده أنه الخشب لم يصطدم بالسقف الحجري ، ولا تمتم رأسه من الارتطام به . بل أنه في الواقع لم يكن في إصطدامه السابق قد لاحظ أن الارتطام قد كب منذ ثوان كثيرة مضت . ملاقه الهواء ولما تابه عثيا شديدا من كثرة ما ابتلع من ماء . وراح يسبح بشدة . ومضت ثوان أخرى قبل أن يتملك منه . أحس بالتيار يدفعه بشدة ، لكنه كان قد أصبح الآن مجرد نزهة بالمقارنة بما هو به في الدقائق الماضية .

وكأنما أراد القدر أن يكافئه ويومعه عما لاقاه ، فجاءت البشارات متتالية . تضام صوت هدير المياه وارتطامها بالجوانب الصخرية للجبل ، كأنها قد اتسع مجرى النهر ، وأحس الرجل بأن التيار قد سمحت سدفه ، وقلت سرعة ارتفاعه . ولعل أكثر البشارات تأثيرا في الرجل أن عينيها فجأة بدأت تشاهد أن جدران



المجرى وسقفه كان المجرى قد اتسع إلى درجة كبيرة حتى أن الجواب يترك  
 بعيدة في الضوء الباهت ، كما أن السحب الصخرى فوقه ارتفع لاكثر من قامة .  
 وفي يد الصخر شيئاً قشيباً ، حتى بدا كل شيء جلياً واضحاً . وراحت الكتلة  
 الخشبية تتماهى في ادوارها ، بينما ترفعت تماماً الدرامات المائية ، كان الثيران  
 ما يزال قويا . لكن اتساع المجرى لامتص كل قلائص الحياة . ولم يمض وقت  
 طويل حتى بدا ممدد خارج من الجبل . ودعش الرجل حينها لاحظ أن الشمس  
 لم تغرب بعد . ولو كان يعلم أنه لم يمض في باطن الجبل أكثر من دقائق  
 معدودات لانتابه الدهول .

تمادت الكتلة الخشبية خارجة من المنفذ الجبلى ، يرى الرجل أن صدق لغير  
 قد اتسعت إلى درجة هائلة ، وأن الأشجار تنساق على الجبالين . تناهت إلى أذنه  
 أصوات الطيور المغردة ، وصجيج القردة تتصايح مودعة الشمس .

أحس الحافة بكل آلام جسده ، وبأن الأعياء قد بدأ ينتابه . وبما بقي له  
 من قوة جاهد في دفع الكتلة إلى إحدى الضفتين . أحس برغبته ترتطمان  
 بالأرض قبل أن تقب الكتلة تماماً . ولم يشك أن في استطاعته قدميه أن  
 تحملا جسده ، فرحب على ركبتيه ويديه ، غير عانى بالآلام المتزايدة في عظام  
 أصابعه ، ولا أديمه التي كانت مائتال فقطر دما ، ومن رأسه .

اعتنى بأن يبتعد قليلا عن امام حتى يصل راحته إلى أقرب شجرة ، وطابت  
 الدنيا عنه .

## الفصل الرابع عشر

### نفق الموت

استيقظت دنا ، مع شروق الشمس . كان أول شعور لها هو أنها في مكان غريب ، فدارت بظرفها فيما حوّلها . رأت دنا ، ترقد على بعد خطوات منها . وإلى جوارها جسم العملاق يعذى النيران ، أما لدنجان فلم يكن له ما أثر . قلعت متطلعة تنفذ من الكهف . كان كبيرا يزيد عرصه على عشرة أمتار في حين إمتد طوله إلى ابداس أكثر من ثلاثين مترا . لاحظت دنا ، أن بأحد الجدران فتحة مظلمة يمكن أن يدخل منها جسم العملاق راحة .

قامت من مكانها . وبظرف إليها دنا ، بلاهة ثم استمر في عمله وشعرت بجوع شديد ، فأتته إلى أحد الخرجين ، وأستحصت قطعة من اللحم ، لحم الأسد . لمسها ، وجسست تشويها على النيران . وأشار إليها دنا ، فذهبت وإلتصقت له جرد آخر بدأ يأكله بينما وهو مستلقي إلى جوار رفيقته دنا .

فرعت دنا ، من غذائها فقامت متجهة إلى الفتحة المظلمة . لقد تعلت من رجلها ، ومن خبراتهم السابقة ، أن أول شيء يجب عمله هو معرفة المكان الذي ققيم فيه . فالمسكان عادة له في حد ذاته قدراته يدافع بها عن الالجئين إليه . وفي كل حينها كانت كل القسدرات يجب إستغلالها إن أرادت البقاء . اكتشفت أن الفتحة إما ، تؤدي إلى عمدا طويلا ، لكنها لم تستطع أن تتحقق من ذلك إذ أن الاظلام في ابداس كان تاما .

عادت المرأة إلى الأحشاب ادراكه لوى أن دنا ، قد استيقظت ، وأنها بدأت تتناول وجبة الصباح . تتبعتها هيما دنا ، وهي تنفط فرعا جافا كبيرا تضع طرفه في النار حتى اشتعل ، ثم تعود بها إلى الفتحة البعيدة . وسارت دنا ، بالعرع المشتعل ينير لها السيل ، وطالها الجوع في دمر الجبل رطبيا باردا حتى أنها شعرت بقشعريرة شديدة تسرى في جسدها ، لكنها استمرت في التقدم .

بدأ الممر أطول كثيرا ، طينه ، بل أنه كان يوح أنه لا نهاية له .  
لاحظت ، كما أن الممر يمكن منسجما ، وإنما كانت تعقيره تعريجات الخفية ،  
ولم يكن مسطو ودهما كان يعين إلى الارتماع التدريجي داخلها شعور  
بارهة والخوف ، وحشية أن تنطق الشعلة في يدها ، لتبقى في الظلام الدامس ،  
واهتزمت المودة حينما انسمع الممر لجأه لتجد أنه قد تسكوت منه حجرة  
داخلية .

دلت إلى حجرة الصحيرة ، كانت بدورها متسعة لا تغل عن الكهف  
الخارجي ، وإن كان تقديره يعقربه الشك إذ أن صوه النيران لم يكن ليصلها  
الإبراد الحقيقية . شعرت بشده وطوبى الحجرة ، وبالصمت المطلق الذي  
يسود المسكن . وأوثيت السفة للنيران من العنصر الخاف ، مهدده بقرب  
الاطمئنا ، وطمع عليها خوف رهيب ، وأسرعت إلى الممر تعود أدرجها وهي  
تنظر هتعة إلى العنصر المتناقص في يدها . حيل إليها أن الممر قد ازداد طولاً ،  
حتى حسيت أنها قد فقدت طريقها ، أو اتخذت طريقاً آخر غير الذي جاءت  
منه . وازداد عليها حشية أن تنطق الشعلة في يدها لتتركها تنضب في الظلام ،  
فراحت تعود بأقصى ما تستطيع من سرعة . وراد من وجها صوت وقع  
أقدامهم على الأرض الصحيرة وهو يقطع السكون المطلق حولها .

كانت أن تراه مرة على الأرض الرصبة ، والتوت قدما أكثر من مرة وهي  
تطأ حجارة صغيرة متناثرة ، لم يكن لها تمأ بهذا ، واستمرت في اندفاعها  
الجهنمي دون وهي . كانت تريد أن تسر إلى النور قبل أن تنطق الشعلة  
في يدها .

لم يكن هناك داع في الواقع لهذا الهلع الذي لمستولى عليها إذ أن الممر  
لم يكن له مخرج آخر . ولم تفض دقائق إلا وكانت قد وصلت لاهثة إلى الكهف  
الخارجي ، فالتفت العنصر الذي كاد أن ينتهي ، وارتعت على الأرض لتعود  
أعصابها الضائقة ، وأعصابها المتهورة . لم تسكن المرأة جبانة ، وما كان يمكن  
أن يقال هذا وهي التي حاربت إلى جانب رجالها حيوات العابة وروحها ،  
بل وهي التي جاهدت الطبيعة الشرسة في أشد حالات ضراوتها ، لتسكن الظلام  
والصمت المطلق كان لهما أثرهما على أعصابها .

استندت إليها بعد فترة ، وتطلعت من مكانها لترى أن العملاق والمرأة  
ما يزالان يجلسان حيث تركتهما وفي حين كان دبور ، ينظر إليها وكأنه  
لا يصيبه من الأمر شيئاً ، كانت هتافاً تنادى إليها بدعشة واصبحة . ثم تسكن  
رهيفة العملاق تهمهم لما إذا تترك المرأة الغذاء ، والدفء ، والراحة ، والأمان  
إلى جانب الليزان وتذهب لتحتقن في باطن الصخور الصماء .

لم تنمرك هتافاً من مكانها حتى بعد أن استردت ألسنها . ذلك أنها شعرت  
بالآلام في بطنها ثم عدوها المحموم الذي تباست فيه أن في أحشائها جديماً  
يتحرك . تسكن عقابها كان يعمل . لم الحجر الداحلية أكثر أمناً من هذا  
الكهف ، وإن هاجهم عدوهم فيها فلن يستطيع أن يذهب إلا من خلال لمحر  
الصيق سديماً . فلماذا بدأتهم الحجة التي هاجتهم قبل ذلك أو غيرهم من اليسير  
جداً على العملاق أن يوقف الهجوم ويردهم على أعقابهم حاسرين .

شعرت بجفاف حلقها من أثر الجري فذكرها هذا بمشكلة أخرى وهي  
المياه أن كانوا يريدون البقاء في هذا الكهف والحجرة الداحلية فلا بد لهم  
من مصدر مياه قريب والا تعرضوا جميعاً لحرث عطش إذا حاصرهم جدر .

قامت من مكانها متأنقة . ولم تذهب إلى ريفيتها وهي فداد خارجة فأبذلها  
أنه الشمس قوية قريل الدفء في جسده البارد . واستنشقت هواء جاف بقيا  
أعاد إليها إحساسها بالحياة . بدأت يبصرها في السكون ، كانت هلى عبر يريه  
هلى ثمانية متر وشاهدت منظرًا بديماً عنها . بدت لأعشاب كبساط أحضر  
صالح ، تآثر فيه أشجار وحيدة ، لتقطع من وتيرة المطر تزيده دماء . وهلى  
إمتداد الأفق البعيدة لاحظت أشجار الصلبة تتكلم تدريجياً حتى تسكون حائط  
تقف عنده الأعشاب ثم أجمت بعد هذا اللون أحضر معاير ليلتقى بالسحاب .

وعلى قدر ما كان المطر حاراً فإن المرأة لم تكن تنتم كثيراً ، فعلى الرغم  
من شعورها بالجمال إلا أن تكبيرها كان ينصب هلى ماهر أهم من ذلك على  
مصادر المياه . اتجهت تعبيرياً إلى حيث يساقب النهر يتلوى بين الأعشاب  
والحشائش وقد انعكست عليه أشعة الشمس فأكسبته لمعاناً فضياً جميلاً يتلألأ في  
أماكن متعارفة . واكتأست المرأة . كانت المسافة بينها وبين النهر كبيرة حتى  
أن مجرد الذهاب إليه في الأحوال العادية كان مخاطرة جسيمة .

استبعدت النهر كمصدر للماء . ودارت عيائها تنفذ حصان الجبل حولها ببطء شديد عسى أن يكون هناك جدول أو غدير . لكن بالرغم من شدة تمسكها لم تستطع أن تكتشف شيئا . مصت الدقائق وهي ما زال تمسكها ، وأخيرا أيقنت بعدم وجود أى مصدر مياه على مدى بصرها سوى النهر .

عادت متثاقلة إلى الداخل . واثناها حزن عميق ، فإن للكف كان يمشى بأنه هو المأوى المثالي الذي يستطيع فيه أن تصنع مولودها في أمان ، وأن تنشئ بعيدا من محاصر لآسان والحيوان ، لكن عدم وجود الماء قربا منه قطع بأنه لا يصلح كماوى . وعليها أن تبحث عن غيره .

ألفت بحسبها على الأرض ، وحملت مستندة إلى الجدار الصخري حذرت ببصرها في الديران تفكر ولم تلتفت إلى الرفيقين الجالسين إلى جوارها . ولعلها تذكرت رجلا فارذادت الكانة ألق افتابها . لو كان الرجل موجودا الآن أداما ثواني في البحث عن مأوى يناسبه . لكنها ، وهي المرأة الحامل ، بطيئة الحركة ، ما كان في استطاعتها أن تقفز . بين الصعور ، أو أن تسير على غير هدى الساعات طويلة مضنة في البحث . ولم يكن في استطاعتها ، من ناحية أخرى ، أن توضح لرفيقها الأسباب أهمية العثور على مأوى يناسبهم ، ويغطي احتياجاتهم البسيطة . لقد قنع الاثنان بوجودهم آسفين مؤقتا في الكف ، وبوجود بعض اللحم يأكلانه وحينما يفرغ اللحم سوف يذهب العملاق بحثا عن مزيد ليعود به ، ويبدأ أسياته الكشيبة الصامتة مرة أخرى . وحينما يصمما العشب سوف يذهبان إلى النهر يرويان ، فإن صادفتها أسطار جابهاها ، كما جابها عشرات غيرها ، حتى يأتي اليوم الذي تدور فيه عليهما الدائرة ، ويذهبان بدورهما طعاما لعدو .

وكأنما كان في تفكيرها هذا إلهاء لرفيقها قام الاثنان فجاء ، ودافئا إلى خارج الكف . وتركاهما بمردها واحزائها . أم تكن تخاف الوحوش ، فقد تعلمت أن رائحة النيران لن تجعلها تقرب ، لكنها كانت تعشى العدو الوحيد الذي أمنت أنه لا يهاجم النار ، وإن كان لا يقرب منها ، إلا وهو الانسان .

مدت من مجلسها . وتناولت أحد الرماح الملقاه على الأرض ثم نظرت إلى كمية الأخشاب المتبقية كانت ماتزال هناك كمية كبيرة . أنها تكفى لأن تستمر النيران مشتعلة أكثر من ثلاثة أيام ، لكن كانت هناك فكرة تراودها

أرادت التحقق منها ، كانت قد لاحظت وجود بعض غيضات قريبة من السكف  
فخرجت تجمع المريد من الأحداث الجافة لتقوم بتحميل ما استقرت عليه

حينئذ خرجت كان العملاق ورفيقته قد احتفيا بين الصخور والأشجار ابتدأت  
في بطء تجمع قطع من الأحداث لنعود بها إلى السكف . كررت العملية مرات  
عديدة حتى تجمع بالداخل كمية كبيرة . وشعرت بالنعيب يذب في جسدها ،  
وارداد شعوره بالعطر ، اسمها قطعة أخرى من اللحم شوتها على النيران  
وجلست تأكل .

كان النهار قد انصف حينئذ انتمت من وجبتها ودخل الدئابان وقد بدا عليهما  
أنهما قد تناولا وجبة دسمة من فريسة كانت بهن دماها ما تزال تدفق بهن الدنية  
تزامم الإلهان حول المرأة التي راحت مداعب فرائدها يحدن ولم تمكث طويلا  
على هذا الحال ، وإنما قامت من محبتها لتبعد الجرة الثاني من جهتها .

حملت ما استطاعت من الأخشاب . وسارت بها إلى أقصى ما يصل الضوء  
في الممر ، ثم وصبتها إلى جوارب الخيط وخرجت ثمانية أمتنق وعاء فخاريا ملأته  
بقطع صغيرة من الخشب وأشعلت فيه نيران . راح الدئابان يرقبانهما  
من مكانهما بشكامل وأصح وشاهداهما وهي تحنق المرة الثمانية في الممر الخليلي .  
لم تقف في هذه المرة عند نهاية الضوء ، بل سارت في الممر ، حاملة الوعاء .  
ولم يلقاها أي خوف فقد أيقنت أنه حتى إذا انطأست النيران ، فأنها تستطيع  
أن تعود أدراجها حيث لا يفتد آخر الممر سوى عن طريق السكف الخارجى .  
سارت مدة طويلة ثم وصبت الوعاء على الأرض ، وعلى هدى صوته البسيط ،  
عادت مرة ثالثة إلى المدخل لتعمل كمية أخرى من الأخشاب .

لم يكن العملاق ورفيقته قد رجعا ، لكن وثناء لم تعلق إذ كانت تعلم أنهما  
ذهبا إلى النهر للشرب ، وأن المسافة بين السكف والنهر أطول مما كان يظنان ،  
وأنهما بالتالى لن يستطعا العودة قبل غروب الشمس . كررت العملية حتى تجمع  
لديها في الممر كمية لا بأس بها من أحشائهم وضعتها على ثلاثة أبعاد متعقبة ، ووضعت  
آخر كمية تحملها في السكف اداخلت نفسه

نظرات حولها تمكثهم العجزة الجديدة ، لسكنها في محاولتهما لم تكن

تستهدف نرا آخر ، كما قد ذكرت وهي حالة تنظر إلى الميران في الكهف الخارجى أن ضرورة في الحجرة الداخلية شديدة جدا . بل إن الأرض الحجرية ذاتها كانت زائفة من المياه . وتنجبت من أين تصل هذه المياه إلى الداخل لابد أن هناك مصدرا لها . وهذا ما اكتشفناه أصبح الكهف المأوى المثالى ، وكماها مثوبة البحث عن غيره .

لم يكن هناك شك في أن هذه الحجرة لم تر ضوء الشمس ، أو حرارة الميران لألاف السنين . وقد يكون هذا تطلعا كافيا للرطوبة الشديدة التى ملأت المكان ، لكن حينئذ لمراء أنه حتى كما نلاحظ أن أحجارا أقر رطوبة من الأرض ، ومعنى هذا أن هناك مصدرا للمياه التى تنساب بكمية ضخمة من مكان ما . حملت وعاء النار ، وضعت تحت عن الموضع المرتقب .

لم نكتشف أن ظاهرا كان صحيحا حسب ، وأن المياه تنساب من أحد الشقوق في جدار ، وإنما أيضا اكتشفت أن هناك نرا آخر في نهاية الكهف لعله امتداد للممر الذى أتت منه . وما كانت الحجرة إلا مجرد اتساع فيه . أم تمكن المياه تنساب من الشق بمرارة وإنما مجرد قطرات متساقطة وصوت اندراف يدها على القطرات فلتنمى وتكلى بها شفتيها . وضعت مدة قبل أن نمرى ، استكنها في الموية اكتفت بما شربنا .

التفت إلى الطرف الآخر للممر وزددت أن تنامح اكتشفها . لكن الفضول الغريزي دفعنا إلى التقدم . قررت فيما بيننا وبين ربها أن تدخل إلى المسافة يسيرة لئلا نكأن الممر سوف ينتهى سريعا أو أنه موعى في امتداده .

تقدمت حامدة شعلة طويلة من الميران ، وكان الممر ما يزال مستمرا في العمود . وازدادت رطوبة الجو حتى أن تنفسها بدأ يصيق ، ومع هذا فقد تقدمت بعد تردد يسير . لم يد أن الممر نهاية إذ استمر في امتداده ونعرجاته . وبعد مدة انقسم إلى أكثر من فرع . توقفت عن المسير . وداعها شعور بأنها إن اتخذت إحدى السبل فقد تعس طريق العودة . وبعد تردد يسير بدأت رحلتها راجعة إلى الكهف الخارجى .

مصمت إيام والجماعة هائلة في الكهف لم تضع امرأة راسها هناك ، وإنما استمرت تجمع الأحصاف وبقوا كأنهم كومة من اللحم المتبقى من العرل الذي كان المذبح قد اصطاده . سارت في الممر ادخلت مرات عديدة ولم تتوقف عند مدخل الطرق ، وإنما سارت في إحداها ، واعتقد بأن تصح علامات شائرة مقاربة على جدران الممر حتى تعرف طريق عودتها . تماماً كما كانت تفعل في الغابة .

استكشفت مرات أخرى ، وفي أحدها عثرت على منوع ماء بني كمام مشرب العطش المستمر إذ لم يكن تكفيها تلك القطرات التي كانت تسيل بها شفتيها في الحجرة الداخلية بين الآن والآخر . وذات مرة كادت أن تسقط في حفرة عميقة لم تدرك غورها ، لكنها تراجعت في اللحظة الأخيرة . وقدلت عائدة وهي ترتعد وحيتها عدت أنها أصبحت في الممر الرئيسي أعتقد أن تصح علامة الموت على مدخل الفرع .

في كل تجولها لم تصل إلى نهاية الممرات . أصبح أن يوصفها كأن يشق إلى صخر صلب . لكن البوص الآخر كان يستمر في العود يشمرع بعد ذلك . وصوت علامات تستطيع أن تميز بها الممر الذي من غيره وكأنها بهذا بدأت أول خطوات الكتابة ، أعني العلامات المميزة والرسم . هذا الممر به ماء فكتات علامته حطوطاً منقطعة ، وذلك لا ممدد منه ، فعلامته حط رأسى يوحى بجدار ، والثلاث ميرات به بخط أفقى يشق بخط رأسى طويل دلالة على أن به حرة . حقيقة .

أعتقد المرأة دائماً أن تحمل بعض الأحصاف تصدها على مسافات في الممرات المعنوسة ، كما أعتقد بأن تنقش لها أقل ، لأنها كن رطوبة ، فقد كانت تعلم أن المياه هي العدو الأول للملح . وما كانت تريد أن يبقى في هذه الممرات دون صر . ولم تدرك المرأة أنها في استكشافها المستمر قد توغلت لا أكثر من مائتي متر في باطن الجبل ، ولا أنها قد اكتسبت خبرة كبيرة ، والعلة تامة بطبيعة الجبل ومسالكه ، واحساساً باحتياجاته التي قد يرى المرء لأول وهلة أنه لا يخرج منه .

وجاء يوم أنت فيه هذه الأيام تدركها . واحتاجت المرأة إلى كل حيلاتها



ومما رأتها التي اكتسبتها من تجوالها المستمر في باطن الجبل وأنتت دون أن تدري بطريقة لم تعرف إلا حديثاً وهي أن المكان يدافع عن قاطنيه . كان الوقت طويلاً ، حين صادف من إحدى رحلاتها الإستطلاعية جلست على الأرض إلى جوار العملاق ، ورقيقته يتناولون وجبة العشاء وكان المديان قد تمدا في هدوء بعد أن التهما وجبتهما . ومما هب الاثنان واقفين ومما يزجران ، ثم اندفعا إلى مدخل الكهف . عاب صرخة غضب وألم من الخارج ، وفي اللحظة التالية انقلب السكون إلى حركة ، وانصبت إلى أصوات مختلطة

بسرعة خاطفة هب العملاق واقفاً وفي يده هراوته ، واندفع إلى مدخل الكهف ليتقى سيلاً من الرجال يطوحون برؤوسهم وقد حاصروا المدينين الذين اضطروا إلى التراجع أمامهم . تصايح الرجال ، وانفجرت الهراوة الرهيبية تهبط على رأس أول الداخلين ، وتلقى ثان ربحاً في صدره قذفته ، تاء ، ووقع رابع على الأرض وأبواب الدتب مغلقة على رقيقته في حين أطبقت لدتبه على يده المسككة بالهراوة .

ورقق الهجوم . لم يكن ادماجهم لم يتركوا مدخل الكهف وراح جماعة منهم ينتقون الحجارة ويلقونها عليهم . من فوق رقوس أصحابهم . صرح الدتب وتراجع إلى الداخل ، وأصيب العملاق في أكثر من موضع في جسده لسكه عجم على الجمع غير مبال بالحجارة . وسقط رجل آخر ، وجري زملاؤه هراوا من الهراوة الرهيبية ، ثم توقفوا على بعد آمن وراحوا يطرون قاطي الكهف بالحجارة .

انتهزت المرأة فرصة الهدوء الذي فتناوات غصداً طويلاً ، وأشعلته أشارت إلى المرأة الأخرى ، التي كانت متكئة في محض بأحد الجدران تحتمى من الحجارة المتطايرة ، ثم صرخت على العملاق والمدينين عفاذية . وأصرعت نحو البحر . وعلى قدر بلادة العملاق العادية فأه يبدو أن القتال يشعل عقله ، فلم يتوان لخطوات . وإنما حمل بسرعة بعض اللحم ووضعته في حرج وبأشاره من تاء جمعت المرأتان ما استطاعتا من الرياح والأخشاب ، واندفع الجميع نحو البحر .

سارت المرأة في انقدمه ، يتسبوا لذيئان فرقيقة العملاق وبن ، فاعملاق  
وحينما وصل الجميع إلى كومة الاحشاب الاولى التي كانت هناك قد وضعتها في  
الممر ، اشارت إلى الجماعة بالتقدم ، ووضعت ما تحمل من اششاب إلى جوارها  
وسقت المجموعتين لتسدان ارض الممر تماما ثم اشعلت النيران في بعضها  
ودامت إلى الداحل خلف رفاتنا .

وفي الحارج استمرت الجماعة المهاجمة في قلب الحجارة لمدة قبل أن يكتشفوا  
أنه لم يصدر من المكيف أى صوت . ونجراً أحدهم فأطل برأسه إلى الداحل ،  
ولما لم ير أحدا صرخ على رفقة ماديا . وفيه الجميع في المكيف الداحل وقد  
تولتهم الدهشة ، حتى اكتشف أحدهم الممر . اندفع المهاجمون يتراجعون وهم  
يتصايحون ، لكنهم حينما دخلوا قليلا كانت النار قد أمسكت باقى الاحشاب  
لنكون حائرا رهيبا تصاعد ألسنته كأما تتعدى أن يقترب منها أحد ، فتوقفوا  
مترددين .

سمع الهاربون أصوات المهاجمين يستحثون بعضهم على اغتنام النيران ،  
لكنهم كانوا يملكون أن يحرق أحدهم بها سوف يقيم مترددين لدقائق  
حتى يبعد أرا النار قليلا . سارت المرأة بحطى ثابتة يتبعها رفاقها مشدوهين  
حتى وصلت إلى الكومة الثانية من الاحشاب التي كانت قد وضعتها في الممر  
فاحتلتها . كانت تعلم أنها وضعت ثلاث مجموعات من الاحشاب قبل أن يتصل  
الممر بالحجرة . وحينما وصلت إلى المجموعة الثالثة فعلت بها ما فعلته بالأولى ،  
وسقتها مع ما تحمل لتكون السد الثاني أمام الحماة المهاجمة . لكننا في هذه  
المررة انتمت لنفسها فرعا آخر واقتل لدى كال معها في وسط كومة الاحشاب  
الثانية .

كانت تتو ائب في رأسها بحلة طالبا فكرت فيما في حالة هجوم عدو  
واضطرازاها إلى القرار . كانت تحتاج إلى بعض الوقت لتنفيذها ، ولهذا  
وضعت حاجرى النار . وحينما وصل الجميع إلى الحجرة الداخلية احتملت ما بها  
من اششاب ثم سارت يتبعها رفاقها إلى الممر الداحل . بدأت تضع بعض  
الاحشاب القليلة على مسافات قريبة نسبيا ، وتشعل كل مجموعة منها حتى أوضح

الممر واستمرت في عمها هذا إلى أن وصل الخلع إلى حيث تعدد المسالك .  
 ثمك حو آخر بالمدح . وبدأ جميع يسعون . لكن المرأة لم .  
 لهذا ، وإنما اذارت إلى رفاها أن يشعروها في أحدا الممرات ، وصارت هم  
 فقره قصيره ، ثم طلبت منهم أن يبقوا حيث هم عند المنطق شديد في الممر .  
 تدل الذئبان ، لكنها امت اعتزاها بشدة ، وتركت الجميع في ظلام  
 د من وعادت سريراً حتى مفرق المسالك

في هذه المرة أحدث طريق الموت . جمع عدداً من الاحشاش راحت  
 توزعها في مجموعات صغيرة حتى وصلت إلى الهوة . أشعت النيران في كل  
 مجموعة وهي عائده ، وحينها وصلت إلى المفترق ثمانية ، كانت تسمع أصوات  
 الرجل تصام . وصاعده من سرعتها تلتقي بأصحابها عند المنطق فسارت هم  
 في الممر الممرج وقد أخذت المنعطات صدره الشعلة في يدها من الجماعة  
 المهاجرة .

كانت قد مضت دقائق والرجال لا يستطيعون تعطى حاجز النار وما أن  
 بدأت جذوتها تنمو حتى قمرها من فوقها يتصايهرون صيحات الظفر ، ولا تتأخر  
 وجروا في الممر ليقاتلهم حاجر ثمان عاق تقدمهم . ومضت دقائق أخرى قبل أن  
 يجحدوا أنفسهم في المحجرة المطلة بسبها ، والتي لم يكن صوته حاجز الزيران ليصل  
 إليها تماماً وهموا انعطت وهم مرددون ، لكن أحدهم لاحظ الضوء المنبعث من  
 الممر الداخلي فصاح فيهم فتبعوه .

أصبح بعد ذلك تقدمهم سهلاً بالرغم من انعطان المتصاعد ولم يوفق واحد  
 فيهم أن الزيران سوف تعطى بعد دقائق إذ لم تكن الكهويات تكفي لتقائما  
 مشتتة أمدا طويلا في هذه الرطوبة الشديدة ، من إن بعضها كان قد بدأت جذوته  
 تنمو فعلاً قبل أن يصلوا إليها ، لكنها كانت ما تزال تعطى ضوءاً باهتاً يمكن  
 السير على هداه . تداوموا وراء بعضهم حتى وصلوا إلى المفترق . ولم  
 يروا ضوء الشعلة التي كانت امرأة تحملها ، إذ أحتموا المنعطات فالتقوا في  
 طريق الموت .

وبالرغم من أن المرأة كانت قد سارت بالجماعة شوطاً بعيداً في الممر الآخر

إلا أن أصداء صرخات الموت وصلته عالية مرعة ، لقد أثبت لمكان قدرته على الدفاع عن قاطنيه ، وسقط به من المهاجرين في الموة التي لا قرار لها . وصلت إلى آذانهم أصوات مرعبة لرجال يتدافعون مذعورين يمحطون في بحر الموت . وقد بدأ الظلام الدامس يحتويهم إلا من جذوات صئيلة تلذمع على الأرض الرطبة المائلة .

وقعت المرأة تصيح السمع ، وتسر الأصوات ، لقد اندفع بعض المهاجرين وسقطوا في الهوة العميقة ، لكن رغبة منهم لاستطاعت أن تنزع نفسها من السقوط . واستفجعت المرأة من سرعه لإزالة أصدائهم ، ثم قد فموا راجعين ، وأن هائل جذوات من بقايا الجبال كانت مارال بصوت . وتيسر لهم معرفة الطريق إلى الحجرة الداخلية وأن يتروا حتى يجدوا مديانهم إلى السكف الخارجي .

لمت تفرق في مصيرها والجماعة لم تكن من المستطاع بعد هذا الحرج من باطن الجبل ، فهذا لك سوف يتصيرهم أعدائهم الذين لا شك في أنهم سوف يقولون مقربين . وأن تستطيع من وجدتها من ناحية أخرى البقاء في باطن الجبل إلى أبد الأبد ، فلم تكن هناك حياة فيه يستطيعون أن يعتمدوا عليها في شدة بهم ، وأن تسكنهم المحرم التي حملها لعلاق لاكثر من أيام معدودات كما أن الاحشاش الباقية معهم أن يمكن للصاعه إلا لبروم أو بعض يوم وكلما أمضت في التفكير كلما ازداد افساسها بأن الممرات الجميلة التي فرحت بها ، واعتقدت أنها سوف تنقدها من أعدائها أصعب مصيده موت لا فكاك منها .

وأخرجها من أسكارها السدء صدى هواء الذئب يأتي كأما من مكان سحيق . التفتت حواها مدعورة للتلاخط لأول وهلة أن الذئبين لم يكن إلهما أثر . نظرت إلى رهبتيها . لكنهما قابلا نظرتها الامت هامية ببلاتهما المتعانة رادت المرأة ، وعاد إليها صدى الهواء ، وفي هذه المرة أيقنت أنه يرد من مكان بعيد في باطن الجبل .

لم تزد لحظة ، وإنما أوغلت في البحر يتبعها صاحبها . كانت قد أوقفت الجماعة في آخر نقطة وصلت إليها في استكشافاتها السابقة ، وهذا كانت تسير في

مكان مجهول بالنسبة لها . استمروا في السير في الطريق المتعرج ، واصططرت  
أثناء سيرها إلى أشعل غصن آخر بعد أن كاد الـدى في يدها أن يطفى . وبارغم  
من أنه حيل إليها أنها أوغلت لمدة طويلة فيها لم تجد أثراً للذئبين . كررت  
النداء . وتكرر صدى الغواء ، ولم يبد أن الصوت قد اقترب .

ومع أن غاروها من عدم استطاعتهم العودة كانت تردد ، فإنها لم تفكر في  
أن تتحى عن الذئبين ، وأن تركهما لشأهما . كانت تعلم أن ثمة شيئاً يمنعها من  
الحاق بها ، والافسكان من السير عيها أن يعودا أدراجهما ، وهما  
يتحسان طريقهما من طريق حرة السم . استمرت في التقدم ، واستمر الممر  
في الايفال متعرجا صاعدا ، حتى أضحت تقدمهم بطيئاً مرهقاً .

مضت أكثر من ربيع ساعة ، منهم المرأة ساعات ، وتصورت أنهم توغلوا  
أميلاً في باطن الجبل ، لكن الواقع أنهم لم يكونوا قد قطعوا أكثر من مائة  
متر . وبدأت تياس من أنهم لن يصلوا إلى الذئبين . اعتهدت أن صدى الغواء  
قد رددته جبهات الجبل حيث لا منفذ حر له . ولم كان الصوت قد وصل  
إليه أسمعهم فأنما لآله لا منفذ آخر للصدى بين الجدران الصخرية . وبدأ يذاحلها  
الشك في أن الذئبين يهتمان كلما اقتربت منهما جميعاً وصلها الغواء واصعبا جلياً .  
ودفعها هذا إلى مرید من بدل الجمود الذي كاد أن يتلاشى مع فقدتها الأمل .

وفي متعطف ظهر أمامها فجأة حاجز حجري سد الطريق إلى الامام . تلقت  
حوطها ، ولم تر سوى الجدران الصخرية ، والسقف الصخري ، وحافات منها  
نظرة إلى أعلى السد الحجري . لاحظت أنه لا يصل تماماً إلى السقف ، وإنما كان  
هناك فاصل بينهما . وكان من اليسير الوصول إلى الفتحة فقد كان سطح السد  
مائلاً به نتوءات .

تعاملت على تمسها ، وتسلفت الصخرة دافعة أمامها المشعل . ولم يقبها  
رفيقها ، ولسكنها وفقاً ينظران إليها في محجب . كانا قد توقعا ، وقد شاهدا  
الحاجز أن المرأة سوى تهود بهما من حيث أتيا ، أو أن تيهوت عن مقلد آخر  
سوى هذا الممر الذي لا ينتهى ، فلما رأياها تنطلق بالحاجر وفقاً مترددين .

نظرت و تأ ، من الفتحة وامتلأ قلبها فرحاً . نعب الصخرة مباشرة رأت

الدنئين يتواشن . وهبت لهاذا لم يكن في استطاعتهم العودة . كانت الصحرة من جانب البحر مائة يمين تسهلها ، أما من الناحية الأخرى فقد ارتفعت نحو إلى المئتين مستقيمة مساه .

ولم يكن هذا هو كل ما اطلع صدرها . رأت أيضاً أن البحر لم يصحح بمرأ ، وإنما أضحت منطقة ميسجة تتلوها هوة عميقة تتدلى من سقفها تشكيلات تتلألا ، في أشكال هندسية بديعة متداينة . تبينت المرأ فوراً إلى أن ضوء مشعلها الضئيل ما كان يمكن أن يكشف لما طارها كل هذه المساحة الشديدة الوان هائل كصوا ، وإن كان باهتاً إلا أنه صرح النوار على كل حال .

لم يكن في استطاعتها القفر كل هذه المساحة من أعلى الصحرة إلى حيث كان الدنبيان ، لكن حين هذه المشكاة كان من البصر يمكن استدعاء العملاق ورفيقته . وفي دقائق كان العملاق قد أتى بحجره إلى جانب الدنبيين ودب بهموبة من العنقه ليهبط إلى الحب الآخر . ثم ليتناول المرأين الواحد تلو الأخرى ، ويضعهما برفق على الأرض . وحسبنا غير الجبج الخاجر الصحري وقفوا ينظرون إلى الهوة السحيقة أمامهم

كانوا فيها يشبه الشرفة الكبيرة . امتدت أمامهم مساحة هائلة من صخرة كبيرة تتدلى من سقفها في محاذاتهم تقريباً تلك التشكيلات الثلاثية في الضوء الباهت الذي يبرز المعارة من مصدر مجهول . وشمرت دنا ، بتعب جسماني شديد ، وأحسنت بأن قواها تنحدر لجلست على الأرض الصحرية ، وانفست طمأناً من العملاق . وكأنما كان في هذا إشارة لهم إذ اقترحا الجميع ، وراحوا يتناولون وجبة من اللحم البني قبل أن يستأنفوا رحلتهم .

لم تتوقف عيناه دنا ، حتى وهي تأكل ، عن التطلع إلى الجدران الصحرية حولهم تلمس طريقاً يؤدي إلى أرض تلك الهوة السحيقة لقد تأكدت أن الضوء يأتي من مكان ما في أرض هذه الهوة فكان لابد أهم إذا من بلوغها . رأت أن الجدار الصخري ، وإن كان يبدو لأول وهلة أصماً لا مجال فيه للهبوط إلا أنه في الواقع كانت توجد به ممرات متعددة ، وإن كانت ضيقة ، وحظرة ، خاصة وأنها تهبط في أماكن كثيرة هبوطاً يكاد أن يكون عمودياً .

إسمنت من طعامها ، ولاحظت أن الضوء في الكهف قد خسا حتى أن جدران  
البيئدة لم تعد ترى ، كما أن التماسك التي كانت متلازمة هذه الحظرات قد انحوت  
إلى لون أزرق امتد تذكرت أن هجوم أسد ثوم . وفراهم عهد لهم كان  
في الظلمة ، وهم ولا شك قد قضوا ساعت طويلة في أطول الحزن ، وبالذات في  
الليل وشبك ولم تظن التمسك بعد هذا إذ قررت أن يقضى الجميع الليل في  
مكانهم ، وما كان أحدهم في حاجة إلى أن تمسه ، إذ كان التعب والارهاق قد  
حل بهم .

كان من أحدهم دائماً أن يظل مستيقظاً ليراقب استبدال الشعلة بأخرى قبل  
أن تنطفئ . وامل المدة التي قصها في استعمال الشعلة داخل لمحات قد  
علمتها ، أسبب وضع لها بحيث لا تبقى مستقيمة فتهبط ، ولا يشند مياها ، ويرداد  
إشتعالها وأما حين تموتها ، وبوضعها يصبح عززها في أسد تشققات الحائط  
البحري ، وانشأ الملاقاة للوبة الأولى للاستعانة ، واستبدالها ، بغيرها كلها  
استندى الأمر .

كانت نوبة د ثا هي الأخيرة ، وحسباً أيقظ ، إذ قامت مدقة ، وهي  
تسهر بالآلام في كل أعضاء جسدها ، عندئذ في حاستها ، نظر إلى الشعلة ،  
وبعد أن أهدأت ، أشاحب بوجهي إلى الظلمة السائدة في المعارة ، وراودتها  
الذكريات تدور حول رجلها الذي لم تسكف من التمسك فيه . لقد ذهب بلا  
عوده ، وإن تراء ، أمكنه كان يملك حياتها عن طريق قلمها ، وذلك الذي  
يتحرك في أحشائها .

لقد تعلمت الآلام في كل لحظة منذ أن تركها رجلها . وكمن من وراء حدثت  
نفسها بأن تنهي حياتها ، أمكنها كانت تقاوم تلك الرعدة وتدارم الأحاسيس ،  
بل وتحمات الآلام بلده في سبيل تلك اللحظة التي تركها رجلاً ، في أحشائها لم  
يكن شعورها بوليدها المنتظر أمومة مبكرة ، وإنما كان شعورها بالانتها إلى  
تلك اللحظة الحية التي بقيت من رجائها .

بدأت طلوع العجر وضح معالم المعارة ، وتسلل ضوء ، وشيئاً فشيئاً  
ينهر سبيل الخروج إلى العالم ، وامرأة ما تزال في جلستها ، وما تزال

أفكارها تحيطها معالم من الخيال والذكريات يملأ حجبانه ذلك 'سدى ذهب إلى غير عودة .

\*\*\*

لكنها لم تكن تعلم أن الرجل لم يذهب إلى غير عودته . لم تكن تعلم أنه قد نجح من العيش النش من المياه التي رأتها تنقلعه ، وأنه قد احترق الجبل ، ليس من طريق الممرات والمكهوف ، وإنما من طريق مجرى النهر المتدفق الذي ألفاه على مسافة ليست بعيدة من مكانها . أهذه خاترة سوى مهوركا ومعجروها ، في أكثر من موضع . لكنه حتى بن وما تزال فيه بقية من قوة جعلته يتماثل حتى زحف إلى أقرب شجرة ، وهناك لم يزل قواء تماماً وراح في غيبوبة عميقة .

أتت الشمس وهو ما زال في إغمائه ، وتوالت لآلها . مد مدة إلى يوم حقيقي عظيم . كان الجسد الهرقى وقد استراح من المقاومة والاجهاد يعمل جاهداً في أن يستعيد حيويته ويحدد قوته . رسمت ساعات مريضة والرجل في مكانه لا يتحرك ، بن أنه لم يتمدد في يومه . ولعل من حسن حظ أنه لم يثر عليه حيوان مفترس من حيوانات الغابة والألاكاد راح صعبة سهلة دون أن يستطيع إبداء أية مقاومة .

لم يظهر على الرجس علامات الحياة إلا حينها علا صبح الفردة وصياحها وهي تحيي شمس الشروق .

تملأ في يومه في مبدأ الأمر دون أن يستيقظ . لكنه حينما فتح عينيه بعد فترة كان عقله مستيقظ تماماً . دار نظره يستوذب الطبيعة حوله ، وتحرك من مكانه فكانت حركته لحائية شعر أثرها برحرة ألم شديد في رأسه أعادته إلى موضعه الأول . وبدأ شعوره بالارجاع في شق أحشاء حسده ، لكن أشد الآلام كان في رأسه ، وكتبته الأيسر مع ذراعاه ، يده .

كان رأسه قد أصيب بصرعة شديدة من جدد الشجرة المندفع مع التيار ،



وتلقى كتفه وذراعه ببعض ضربات الحراوات من أعدائه أما يدها فكان جلدتها قد ارتفع ، وأصبحت عظمها حينئذ مضطرباً الجذع الذى كان يحنضه بالسيف الحجرى يجرى النهر ، وانهمصرت اليد بينهما .

احتدل فى جلسته مستنداً إلى الشجرة فى بطنه ومع هذا فقد أحس بالفوار بعشاه ، واستراح إلى كل إرادته ليطرده القمامة التى كانت قد بدأت تضع حاجزاً أمام عيونه . مكث دقائق وهو معصص العينين لا يتحرك ، وحينئذ فتحهما ترائفت أمامه نقاط حراء مالم يمت حتى تلاشت ، وابتدأ يتحسس باقى عضائه لينعرف على قدره ، كانت رجلاه سليمتين ، وإن أحس ببعض الألم فى عضلات فخديه إلا أنه عن ذلك كان يكسر بأنه يستطيع استعمالهما . كذلك كانت يده اليمنى سليمة ، وإن كانت حركة الأصابع مشدودة تقرباً . شدة تشبثه بالسكينة الحشوية ، ومقاومته الغنيفة للبار ، وكانت عضلات ذراعه الأيمن أيضاً تؤلم ، فسكنها كانت سليمة يستطيع مع القليل من الاحتمال استعمالها .

أما وقد ألم بقدر ته الدودية فقد انتقل تفكيره إلى مرقفه . برزت إلى السطح المشكلتان الدائمتان لا كل والأمان ، لسكنهما فى هذه المرة كانت أشد وضوحاً ، وأفسى مظهرهما . بحركة لا شعورية امتدت يده يتحسس منطقتيه ، فالأمان والأمان كانا مرادفين بالدمعة له للحجر ، والنار . تهد بارتياح حينئذ أحس بالخنجر فى مكانه ، وإن كان لم يجد السكين الذى كان يعقوى على الحصى ، ووجد أنه سقط فى وقت ما فى النهر .

لم تسكن هذه فائدة فى البقاء حيث هو . تعامل على مهله وقام . استدفأت الآلام إلى كل جزء فيه حتى أنه لم يعرف كيف يحدد مصدرها . دارت به الأرض الفضاء . وعاشته معاناة مظلمة حانت يده وبين أرقية . كان يتوقع لا شعورياً شيئاً من هذا ، وإن لم يكن قد اعتقد أن تصل الحال إلى ما وصلت إليه . استند إلى جذع الشجرة ، وتصايحت المفردة ، تصطبب بلعنها العربية لعلها تهذر منه ، أو تضحك عليه .

قام اسدور لدى اتنا به جاهاً . ومكث لحظات ثم بدأ بحركة الكهري

فى السير نحو النهر . ثم تسكن المسافة تزيد على عشرين ميلا ، لكنها بدت له طويلة مرهقة . مشى يتربع ، وسقط فى الخطوات الأخيرة . لبث فى مكانه يلتقط أنفاسه ويقاوم أعباءه . كان يريد أن يرتوى ، ويشعر بالماء البارد يبلل به رأسه المغموم . كان يعلم أن هنيه أن يفعل ذلك ، ويعود صريحا إلى حماية الأشجار بعيدا عن أعين الوحوش .

التفت إلى مجرى النهر ، ولأول مرة لاحظ أن التيار كان قد حمله إلى مسافة طويلة بعيدا عن سطح الجبل . رصف الخطوات الباقية ، وشعر بالماء البارد يرطب رأسه وشعره ووجهه . وارتوى منه . وشعر بفواجع تعود إليه . لبث فى مكانه قليلا ثم بدأ يعود إلى حماية الأشجار زحفا . حتى وصل إلى اقرب شجرة فاستند ظهره إليها ، وراح يلتقط أنفاسه .

هاورد النظر إلى الجبل . لو أمكنه أن يصل إلى هناك ، وأن يعثر على مأوى يجمع فيه بعض الأحشاب ، وبوقد الديران فإنه سوف يكون مأمنا لبضعة أيام يستطيع أن يسترد صلاها قواه . أما الطعام فكان مؤكدا من أنه سيجد بعض الثمار البرية التى تسكبه ، وما كان فى حاجة إلى اللحم ، على الأقل لايام .

صاح على نفسه ، واتجه إلى داخل الغابة يستند إلى أشجارها ويتمهل فى كل خطوة . ومضت أكثر من نصف ساعة قبل أن يعثر على بعض الثمار البرية ، فأخذ يلتهم ما استطاع إذ كان الجوع قد أخذ منه . انتهى أحد الأفرع الجافة استعملها كعمى يتوكأ عليها . لم يتوغل بعد ذلك فى الغابة ، وإنما عاد أدراجه إلى حيث النهر ، حاملا معه ما استطاع من الثمار .

كان هدفه أن يصل إلى الجبل ، لكنه كان يعلم أن المسافة طويلة عليه وأنه ليس بدا لى حيوان مهاجم . صحيح أن حظا كان كبيرا حتى الآن فلم يصادفه أى من الوحوش ، لكنه أيضا لم يكن يفتور أن مثل هذا الحظ سوف يدوم . جلس إلى ظل شجرة يسقيح . ودميت أفكاره إلى ، ، ، والمعلق ، والذئب و . . . لاشك فى أن ، ، ، قد وثقت من غرقه فى النهر ، ولعلها

يدور بها قد قتلها المهاجمون أو أخذوها أسيرة . أما العملاق في المقطوع به أنهم قد نوه . كان عليه هو أن يستعيد هوائه ، ثم يعود ليبحث عن رفيقته .

اعتراه شعور عجيب بأن شيئا غريبا يحدث في الغابة . احتار لحظة في التعرف عليه . ثم عرف إن الغابة قد أطق عليها السكون . توقفت القردة عن الصياح . بن لعلها قد توقفت عن الحركة أيضا . لقد كانت ترقب شيت ترقب منه . واستمر السكون دقائق . وراحت أذن الرجل تصنت الأصوات ، وأعمل جهده أن تصل إليه أية رائحة .

ومن وسط السكون ، ومن بعد لا يزيد على مائة متر ، انطلقت صيحة عر فيها في لمح البصر . كانت صيحة صيد الغناب . النمر ذو الصاب السيمى . لم تكن صيحة هجوم ، وإنما كانت صيحة غضب . إن شيئا ما يهاجم النمر ! أى وحش ذلك الذى يجرؤ على مهاجمة ملك الغابة ؟ كانت ، لا جاية تتردد في عقل الرجل ، لكنه كان يأبى أب يصدقها ، أو . . . حتى أن يتعوه بها .

طقت رجرات النمر تصل إلى أذن الرجل أكثر من عشر دقائق ، وبدوان حصمه كان يقاتل وهو صامت ، فلم يسمع له حس . أحيرا حل السكون ، لكن القردة لم تعد لصياحها . إذا فالنمر يتمتع الآن بشمرة انتصاره ، ويختمل به بوجبة دسمة يقتطعها من جثة فريسته . كان الجوف قد جرد تفكيره . .

وشل حركته تماما ، فلم يتحرك من مكانه أثناء القتال ، أما وقد عاد السكون مرة ثانية ، فتداندفت الأفكار سريرة متلاحقة في مثل سرعة البرق .

إن من أتصر ، ولم يكن في شك كبير منه ، سوف يأكل حتى يمتلئ . . وعالبا بعد ذلك سيرد النمر ليشرب وهو لا بد مكتشف مكانه . كان يعلم أن صبيته يتحرك بسرعة ، وأن يتبعد دون أدنى صوت ، إلى حيث لا يراه العدو المجهول ، وحيث لا تفصل إليه رائحته . كان في وجود هذا الشيء حماية موقنة له ، فلن يجرؤ حيوان صقرس على الاقتراب من المنطقة . إلا الصياح فسوف تجذبها رائحة الدماء . ستقف بعيدا عن المنتصر إلى أن ينتهي من طعامه ، وتتقاتل فيما بينهما على ما بقى . ولم تكن الصياح تحيفه حتى وهو في أسوأ حالاته ، ولهذا فقد تناول عصاه ،

ولم يمت بأن يخفى عنه ، واتجه بأقصى ما يستطيع بدنة المريض أن يحمله بعيدا ، نحو الجبل . هنالك ، بين الأحجار والصخور ، ربما يكون له أمل في أن يختفى ، كما تختفى الجرذان في جحورها .

على أنه لم يترك الخذر على اطلاقه ، وإنما كان يستفيد من كل صخرة قدر استطاعته . كان يتصور أنه سيصل إلى حصى الجبل في مدة يسيرة ، داسيا ذلك إلى المدة التي حمله فيها الثياري . لكنه لم يقدر أن التيار ، حتى في بطنه ، كان أسرع كثيرا من الرجل المجد في السير ، بله المريض ولم يقدر أن يجري التيار مستقيما لا يمسقره شيء ، في حين كانت الحجارة والصخور المتناثرة على الضفة تعوق كثيرا تقدمه .

طن يتعامل على نفسه أكثر من نصف ساعة ، ومع هذا فالجبل لم يكن يبدو أنه اقرب . اصغار مكرها أن يحرق ، فألقى إحدى العيصات ليحتمى في ظلمة وشجرها ، تحمية مؤقتا عن العيون . انشهر الفرصة وانقضى فرعا وبدأ يذب أحد طرفيه ، مستعملا الحجارة تارة ، والخنجر أخرى . بحث بين الحصى المتناثرة من شبيهه لتلك التي تشمل النار ، ومضى يجربها حتى رأى الشرر يتطاير من احتكاكه اثنين منها فاحتعلها ، ولم يشعر بمرور الوقت وهو متمك في عمله . بل ولم يشعر بالآلام في رأسه وجسده ، وإن الوقت أصبح ظهرا وأن الشمس تلو كسد السماء ، بدأ شعوره بالآلام والجوع يزداد تناول الثمار القليلة التي معه . ولم يتعب الرجل ، وبقي مكانه يعكر .

لم يكن هنالك شك في أن ذلك الذي كان يقاثل النمر قد فرع من غذائه وأنه الآن دائم بتمتع براحة بدنية ، وإن يستيقظ ثانية حتى تبدأ وطأة الجوع تدفعه إلى الحركة . ربما يكون قد احتفظ ببعض اللحم ، وفي هذه الحالة فلن يترك مكانه إلا بعد أن يأكل ما تبقى ، ثم يبدأ في البحث عن فريسة أخرى . ومن الغريب أن الرجل لم يداحله لحظة أي شك في نتيجة المعركة ، وأن المهاجم هو المنتصر ، وليس النمر أية قوة تلك التي تهاجم النمر السمين المناب وتفتك به ؟

تأمل الرجل في مكانه قليلاً . كان يعلم أن عمله أن يفعل شيئاً . لكن ما هو ؟ إن الفكرة التي هو فيها كثيرة ، وهي تصالح في الواقع عما آتاه من الحيوانات ، ولولا وجود ذلك الشيء في الجيرة ، لالتقى مكاناً وأشعل ناره فأمن بذلك شر الحيوانات المفترسة . أما وهذا الشيء هو وجود ، على بعد يسير منه مكانه لذلك يبدله على مكانه ، وإن أبعده النار .

دار بفكره يتعمق المسكان . كان النهر يجري هادئاً ما بعد لا يزيد من بضعة أمتار منه ، وإلى الشمال مساحات مساحت من لأرض تكاد أن تكون جرداء إلا من بضعة عيصات وأشجار متفرقة متناثرة ، ثم الجبل . ففكر بالحطاط في أنه يستطيع أن يتقى فرعاً صحيحاً يصعد في الماء لينقل به إلى الضفة الأخرى من النهر ثم عاد واستعد الفكرة إذ أنه لم يكن يعلم إذا كان ذلك الشيء يستطيع السباحة ، فقد شاهد كثيراً من الحيوانات تهرئ الأمان في غابته ، كما أنه كان يمكن أن يصل إلى الجبل وينقل إلى الضفة الأخرى بسهولة .

لم يشعر في الواقع حينما غلبه النوم ، ولا أحس بالوقت الذي مضى دائماً حين جسده كان مرهقاً ، نحوّه إلى درجة أن النعاس طغى عليه حيث هو ، فكان الطليعة قد اتخذت له القرار ، لواجب انبعاثه حينما امتلأ قلبه كانت الشمس قد غربت ، وابتدأت جهوش الظلام تغطي ، على السكون . على خلاف عادته لم يستيقظ منتبهاً . مسكت دقائق وهو لا يدري تماماً مكانه أو ما حدث له . وحينما بدأ الابتداء يعاوده ، كان أول ما أحس به هو الظما الشديد ، ثم الجوع .

اتجه إلى النهر يروى صمداً . وبالرغم من أن الجو لم يكن بارداً إلا أن قشعريرة شديدة سرت في جسده . لم يبدل بها حتى ارتوى ، وحينما عاد إلى مكانه ، استلقى مرهقاً كان الظلام قد حط رحله . جفاؤه النوم لمدة . لكنه واثقاً أخيراً ، ولم يتنبه منه إلا مع خيوط الفجر . عوصه النوم الكثرة من حيويته الضائعة ، كما ساعدته الراحة في التغلب على جراحه ، فأبتدأ الجرح في وآسه في الإلتئام ، ونخفت حدة العدوش التي كانت ترق جلد يده . وحق المظالم

والعضلات كانت قد ارتاحت واستعادت أغلب قدرتها . لكن شعوره بالجوع كان عظيما . بدون تردد قام من مكانه مسكا حريته ومثكلا على عصاه ، اتجه إلى النهر . هنالك أمكنه أن يصيد بضعة سمكات ، رجع بها إلى وكره المؤقت يلتمسها .

بدأ من فوره في البحث عن السكف في الجبل . كان يعلم أن عليه أن يقضى بضعة أيام بعيدا عن النصال حتى يستطيع أن يسترد قواه كاملة . وأخيرا وفق في أن يجد ~~كما~~ صعيلا كان من العسير عليه أن يدخله ، ولكنه كان متعبا من الداحل . وقريبا من مجرى النهر . وأسدهد الحظ في أن يقنض ماهرأ جبليا كفاء مؤنثة لعدة أيام . ومن الميضان القريبة جمع أعصدا ، وسطا وأشمل الزيران داخل السكف .

استغرق كل هذا منه أكثر من ثلاثة أيام ، وحيدا استقر أخيرا يلتمس قطعة من لحم للماعز المشوى كان الشعب قد حل به حتى أنه نام فور أن اعتلا .

مضت الأيام تترى وهو قابض كالحيوان الجريح في وكره لا يخرج منه إلا مساء ليروى طمأه ، ويحلأ أوعيته التي صنتها من الحشب ، باداه ، ويصيد بعض السمكات لم ير أثرا للرب الذي صادفه في الغاب ، وإن كان دائم التفكير فيه وفي طريقه للإصلاح منه . لكن حينما مرت الأيام دون أن يراه ، أو يرى ما يشعر بوجوده لإعتقد أنه رحل من المنطقة .

لم يكف لحظة في التفكير في رغبته . كان قد اعتزم أن يعود إلى الناحية الأخرى من الجبل للبحث عما ، واستصلاحها من القوم الآخرين إذا كانت ما تزال على قيد الحياة . كان يعلم أن عليه أن يسترد قواه كاملة إن شاء أن يقوم بهذه المهمة ، فلم يتعجل حتى شعر بأنه قد استرد صحته ، وأن جراحه قد انشأت تماما فقرر أن عليه أن يبدأ رحلته في اليوم التالي . لكنه لم يكن قد قدر له أن يقوم بها أيضا .

استيقظ مع مطلع النهار ، وجلس في تأن يأكل كل متر ودال رحلة ، ثم قام يجمع

حاجياته القليلة في جند الماعز واحتملها على كتفه . وبدأ الصعود إلى الجبل . لم  
تكن هنالك مساكن ، لكن الفقره التي قضاها يراقب الماعز من بعد ، هلته كيف  
يتنقى مواضع قدميه وكيف يقدر المسافات ، ويختار أقصر السبل ، ولهذا حينما  
جاء إلى اقرب موضع في وقت الظهيرة ، كان قد بلغ . يقارب المائة مرقا ارتفاعا ، وفرع  
من نول قطعة من اللحم الفري . وكان يجمع حاجياته متأهيا للاستمرار في رحلته  
ليقطع شوطا قبل أن يحس الملاءم بها رددت جشوات الحبل صرحة عالية تنامت  
إلى أذنيه ، وجعد الدم في عروقه . لم يشك لحظة في أنها صرحة رعب هائل  
أطلقتها رفيقته

-----

## الفصل الخامس عشر

### صيد المردة

كانت «تا» فعلا هي التي اطلقت الصرخة التي سمعها «بو» . بعد أن بدأ النهار يزدغ ، نزلت الجماعة من «الشرقة» التي كانوا فيها داخل المغارة . لم يكن الهبوط سهلا . لكن وجود الدئبين يسر كثيرا في معرفة أي الطرق يتخذون ، إذ كما يختار ان يغريتهما أسهل الطرق . وحينما كان من العسير على «تا» أن تهبط ، أوقفنا ، نظرا لحالتها . كالعملاق يحتملها كأيها طفل . وأخيرا وصلوا إلى أسفل المغارة ، واتجهت «تا» فوراً إلى مصدر الضوء .

لعلها تعجبت لحظت وهي ترى أن الدئبين لم يتقدما كما ادتمما ، وإنما وقد ينتفضان رعبا ، ويحموا أن مواء المردة . ربما كان ذلك هو السبب في تردها حينما وصلت إلى فتحة المغارة ، وكان السبب أيضا في انقاذ حياتها .

كانت فتحة المقارة صغيرة نسبيا لا يزيد طولها على متر ونصف ، وهرمها على متر . حتى أن المرأة اعسرت فكبرها مباشرة إلى كيفية خروج العملاق منها وإن كانت قد قدرت أنه سوف يستطيع ذلك عن طريق الزحف . وحينما وصلت إلى المدخل انفسه توقفت تنظر إلى الدئبين . ولكنهما رقصا التقدم . ولم يكن هنالك مفاص من خروجهم من المغارة إلا قضى عليهم جميعا أن يهلكوا جوعا ولهذا أمسكت بوعاء النار ، وتقدمت تنفادي الأحجار على الجانبين .

في اللحظة التالية أمدت يدها صغرها لم تر لها شيئا . يد تريد في حجمها على صنف حجم يد العملاق . لم يكن لديها الوقت لتتمعن في اليد ، أو صاحبها إذ أنها كانت تدافع بخورها لتفرض عليها ، ولو فعلت فما كان هنالك شك في أنها سوف تلقى حتفها . بسرعة ساطر بديعة دفعت المرأة بوعاء النار في القبضة الممدود وهربت إلى الداخل . صدرت زحمة مكتومة ، وانسحبت اليد للخطوات ، لكنها اندفعت بعد ذلك عبر المدخل تنحس عن العريضة .



كاتب و ثناء قد توقعت هذا ، فلم تدافع إلى الداخل في خط مستقيم وإنما انحرفت في حاية أحد جدران المعارة . اعتدت اليد لتصبح ذراعها صديقا يزيد طولها على مترين ، وبدأ الذراع يبعث في المحيط حوله عن ضحيته . وتمكنت ثناء أن تلمس النظر . كانت الذراع كأنها ضخم كثة الشعر يزيد قطرها على ضعف قطر ذراع العملاق ، ومع هذا فلم تكن فيها ذرة من اللحم . كانت كتلا من العسلات الفولاذية المعتولة ، وكان منظر اليد وهي تمتد بشما تشبه باصابع صنعة عريضة وأطراف طويلة قوية قدره أقرب إلى الخفاف . ابتعد الجميع عن مجال اليد ، إلا العملاق فلم تكن طبيعته تعرف الخوف . ما أدركه هو أن هذه اليد تمس حدوده ، وأن هذه فرصته لاستعمال هراوته المحبوبة .

ارتفعت الهراوة لتبسط بشدة على الذراع . وبحركت الذراع بسرعة حاصلة فاعطت بالعملاق صرقة واحدة طار على أثرها العملاق في الهواء . ليضع على بعد أمتار من الذراع الضخم . صرحت ثناء ، رهبا وحولها على دموع ، وانسحبت الذراع من الداخل ،

كان من حسن حظ دموع أن مجال حركة الذراع كان محدودا بالجدار الصخري ، ولهذا لم تأخذ الضربة قوتها المكافئ ، وإلا لكانت قد قضت عليه تماما . حق مع هذا فإن الضربة كانت من القوة بدرجة أنها طوحت به ، وأدفعته على الأرض فاندأ الرشد ، بينما طارت هراوته في الهواء لتستقر على مائة يزيد على عشرين مترا .

جرت المراتبان صوبه ، وبدأت دني ، تولول ، في حيز أحدث ثناء نقاب نظرها وتمسك بيديها من مكان الإصابة . وبدد أن العملاق قد تلقى الضربة في ذراع أو كتفه ، على أي الأحوال لم تكن هناك موضع ظاهر سوى جرح بسيط في إحدى كتفيه ، من أثر ارتطامه الشديد بالأرض الصخرية وحامات ( تا ) صديقتها هكفت عن الولولة والمويل . جلست على الأرض ، ووضعت رأس العملاق بمنح زائد على فتحة ما ، وانظرت صابرة حتى يفيق .

جلست ( تا ) بعيدة تفكر . أقصد أن وصلوا إلى النجاء أو كادوا يأتي هذا الشيء ليسد أمامهم الطريق ؟ . أية قوة تلك التي تطيح بضربة بسيطة بالعملاق وكأه طعن صغير ؟ — أي وحش هذا الذي تلقى النار في يده ، وحربة العملاق

للقوية على ذراعه دون أن يصرح أو يجري ؟ هل قضى عليهم بالموت جوعا في هذه المأثرة ؟ أم هل سوف يكفى الوحش في الخارح بما ذل ، ويدع الجراحة لحالها ؟ .

وانتها الإجابة عن السؤالير في الملاحظة ابتداء جدار المأثرة عند الفتحة تتساقط منه بعض الاحجار اثر ضربات قوية تنال عليه من الخارج . وانماها الدهر . إن الوحش في الخارح لم يقتنع بالانتظار لانه مضى عليهم جوعا ، وانما بدأ يضرب الجبل بيديه يريد أن يوسع الفتحة حتى يستطيع الدخول إليهم . وعلى قدر ما كان الجدار الصخري صميكا الا أن أجراء منه سوف تنهار حتما لو استمر الضرب بهذه القوة مدة كافية . ولم تتصور أن هناك قوة تستطيع أن تمسح الآن وتهم إما جوعا بعد بضعة أيام ، أو قتلا بين يدي هذا النوع في بضعة ساعات .

o o o

توقف دبور في مكانه صمعا . ربح منه يعمل بسرعة هائلة . بشكل ما تبعه بناء غير الجبل ، وهي الآن ليست على مسافة بعيدة عنه يهددها خطر داهم . لقد وافته الصرخة وكأنها تأتي من مكان صخبي ، فقد كانت على علوها مكتومة لم تأخذ إطلاقا المادية . دار ببصره في جنبات الجبل . وعلى قدر لفته على الحركة بسرعة ، على قدر ما كان يعلم أنه لن يساعدها بارتدادها . وأن عليه أولا أن يحدد مكانها ، وأن يعرف نوع الخطر الذي تنعرض له .

يبطء شديد ابتدأت حينها تمسحان الجبل ، جرأ جرأ ، لم يكن في الواقع في حاجة إلى هذا ، فبعد دقائق معدودة سمع كأنها هذا المك من يضرب الجبل بكثرة حشبية ضخمة . لم يكن الصارب على رأى منه ، لكنه أمكنه بسهولة أن يحدد مصدر الصوت . بسرعة المرم أحد ينتقل من مكان إلى آخر ويقفز من صخرة إلى أخرى ، معاذرا جهده الا يحدث صوتا ، وإن كان صوت الإرتظام بالصخور الذي سمعه يعطى على الأصوات الضئيلة التي تحدثها جرخته .

فجاء رآه رأى العين . لأول مرة رأى الرعبه في وضع الممار . أبصره كما هو في كل قوته وعنفوانه . حمد في مكانه لا يستطيع حراكا وقد سمته المأثرة كل حواسه ، وثلث تفكيره على بعد لا يزيد على خمسين مترا كان الرعب يقف وهو

يضرب الجبين بيديه المجردتين إن ما ظنه الرجل كثلة خشبية ضخمة ترتطم بالصخور لم تكن سوى قبضة بشرية . لكن أية قبضة ؟ وأي بشر ؟ .

كان مارداً يزيد طوله على أربعة أمتار ، وقد كساه شعر كثيف من أعلى رأسه إلى أخمص قدمه حتى وجهه لم يترك الشعر فيه مكاناً إلا لجبهة محدرة إلى الخلف انحداراً شديداً حتى يبدو أن رأسه قد قص منها جزء . ومن خلف حاجبين كثيفين ظهرت عظام صيقتان مألوفتان إلى هذا الحجم المائل . كان الصدر الذي يجاوز عرصه صدم الرجل البشري ينطق بالقوة المجردة . العود المائلة التي لا حدود لها ، وقهم الرجل كيف يمكن أن يقن نور بصره واحده من قبضة اليد . وكيف يمكن أن يراح من الطريق فرع شجرة صحم وكيف يمكن أن يهاجم انحر السبق الثوب ، ويقش مساطة وهم كل هذا وأكثر منه بمجرد النظر إلى هذا الرعب المائل على أروع من المسافة الكبيرة التي تفصل بينهما .

بقى مكانه حامداً لا يتحرك لحظات معدودات ومن عسى لحظة أن المارد كان مهمكاً في محاولته توسيع فتحة المغارة فلم يلاحظ وجوده . يتخوف وحذر تراجع الرجل إلى حاية بعض الصخور بحثق وراءها عن تظلي غريمه .

كانت المعضلات الماحية كافية لأن يقدر قوة المارد ، كما كانت كافية أيضاً لأن يد الموقف . فالرأه رفيعته حبيسة في ذلك الكهف ، والمارد لا يريد أن ينظر خروجها ، ولمن معها ، إذا كان منهم من بقي على قيد الحياة . كان عليه أن يفتلها بمحركه آلية نظر إلى الرمح في يده ، ولو كان يعرف الصحنك لفس ، لكن ظهرت على وجهه بسمة شريرة سقا ، بسمة فيها مرارة وسخرية . إنه إن استطاع أن يقترب بدرجة كافية من المارد لالغاء رمحه ، فإن الإصابة لن تكون بالنسبة لعدوه أكثر من وخزة شوكة صغيرة .

كان عليه أن يجد طريقة أخرى للتغلب على هذا المارد الجبار . وما يبدو كان عليه أن يفعل ذلك بسرعة ، إن أراد أن يفتل رفيعته ، فقد بدأ جرحه من جدار المغارة فعلاً بتمت تحت الضربات المائلة . وكما هي عادته ، بدأ جهده يقدر الموقف . فالارد واقف تحت مبررة بمسافة تزيد قليلاً على خمسين متراً .

والمسافة بين المارد، والأرض تزيد على النصف ولم يكن لديه من الأسلحة سوى الخنجر والرماح . ونظر حوله معكراً ، أجل والصخور .

نظر حوله ، ونحته . على مسافة حوالى ثلاثين متراً إلى أسفل شاهد حجراً طينياً ، استطاعته حمله . هبط عاذراً حتى وصل إليه . وسار رفع الحجر ، لكنه كان في الواقع أنهل بما يستطيع حمله . تنفت حوته بجرع ، لم يجد سوى حجارة أخرى أما أكبر كثيراً من الحجر ، أو أصغر إلى درجة لا تجدى . بقوة هرمية دفعه إليها البأس احتمل الحجر . وفي حذر وتأن تحرك حتى أصبح المارد تحتها تماماً . ولم يكن في حاجة بعد هذا أن يبقى الحجر إذ أنه سقط منه .

بارغم من أنه كان قد جاهد أن يقع الحجر تماماً على رأس المارد ، إلا أن هدم تمكنه منه لم يعطه الفرصة لاحكام الزمية . وجرت الحوادث بعد هذا بسرعة . شاهد المارد يرفع رأسه إلى أعلى ، ورآه يحاول أن يتهدى الحجر الصخم وهو يهبط عليه . وفي ثوانٍ أقذع الحجر بسرعة بحية لير تطم به ، ويدحرج معه إلى أسفل الجبل . وقف الرجل ينظر قلقاً من يقضى الحجر على عدوه الملعون ؟ . ومضت دقائق ، لم يستطع أن يتحقق عما حدث تماماً . لكن كل شيء كان يحدث في السمع . لم يتجمل ، ولم يتحرك مكانه . على قدر رغبته في التحقق برفقته .

أخيراً حين إليه أنه شاهد شيئاً يتحرك وعلى أنه أجهد باصديه فقد مضت دقائق أخرى قبل أن يتحقق من أن المارد يتحرك فعلاً . لم يكن لديه شك في أن الحجر قد أصابه . لكنه لم يعرف أين حدثت الإصابة ولا مداها أو قدرته المارد على تحملها . فكر في أن يقطع الشك باليقين ، وبأن يستمر في إلقاء الحجارة في المكان الذي ظن أن عدوه قد سقط فيه . اندفع يبحث بينون هن حجارة مناسبة ، وعندما عثر عليها ، رأى أن الجبار قد قام واتجه وترنحاً نحو الغابة .

رفع الرجل ينظر مدووماً ، كيف يمكن أن يبقى على قيد الحياة مخلوق بعد أن صدمه مثل هذا الحجر وهوى به أكثر من عشرين متراً بين الصخور ؟

وليس هذا الخسب ، بل أنه لم تمض دقائق حتى يقوم من سقلمته ويسير إلى تسامل في نفسه عن مقصده المارد ، وإن كان يعلم بغيريته أنه إنما يهدف إلى الاحتياط بوجوه ، أيما كان هذا الوكر . كشأن أى حيوان جريح يقنع في عرينه حتى تدنم جراحه .

لم يضعه هو ، وفته بعد هذا . هبط سريعا إلى مدخل المعارة ، ودلف منها إلى الداخل . وفوجئ . بحجم ضخم يصطدم به ليطارعه أرضا وبأنياب حادة تبغى عقه . كانت معاجاء لم يتوقعا ، فلم يكن يعلم أن هنالك دمية لا تدرى من أمره شيئا . وعلى قدر ما كانت المفاجأة مذهلة على قدر ما كان رد فعله سريعا . قبض على رقبة الذئبة بيد من حديد يبعد أنيابها عن وجهه ورقبته .

لم يدم هذا الموقف إلا لحظات إذ سرعان ما قرر الذئب ليطرح الذئبة عن جسده صاحبه . وقد خرجت الذئبة على الأرض . ووقف الذئب فوقها مرجرا ومكشرا أنيابه . قام الرجل من سقلمته . وصرخت « تاء » جذلا وفرحا ، وأقبلت عليه تتحسس جسده كأنها لتكد من أنه حقيقة حى . وترك الذئب رفيقته ، وقرر على صاحبه مبهضها بذبه وهو يمد ويدور حول نفسه مظهرا فرحة . وداعب الرجل فراده الذاعم . وانكشفت ذئبه في نفسها ، وراحت تدلك رأس العملاق كأنما تبغى أن يعود إليه رشده ليقن هذا الشبح . وقبعت الذئبة في مكابها دون أن تجرؤ على الحركة ، وإن استمرت في زبحرتها وهي تنظر إلى العريب الذى اقتحم عليهم عرينهم .

تقدم الرجل من العملاق ورفيقته . لم ندعه « تاء » يفلت منها لحظة . وإنما استمرت تتحسسه غير مصدقة . وركع « هو » على الأرض إلى جانب صاحبه . وحينا أيقن أنه لم يمت تركه لرعاية « بي » ، وجلس مستندا إلى إحدى جدران المعارة وهو ينظر في عجب إلى التشكلات المدلاة من السقف وإلى الاتساع المائل للمدارة .

لم يضع الرجل وفته طويلا بعد هذا . كان يعلم أن الحذر يقتضى أن يتقل الجميع دورا من هذا المكان . ومع يقينه أن المارد قد أصيب لإصابة بالغة وأنه ذهب ينزوى في وكره . إلا أنه لم يكن يعرف مدى الإصابة ، ولا مقدار تحمل المارد لها ، وحشوا أن يعود في أية لحظة بعد أن يسود أنفاسه . رأى العملاق

يتمل في مكانه فأشار إلى المرأة أن تبقوا . وأطلق خارجا يتبعه الدب في حين  
قبعته أشده إلى جوارده تاء ، كما قد جرحته ككبرياءها فأبقت أن تتبع  
مولاها .

• • •

كانت الأيام التالية أيام عمل مستمر مرهق بالنسبة للجماعة . انطلقوا أولا إلى  
كهف قريب منبها من المغارة . لكنه كان مقرا مؤقتا . لقد استقر رأى الرجل  
على أن هذا السبب مكان مضح وتاء فيه وليدها . وإنه هو المكان الذي يجب  
أن تستقر الجماعة فيه هائبا . هنالك الجبل ، يكوفه وماويه ، وهنالك النهر الجمال  
وأشماكة ، والعبادة على بعد منه تستطيع احدة أن تكتشف أى عدو على مسافة  
كبيرة ، وهنالك الصيحات والأشجار منتشرة تدمر بالاحتباب ، بل وقد  
اكتشف في بعضها ثديا يريه . وساعات حريفة . وإن شاءوا ذهبوا إلى الغابة  
لصيد ، وجنى الثمار .

كان المكان مثاليا من كل الوجهة . إلزام ناحية واحدة هي وجود ذلك  
الزعب الذي يعيش في الأرض . صحيح أنه لم يظهر له أثر منذ أيامه ، لكن  
بجود وجوده تهديد دائم للجماعة ، وما كان ليوقعه شيء . وفي هذه الأيام لم يكف  
الرجس عن التفكير فيه ، بالرغم من أنه كان يبحث عن مأوى دائم يعطى الجماعة  
أكبر قسط من الأمن والراحة .

أخيرا هضر على بعينه . كان كهفا يكاد أن يكون فوق عرى النهر ، يرتفع من  
السهل بمحوى الأربعين مترا فكان من اليسير أن يرى من فيه كل من يقترب .  
أمامه أرض فضاء ، كومت ما يشبه الشرقة الواسعة كفتى عند أحد طرفيها جدول  
صغير تسيل مياهه صافية باردة من أعلى الجبل ، لتنداب بعد ذلك هابطة متعرجة  
تلتقي بالنهر ، تكونت عنده غيضة صغيرة ، لاحظ الرجل أنه  
لم يكن في الامكان الوصول إليه من أعلى ، إذ وفقت الصخور رأسية لا يمكن  
فيها القدم .

لم يكن في الإستطاعة الوصول إلى الكهف الا من طريقي . أحدهما جانبي  
صيق لا يسع إلا شحما واحدا ، والآخر عن طريق الصخور ليضيق عند

الفضاء أمام السكف ، ويحيط به من حاجر ين صخري من الصخور . كان السكف في الواقع كأحد كونه الطويلة ليكون حينها سهل الدفاع عنه .

وحينما دلف الرجل إلى الداخل ازداد سروره . أيقن أن هذا هو المكان المثالي . لم يكن المدخل نفسه صيقا ، لكنه أيضا لم يكن واسعا ، كان يكفي لأن يدخل منه العملاق براحة . وكان جداره الصخري سميكاً ، وتأكد الرجل من ذلك وهو يذكر الضربات التي كانت تهوى على جدار المغارة كالمطارق . واضمأن حينما تصور من هذه الضربات تهبط على السكة الصماء الضخمة . وبدأ به السكف من الداخل واسعا ، منيرا ، وقد امتد بجوار الجدار الخارجي ما يشبه الماء ، اكتشف حينما دخله أنه يحتوي على حجرة ثانية لا تقل في اتساعها عن الأولى وإن كانت أقل منها ضوا .

لم يقف الأمر عند هذا الحد ، وإنما استمر المعر عبر الحجرة الثانية لينتهي إلى ما يشبه الخرابة . كانت حجرة ثالثة في الرقع ، لكنها مظلمة لا ترى العين البشرية فيها شيئا . كاد أن يتركب ليعود أدراجه حينما شاهد بصيصا صغيراً من ضوء النهار يداع بين تشققات في الجبل ، وأنهى إلى أذنيه صوت لو عرف كيف يصفق له لعم . كان يبدو أن الحجرة الأخيرة تنهى أما ما عند المدير الذي رآه ومن الشق سمع صوت المياه وهي تتساقط في الخارج .

عاد ثانية إلى الحجرة الصغيرة ، ونظر من التشق ، ليتأكد من أن تفكيره كان صحيحا ، وأن الجدول يقع مباشرة أمام التشق يحفيه من العيون . مد يده ، لكن الشق كان صيقا لم ينفذ فيه . ولم بأبه لحدا إذ قرر إلى رأسه غامرا أنه من اليسير عليه أن يصنع مجرى حشيبا صغيرا على قدر التشق لينتقل به المياه المنسابة في الخارج حينما يريد ، ويرفعه إذا اكتفى . كلا لم يكن صيق التشق بالمعضلة التي يقف أمامها تفكيره .

في اليوم الرابع بعد التقاء الرجل بالجماعة كانوا قد استقروا تماما في مأواهم . كانت الميران تشتمل على الأرض الصخرية في كلتا البحريتين ، وكان الذئبان والعلاق قد اصطادوا فيها بيهم ثورا بريافحت رأبحة شرارة في جيبات السكف . وكانت

الجماعة كلها قد اشتركت في نقل كمية ضخمة من الاحشاش ملأت بها الاماكن الواقعة من كل من الحجرتين. وكان الرجل قد انتقى فرعاً حشيشاً رفيعاً طويلاً حمر في وسطه بنهجرة وبسكين حجري مجرى ضيقاً. وظلم عليه السرور حينما جربه في الشق ولتقط المياه لتندح إلى الحجرة الداخلية. ورفع بعد أن تأكد من صلاحية بل أنه اكتشف أن في مكانه أن يتحكم في كمية المياه التي يريد أن يخرجها عن طريق إمالة الفرع إلى الحد المطلوب اختار لنفسه ورفيقته الحجرة الثانية، واتخط من جلد الثور بساطاً يقيهما رطوبة الأرض، ويجود الصحر.

اصطاع من الافرع ما حامت عدة، وراحت تاتو تدرب، ودلى أستعملها في اوقات فراغها. اما العملاق فقد أتى أن يصعد الرجل إذ لم يكن يرأس عن حررته بدلاً. ومضى الذئبان يرحس، ووجد أن الذئب قد أستل إلى الحرس فلم تعد في حجر حين رقبته، بن اهما تركه يسمح بسده عن غرائبه، ولم يسر دونه في كل هذا حذره، فكان هذالك دنيا من يحل في شرفة الكوم يرقب نهرا، أما في المساء فكان في وجود الذئبين صبراً كافيلاً لأن يسبق الجمع داراً إذا ما اقرب دحيل علمهما الرجل أن ما راحهما الميعة على الشرفة فالتحذرتا مسكناً ومقاماً

كانت تلك جماعة من شديدة. أم أفرادها الاحصار مساوأل هالك حطرا لم يكن من الجائر أن يسوء. لكن شعده واحداً منهم يسر الحضة، ولم يلمه الامان الذي يعيشون فيه، ولا أن المارد لم يظهر له أثر.

كان دائماً يفكر. كان عليه أن يفتن أمارد، أو أن يفر الجيرة ويهرب. لقد علم الآن لماذا لا يوجد انسان غيره وجماعته على ما عهدت الامكان من مرايا وعلم لماذا لم يرحم حيوان وهو ملق في ص الشجرة في اعياه ليلة كاملة بعد أن طارحه الدر. وعلم السبب في أن العملاق، والداف قد عابا طوال يوم تقريبا حينما ذهبيا بحثان عن فريسة في العابه. كان كل هذا مجرد وجود المارد.

وكذا كان الرجل يفر حينما يجد نفسه في أرض عريضة، بدأ عقله يتلكر ويدرس ما يعرفه عن عدوه، لقد صادفه أربع مرات في أماكن متباعدة، وفي كل مرة كان المارد وحيداً فحين هو مارد واحد أو هو نوع من الانسان يعيش منفرداً



ولمعرفة بالحيوانات وطوائفها ، تذكر الدب ، وكيف أنه يقضى حياته وحيدا ، ولا يجتمع بشيء إلا في وقت التزاوج ، فإذا ما علفت الأنثى تركت الذكر لتضع بيضاؤه ، ولورأى أولاده لا تفرسهم ، هكذا إذا كان المارد في الأغاب

تذكر أنه لم يسمع له صوت في أية مرة ، حتى حين أصابه الصخرة ، ولا بد أنها كانت أصابة شديدة ، لم تصدر منه صرخة ألم أو غضب ، وحينما كان يقتل الدب ، لم يصدر سوى أصوات حنجرية أقرب إل ارجرة ، لكن هذا هو كل ما في الأمر .

مع كل هذا أنه حيوان جيد ، به منطقة التي يختص بها ، يجول فيها ويقتوس في سكوت ، لا صوت به ، فلا تداء استغاثة ، ولا حياة جماعية ، وحشية متناهية ، فاما يقتل أو يقتل ، بلا رحمة ، ولا شفقة ولا حنان ، لو تعدى واحدهم بقى جنسه على منطقة صيده لقتله حتى الموت .

لم يكن هذا هو كل ما لا حظ ، لكنه كن كما أنه في التفكير اقتنع بأن المارد سبب ما يكره الأسباب المادية ، إن الحيوانات لا تقتل لجرد القتل ، وإنما هي تقتل حين تكون جائعة ، أرحينا يولد حياتها حمار المدعته تجارب العاية مد ، وكس هو نفسه يعيش عن هذا المبدأ أما ، ذلك المارد هناك يقتل الإنسان لجرد قتله ، لقد رآه يقتل أفراد عائلته أجمعين ، وما كان من الممكن أن يكونوا له طعاما .

لو كان التفكير هذا صحيحا فإن هناك ماردا آخر في منطقة مجاورة ، لكن ماهي حدود هذه المنطقة ؟ رأين تبدأ الأخرى ؟ مريح بصره في أرجاء السهول والعبادات اللاهائية الممتدة أمامه ، وكاد أن ييأس من التفكير حينما وقع نظره على الدب ، وكومة من برقو به الحكمة . إذا كانت هناك منطقة لكل مارده لا بد أن يكون هناك حدود لها . قد تكون اشجارا معينة ، أو فسحة من الأرض . أو أى نوع من العلامات المميزة ، أو حتى مجرد خط وهمي يراه كل من الماردين بفرية فلا يتعداه الا متحديا ، ولكن حينما يوجد النهر فلا شك في أنه حاجز طبيعي يكون حدا لكل منطقة . هذا إذا كان افتراسه الأصلي صحيحا .

لم يكن أمامه خيار سوى سميلا آخر للتفكير . لقد قرر أن يبقى والمخاض في هذه

المنطقة ومعنى هذا أن المارد لا بد أن يقتل . ولن ينظر هو حتى يهجم صدوره بل يجب أن يذهب للبحث عنه ، وإيجاد الطريقة للتخلص منه . ولن يستريح أو يهاجم له عيش حتى يفعل ذلك . لم يندفع وراءه رايه . ولما بدأ أولاً يهجم مكانه قدر استطاعته .

أصبحت الأيام التالية مليئة بالعمل له والعملاق . بل ولقد ساعدت فيما المأتان مسياً . بدأ بأن يبحث عن حجر صلب تداون الزيجلان على نقله ليضعه أمام مدخل السكف بحيث يحميه من بعد ، ويحميهم من أرياح . وأكل عمله بأفرع الأشجار تغطي ما تبقى من الغنجة ، ولم يترك إلا فرجة ضيقة لمزورهم ، فكان من العسير على الشخص العادي أن يتبين المدخل إلا إذا اقترب منه جداً وحتى عندئذ فقد يمر به دون أن يلاحظه .

وبدا السحب على إخماء حيزها وأوه يحمل فرعاً طويلاً من الأشجار بمعاونة العملاق ، ويضعه على قمة الصخرة أمام السكف ليرتكز على الحجاجرين الخارجيين وارزداد العجب حينئذ ، يقف على الفرع يتحرك فوقه ، حتى أطمأن إلى أنه يتحمل نقله برفقة . وطلب من العملاق بعد هذا أن يفعل مثلاً ففعل . ولما أطمأن إليه ، غاب الإثنان ليبردا بعد مددة وهما يحملان فرعاً مما تلاءمهما بمحاور . أحبه وحرب الرجل قوة احتمال الفرع الثاني ، وبلغ توجبهم أشده حينئذ رأوه يصنعون مساهمة . فبهرسها في الأرض ورؤوسها إلى أعلى

مست الأيام ست وأرجح لا يكل ، وفي كل يوم يهضم مسح رقيقه أفرعاً جديدة ورماحاً لصافية ، وفي مدينته . أخيراً أتم تعبئة الحجاجرين ليصبح طريقاً عمداً من أفرع الشجر المرصدة فوق حاجر من الصخور يزيد ارتفاعها على ثلاثة أمتار ويحفر تحته رماحاً ورؤوسها تنجح إلى أعلى . ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، وإنما طلب الرجل من الجميع أن يجمعوا حجارة وحصباء ورمالاً ليردموا العملاء الخشبي ، ويملأوا الشقوق بين الأفرع وبعد أيام أخرى كان يعمل إليك أن الطريق ما هو إلا مجرد امتداد طبيعي للسهول المحيطة ، وإن كان امتداداً صاعداً إلى الجبل .

وتجاورت محيطته المدي حيثما أمر كل مراقب للعاريق تهازل إلا يبرح الغيضة المحاورة ، وأن يهجم دائماً بالأشجار حتى يمكنه الرقبة ولا يستطيع أحد

أن يراه من يده . لم يكن يذهب بعيداً مع العملاق إلا ليلاً ، ليعود الاثنان  
محملين بالمرساة قبيل الفجر ، وحينما أتت جميع ما تضرره من احتياط ، جمع الكثير  
من الأفرع وأوراق الأشجار الجافة ليلقيها متترة على الطريق الذي اصطفيه ، وإلى  
جانبه ، في شكل حبيبي لا يثير الريبة

كان قد مضى أكثر من شهر على وجودهم في مأواهم الجديد حينما أتى الرجل  
كل ما ينبغي له لم يظهر طوار هذه المسألة أي أثر للبرد . ووصفت ذلك  
مولوداً ذكراً هو أقرب للشبه إلى أبيه ، وطورت أعراس الحمل على أبيه ،  
وبعد أن أطمأن الرجل إلى أن جميع احتياطاته قد تمت ، وألوى إلى امرأته طوعاً  
من اللحم ، وثنان يكفونهم مدة غرويه قرر أن الوقت قد حان ليقوم بتنفيذ ما  
اقتضاه الله تعالى على غريمه .

برزت بشائر الفجر ، وتحرك الرجل من حوائط رفيقته . انقضى رحلتهم  
من الرماح المديرة التي استندت إلى أحد الجدران ، وأبدأ رحلتهم . ثم طعن وحجره  
العظمى ، وحسن معه حوصريه لإشمال الديوان . كانت المرأة قد همت منه ما يجب  
عمله إذا ما هاجمهم المارد أثناء عيابه ، ولما كان يرحل في فراشه الاثني عشر  
هذا حتى يمكنه أن يهرب ما يريد في رأسه كمالاً

رأته تمشي لاسم في المدة من ناحية لأخرى من الممر . كان يجلس فوق  
أفرع أحد الأشجار يمشي من ثمار الممر ما يشبع جوعه . لم يتعد أي احتياط  
إلى يمين نفسه . كان يتمدد أحداث الجلدة والصاحب مع الفردة . وحينما سن  
المساء جمع حطماً وصده على الأرض ، واشعل فيه النار . لم يمكث بجانبها ،  
وأما انقضى شجرة بعيدة بحيث يمكنه أن يراها منها ، ورم على أحد الفروع  
المنضمة ، وكان شيئاً لا يشعل ناله

استيقظ في الصباح ليرى أن النار قد حوت بعد أن أتت على الأحشاب  
لم يتحرك من مكانه ، ودار بعينه في أرجاء الدابة . كان من حسن حظهم  
أن المارد صعد الجثة فلم يكن من اليسير عليه الاحتفاء إلا في أماكن محدودة  
ولكن في هذه الأماكن كان يحسن الاحتفاء .

استقرت عينا الرجل على دغل قريب فكانت فيه الأشجار ، والأفرع ،

والاعشاب . كان هذا أصلح مكان للمارد ، ومع هذا فلم يند فيه أية حركة ولم يصدر من ناحيته أى صوت . لم تعدده المظاهر ، فقد كانت هنالك حقيقة واحدة تقطع بوجود المارد في الجيرة ، وهو ذلك السكون المطبق الذي ران على الغابة .

مكث في مكانه لا يتحرك وراح يقدر المسافة بينه وبين الدغل . ورجع عن رأيه في أن يظهر نفسه أولاً ، فبمجرد محاولته الهبوط من الشجرة سيراه المارد ، وسوف يعطيه هذا فرصة كبيرة للاحاق به . لم يكن عند أرجل شاك في أنه الاحتمال حركة ، وأسرع جرياً ، اسكن هذا يكون عند تساوى الارض ، والمسافة . وكان هذا هو خطوه الاول الذي كاد أن يكلفه حياته .

لم تطل امنية الانتظار فإن جسم المارد الصخم لم يكن يستطيع أن يتحمل الإسكاش لمدة طويلة في مساحة صغيرة نسبياً عليه . شاهد أرجل الاعشاب تتحرك ، وسمع صوت تكسر عصى ، وانزعج الدغل ليظهر الجسم الهائل . وقف المارد ينظر إلى بقايا النار ، ورأى الرجل العيين الصيقتين الحبشيتين تتغلبان في أرجاء الغابة ، وتفجهمان كل ركن قريب . كتم أنفاسه حينما تطلعت العينان إلى أعالي الأشجار ، اسكن يبدو أنه لم يره ، فبعد مدة دار المارد على عقبه ، ومشى مبتعداً عن الشجرة التي اعتلاها الرجل .

طس أن العرصة قد واثته . كان المارد يبعد عن مكانه بأكثر من ستين متراً وهو يعتمد في كل خطوة . ولم ينظر الرجل أكثر من هذا . بخفة القردة بدأ ينقل بين فروع الشجرة هابطاً حتى وصل إلى الارض . وفي اللحظة التالية كان المارد قد استدار وراه . وقف الاثنان برهة يظران إلى بعضيهما ثم اندفع المارد ، واستدار أرجل مطلقاً سابقه الريح .

لم تمس دقائق حتى استبان الرجل خطاه . كان يظن أنه أسرع عدواً بمراحل من عدوه . ولم يكن يريد أن يفقده ، وبدأ متملاً غير متعجل ، لكنه حينما استدار ليفقد المسافة هاله أنها قد تناقصت بما لا يقل عن الثلث انشابه دعر الخائف ، فاطلق يمد بأقصى سرعته ، مبتعداً عن الموت الذي يلاحقه . وحينما التفت ثمانية كانت المسافة قد عادت إلى التزايد . لكن ليس بالدرجة التي تمناها .

روح عقله يعمل في ملهى لقد علم الآن أن المارد لا يستطيع العدو حقاً .  
لكن رجليه الطويلتين سببا كأننا تعطياه فرصة أكبر نظرا لسعة خطواتهما .  
لم يكن يبدو عليه أى جهاد أو تعب ، في حين أن الرجز إذا استمر على عدوه  
السريع ، فلا شك فيه أنه لن يستطيع التحمل لمدة طويلة .

هست دقائق ، وكان صدره قد بدأ فعلا يضيق بنفسه . أيقن أنه إذا استمر  
على الاحتفاظ بهذه السرعة فإنه إن يصعد طويلا ، وسيضطرب إلى الوقوف كلية  
أو الاقلاق من السرعة . وولكلتا الحالتين سيلحق به المارد . كان لا بد له من  
الراحة حتى يستطيع الصمود . تحرف في مساره فجأة ، وصاعف من سرعته  
بأذلا كل جهده حتى وثق أنه لا حتى تماما من مرأى المارد ، ثم انزوى في حصى  
دغل يلتقط أساسه . ويجمع شتات أفكاره . كان يطمح أنه يستطيع أن يكون  
هذه الخيلة طليما هو في الغاية . لكن المسافة بين العانة والخص طويلا ، ولن  
يستطيع فيها أن يكررها ، فعليه إذا أن يبدأها هو على أنتم ما يكون من الراحة  
وأن يعطى نفسه أقصى فرصة بأن تكون المسافة بينه والمارد . حين يبدأ ،  
أطول ما يمكن أن تكون .

شعر بالعطش الشديد ، وبأن حلقة جاف يلتهم ، لكنه لم يعر الأمر  
النفاتا ، وصرف كل إحساساته إلى التصنت والنظر . ولم تدهض دقائق حتى  
التقطت أذلاء صوت تكسر عصى . تردد برهة بين أن يطلق من محبته  
أو أن يتكهن تاركا الأمر المصدقة على ألا يكشف عدوه مكانه . واختار  
الاحتياط إذ يعطيه فرصة أكبر لاسترداد قوته كاملة . ظهر المارد من بين الأشجار  
ولم يتوقف في سيره ، وإن دارت عيناه باحثة متقبة في كل شجرة أمامه .  
أمسك الرجل أساسه حتى تخطاه ، وأيقن أنه قد ابتعد عنه . ثم خرج من  
مكانه ، وسار متمهلا في أثره متتبعاً صوت وقع الأقدام ، ومحميا خلف كل شجرة  
في الطريق .

لجأة توقف للصوت أمامه ، وبعد في مكانه لا يتحرك ، هل أحسن المارد  
بخطراته تأتي من خلفه ؟ أم أنه قد زهد البحث وحرب صمعا عن قريسته ؟  
تلمت حوله يبحث عن عجباً يختمى به . وحيدا رأى عدل من الذهاب إليه  
إذا كان يبعد عن مكانه وخشى أن تحرك أن يحدث صوتا يسمعه المارد .

هبت نسمة شمالية خفيفة حملت إليه رائحة هدوء واضحة . ومع هذا فلم يصل أذنيه أى صوت . لبث جامدا يفكر فى تصرف المارد . ومضت دقائق والسكون على ما هو عليه . لم يجرق على الحركة ، وبقي مكانه مرعفا كل حواسه . ثم قطع السكون صوت إرتعاش قوى ، وصديعة مكتومة . عاد الصمت بعدها يرنو على الغابة .

يحذر شديد تحرك الرجل عتيميا وراء الأشجار فى كل خطوة ، ومتسعا الراتحة . لم يمض وقت طويل حتى شاهد المارد . كان يجلس مستندا إلى جذع شجرة ضخمة ، وهو ياتم جثة رأم صغير . وتهدد يوه بارتياح . لقد صادف المارد الرأم نفسه . كان كأى حيوان آخر ضعيف الداكرة ، وإذا ما صادف غذاءه الهام عن أى شىء آخر . احترق الرجل هذه المعلومات الجديدة عن المردة وأضافها إلى ما عنده هذا إذ هو السبب فى أن المارد فى الساحة الأخرى من المرم يحاول أن يواجههم ، أو يبحث عنهم ثانية لقد نسي وجودهم ببساطة .

استراح إلى الخاطر . راح من عيشته يرف المارد وهو ياتم جثة الرأم لشراة . رآه وهو يقضم اللحم الطرى البني واندماء عدالت تسير منه وتتساقط من الفم المحتل . رأى الديدن الضعفين تعبشان فى الجثة تقطعاها بسدولة عجيبة دلت على مدى القوة السكامة فيهما .

لم يمكنك بعد هذا طويلا فى مكانه . كان يعلم ما سوى يحدث . إن المارد سوف يتم غذاءه فى هدوء ، وامله بعد هذا يستريح ، أو ينام أو يذهب إلى النهر لشرب ، لكنه لن يترك الجيرة إلا بعد بصع معات ليبحث عن فريسة جديدة . وانتبه الرجل الفرصة . انصبب هدوء من مكانه وانطلق فى الغابة بحثا عما يأكله

عثر على بعض أشجار البرية ، أكل منها كميات . واغتنه عن البحث عن مياه يطفى بها ظمأه . والنقط فرعان يصاحن كرمحين ثم انتفى شجرة صديعة لإرتعاشها إلى أقصى ما تتصلبه الفروع ، ولم يتبع عنه حظه فصدف عشلا لأحد الطيور ، وحينا عث فيه استخرج بيصتين كبيرتين صرغان ما كسرهما ، والنهم

ما فيها ثم استلقى من أحد الفروع معتباً أن تحفیه الأغصان والأوراق عن العين المتعلمة ، وبدأ يستطيع لثقه وعين .

مضت أكثر ، ساعتاً ، وقارب النوار الانصاف حين أن يتم الرجل عمله .  
تدول حرمته وحرجه الصغير ، وضبط بحذر إلى الأرض ثم أبعده من فوره  
إلى حيث ترك الأمر . لم يكن عدوه قد تحرك من مكانه ، كان جالساً حيث  
هو وقت اغمص عينيه ، وراح في سبات عميق .

دار الرجل دوره كاملة حتى أضى على بعد لا يريد خطوات من حدوده  
الدائم ، وبأقصى ما لديه من قوة فذف بأحد الزعنين ليستقر في الصدر العريض .  
ولم ينظر أبداً إلى بقعة عمله ، استدار ، وأطلق في طريق الجبل  
بأقصى سرعته .

لمنع المارد مستيقظاً ، وبدت من حمرته حشرة هي بين الزمجرة والألم  
المكسوت واعتدت به لتفزع أرمح الخش من صدره ، وتطوحه في الهواء  
وأدماه تظلم منه ، تهذب واهب ، وبطون أثر عدوه ، وقد امتلأت به  
غضباً وكراهية . كانت أدماه تظلم من صدره ، لكن لم يكن لأثر هذا الجرح  
أثر في الجسم العبدى الصلب . في حين دفعه المصعب الأيمن إلى مضاعفة  
سرعته حتى وجد لرجل أن عليه أن يعدو بأقصى ما يستطيع من سرعة ليمنع  
عدوه من اللحاق به .

ابتدأت المطاردة . لم حص حشر دقائق حتى كان الرجل قد ترك العتبة مضاعفاً  
في طريقه إلى الجبل وعلى بعد لا يزيد على مائة متر اندفع وراءه المارد .  
والهزة الذبابة أدرك ( بو ) أنه قد أخطأ وأهـ . التقدير . في العتبة لم تسكن هناك  
أحجار تعوق تقدمه ، أما هنا وبعد أن جرى مسافة لا تزيد على خمسين متر بدأت  
الحصى ، والأحجار ، تكون عائقاً هاماً بعد من سرعته ، في حين لم تسكن هذه  
الحصى والأحجار لتبعد من سرعة المارد إذ لم يكن لها أثر في القدمين الضخمتين  
الخشبتين ، وجلدهما المميك . وابتدأت المسافة تضيق بين الخصمين

المنحرف ( بو ) تجاه البحر علماً منه أن الخصم قد نسيباً على الصفة ، ووجد  
أن هذا كان صحيحاً ، بل أنه يجد أن الطين أرحو كان عاملاً يساعده لوعثته فاه  
بهمى . في حين أنه كان يعوق المارد الذي كان ثقل جسمه يجعل قدميه تعوضان

مسميا في الطين الطاري . ولم يذكر المارد إلا في تتبع آثار ( بو ) ولهذا لم يحرف إلى ضفة النهر وراءه دون أن يعقل أنه لو استمر في مساره الأول لكان هذا أسرع له وأوفق .

دون أن يخفف من سرعته القى دوه نظره وراءه . وتهدد بالرياح حينما شاهد أن المسافة بينه وبين المارد هادت إلى التزايد . كان ما يزال مطلقا بأقصى سرعته ، ولم يبد على المارد أنه قد حوَّف هو أيضا من السرعة ، وفي أقل من عشر دقائق أخرى كان لآذان قد قطعاً أكثر من ثلث المسافة إلى الجبل . لكن ( بو ) كان قد بدأ عذره في العتبة منذ حوالي عشرين دقيقة . ولم يتوقف لحظة واحدة عن بذل أقصى مجهود . راحت أفعاسه تتردد سريعة ، وتعييب جسمه هرقا وعرف أنه لن يستطيع أن يستمر على هذه السرعة حتى يصل إلى حى الجبل .

اتاناه الدعر وهو يلاحظ أن ساقيه بدأتاً قترانحيان ، وأن تنفسه أصبح صيرا ، وأن عيبيه بدأتاً تكال . اتاناه الا لام في شق أعضاء جسمه ، وازداد شعوره بوجرها في عضلات رجله . كان لابد أن سطو من سرعته ، أو يتوقف كلية . ومع هذا فقد كان الموت وراءه يتقدم يحطى ثابته دون ملال أو كلال .

نظر إلى النهر وراءه أن يجد قطعة من حشب قريبة من الضفة يستطيع أن يتعلق بها ، ويندفعها إلى وسط المجرى . لكن المياه كانت تنساب أمامه سريرة صافية لا أثر فيها لأحشاش تصابع . لاحظ أنه بالرغم منه قد قلل من سرعته ثم تعد الرجال تستطيعان تحمل العبء الهائل لمدة أطول . رفع رأسه بدعر إلى الجبل . كانت المسافة ما زالت قريب على النصف ، ولم يبد عليه أنه إقترت منه .

لكن المارد أيضا لم يكن في حاله أحسن من الرجل . لم يكن قد اعتاد أن يسير بسرعة كل هذه المدة . ولم تكن رجلاه القصيرتان بالنسبة إلى جسمه اعتادت أن تحمل هذا الوزن الهائل فوقها دون راحة لمدة طويلة . وأضاف الطين هبتا جديدا عليهما ، وعلى الصدر الصمم ، فراحت أفعاسه تتردد في صعوبة بالغة . على أن المارد من ناحية أخرى لم يكن يزيد كثيرا عن مجرد حيوان ،



فهو إما أن يبلغ هدفه، أو يسقط بعد أن تتكون آخر قطرة في قواه قد نفذت ،  
ولهذا لم يقبل من مرعته أو يتوهمه ، وإنما اندفع وراء خصمه دون مبالاة .  
أضحت انظاره معركة لإرادته من ، حية ، وقدرة بدنية من ناحية أخرى ،  
فارجل لم يكن يدفعه في الواقع إلا لإرادته . كانت قدماء تدميان من العصى  
المتناثرة التي ، وإن كانت أقل عن صفة النمر من الداخل ، إلا أنها كانت من  
الكثرة بحيث كثر قدمه فيها خاصة بعد أن أعيا ، وازداد ضعف ساقيه وتوتر  
عضلاتها ، أصبح كل تماس يدخل صدره موجعا من ثور يديه . وجف حلقه  
حتى أنه ما كان يرطب الهواء الدخول إلى حنجرتيه . وشعر بقلبه يطرق متعجرا  
يرن صدها في أذنيه وجانبي رأسه . وكلت عيناه تماما أو كادتا ، ومع كل هذا  
فقد كان يعرف أنه إن توقف انتهى أمه في الحياة . استمر لدقائق أخرى يقاوم .  
ونظر إلى الجبل من خلال الغمامة التي كانت تعطي عينيه . ولم يبد أنه  
اقرب منه .

أخيرا زادت الآلام حتى أنه لم يعد يدري إن جاءه الموت . بن ثعبان  
همه رحمة من هذا العذاب . لم تعد ساقيه تتحملان ثقل جسمه ، واشتد  
ركبته ، فسقط على وجهه يلمس . بقى مكانه دقائق ينتظر الموت . لكن  
الموت لم يأت . وبداله أن انظاره قد طال ، وطادت أمامه تتردد بيسر  
أكثر ، فأدار رأسه ليرى أن المارد قد سقط بدوره ، وأنه لا يتحرك  
من مكانه .

وقفز الآمن عائدا بغيره الحياه لم يتجمل إذ أنه لاحظ أن المسافة بينه وبين  
المارد أكثر من ذي قبل . زحف ببطء إلى حافة النمر يرتشف من مياهه ويدفن  
رأسه فيها . أحس بقواه تعود إليه ، لكن عضلات جسمه كانت ما تزال تعاني  
من الجهد الشاق ، اهتدل جالسا ، وازاحت الغشاوة عن عينيه . رأى أن الجبل  
أصبح لا يزيد المسافة إليه أكثر من بضعة مئات من الأمتار ، وأن الأرض  
كانت قد بدأت ترتفع فعلا . وأدار بصره إلى المارد ليرى أنه بدوره قد  
بدأ يتحرك .

تجامل على نفسه قائما ، وإذجه إلى المصهور أمامه . ولم ينتد بصعته أمتار  
حتى التفت حلقه ليرى أن المارد قد قام بدوره ، وأنه يتبعه ، فلم يكن من اليسير

عليه أن يترك فريسته تغلت من يديه . في هذه المرة لم يستطع الرجل أن يطلق الساقية العنان ، فكان جريه على ما إهتاده في حياته بسهولة ويسر . تنافس المسافة سرعيا ووصل دبوء إلى الصحور ، ولما التقى طريقه طريقه بينها . وبالرغم من أنه لم يفصله عن المارد أكثر من حسين مترا ، إلا أنه أستمروا يحتفظ بقواه لأنه كان يعلم أن المطاردة لم تنته بعد وأن ما أمامه لا يقف في صلابته عما مضى ، لأن لم يزد .

كان هذا هو حقاؤه الثالث . لم ينتبه إلى أنه كان عليه أن يتقن طريقه بين الصحور . في حين كان المارد يتخطى صخورا من الصير عليه أن يتخطاها .

لم تمض دقائق بعد هذا حتى أحس دبوء ، بحفظه . كان المارد لا يعود عند يأكثر من ثلاثين مترا ولم يكونا قد جاوزا منتصف المسافة بين صغرى القهر . حاول جاهدا أن يتبعه ، وصاعق من محموده ، لكن المسافة بقيت على ما هي دون أن تتزايد مترا واحدا بل لعلها نقصت . لم يتفكر الرجل وراءه بعد هذا ، وإنما قصر جهده على إلتقاء طريقه ، والقهر من صحرة إلى أخرى ما استطاع .

كانت المسافة قد تناقصت إلى أقل من عشرة أمتار حينها لمست قدما الرجل الأرض المبسطة على الضفة الثانية للبر . اندفع بكل قواه بعيدا عن الجحش ، نحو العاية وبدأت الأشجار تدور في رأسه . لم يحاول هذه المرة إلا أن يتبعه بالفرد السكاني عن المارد ، واستمر في جرى متراسا يحفظ لمسافة يسيرها لو كان تقديره صحيحا فان ما لك مarda آخر يقع في مكان ما من الغابة الشاسعة أمامه كانت خطته أن يتلاقى الماردان ليقتلا بعضهما .

وتدافعت إلى رأسه شتى الأمثلة ، هل هنالك ما رد مان سفيقة أم أنه مجرد الوهم الذي صور له وجوده ؟ وحتى إن وجد هذا المارد الآخر فأين هو الآن في هذه الغابة المترامية ؟ هل يرقبها الآن أم أنه على بعد أميال داخل الغابة ؟ أو لعله نائم في ظل شجرة يتعم بعد أكلة دسمة . لقد مضى أكثر من شهر دون أن يظهر له أثر ، فما الذي يجعله يظهر الآن ؟ ما ذا لو اندفع هو في الغابة ليوقع هريسة سهلة في يد المارد قبل أن يظهر الآخر الذي يجري خلفه ؟ ماذا لو أن الماردين لم يتفانلا وأقرب ضده .

دفعته هذه الأفكار إلى مضاعفة المسافة التي تفصله عن مطارده . فإيا كانت الاوضاع فلا شك في أنه يجب أن يبعد المارد عن مكان السكف الذي تقطن

فيه الجماعة . ومضت اذئذ ، وعاد إلى سابق جريه الهادى . ابعده أن تأكد  
من المسافة قد تضاعفت .

كان الإنسان قد قارب الدغل الذى احتوى به الرجل اول الامر حينما قذف  
به النهر إلى هذه الضفة ، ولم تكن الغلبة لتبعد بأكثر من ألف متر . وشمور  
حتى البحرى و هو ، بعيدا عن الدغل ، وفي اللحظة التالية طهر من بين الأشجار  
مارد آخر . وتوقف مطاردة . وانفج الرجل بإقصى سرعه بعيدا عن الاثنين  
الثقت خلفه ليرى أهما يتقدمان من بينهما غير معينين الله وإليه ، وكأنهما  
قد نسيان . وتوقف بدوره لشهد أكثر حارات هبناه من وحشية وحراوه  
في القتال . ولم يكن بمفرده الذى يشهد هذا القتال ، لكن عيوننا حرة فلقنة  
كأنت تنظر من شرفة الجبل جاهدة في التعرف على مجرى الامور هناك عند  
الكهف ، وقفت المراتان ، والمعلق ، والمذنبان يحاولون أن يميزوا الحوادث  
ثم المعلق بالحركة لينتج لنجدة صاحبه ، لكن دنا حالت بينه وبين ذلك .  
ورضى بالبقاء بعد أن فهم أن هذه هي أوامر دونه . أما الذئبان فسكنا يتفحص  
دمرا وهما يريان ، وصوح ما يحدث .

التحتم الماردان بهذه . كان التحدى على المسكان هو الجريمة التى لا تغفر . جزاؤها  
الموت ، وبدأ القتال وحشيا منذ اللحظة الاولى قوة مجردة . سارع قوة أخرى  
مجردة لم يكن هناك أى دحل للعقل أو العيلة ، أو المسكر ، أو الحداد ، وإنما  
هي القوة بأجلى معانيها . امالت الضربات من الخامس كالمنظرق يحدث لإرتطامها  
أصواتا عالية . كانت مثل هذه الضربات هي التى فتحت الصدور عند المفارقة . ومع  
هذا لم يكن أثرها يربدهن أن يترفع الذى نقاها . ويعود ليكيل لخصمه مثلبا  
كانت ضربات بطيئة قوية متعمده لم يحاول احدهما أن يتحين فرصة أو أن يتابع  
انتصارا ، بل لعل كلا منهما كان يكيى الضربة ويشتغل حتى يثقلى ضربات خصمه .

كان الماردان يشاويان في الضخامة ، والشكل ، فكأنما هما توأمان لا يستطيع  
الرأى أن يفرق بينهما . وبعد مدة من الالتحام فقد الرجل نفسه القدرة على  
المعرفة . لم تكن ضرباتهما تستهدف مكانا معيناً من الجسم ، وإنما هي تنزل  
حيث تصيب . ولم تمس فقره حتى كانت الدماء تسيل من كليهما . من الوجه

والصدر ، والسذراين ، رأى الرجل ادماء تختلط بالشمع الكث ، ورأى  
الوجع ينفتح ، وأعلقت إحدى عيسى مارد ، وصالت الدماء ، بمزارة من  
ألف الآخر ومع هذا فلم يتوقف بين الضربات المنهالة

لم يصدر من أيها صوت ، وحس العالم أنفاسه وهو يشاهد قتال الجارية .  
ووقع أرجل مشدوها لا يقاوم إلى أذنيه سوى أصوات ارتطام الضربات  
بالجسدين الحديدين ، حتى صوت انسحاب المياه القريبة بدأ كأنه احتقن استراما  
لهذه القوة البادية .

هذه اللحظات كأنها لدمور ، وتروى الماردان برهة كأنها يلتقطان  
أصابعهما ، ثم بدأ الإلتحام مرة ثانية ، إذ أنما الإنسان يختصان بهصبيهما .  
واستعمدت الأطراف الصلبة ، والأصابع الحوية بحمض الحلد ، والوجه والعيون ،  
وأنفست الأصابع ، ولأبواب أحدهم حيثما ، من لها أن تكون رجاء أحد  
الماردين أن يصرعه أو يخرج أعضاه من صدره فطوقه بذراعيه ، ومضى  
يصط على قوته غير عابء بالضربات التي أنفالت عليه تصطع من لحمه ،  
وتكسر من عظامه ، وتحمل مجموع إلى حليط من ادماء ، والمطام ، والجمع

ويبدو أن الضربات التي دلتها المارد قد أثرت فيه إلى حد من الاتزان ووقعا  
برهة يظن أن إحدى بهصبيهما من خلال ادماء السائلة لم تكن في النظرتين أي  
خوف ، أو قلق هم يكن للثوب معي لايم ، بل لم تند المكرهية ، أو الحقد ،  
أو أي شعور آخر . كان القتال ، وعريه القتل فقط هي السائدة . وطادت  
الضربات تنال لاحظ الرجل أنها كانت أقل شدة مما بدأت ، وأل الصدرين  
الهابذين يرتفعان ، وينجسان نفث وجهد مترايين .

أخيرا هبط الجسدان الصخمان على الأرض كجبلين ينهاران ، واحتضرت  
الضربات تنال ، وادماء تنيل . لسكها كانت حركات صعبة ، بعيدة عن  
بعضها كأنما كان صاحبها يهابي جهدا في مجرد رفع ذراعيهما . راحا يتقلبان  
على الحصى لتختلط ادماء يهما وبالفراغ حولها ، وليتصق الفراغ بالجسدين  
المسربين بالسائل الأحمر اللقي . ومضت الدقائق ثقيلة ، ورأى أرجل نهاية  
القتال . لقد اعتلى أحد الماردتين الآخر ، وغرس يديه في حبيبه بقوة يقطعهما .

وسالت منها الدماء غزيرة ، وأطبقت لآسنان الحادة على العنق المكشوف على الأرض ، وحاول المارد المسجى أن يتخلص من حشد غريمه ، وارتفعت يدها مرات لتتطاول على ظهره . لكن النهاية كانت قد جاءت ، فلم تحض الحظت حتى كادت قصيته الهوائية قد انفصلت عن عهده وحشد الجسد الهائل .

لم يتحرك المارد المتصر ، بقى هامدا فوق صدر غريمه حتى طس الرجل أنه مات بدوره . تقدم صمحا حذرا ، وترقب خطه لينطلق حجرا صمحا من الأرض ، ثم تقدم بخطى بطيئة حتى وصل إلى السكوة الهائلة المسجاة المحنطة من العظام ، والدم ، والتراب ، والحصى . شاهد أن المارد المتصر لم يكن قد مات بعد إذ كانت أفعاله تتردد . رفع الحجر إلى أعلى ليضرب به على رأس غريمه ، لكن لحافة تمحرك الذراع الصمحة ليصيده في صدره بضربة طحت الحجر ، وقذفته في الهواء أكثر من ثلاثه أمتر لعظم بعدها بالأرض بشدة رصت ضلوعه ، وعظامه .

بقى هو ، في مكانه ذهلا . كان المارد صميما لا يقوى على الحركة ، وإلا كانت الضريرة كدميلة بالفضة عليه . لكنهما مع ذلك كبرت بهن ضلوع صدره . أحس بالالام مبرحة مع كل سعة هواء تدخل صدره . ودارت به الأرض حتى أضفى في شبه عيوبة ، وأدرك أن ضربته لا بد أنه الآن يقف هوفه ، وبكى أن يثأر بدمه ليقنله كالحشرة دون أن يستطيع دفاعا عن نفسه . وفتح عيبيه ليرى الدنيا ظلاما ، جاهدت إرادته صد الالام وصيق النفس . والعيبوبة . وابتدأت الماعة تنفث من أمامه شيئا فشيئا .

رأى سما صاميه لا أثر فيها للغيوم ، وبدت له قم الجبل تتناول من بعيد . أحس رأسه يكاد أن ينفجر ، وهو يحاول أن يسيره لينظر إلى رفحية المارد لكنه أرغم نفسه ، وهاله ما رأى . كان الجسم الصمحة لا يبعد عنه سوى ثلاثة أمتر ، تقل . ورأى العينين الصيقتين وقد نورمتا فإزداد ضيقهما تنظران إليه بوحشية . شاهد الوجه البشع وقد ازدادت بشاعته من أثر الدماء والتراب المتلطخين بالشعر الذي يكسوه ، وبالجلد العارى في الأماكن العلية من الوجه . رأى الأديم لا عطر يفطر دما ، والشمتين المنفرجتين الصمحتين وقد انشقت

العياء وتورمت لتظلم العم وقد حلا من بعض الأستان . وانتابه الدعر وهو يرى الذراع المكسور بالكسر الطويل يمتد إلى ناحيته كأفعى صاعدة برحرف على الأرض في بطله .

لم يتمكن الذراع من أن تصه . وبداعلى المارد أنه يذل جهدا كبيرا ليتحرك من مكانه . إرفع رأس ، وتلاه الكتفين . وإسحب الذراع قليلا ليتمكن الكتف عليه في عذلة للبهوض . شاهد الرجل كل هذا كأنما هو في حلم ، وبدل مجر دأ جارا ليقوم ويستمد عن الموت الذى يتحرك في بطله وثقة . واندهع ألم طاع إلى صدره سمره في مكانه ، واسقط رأسه ثابته على الأرض ملتقط ليداسا تدحس تصمونه إلى صدره . وعادته السحابة السوداء تعطى عينييه .

مصت حطبات وهو ملقى في مكانه لا حراك له ، وقد داهمته غيرة مؤقنة . وجبها فتح عينييه . قشمت السحابة . وأى اليد الصمعة ترفع فوق رأسه مباشرة . حاول بانسا أن يتحرك دون جدوى . ول أن علم أن اليد الهاطة سوف تنهى حياته . لكن حتى لم تدع الحياة كانت قد تركته . علفت عيناه بهول يكاد أن يصل إلى امتداد المأخوذ باليد وهو تمط ، واستسلم لموت .

لكنها لم تمط عليه . بسرعة البرق اندفع جسم كبير في الهواء لينتفض اليد . واضرست ألياف طويلة حادة في الرشح لتبعد الذراع كاملة عن مردها واستمع الرجل وهو في شبه عسونة إلى رجمة حديفة كأنها الانشودة في أذنيه لقد تعذب الذئب على رعيه من امرد . حينما شاهد صديقه في حمار ، إطلق من شرفة الحكماء ليصل في الوقت المناسب ليعفده . غير عابى بالموت ، أو الرعب .

وتحرك الذراع الضخم ، بطروح بالذئب ، يريد أن يعضه عنه . وتقلب الذئب مع حركات الذراع ، وكأنه طعل صغير . لكن للمسكين القويين طلاق يطبقان على الرشح لايدعاه . لم يكن هناك شك في أن ضعف المارد الشديد هو الذى مكن الذئب من الإستمرار في الإطباق على اليد ، وإلا لسكانت حركة واحدة تسكني لأن تنذف به بعيدا . ومع هذا فإنه لم تنص لمعطيات أخرى إلا وكن الحيوان المسكين يطير في الهواء لينفض على الأرض بعيدا عن الأنين .

وكأنه أهمل الدأب دفعة جديدة للرجس شعر بقو وتعود . تحمل على نفسه ، وبهص وافذا مستعدا عن الموت إلى جو رء . أمسك صانع صدره المكسورة بيده كأنه ليحاول أن يلجمها . وحذف صخط يده بعض الآمه فبدأ يسير متوترا نحو السكف . كان مايد فعه هو مجرد غريزة الحياة ، ولاشئ آخر غيرها . بدا له الجبس على مسافة هائلة ، وداسله شك كبير في استطاعته الصمود حتى يصل ، ومع هذا فقد ظل على ترتمحه يتحمل .

اضم إليه الدأب بعد برهة . ولاحظ دوء أن صديقه يصرح في سيره ، وأن الهدم تسين من مكان ما في صدره ، لكنه لم يكن يستطيع أن يعمل من أجله شيئا . استمر الاثنان في سيرهما البطيء . وهدت دفتان رهينة في الآمها ، وإن كان ارجس قد اعتاد الألم بوعا ما ، وعرف كيف يهوى على الوصع الذي يجده أحب حده . التفت وراءه . كان المارد قد قام من رفته ولاح أنه يتربع في رفته ، ثم أحد يتهمها بخطي بعلية ثابتة .

حاول دوء أن يزيح سرخته ، لكن سره من ما يستره للآلام فهو دة الدور وتعميمه فهاد إلى حظرائه المسترخة الأولى . واتخذت المسافة بين الخصمين ، ونظر الرجل إلى الجبل ، وأبأس بهجر قلبه ، أرغم نفسه على أن يريد من سرخته وازدادت الآلام في صدره شدة حتى أنه كد أن يصرح ، كتم نفسه فلم يعد يتمكن إلا عند الضرورة : وبدأ يسير بهدوء ، فكان يسير على غير هدى لم تهد عيابه في الواقع ثريان شيئا ، فاعصمها كلية حتى لا يشعر بالدوار ، أو حساء إن يقل عن وقته .

وجاء وقت هدت فيه قوته تماما . بدون سبن اندار تراحب ركشاه ، ولم تعد ساعاه تستطعم حمل جسمه دارت الأرض ، واضطرت انديا قتهاوى صافطا . سمح فلما يشبه الخلم رجرات صديقه ، وأحسن يدين قويتين تطوقه ، وترماه من الأرض ، ثم لمة الهواء البارد النقي كأنما شخصا قد احتمله وجرى به . والواقع أن هذا كان ما حدث تماما : فقد رأى الدأب رفيقه يتهاوى على الأرض ، واقرب المارد حتى أصبح لا يبعد بها أكثر من أمتار قليلة ، ورأى الدأب أن صديقه لا يستطيع الحركة ، وأنه ماتت لاحتاله . بدون أدنى تفكير في للخطر المائل أمامه ، اندفع إلى ساق المارد يهرس آياته ويهمن فيها بمحابه .

حاول المارد أولاً أن يقذوه بعيداً بمجرد تحريك ساقه ، لكن الذئب كان يدافع عن حياة رفيقه ، فشد من أطباق فكبيه على الساق . انحنى المارد بثقل كأنما كانت كل حركة تسبب له ألماً ، وبضربة واحدة من يده أطاح بالذئب . اطلق الحيوان المسكين صيحة ألماً لم تستكمل وهو يطير في الهواء ليدهق على بعد أمتار . التفت المارد إلى حيث شاهد الرجل يسقط ، لكنه لم يكن هناك . لقد شاهد العملاق ما حدث . وعلى رءفه تمسك به عادة كان تقديره الموقف سريعاً . اندفع بدوره هابطاً من الكهف ، وجرى بأقصى سرعته ليضمحل صديقه بين يديه بحفة زائدة كأنه طفل ، ويعود به متبعاً الطريق الذي اصطقلته الجماعة إلى شرفة الكهف .

بقى المارد مكانه ينظر بذهول إلى ذلك العملاق الذي كان قد ابتعد بحيث يكاد أن يختفي من أمامه . اتجه إلى ناحية الكهف سعياً وراءه . لكن الشعب كان قد نال منه فلم تكن السماء التي نزلت به حرارة من أثر قتاله المرير مع ابن جلدته ، ولا الآلام الحادة في شتى أنحاء جسمه وعصلاته ، ولا أنياب الذئب التي انقرست في يده وساقه بالثقل . حين حق على مارد مثله ، سار خطوات ثم تماوى على الأرض وبقي مكانه يرقب الكهف ، وأهله من بعد .

أطلق بو ، من غيبوبته المزعجة يرى نفسه مدق على أرض الكهف ورأسه هل الخدش ، ثم تصبغ جبينه لدى تجمع قطرات العرق ، ظل عقبه برهة لا يعي تماماً ما حدث ، ثم لاحظ في عيذه ، طرة تساؤل . بالرغم من محاولة احتجاج من المرأة قام يسير مستنداً إلى جدران الكهف حتى خرج إلى الشرفة . كانت د ب ، تجلس مستندة إلى الجدار الخارجي ، وهي تنفض من أرباب . ووقعت الذئبة تطلق عواء طويلاً ، حزيناً في حين كان العملاق يقف متصبهاً بكامل قامته ، وقد انسجرت رجلاه . وقصبت يده على المروحة الحبيبية ، وثبت ناظره حيث يزقد المارد .

ناداه بو ، فالتفت إليه مستغرباً . وبأشارات سريعة فهم العملاق والمرأتان ما يريد . بسرعة دلفوا إلى الكهف ليخرجوا منه بعد لحظات ، وقد حملوا ذخيرتهم من الرماح كما حملت المرأة القار . ثم دخلت ثانية لتخرج ( م ٢٠ - عبارة الأسلاف )



ومعها بعض الأخشاب الجافة ، ووضع الجميع إلى جانب الرجل الذي انتقل إلى حافة الشرفة . وأشار به ، ثانية إلى العملاق فأخذ هذا بعض الرماح ، وترك هراوته متددا ثم اندفع إلى حيث رقد المارد .

شاهده المارد وهو يندفع نحوه ونظر إليه متعجبا . لم يكن أحد ليجرؤ على الاقتراب منه ، حتى وهو في أشد حالات ضعفه ، ولا بد أن هذه كانت المرة الأولى في حياته التي رأى فيها رجلا من الأقزام ، أحد أوه بالقرينة ، يتقدم نحوه غير هباب منه ، آه وهو يرفع أحد الرماح ليلقيه عليه . وتلقى المارد الرمح بيده ليمسك منه قبل أن يستقر في جسده .

وتوالى الرماح تساقط عليه . أصابه أحدهما في كتفه إصابة شديدة . وينضب مكبوت نزع الرمح من صدره ليلقيه ، وتحامل على نفسه ليقوم بتأديب هذا الذي جرؤ على مهاجمته . وفي اللحظة التالية استدار العملاق ، وانطلق يحدو تجاه الكهف .

لاندفع المارد وراءه ، أحماه غضبه حتى هو سمعه ، وعن الدماء التي تدرت بمزارعة من الجرح الذي أصابه في كتفه . وقرر العملاق على فروع الممر الخشبي التي بدأت تنمو تحت ثقل جسده . لكنه لم يكن في مثل خفة الرجل ، فلم يستطع أن يبتعد عن المارد بالقدر الكافي . واعتدت اليد الهائلة لتطبق على العملاق . لكن المرة الثانية فمزج جسده الذائب الذي كان قد استعاد وعيه لتخرج من الأليساب الحادة في ساق المارد .

لانسحبت القبضة الحديدية . وصدرت من الحضرة شحنة غضب وألم . وأنحنى الجسد الهائل ، وتحرك الذراع ، لتبسط القبضة على رأس الذئب تمسكها تماما .

وعلى الشرفة وقف الرجل وفي إحدى يديه رمح طويل . كان يقرب ما حدث . صدرت من حجرة غضب حينما شاهد مصرع الذئب ، اختصر الحزن قلبه ، وتوترت أعصابه ، وتصلبت عضلاته ، لكنه كان يعلم أن صاحبه أصعب في عداد الأموات ، وما من قوة تستطيع مساعدته . صرخت دماء ألما وحزنا وانكسرت دموعه في مكانها . ولجأ فاندفعت الذئبية تهرثم تقفز ففزة رائحة تميط على أثرها جند قدمي المارد . وأطبق الفسكان القويان على أعلى القدم . حاول

المارد أن ينفذ الوحش الجديد منه . حرك ساقه حركات متتالية لكن الذئبة  
 لم يتركها لحظة . ويتناقل شديد أغصى ليضرب ضربة . لكن الذئبة تركت  
 القدم ، وهربت بعيدا . وطاشت الضربة . واختل توازن المارد فترنح قليلا ،  
 لكنه سرعان ما اعتدل .

لم يلتفت إلى الذئبة ، وتقدم نحو الممر الخشبي . كانت خطواته مترسعة  
 لكنها ثابتة . لم يكن هنالك شك في أنه يعاني ألما مائلا في كل أنحاء جسده  
 لكن الغضب كان قد أحماء وهو يرى أعداءه على بعد خطوات . صرخت ، قائ  
 وهي تراه يتقدم ، واندهشت ، وباء مذعورة نحو مدخل الكهف ، لكنه أخطأه  
 وارتطمت بالجدار الصخري لتقع على الأرض منهاوية لا تستطيع قدامها أن  
 تحملاها . ونفست عضلات المعلق ، وهو يقبض على مراءته بقبضته . وتقدم  
 الرجل خطوة يستعد لإلقاء الرمح .

لكن المارد لم يستمر في تقدمه . للمرة الثانية اندفعت الذئبة . إنطبق الفكاه  
 القويان على الساق ، وانفجرت الأيأب الحادة إلى أقصى مداها في طور الهجوم :  
 ترنح الجسد الخشن ثم انحنى ليضرب بقبضته وتبعته الذئبة من الساق ،  
 لكنها لم تبتعد بالسرعة الكامية . لمست أطراف الأصابع لمسة تكاد أن تكون  
 عابرة ، ومع هذا فقد طارت في الهواء لتقع على بعد أمتار . ولم تتحرك .

مارد المارد تقدمه . لم يحول نظراته المتوحشة الحية التي تمل من عيه  
 المتورمتين ، عن الجماعة ، ووطأت قدماء أول الأفرح . أنتت الاخشاب من  
 ثقل الجسد المائل ، لكنها لم تنكسر . يبطه شديد تحركت الساقان تصعدان  
 القنطرة الخشبية . وتراجع الرجل ، وهو يرى الموت يتقدم ببطء شديد . شدت  
 يده قبضتها على الرمح الطويل ، ثم ألقاه بأقصى ما يستطيع من قوة إلى صدر  
 غريمه .

لعل الرجل كان قد رأى بين النبال رأس حديقه وهي تنهم تحت القنطرة  
 الحديدية . أو لعله قد عاد بذاكرته إلى أهله ، وعشيرته . أو ربما كان يفكر فيما  
 يمكن أن يحدث لرفيقته وابنه ، أو عماها تكون عريضة القتال في سبيل الحياة  
 أيما كانت الأسباب فإن كل قوة الرجل كانت وراء هذه الرحمة . لم يبال بالآلام

المبرحة في صدره . لم يبال بالهزاد الذي اتقاه . ولا بالنهامة السوداء التي بدأت  
تغشى عينيه ، وجمع كل ماله فيه من قوة في هذه الرمية .

اندفع الرمح مارقة صادقا إلى الصدر المريض . وانغرس فيه إلى ما يقرب  
من ربعه . وصدرت حشرة تألم من المارد . وانثقت الدماء غيرة لتتلاق مع  
دماء أخرى تسيل من أكثر من جرح ، ولتزداد تسرل الجسد الهائل . وقف  
المارد يتربح في مكانه لحظات . ومد يده يريد أن ينتزع الرمح ، لكن أمله كان  
أضعف من أن يعمل . وبعد محاولات بسيرة قاتلة تركه حيث هو . واستمر  
في تقدمه .

وقف الجميع يراغبونه مبهورين . لم يكن يبدو أن شيئا ما يمكن أن يقتله ،  
أو يوقف تقدمه . وصرخ الرجل على رفيقه التي أسرعتنا تناوله دعاً آخر .  
وفي حركة خاطئة ألقى الرمح الثاني نحو هدفه . لكن الرمية كانت عاجلة ، ولم  
يكن الرجل قد تمالك فواء ، فلم يندفع الرمح بالسرعة الكافية . ورفع المارد  
ذراعه ليتلقى الرمح وينجيه بعيدا عن الصدر المريض .

وتقدم المارد . وألت الأفرع من تحته ، لكنهما كانتا مازالتا تتحمل الضغط .  
كانت حركاته بطيئة ممككة مكدودة تتطلب منه مجهودا ضخما ، ومع هذا فلم  
يتوقف . لم يبق بينه وبين آخر الضربة الحشوية الا خطوات . وصافت الميمان  
المنورمان كأنهما تآكدان من مكان الأعداء . حلال ستاره قائمة . وامتد  
الذراعان المتلولان ... وتضافت عنهما قطرات دماء قاتية ، وجرت ، لا ،  
رفيقا إلى الوراء ووثقت أمامه قابضة على أحد الرماح .

وتصدى العملاق بهراوته يسيط بعف على القبضة الضخمة . وهلا صوت عظام  
تنشم . براسمب الذراعان . لم يصدر من المارد أية صرخة ، أو أنه ألم ، وإنما  
هي زجرات حلقية لا تريد من حشرة . ومالت الرأس يمة ويسرة كأنها  
يوشك صاحبها أن ينهار ، ويغشى عليه ، ومع هذا فقد خطت العاقال خطوات  
أخرى . وامتد أحد الذراعين تربة لينة مض على العملاق .

ولحاة فادت الأفرع بحملها الثقيل . ترفع المارد لحظة ، وبدأ أنه يريد أن

ينحطو على الصخر قبل أن تنبسط به الأرض تحتهم ، لكنه لم يكمل الخطوة .  
تسكرت الفروع فوقعت في الحفرة ، ووقع معها الجسد الهائل .

لا شك أن بعض الرياح ، التي كان الرجل قد غرسها رأسية ، وجدت طريقها  
إلى جسده تمرقه . وتسكرت زجاج أخرى . وسمع الرجل ومن معه أصواتها .  
ثم ساد السكون . تراخت عضلات العملاق . وتحامل الرجل على نفسه ليرى  
خاتمة المارد . لكن المارد لم يكن قد مات . كان بينه وبين الموت مسافة  
كبيرة .

رأته الجماعة وهو يقوم من سقطته بنودة وثقاة كل من يقاوم أحمالاً ثقيلاً يده بها .  
ووقفوا يرقبونه بذهول ، ودهشة . رأوا القبضة الضخمة تمسك بحافة  
الحفرة ، وبدأت العضلات الهائلة تجذب الجسد . ارتفع الرأس البشع شيئاً  
فشيئاً . وكان للعملاق أول من نذبه إلى الخطر . ارتفعت هراوته لتبسط على  
الأصابع . واختلج الوجه المربل بالدماء من الألم ، لكن الرأس استمر  
في الارتفاع البطيء . ولم تترك اليد الحاجز الصخري . ارتفعت الهراوة ثانية  
لتبسط مرات ، ومرات . وتمشمت عظام الأصابع ، وغطتها الدماء ، فزادت  
من نشاطه منظرها . وبالرغم من هذا استمر ارتفاع الرأس ، وتلاها الكتفان  
العريضان .

توقف العملاق عن الضرب لحظة وهو ينظر غير مصدق إلى الصدر الهائل  
وقد ارتفع عن الحاجز بأكثر من متر . لم يكن يعرف الخوف بطبيعته ، مع  
هذا فقد تردد لحظات أمام تلك الحياة التي تأتي أن يداخلها الموت . هذا الخطر  
الذي يتمدد أصحابه فأنساء ذلك حذره ، وتقدم من المارد يطوح بهراوته وهو  
يصرخ ويبسط بها على الرأس المضرع مشق ، وثلاثاً . وتحرك الذراع الضخم  
المسكس بالضر ، وقبضت الأصابع الحديدية على رقبة العملاق . وشاهدت  
بقية الجماعة عرساً آخر للقوة البدنية ، العائقة ، رأوا صاحبهم يرتفع في الهواء .  
رأوه وهو مازال يضرب بهراوته رأس المارد بلا وعى . أخذ يحاول دون  
جدوى أن يخلص من القبضة التي . . تطبق على عنقه ، لكنه كان كقطعة صمير  
لا حيلة له .

جن الرجل وهو يرى صاحبه يهدف برجله في الهواء . عظم أنه لن يستطيع أن يفعل شيئاً من أجله . تناول أحد الرماح من المرأة وقذفها بها بقى له من قوة . واستقر الرمح صادقا في صدر المارد . لكن هذا لم يحاول أن يتفاداه أو يخرجه . وانغرز الرمح إلى جوار رماح أخرى .

كان المارد يعلم أن نهايته قد دنت ، لكن الحياة الجارفة التي تندفق في جسده أبت أن تذهب دون أن تأخذ معها اعداءه . ثوان معدودات كانت تسكني لأن ينتهي منهم ، لو أعطى أدنى فرصة . بالرغم من الآلام المريعة التي كان يعانيها في كل جزء من جسده ، ومن الدماء الكثيرة التي توفت منه ، وما ابتابه من ضعف ، إزداد ضغط الأصابع على عنق خصمه . رأت الجماعة رأس صاحبها يميل إلى أحد الجانبين . وتوقفت البراة عن الحركة ، وتدلّت الذراعان في الهواء ، وترأخت الساقان .

بحركة لم يبد في أي مجهود أطاح المارد الجثة ، فطار في الفضاء لتسقط على بعد أمتار عديدة ، وترتطم بالمضخور . وتحرك المارد يرفع ساقيه على الحافة . وتبين الرجل الخطر الدام . بسرعة جرى إلى وعاء النار ليلتقط أعوادا من الخشب الملتهب ، لم يشمر بالآلام في ضلوع صدره المتكسرة . ولم يأبه لجفده وهو يحترق من الخشب الملتهب ، واندفع عائدا ليلقى بالنار في الحفرة . أمسكت النار في الأعواد الجافة . في ثوان ، ارتفع اللمب تحت قدم المارد ، وأمسك في شعر جسده .

هبعت القدم الأخرى بسرعة من سافة الحفرة ، وراحت اليدان تضربان النار يمنون . وامتد اللمب إلى الأغصان والأفرع ، الجافة لتزداد النار اشتعالا ولم يبق الرجل ساكنا . اندفع مرة ثانية إلى الوعاء ليعود ومعه عودا ملتهبا آخر ، القاه في مكان ثان بالحفرة . واتسعت دائرة النيران ، وتطارات اللمب وحلت سحب الدخان تملأ الجو . وكرر الرجل العملية ، حتى أضحت اللمب يحيط بالمارد من كل جهة .

لكن الواقع أنه لم يكن في حاجة إلى التكرار ، فقد أمسكت النيران في الجسد الضخم ، ولم يفلح المارد في محاولاته المجنونة أن يوقفها ، فامتد اللمب يغطي الجسد كله .

وقفت الجاعة تشاهد نهاية المارد . وأوه خلال السنة النار التي تطاولت لتكون أتونا في عارلاته لأطفاها من جسده ، وأوه يضرب القلب بلا وعى كأنما هي هدو يريد أن يقتله . ثم وأوه يتحرك خارجا منها مندفعاً نحو السهل المعتد أمام الجبل بلا هدف .

رأوا كتلة من الزيران تبدو مترنحة في خطواتها ، شاهدها تتعثر في الأحجار ، والصخور المتناثرة ، وتميل كأنما هي سوف تسقط على الأرض ثم تمتد ، وتسهر . أخيراً وأوها تنكفي ، وتتحرك خطوة ، أو خطواتين ، لتستقر في مكانها وبقي مدلعة دقائق قليلة ، ثم تمهد . وتساعد بعض الدخان ، الذي مالبث بدوره أن يهد .

\*\*\*

مضت أكثر من سنة على الحوادث المتقدمة ، وكانت الشمس تسطح برامة في السماء لترسل أشعتها دافئة على شرفة الكهف . كانت هناك ذبابة ترقد في إسترخاء يجري حولها جراء صغيرة تتلاعب وتواثب مع صبي ، وصبية ، الأولى في سوالي السنة والنصف من عمره ، يلقيها بحجارة صغيرة وهو يحاول السير ، والأخرى لا تزال في الأشهر الأولى تجلس على الأرض تلعب في التراب . وعلى الجدار الخارجى للكهف استندت امرأتان تنسمان بالدقة وترقبان الصغيرين وتنتظران رجاءهما الذي بدأ يظهر من بعيد حاملا غزالا على كتفيه المريضتين .

جاء الرجل وقذف بالغزال تحت قدمي المرأتين فقامتا لتعدان الطعام . حملت « بي » العلفة بينا بقي الصبي يداعب الجراء ، وجلس الرجل مستنداً إلى الجدار ينعم بالشمس ، ويسرح ببصره إلى الأفق البعيد ، ولعله تذكر الذئب . وهو يسمع صوت الجراء التي اندفعت نحو تلمقه . ولعله تذكر أيضاً عملاقاً صاحبه فترة من الزمان . بدت في عينيه نظرة حريصة سامحه لم يفتق منها إلا على ارتطام شيء به . وصوت الطفل وهو يضطجك .

نظر إلى الشيء الذي رماه طفله به فإذا به حجر صغير به عروق صفراء . تأمله ملياً ثم ألقاه من الشرفة ليتدحرج ، ويشتق بين الصخور فما كانت له فائدة له . وما درى أنه قد رمى قوة سوف تسيطر على مصائر الملايين من أحفاده من البشر . لم تكن العروق الصفراء سوى من ذهب خالص .



# الفهرس

الصفحة	الموضوع
٦ : ١	مقدمة . . . .
٣٠ : ٧	الفصل الأول : الجرو والشاب
٥٩ : ٣١	الفصل الثاني : الذئب والشاب
٨٦ : ٦٠	الفصل الثالث : مكان الكهوف الأوائل
١١٤ : ٨٧	الفصل الرابع : هي . . . . هو
١٣٠ : ١١٥	الفصل الخامس : العملاق
١٣٨ : ١٣١	الفصل السادس : الصائد والفريسة
١٤٩ : ١٣٩	الفصل السابع : قتال العملاقة
١٧٠ : ١٥٠	الفصل الثامن : الجعيج البارد
١٨٤ : ١٧١	الفصل التاسع : المرأة العسائفة
٢٠٣ : ١٨٥	الفصل العاشر : صراع البقاء
٢٢٢ : ٢٠٤	الفصل الحادى عشر : شريعة الذئب
٢٣٩ : ٢٢٣	الفصل الثانى عشر : هودة الذئب
٢٥٨ : ٢٤٠	الفصل الثالث عشر : تحت الجبل
٢٨٠ : ٢٥٩	الفصل لارابع عشر : نفق الموت
٣١١ : ٢٨١	الفصل الخامس عشر : قتال المردة

• • •

رقم الإيداع ١٦٤٠ / ١٩٧٨

مطبعة المصرفة

• لم يكن ذا قوة يدنية تذكر .. ولا كان أعدى  
 العدائين . حتى حواسه السمع ، البصر ، الشم  
 كانت أدنى من أعدائه .. مع هذا خرج منتصراً  
 • استغل الطبيعة .. استأنس الحيوان .. لم تبقى  
 سوى نفسه التي مازال يروضها حتى الآن ..  
 • هذا هو الإنسان الأول ..... حياته  
 وأماه .. وأسلامه ... معاركه مع الطبيعة  
 والوحوش ... وما هو أخطر من ذلك نفسه ...

طبعة العرفه